

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾

بَصَائِرُ
لِكُلِّ مُلْحِدٍ وحَائِرٍ

مَهْلًا .. أَيُّهَا المُلْحِدُ

تَصْنِيْفُ

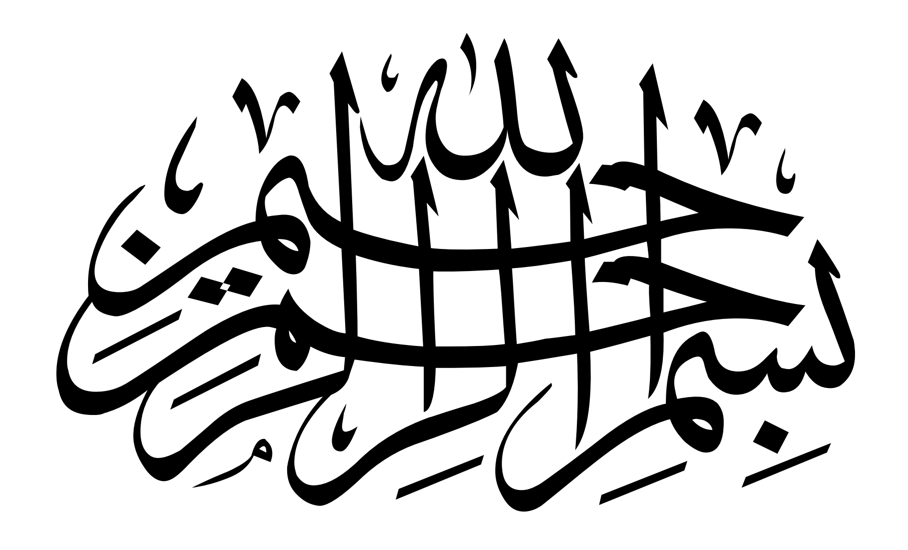
أبي عبدِ الله

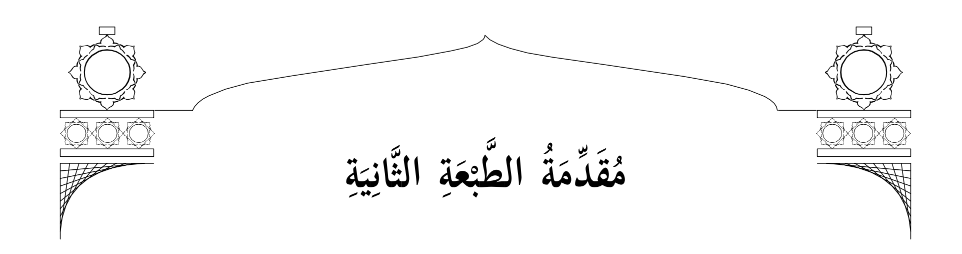
مُحَمَّدِ بْنِ العَفِيْفِيِّ

بَصَائِرُ

لِكُلِّ مُلْحِدٍ وحَائِرٍ

مَهْلًا . . أَيُّهَا المُلْحِدُ





مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، والعاقبةُ للمُتَّقِيْنَ ، ولا عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِيْنَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، وحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أنَّ محَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ صلَّى اللَّه عليه ، وعلى آلهِ وصحبهِ والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، **أَمَّا بَعْدُ** ؛

● فهذهِ طبعةٌ ثانيةٌ لهذا الكتابِ - الذي بين يديك - الذِي كَانَ عنوانُهُ مِنْ قَبْلُ : (رسالةٌ لكلِّ ملحِدٍ وحائرٍ) ، وقد زَوَّدْتُهُ بزياداتٍ كثيرةٍ ، تَرْبُو على الطبعةِ الأولى بمسائلَ مهمَّةٍ كثيرةٍ ، والحَمْدُ للهِ ، وقد جعلتُ عنوانَهُ تَحْتَ مُسَمَّى : (بَصَائِرِ لكُلِّ مُلْحِدٍ وَحَائِرٍ) .

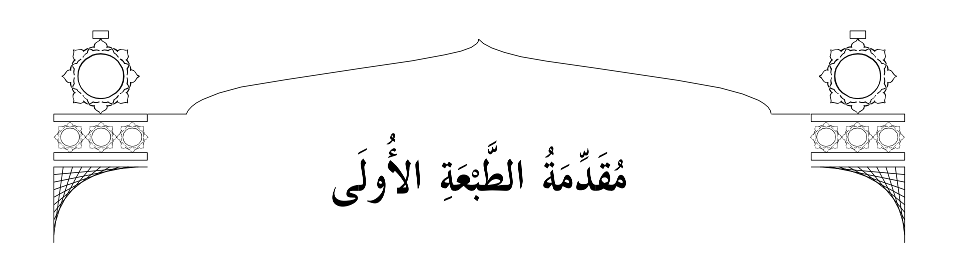
سائلًا ربِّي - جلَّ شَأْنُهُ ، وَتَقَدَّسَ اسْمُهُ - أَنْ يُكَلِّلَ هَذَا العَمَلَ بالإِخْلاصِ والقَبُولِ ، وأن يَرْفَعَنِي بِهِ دَرَجَاتٍ في جنَّات النَّعِيْمِ ، وأن ينفَعَ بِهِ العبَادَ والبلادَ ، والحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِيْنَ .

وكتب

أبو عبد الله

مُحمَّد بن العفيفي

منية سمنود - دقهلية - مصر



مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ لَهُ ، وَلَا كُفُؤَ لَهُ ، تَعَالَى عَنْ إِفْكِ الْمُبْطِلِينَ ، وَخَرَصِ الْكَاذِبِينَ ، وَتَقَدَّسَ عَنْ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَبَاطِيلِ الْمُلْحِدِينَ ، كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِهِ سِوَاهُ ، وَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَخَسِرُوا خُسْرَانًا مُبِينًا ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخِيرَتُهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ : ابْتَعَثَهُ بِخَيْرِ مِلَّةٍ ، وَأَحْسَنِ شِرْعَةٍ ، وَأَظْهَرِ دَلَالَةٍ ، وَأَوْضَحِ حُجَّةٍ ، وَأَبْيَنِ بُرْهَانٍ إِلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ ، عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ ، حَاضِرِهِمْ وَبَادِيهِمْ ، الَّذِي بَشَّرَتْ بِهِ الْكُتُبُ السَّالِفَةُ ، وَأَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ الْمَاضِيَةُ ، وَجَرَى ذِكْرُهُ فِي الْأَعْصَارِ فِي الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ، ضُرِبَتْ لِنُبُوَّتِهِ الْبَشَائِرُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ ، إِلَى عَهْدِ الْمَسِيحِ ابْنِ الْبَشَرِ[١] ؛ **أَمَّا بَعْدُ :**

---

(١) "هِدَايَةُ الحَيَارَى" للعَلاَّمَةِ ابْنِ القَيِّمِ (١/ ٢٢١ و ٢٢٢) .

فَقَدْ وَفَّقَنِي اللهُ – تَبَارَكَ وتَعَالَى – لِكِتَابَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ المُوجَزةِ المُهِمَّةِ فِي هَذِهِ الآوِنَةِ بِنَصِيْحَةٍ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والخَيْرِ ، وَهِي الفَاضِلَةُ أمُّ تَمِيْمٍ – بَارَكَ اللهُ فِيْهَا وَفِي أَهْلِهَا وذَوِيْهَا – ، وأَسْأَلُ اللهَ أنْ لا يَحْرِمَهُمْ (جَمِيْعًا) الأَجْرَ ، وأنْ يُجْزِلَ لهمُ المَثُوبَةَ ، ويَرْفَعَ عَنْهُمُ الوِزْرَ ، وكَانَ سَبَبُ هَذِهِ المُبَادَرَةِ ؛ اسْتِفْحَالَ هَذَا الخَطَرِ الدَّاهِمِ ، وانْتِشَارَ هَذَا البَلاءِ الجَاثِمِ ؛ أَلَا وهُوَ : خَطَرُ الإلحَادِ !! وَخُبْثُ أَهْلِ الزَّيْغِ والفَسَادِ ؛ فَقُمْتُ بِتَوْجِيْهِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى كُلِّ مُلْحِدٍ لا يَعْتَرِفُ بِرَبِّهِ وَخَالِقِهِ ، وَإِلَى كُلِّ مُتَشَكِّكٍ فِي دِيْنِهِ وَعَقِيْدَتِهِ ؛ عَسَى أنْ يَفِيءَ الشَّاكُّ إِلَى رُشْدِهِ ، وَأَنْ يَعُودَ المُرْتَابُ إِلَى صَوَابِهِ ، وَأَنْ يَرْجِعَ الحَائِرُ إِلَى فِطْرَتِهِ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] .

وَأَسْأَلُ اللهَ – جَلَّ فِي عَلْيَائِهِ – أنْ يَضَعَ لهَذِهِ الكَلِمَاتِ وَتِلْكَ الرِّسَالَةِ كُلَّ قَبُولٍ ، وَأَنْ يَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ .

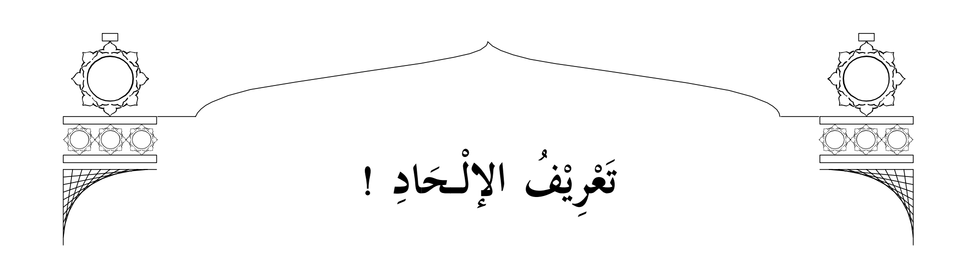
وكَتَبَ

أَبُو عَبْدِ اللهِ

مُحَمَّدُ بْنُ العَفِيْفِيِّ

مِصْرُ / المَنْصُورَةُ / هَاتِف : ٠١٠٦٠٣٩٦٦٣٩

غفَرَ اللهُ لَهُ ولوالِدَيْهِ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ .



تَعْرِيْفُ الإلْـحَادِ !

أَصْلُ الإِلْحَادِ : الْمَيْلُ ، والعُدُولُ عَنِ الشَّيْءِ ، **والمُلْحِدُ** : العَادِلُ عَنِ الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ ، **والمُرَادُ بِهِ – هُنَا –** : المَيْلُ عَنِ الاستقامَةِ وطريقِ الإسلامِ ، والعَمَلُ عَلَى هَدْمِ الأَخْلاقِ والقِيَمِ ، والكُفْرُ بِجَمِيْعِ الأَدْيَانِ ، وإِنْكَارُ جَمِيْعِ الرِّسَالاتِ ، وإِنْكَارُ الغَيْبِيَّاتِ ، والشَّكُّ في اللهِ – تَعَالَى – ، وإِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ ، وإِنْكَارُ وُجُودِهِ ، والتَّكْذِيْبُ بهِ ، وجُحُودُهُ ، وادِّعَاءُ أَنَّ الكَوْنَ وُجِدَ بِلا خَالِقٍ ، وإِنَّمَا وُجِدَ صُدْفَةً ، وَلَيْسَ هُنَاكَ بَعْثٌ ولا آخِرَةٌ ، ولا جَنَّةٌ ، وَلَا نَارٌ ، ولا ثَوَابٌ ، ولا عِقَابٌ ؛ فَالحَيَاةُ – عِنْدَهُمْ – مَادَّةٌ ، والمادَّةُ هِي الفَاعِلَةُ ، وهِيَ أَزَلِيَّةٌ قَدِيْمةٌ ؛ فَهِيَ – عِنْدَهُمْ – الخَالِقُ والمَخْلُوقُ ، والمَادَّةُ هِي التِي أَوْجَدَتْ نَفْسَهَا ، وَأَنَّهَا وُجِدَتْ بِمَحْضِ المُصَادَفَةِ والعَشْوَائِيَّةِ !!! بالرَّغْمِ أنَّ قَانُونَ المَادَّةِ – عِنْدَهُمْ – يُقَرِّرُ أَنَّهُ لا يُوجَدُ فِعْلٌ بِدُونِ فَاعِلٍ ؛ فَلِمَ يَزْعُمُونَ بعْدَ ذَلِك أَنَّ الكَوْنَ قَدْ خُلِقَ بدونِ فاعلٍ ؟!!! أَلَيْسَ هَذَا مِنْهُم دَجَلٌ أَخْرَقٌ ، وكَذِبٌ أَحْمَقٌ ؟!!

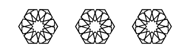
وَيُطْلَقُ عَلَى المُلْحِدِ – وكُلِّ شَاكٍّ – : زِنْدِيْقٌ ؛ فَالزِّنْدِيْقُ هُوَ الذِي لَا يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ ، ولا بوحْدَانِيَّةِ الخَالِقِ .

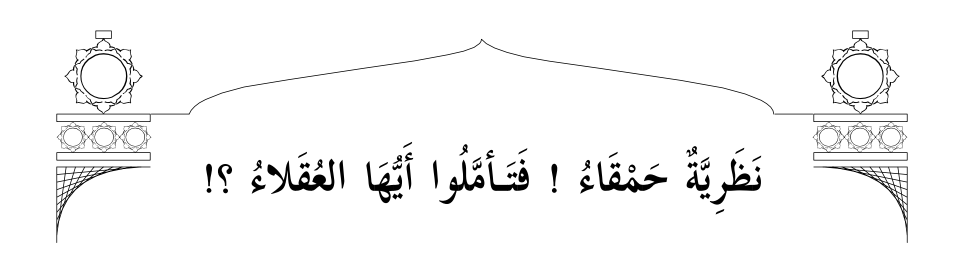
ويُطْلَقُ عَلَى هَؤُلَاءِ المَلاحِدَةِ – أَيْضًا – : الدَّهْرِيُّونَ ، والدَّوْرِيُّون (نِسْبَةً للإِنْجِلِيْزِي : شَالِزْ دَارْوِين =) ، والفَلاسِفَةُ ، والعَلْمَانِيُّون

اللاَّدِينِيُّونَ - المُخَادِعُونَ - المُنَافِقُونَ - ممَّنْ يُبْطِنُونَ الكُفْرَ ، ويُظْهِرُون الإسْلامَ - ، والشُّيُوعِيُّونَ ، وأَمْثَالُهُم .

وقَدْ قَالَ قائِلُهُمْ : " نُؤْمِنُ بِثَلاَثَةٍ : مَارْكِسْ (يَهُودِيٌّ أَلْمَانِيٌّ = ١٨٨٣م) ، وَلِينِينْ (يهوديٌّ رُوسِيٌّ =١٩٢٤م) ، وَسْتَالِينْ (رُوسِيٌّ شُيُوعِيٌّ طَاغِيَةٌ مِنْ صِنَاعَةٍ يَهُودِيَّةٍ =١٩٤٠م) ، وَنَكْفُرُ بِثَلاَثَةٍ : الله ، وَالدِّينِ ، وَالْمِلْكِيَّةِ الْخَاصَّةِ = الفَرْدِيَّةِ " . ومِنْ مَقُولاتِهِمْ : لا إِلَهَ ، والحيَاةُ مَادَّةٌ ، والدِّيْنُ أَفْيُونُ الشُّعُوبِ .

● وانْظُرْ فِي تَعْرِيْفِ الإلْحَادِ - والزَّنْدَقَةِ - : " النِّهَاية " لابنِ الأثيرِ ، و" لسَان العَربِ " ، و " تاج العَروسِ" ، و " الكُلِّيَّات " ، وغيرها . وانظُر : " مدارج السَّالكين " لابن القيِّم (٣ / ٤١٥) - [فَصْلٌ : انْقِسَامُ الطَّوَائِفِ فِي التَّوْحِيدِ وَتَسْمِيَةُ كُلِّ طَائِفَةٍ بَاطِلَهُمْ تَوْحِيدًا] - ، و " المَوْسُوعة المُيَسَّرة في الأدْيَان والمَذَاهِب والأحْزَاب المُعَاصِرة " (٢ / ٨٠٣ و ٩٢٠و ٩٢٥) .





نَظَرِيَّةٌ حَمْقَاءُ ! فَتَأَمَّلُوا أَيُّهَا العُقَلاءُ ؟!

إنَّ مُؤَدَّى هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ ! الإلحَادِيَّةِ : نَفْيُ الذَّاتِ العَلِيَّةِ ، وعَدَمُ الإقْرَارِ بخَالِقِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ – تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالمون عُلُوًّا كَبِيْرًا – .

دَارْوِين (الإنجليزيُّ = الملْحِدُ) ؛ صَاحِبُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ الكَاذِبَةِ الحَمْقَاءِ ، البَلْهَاءِ الصَلْعَاءِ التي تُعْرَفُ بِنَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ ، أو : النُّشوءِ والارتِقَاءِ ، وأنَّ الإنْسَانَ أَصْلُه (قِرْدٌ !) ، ثُمَّ تَرَقَّى ؛ فَأَصْبَحَ (إنْسَانًا) !! وَهَكَذَا أَوْحَتْ هَذِهِ الفِكْرَةُ بـ : (حَيَوانيَّةِ الإنْسَانِ) !!! نَافِيَةً عَنْهُمُ الانْتِسَابَ (ابْتِداءً) إلَى آدَمَ وحَوَّاءَ ، أَبَوَي البَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ – عَلَيْهِمَا السَّلامُ مِنْ ربِّ الأَرْبَابِ ، وخَالِقِ الأَرْضِ والسَّمَاءِ – .

والسُّؤالُ المُهِمُّ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ – أَيُّهَا العُقَلاءُ – : هَلْ رَأَى ذَاكُمُ الكَذَّابُ – (المُلْحِدُ = دَارْوِين = المَخْلُوقُ مِنْ طِيْنٍ ، ومَآلُهُ إلَى أَسْفَلِ سَافِلِيْنَ – بِإِذْنِ ربِّ العَالمِيْنَ ، ومالكِ يوم الدِّينِ –) ؛ أَقُولُ : هَلْ رَأَى تَحَوُّلَ القِرْدِ إلَى إنْسَانٍ ؟!! فَمَنْ أَنبَأَهُ هَذَا ؟ أَوَحْيٌ نَزَلَ عَلَيْهِ ، أَمْ تَسَلَّطَ عَلِيْهِ جَانٌّ أَوَ شَيْطَانٌ ؟!! بَلْ إنَّ الشَّيْطَانَ (الأَكْبَرَ) مَا تَجَرَّأَ بِهَذَا الهَذَيَانِ ، في يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ ، أَوْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ ؛ عَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّه رأسُ الكُفْرِ والعِصْيَانِ ؛ إذْ قَدِ اعْتَرَفَ – وأَنَّى لَهُ أَنْ يُنْكِرَ ويَفِرَّ

مِنَ هَذهِ الحَقِيْقَةِ الواضِحَةِ للعَيَانِ - ؛ فَقَالَ : ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] ، وَ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحِجْر: ٣٦- ٣٧] ؛ بلْ أَقْسَمَ بِذِي العِزَّةِ والعَظَمَةِ والجَبَرُوْتِ ؛ فـ : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢] ؛ فهكَذَا أقَرَّ اللَّعِيْنُ بالخَلْقِ والرُّبوبِيَّةِ لِلْحَيِّ القَيُّوم ﷻ ؛ بلْ وأقرَّ بالإحْيَاء والإمَاتَةِ للهِ (وَحْدَهُ) ؛ فـ : ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤ و ١٥] ؛ فَمَنْ أُسْتَاذُ الآخَرِ مِنْكُمَا ؟! أَأَنْتَ (أيُّهَا الْمُلْحِدُ الزَّنِيْمُ) أَمْ إِبْلِيْسُ الرَّجِيْمُ ؟!! فَهَلْ كَانَ إبْلِيْسُ يَعْرِفُ مَا يَهرِفُ بِهِ هَؤلاءِ ؟

فـ : " إنْ كَانُوا مِنْ أَتْبَاع إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ؛ فَلْيَقْبَلُوا شَهَادَةَ إِبْلِيسَ وإقْرَارَهُ عَلَى وَجُودِ الرَّبِّ تَعَالَى ، ورُبوبِيَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَلَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ : كُنَّا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ تَلَامِذَةَ إِبْلِيسَ ، إِلَى أَنْ تَخَرَّجْنا عَلَيْهِ ؛ فَزِدْنَا فِي السَّفَاهَةِ عَلَيْهِ " .- بِنَحْوِه مِنْ كَلامِ الرَّازِيِّ - .

وإنَّ هَذَا لَيُذَكِّرني بِقَوْلِ أَحَدِ شَياطِيْنِ الإنْسِ :

وَكُنْتُ امْرَأً مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ فَانْتَهَى بِيَ ... الْفِسْقُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي !

فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أُحْسِنُ بَعْدَهُ ... طَرَائِقَ فِسْقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي !

● وَقَالَ الآخَرُ :

فَلاَ تَحْسَبُوا إِبْلِيْسَ عَلَّمَنِي الخَنَا ... فَإِنِّي مِنْهُ بالفَضَائِحِ أبْصَرُ

وكَيْفَ يَرَى إِبْلِيْسُ مِعْشَارَ مَا أَرَى ... وَقَدْ فُتِحتْ عَيْنايَ لِي وهْوَ أعْوَرُ

وتتَعَاقَبُ الأَسْئِلَةُ – للمَلاحِدَةِ – تِلْوَ الأسْئِلَةِ ؛ فَنَقُولُ : ولمَاذَا لَمْ تَتَطَوَّرْ = وَتَتَحَوَّلْ كُلُّ القُرُودِ (الآنَ) - هِي الأُخْرَى - إِلَى إِنْسَانٍ ؟!!

ثُمَّ لِمَاذَا لَمْ يَتطَوَّرِ الإنْسَانُ (الآنَ) هُوَ الآخَرُ إلَى شَيْءٍ آخَرَ ؛ فيَطِيْرُ في الهَواءِ - مَثَلًا - ؟!! أمْ توَقَّفَ ذاكَمُ التَّطَوُّرُ المَزْعُومُ المَوْهُومُ ؟!!! ثُمَّ مِنْ أَيْنَ جاءَتِ القُرُودُ (أَصْلًا) ؟!! مِنْ خَلِيَّةٍ - زَعَمُوا - ؟!! فَمَنْ خَلَقَ الخَلِيَّةَ وأَوْجدَهَا مِنْ عدَمٍ ؟! ثُمَّ إِذَا كَانَ هُنَاكَ تَطَوُّرٌ في الخَلْقِ - كَمَا يَزْعُمُونَ ويَهْرِفُونَ بهذا العَقْلِ المأْفُونِ المفْتُونِ ، وكمَا زَعَمَ (دَارْوِينْ) في كتَابهِ : " أصْلِ الأنواع " - ؛ فَمَا هُوَ التَّطَوُّرُ في (جِنْسِ) الطُّيورِ (مثلًا) ؟!! **والجَوَابُ** : لا جَوَابَ مِنْ كُلِّ مُفْتَرٍ كَذَّابٍ !! فلَقَدْ قَالَ - تَعَالَى - ؛ مُخْبِرًا عَنْ هؤلاءِ المضِلِّينَ الكذَّابينَ - : ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف : ٥١] ، وقَالَ ﷻ : ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزُّخْرُفُ : ١٩] ، وصَدَقَ اللهُ القَائِلُ الحَكِيْمُ - بَعْدَ أَنَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ دَعَاواهُمُ الفَارِغَةَ البَاطِلَةَ - : ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثيةُ : ٢٤] .

لَقَدْ (بَدَأَتِ الدَّارْوِيْنِيَّةُ سَنَةَ ١٨٥٩م ، وانْتَشَرَتْ فِي أُورُوبَّا ، وانْتَقَلَتْ بَعْدَهَا إلَى جَمِيْعِ بِقَاعِ العَالَمِ ، وَمَا تَزَالُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةُ تُدَرَّسُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الجَامِعَاتِ العَالَمِيَّةِ ؛ كَمَا أَنَّهَا قَدْ وَجدَتْ أَتْبَاعًا لهَا فِي العَالَمِ الإسْلامِيِّ بَيْنَ الذِيْنَ تَرَبَّوْا تَرْبِيَةً غَرْبِيَّةً ، ودَرَسُوا فِي جَامِعَاتٍ أُورُوبِّيَّةٍ وأَمْرِيْكِيَّةٍ .

وَالوَاقِعُ أَنَّ تَأْثِيْرَ نَظَرِيَّةِ دَارْوِيْن قَدْ شَمَلَ مُعْظَمَ بُلْدَانِ العَالَمِ ؛ كَمَا شَمَلَ مُعْظَمَ فُروعِ المعْرِفَةِ الإنْسَانِيَّةِ مِنْ عِلْمِيَّةٍ وأَدَبِيَّةٍ وغَيْرِهَا . وَلَمْ يُوجَدْ فِي التَّارِيْخِ البَشَرِيِّ نَظَرِيَّةٌ بَاطِلَةٌ صَبَغَتْ مَنَاحِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ ؛ كَمَا فَعَلَتْ نَظَرِيَّةُ النُّشُوءِ والارْتِقَاءِ الدَّارْوِيْنِيَّةِ.

❍ **ويَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ :**

أنَّ نَظَرِيَّة دَارْوِيْن دَخَلَتْ مَتْحَفَ النَّسْيَانِ بَعْدَ كَشْفِ النِّقَابِ عَنْ قَانُونِ مَنْدَلِ الوِرَاثِي واكْتِشَافِ وَحَدَاتِ الوِرَاثَةِ (= الجِيْنَاتِ) بِاعْتِبَارِهِ الشَّفْرَةَ السِّرِّيَّةَ للخَلْقِ ، واعْتِبَارِ أَنَّ الكُرُومُوسُومَاتِ تَحْمِلُ صِفَاتِ الإِنْسَانِ الكَامِلَةِ ، وَتَحْفَظُ الشَّبَهَ الكَامِلَ للنَّوْعِ .

ولِذَا يَرَى المُنْصِفُونَ مِنَ العُلَمَاءِ أَنَّ وُجُودَ تَشَابُهٍ بَيْنَ الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ دَلِيْلٌ وَاضِحٌ ضِدَّ النَّظَرِيَّةِ ؛ لأَنَّهُ يُوحِي بِأَنَّ الخَالِقَ وَاحِدٌ ، ولا يُوحِي بوحْدَة الأَصْلِ ، والقُرْآنُ الكَرِيْمُ يُقَرِّرُ بِأَنَّ مادَةَ الخَلْقِ الأُولَى للكَائِنَاتِ هِي المَاءُ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور : ٤٥] ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

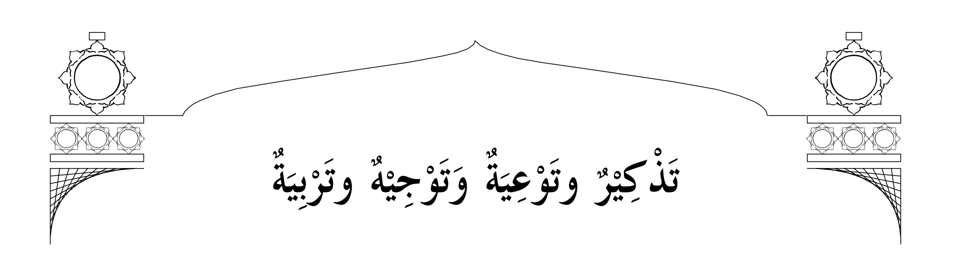
وقَدْ أَثْبَتَ العِلْمُ القَائِمُ عَلَى التَّجْرِبَةِ بُطْلانَ النَّظَرِيَّةِ بأدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ ، وأنَّهَا لَيْسَتْ نَظَرِيَّةً عِلْمِيَّةً عَلَى الإطْلاقِ(١) .

والإسْلامُ وكَافَّةُ الأَدْيَانِ تُؤْمِنُ بِوجُودِ اللهِ الخَالِقِ البَارِىء المُدَبِّرِ المُصَوِّرِ ، الذِي أَحْسَنَ صُنْعَ كُلِّ شَيءٍ خَلْقَهُ وبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِيْنٍ ، ثُمَّ خَلَقَهُ (مِنْ نُطْفَةٍ فِي قَرَارٍ مَكِيْنٍ) ، والإِنْسَانُ يَبْقَى إِنْسَانًا بِشَكْلِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَقْلِهِ ، لا يَتَطَوَّرُ وَلا يَتَحَوَّلُ .. ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾) .

● انْظُر : " المَوْسُوعَةُ المُيَسَّرَةُ فِي الأَدْيَانِ والمَذَاهِبِ والأَحْزَابِ المُعَاصِرَةِ " (٢ / ٩٣٠ و ٩٣١) .

---

(١) كَمَا أَنَّهَا تُسَمَّى (نَظَرِيَّةً ..) ! وَفَقَطْ ، وَلَيْسَتْ (حَقِيْقَةً) !! فَانْتَبِهْ ؟



تَذْكِيْرٌ وتَوْعِيَةٌ وَتَوْجِيْهٌ وتَرْبِيَةٌ

لَقَدْ صَارَ (الإِلْحَادُ) ، (وعَدَمُ الاعْتِرَافِ باللهِ - تَعَالَى -) ، (وإنكارُ وجودِ اللهِ - تَعَالَى -) و (الشَّكُّ فِي الذَّاتِ العَلِيَّةِ) موجةً عاتِيَةً ، وظاهرةً سافرةً إجرامِيَّةً ، تُشَكِّلُ خطَرًا كَبِيْرًا فَظِيْعًا ، وَشَوْكًا ذَرِيْعًا ، وَمَرَضًا مُرِيْعًا ، فِي هَذِهِ الآوِنَةِ (بالذَّاتِ) عَلَى كَثِيْرٍ مِنْ أَوْلادِنَا ، وشَبَابِنَا ، وَفَتَيَاتِنَا ؛ بَلْ حَتَّى شُيُوخِنِا وَنِسَائِنَا فِي المُدُن والقُرَى والأَرْيَافِ ؛ بَلْ حَتَّى فِي الشَّوَارِعِ وَعَلَى الأَزِقَّةِ والطُرُقاتِ وفي كلِّ مكانٍ !! حَتَّى لَقَدْ صِرْتَ لا تأمنُ على ولدِكَ - وَهُوَ جَالِسٌ إلى جوارِكَ ، وَأَمَامِكَ ، وبَيْنَ يَدَيْكَ - أَمَامَ هَذِهِ البَرَامِجِ والشَّاشَاتِ عن طريقِ (شبَكَاتِ الانْتَرْنِت) ، و (التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ) !! وصِرْتَ لا تأمنُ على ولدكَ -كذلك - وهو جالسٌ مع (زملاءٍ) له (وأصدقاءَ !!) هُنَا وهُنَاك وهُنَالِكَ ، ولا تَدْرِي مَا يَدُورُ بَيْنَهُمْ ، ولا فِيْمَا يَتَحَادَثُونَ ، وفي أيِّ الأماكن يَجْلِسُونَ ، ويَسْهَرُونَ ، وفي أيِّ وادٍ يهيمونَ ؟!! ف : (بِتْنَا) ، و(صِرْنا) ، و(أَصْبَحْنَا) ، و(أَمْسَيْنَا) في مأساةٍ ومآسٍ حقيقيَّةٍ لا تَقْبَلُ الهَزْلَ واللَّعِبَ ، وإنَّمَا تحتاجُ منَّا إلى جِدٍّ وتعبٍ ؛ لمقاومةِ هذا العدوِّ الغاشمِ ، ومكافحةِ هذا البلاءِ المتفاقم ، وطردِ هذا السَّرطانِ الجاثمِ على صُدور ، وفي قلوبِ ، وعقولِ (كثيرٍ) من أفرادِ المجتمعِ المُسْلِمِ بجميعِ أطيافهِ ،

وكلِّ أشكالهِ ، وألوانهِ .

لابُدَّ أنْ يتوجَّعَ الجميعُ من هذا الفِكْرِ العفنِ ، وأنْ يَبْذُلَ الكُلُّ مَا يَسْتَطِيْعُونَ ، ومَا يَقْدِرُونَ ؛ لِتَوْعِيَةِ الأفرادِ، والمُجْتَمَعَاتِ ، (والأَخْذِ بأيدِيْهم) ، وبَذْلِ الوُسْعِ والطَّاقةِ ؛ لمُحَارَبَةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الخَطِيْرَةِ (ظَاهِرَةِ الإلْحَادِ) ، أو تَقْلِيْصِهَا ، وَتَقْلِيْلِ حَجْمِهَا ؛ حتَّى لا يَغَرقَ الجَمِيعُ ؛ فَنَنْدَمَ حِيْنَ لا ينفعُ الندمُ .

نَعَم .. لابُدَّ أنْ يَصْرُخَ كُلُّ مَسْئُولٍ ، ويَنْتَفِضَ كلُّ حامِلٍ للمَسْئُولِيَّةِ تِجَاهَ ما يَقَعُ ويحدثُ نَحْوَ أُمَّتِهِ من ضَرْبٍ بِهَذَا السِّكِيْنِ الإجْرَامِيِّ (المُفَتِّتِ المُقَطِّعِ !!) ، والفكرِ الإلحاديِّ (المُدَمِّر المُفْظِع !!) . ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ : ٤٦] .

- فَمَاذَا – إِذَنْ – نَفْعَلُ ؟
- وما دَوْرُنا ؟
- وكَيْفَ نُواجِهُ ؟
- وما السَّبِيْلُ ؟
- وما المَخْرَجُ ؟
- وكَيْفَ النَّجَاةُ قَبْلَ أَنْ تَغْرِقَ السَّفِيْنَةُ بِأَكْمَلِهَا ؟!

وقبلَ البَدْءِ فِي تَفَاصِيْلِ العِلاجِ ، وعَرَضِ الدواءِ ، لابُدَّ – (أولًا) وقَبْلَ أَيِّ شيءٍ – أنْ نتساءلَ : لماذا انتشرتْ هذه الظاهرةُ الإجراميَّةُ ، والمَوْجَةُ العَاتِيَةُ في هَذِهِ الآوِنَةِ بِهَذَا الحَجْمِ المُرِيْعِ ، والإِقْبَالِ الفَظِيْعِ ؟! وكيفَ تَقَبَّلها كَثِيْرٌ من الشَّبَابِ والفَتَيَاتِ (على وَجْهِ الخُصُوصِ) ؟ .

- **والجُوابُ : أنَّ لِذَلِكَ أَسْبَابًا شتَّى ، ودَوَافِعَ مُخْتَلِفَةً ، وبَوَاعِثَ**

مُتَعَدِّدَةً ، يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِي عَنَاصِرَ مُحَدَّدَةٍ ، وبُنُودٍ عَدِيدَةٍ :

❑ فَأَوَّلًا : قِلَّةُ العِلْمِ ، وَكَثْرَةُ الجَهْلِ :

وهذه الآفةُ يُمْكِنُ أَنْ تكُونَ عَلَى رَأْسِ وَأَسَاسِيَّات ظُهُورِ وانْتِشَارِ مِثْلِ هَذِهِ الحَالاتِ (المُنْكَرَة !!) ، و (الشَّاذَّة !!) ؛ لأنَّ العلمَ عِزٌّ ونورٌ ، والجهلَ ظلامٌ و(بورٌ) ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة : ١١] . وقَالَ : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد : ١٩] . وقَالَ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشُّورى : ٥٢] .

وَقَالَ : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعامُ : ١٢٢] .

وَقَالَ : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياءُ : ٢٤] .

فانْظُر وتأمَّل إلَى هذهِ الإشاراتِ الكريمَةِ ، والمنازلِ الرَّفيعةِ العظِيْمَةِ التي أُعِدَّتْ لأصْحَابِ الهِمَمِ العاليةِ ، والعزَائِمِ الصَّادقةِ السَّاميةِ ، والإرادَاتِ القويَّةِ ، الذيْنِ يُضَحُّونَ في سَبِيْلِ تَحْصِيْلِ العُلُومِ النَّافعةِ ، ورَفعِ الجَهْلِ المُخيِّمِ عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ ! فَبِالعِلْمِ يُعْبَدُ اللهُ ، وبِهِ يُطَاعُ ، وبهِ يُحَبُّ ؛ فَعَنِ الإمَامِ الزُّهْرِيِّ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – قَالَ : " مَا عُبِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْفِقْهِ " ، وفي روايةٍ : " مَا عُبِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْعِلْمِ " .

● نَعَمْ .. كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا : أَنْ لَا يَعْرِفَ دِيْنَهُ !!

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْقَى لَبِيبًا ... غَذَاهُ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ الْمُصِيبُ
فَيَكْشِفُ عَنْكَ حَيْرَةَ كُلِّ جَهْلٍ ... فَفَضْلُ الْعِلْمِ يَعْرِفُهُ الأَرِيبُ
سِقَامُ الحِرْصِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ ... وَدَاءُ الجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيبُ

● وللهِ دَرُّ القَائِلِ :

وَالجَهْلُ قَبلَ المَوتِ مَوْتٌ لأَهْلِهِ ... وَلَيْسَ لَهُمْ قَبْلَ القُبُورِ قُبُورُ
وأرواحُهُم في وحْشَةٍ من جُسُومِهِم ... وليسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

وَلِذَلِكَ ؛ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ فِي زَمَنِ الفِتَنِ : طلبُ العلمِ الشَّرعي ، والحرصُ على مجالسِ العلمِ والشيوخِ ، والتَّبَصُّرُ والبَصِيْرَةُ في أَمْرِ الشَّرْعِ والدِّيْنِ ؛ حتَّى لا نَضِلَّ ونَحْنُ نَطْلُبُ الهِدَايَةَ ، ونَزِلَّ ونَحْنُ نَرُومُ التَّوفِيْقَ ، ونُخْطِىءَ ونَحْنُ نَرْجُو الصَّوابَ ، ونُفْسِدَ من حَيْثُ نُرِيْدُ الإصلاحَ ، ونَضُرَّ مِن حَيْثُ نُرِيْدُ النَّفْعَ !!

فأين أَنْتَ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ ؟ وأَيْنَ أَنْتَ مِنَ التَّفَقُّهِ فِي الدِّيْنِ ؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عِلْمِ التَّفْسِيْرِ والحَدِيْثِ ؟ لِمَاذَا لا تُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ مَرْجِعًا في بَلَدِكَ ؟ وفي مكانِكَ ؟ فيسأَلُكَ النَّاسُ ، ويَرْجِعُونَ إِلَيْكَ ؟ لِتَرْفَعَ عَنْكَ (عَنْهُمْ) الجَهْلَ ، وتُزِيْلَ عَنْهُمْ الإشْكَالاتِ ؟ وتَحِلَّ لَهُمْ المُعْضِلاتِ ؟

ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " اغْدُ عَالِمًا ، أَوْ مُتَعَلِّمًا ، وَلَا تَغْدُ إِمَّعَةً فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ " .

وَقَالَ – أيضًا – فِيْمَا ثَبَتَ عَنْهُ : " أَلَا لَا يُقَلِّدَنَّ أَحَدُكُمْ دِينَهُ رَجُلًا ؛ إِنْ آمَنَ آمَنَ ، وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ؛ فَإِنَّهُ لَا أُسْوَةَ فِي الشَّرِّ " .

وَعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ يَقُولُ : " عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ ، وَإِيَّاكَ وَآثَارَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ بِالْقَوْلِ " .

ولله دَرُّ القَائِلِ :

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالحَيَاةُ مَرِيْرَةٌ	**ولَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ**
ولَيْتَ الذِي بَيْنِي وبَيْنَكَ عامرٌ	**وبَيْنِي وبينَ العالمين خَرَابُ**
إِذَا صَحَّ مِنْكَ الودُّ فالكُلُّ هيِّنٌ	**وكلُّ الذي فوقَ التُّرَابِ تُرَابُ**

● ولا تَتَلَقَّ (أَيُّهَا العَبْدُ) إِلاَّ العِلْمَ النَّافِعَ (الذِي لا يَضُرُّ) ؛ فَهُنَاكَ عِلْمٌ مَذْمُومٌ ؛ كَعِلْمِ الفَلْسَفَةِ ، وَالكَلَامِ ، وَمِمَّا ذَكَرَهُ اللهُ – تَعَالَى – عَلَى جِهَةِ الذَّمِّ : تَعَلُّمُ (السِّحْرِ !!) – وقدِ انْتَشَرَ – ؛ فَقَالَ – عَزَّ مِنْ قَائِلٍ – فِيْهِ : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● **قَالَ ابْنُ أَبِي العِزِّ الحَنَفِيُّ " شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ "** : " . . فَعَنْ أَبِي يُوسُفَ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – أَنَّهُ قَالَ لِبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ : الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ ، وَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ رَأْسًا فِي الْكَلَامِ قِيلَ : زِنْدِيقٌ ، أَوْ رُمِيَ بِالزَّنْدَقَةِ . أَرَادَ بِالْجَهْلِ بِهِ : اعْتِقَادَ عَدَمِ صِحَّتِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عِلْمٌ نَافِعٌ ، أَوْ أَرَادَ بِهِ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ أَوْ تَرْكَ الِالْتِفَاتِ إِلَى اعْتِبَارِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَصُونُ عِلْمَ الرَّجُلِ وَعَقْلَهُ ؛ فَيَكُونُ عِلْمًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

● **وَعَنْهُ – أَيْضًا – أَنَّهُ قَالَ** : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ .

● **وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى –** : حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ

وَالْقَبَائِلِ ، وَيُقَالُ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ !!

● **وَقَالَ أَيْضًا – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – (شِعْرًا) :**

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

● وَنَبِيُّنَا ﷺ أُوتِيَ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ ؛ فَبُعِثَ بِالْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ وَالْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ ، وَلَكِنْ كُلَّمَا ابْتَدَعَ شَخْصٌ بِدْعَةً اتَّسَعُوا فِي جَوَابِهَا ؛ فَلِذَلِكَ صَارَ كَلَامُ الْمُتَأَخِّرِينَ كَثِيرًا ، قَلِيلَ الْبَرَكَةِ ، بِخِلَافِ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ ؛ فَإِنَّهُ قَلِيلٌ ، كَثِيرُ الْبَرَكَةِ ، لَا كَمَا يَقُولُهُ ضُلَّالُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَلَتُهُمْ : إِنَّ طَرِيقَةَ الْقَوْمِ أَسْلَمُ ، وَإِنَّ طَرِيقَتَنَا أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ، وَكَمَا يَقُولُهُ مَنْ لَمْ يُقَدِّرْهُمْ قَدْرَهُمْ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفِقْهِ : إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّغُوا لِاسْتِنْبَاطِهِ ، وَضَبْطِ قَوَاعِدِهِ وَأَحْكَامِهِ اشْتِغَالًا مِنْهُمْ بِغَيْرِهِ ! وَالْمُتَأَخِّرُونَ تَفَرَّغُوا لِذَلِكَ ؛ فَهُمْ أَفْقَهُ !! فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَحْجُوبُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِ السَّلَفِ ، وَعُمْقِ عُلُومِهِمْ ، وَقِلَّةِ تَكَلُّفِهِمْ ، وَكَمَالِ بَصَائِرِهِمْ " . انتهى .

● **فَعِلْمُ الكَلامِ والفَلْسَفَةِ يُوَرِّثَانِ الشَّكَّ والحَيْرَةَ !! قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ فِي " مَجْمُوعِ الفَتَاوَى " – بَعْدَ كلامٍ :** " وَتَجِدُ عَامَّةَ هَؤُلَاءِ الْخَارِجِينَ عَنْ مِنْهَاجِ السَّلَفِ مِنْ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ ؛ إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ وَإِمَّا قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَالْحِكَايَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ .

هَذَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ : نَشَأَ فِي الِاعْتِزَالِ أَرْبَعِينَ عَامًا يُنَاظِرُ

عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِك ، وَصَرَّحَ بِتَضْلِيلِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَبَالَغَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ .

وَهَذَا أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ - مَعَ فَرْطِ ذَكَائِهِ وَتَأَلُّهِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ وَسُلُوكِهِ طَرِيقَ الزُّهْدِ وَالرِّيَاضَةِ وَالتَّصَوُّفِ - يَنْتَهِي فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ إِلَى الْوَقْفِ وَالْحَيْرَةِ ، وَيُحِيلُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَشْفِ، وَإِنْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ رَجَعَ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَصَنَّفَ " إِلْجَامَ الْعَوَامِّ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ " .

وَكَذَلِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ ؛ قَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي " أَقْسَامِ اللَّذَّاتِ " : " لَقَدْ تَأَمَّلْت الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ ؛ فَمَا رَأَيْتهَا تَشْفِي عَلِيلًا وَلَا تَرْوِي غَلِيلًا ، وَرَأَيْت أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ : أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر : ١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه : ١١٠] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٦٥]، ثُمَّ قَالَ : وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي ، وَكَانَ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا :

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ … وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مَنْ جُسُومِنَا … وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مَنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا … سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

وَهَذَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ : تَرَكَ مَا كَانَ يَنْتَحِلُهُ وَيُقَرِّرُهُ ، وَاخْتَارَ مَذْهَبَ السَّلَفِ ، وَكَانَ يَقُولُ : " يَا أَصْحَابَنَا لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلَامِ ؛ فَلَوْ أَنِّي عَرَفْت أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْت بِهِ " ، وَقَالَ عِنْدَ

مَوْتِهِ : " لَقَدْ خُضْت الْبَحْرَ الْخِضَمَّ ، وَخَلَّيْت أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ ، وَدَخَلْت فِيمَا نَهَوْنِي عَنْهُ ! وَالْآنَ : إنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ ؛ فَالْوَيْلُ لِابْنِ الجُوَيْنِي ، وَهَا أَنَذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي - أَوْ قَالَ - : عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ " .

وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ : " أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِين إلَّا الْحَيْرَةَ وَالنَّدَمَ " ، وَكَانَ يَنْشُدُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ ".

انتهى .

● وَفِي " صَحِيحِ " مُسْلِمٍ (٢٧٢٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كَانَ يَقُولُ : **" اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَ "** .

● فَهَيَّا إِلَى مَجَالِسِ العِلْمِ وَدِرَاسَةِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ جَدِيْدٍ ، وكُنْ صَاحِبَ هِمَّةٍ عاليةٍ ، وإرادةٍ صَادِقَةٍ ، وعَزِيْمَةٍ قويَّةٍ .

آخِرُ الْعِلْمِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ وَبَدْءُ الذَّوْقِ مِنْهُ كَالصَّبْرِ

وَقَالُوا : " مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ ذُلَّ التَّعْلِيمِ سَاعَةً بَقِيَ فِي ذُلِّ الْجَهْلِ أَبَدًا " .

● هَيَّا إِلَى مَجَالِسِ العِلْمِ ، ودَعْكَ مِنَ مجالسِ اللَّغوِ والفُسُوقِ والمُجُونِ والعِصْيَانِ .

● هَيَّا إِلَى مَجَالِسِ العِلْمِ ، ودَعْكَ مِنَ السِّياسة التي ضَيَّعَتِ الأَعْمَارَ[١] ، وفرَّقتِ الصَّفَّ ، ومَزَّقَتِ الشَّمْلَ ، ومِنْ ثَمَّ فَتَحَتْ بَابَ التَّشْكِيْكِ فِي كَثِيْرٍ من الثَّوابِتِ والأُصُولِ والأَرْكَانِ ، وجَرَّأَتِ الطِّغَامَ عَلَى الخَوْضِ فِي شرِيْعَةِ الإِسْلامِ !! .

رُوِي (فِي الأثَرِ) عَنْ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَوْلُهُ : " كَمَا تَرَكَ لَكُمُ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ ؛ فَاتْرُكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا " . وقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : " يَا بُنَيَّ ؛ إِنَّ الْحِكْمَةَ أَجْلَسَتِ الْمَسَاكِينَ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ " .

● هَيَّا إِلَى مَجَالِسِ العِلْمِ ، ودَعْكَ مِنَ التَّعَصُّبِ للجَمَاعَاتِ والأَحْزَابِ ، التي كانَتْ سَبَبًا للخَسَارةِ والتَّفَرُّقِ والتَّمَزُّقِ .

● هيَّا مِنْ جَدِيْدٍ ؛ لِنَتَعَلَّمَ قَالَ اللهُ ، قَالَ رَسُولُهُ ﷺ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ ؛ قَالَ الإِمَامُ مالِكُ رَحِمَهُ اللهُ : " مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِيْنًا ؛ فَلَيْسَ اليَوْمَ دِيْنًا " . وَقَالَ : " لَنْ يَصْلُحَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا " .

● ما أَحْوَجَنَا إِلَى الاتِّبَاعِ وتَرْكِ الابْتِدَاعِ ، ومَعْرِفَةِ ما اخْتَلَفَ فِيْه

---

(١) فالسِّياسَةُ - المعَاصِرةُ - نَفَقٌ مُعْتِمٌ ، وَطَرِيْقٌ مُظْلِمٌ ، مَنْ دَخلَهُ أَحْرَقَ نَفْسَهُ ، ودَمَّرَ دَعْوَتَهُ ، وَأَفْسَدَ مَنْهجَهُ !! إِذْ لَيْسَتْ - بِهَذِهِ الصِّفَةِ - وَسِيْلَةً شَرْعِيَّةً ، ولا طَرِيْقَةً مَرْضِيَّةً ، وَعِنْدَنَا سَاحَةٌ هِي أَتْقَى وَأَنْقَى وَأَبْقَى وَأَصْفَى ، أَلَا وَهِي : سَاحَةُ الدَّعْوَةِ بِصَفَائِهَا وَنَقَائِهَا وَبَهَائِهَا وَضِيَائِهَا عَلَى رَسْمِ السَّلَفِ لا عَلَى خَطِّ الخَلَفِ .

النَّاسُ مِنَ الحَقِّ ، ولَنْ يَتَأَتَّى ذَلِك إلاَّ بالعِلْمِ والبَصِيْرَةِ .

النَّاسُ فِي جِهَةِ التَّمْثِيلِ أَكْفَاءُ — أَبُوهُمُ آدَمٌ وَالأُمُّ حَوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ — وَأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيهِمْ وَأَعْضَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ حَسَبٌ — يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ — عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ — وَلِلرِّجَالِ عَلَى الأَفْعَالِ أَسْمَاءُ
وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ — وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
الْعِلْمُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا — تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

❐ ثانيًا : ضَعْفُ اليَقِيْنِ ، وانْعِدَامُ الثِّقَةِ فِي المَنْهَجِ الحَقِّ :

لا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الدِّيْنِ العَظِيْمِ ؛ لِمَنْ تَذَوَّقَ حَلاوَتَهُ ، وَذَاقَ طَعْمَهُ ، وسَلَكَ هِدَايَتَهُ ، وَارْتَشَفَ مِنْ مَعِيْنِهِ ، وَعَاشَ بَيْنَ أَغْصَانِهِ وظِلالِهِ ؛ قَالَ ﷺ : " **ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً** " . وقَالَ : " **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** " .

فَمَنْ رُزِقَ هَذَا الخَيْرَ كَانَ فِيْهِ مِنَ الثِّقَةِ ، وعِنْدَهُ مِنَ اليَقِيْنِ ، ما يُجَابِهُ به أَعْتَى الشُّبهاتِ ، وأقْوَى النَّوَازِلِ والشَّهَوَاتِ والمُدْلَهِمَّات ؛ فلا يَضْعُفُ ، ولا يَنْثَنِي ، ولا يتهاوَى ، ولا يركَعُ ، ولا يَخْضَعُ أَمَامَ المتغَيِّراتِ ؛ بَلْ هُوَ جَبَلٌ أشمُّ ، ثابتٌ راسخٌ ، لا يَتَزَعْزَعُ ، ولا يَضْطَرِبُ ، ولا يَهْتَزُّ أمامَ المَوْجَاتِ العاتيةِ ، والهَزَّاتِ العنيفةِ الطَّاغيةِ ؛ لأَنَّهُ صَاحِبُ عَقِيْدَةٍ ، ومَنْهَجٍ ، وَدِيْنٍ ؛ فَلَيْسَ هُوَ مِمَّنِ

اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ ، وشَغَلَتْهُ بالدُّنيا عنِ الدِّيْنِ . . ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة : ٤٥] ؛ بَلْ هُوَ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ المُصَدِّقين بِيَوْمِ الدِّيْنِ ، مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ ، وَتَبَدَّلَتِ الأَحْوَالُ . . ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات : ١٥] .

ولا شَكَّ أنَّ الناسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي اليَقِيْنِ ؛ فَلَيْسُوا كلُّهم فِيْهِ سَوَاءً . وحسْبُ العبدِ أنْ يستغيثَ باللهِ تَعَالَى ، وَيَلْجَأَ إِلَيْهِ فِي الليلِ والنَّهارِ . . سَائِلًا ربَّهُ أنْ يُلْهِمَهُ الصَّوابَ ، ويرزُقَهُ الهُدَى والرَّشَادَ ، ويَقُولُ : " **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ** " . ويَقُولُ : " **يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** " . وَلاَ أَدْرِي مَاذَا يَقُولُ المُلْحِدُ إذا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الأُمُورُ ، واختلطتْ به الظنونُ ؟! فإِلَى مَنْ يَلْجَأُ ؟! وبِمَنْ يَسْتَغِيْثُ ؟! وإلى مَنْ يَرْكَنُ ويَهْرَعُ ويَفْزَعُ و . . ؟! فاللهمَّ لا حولَ ، ولا قُوَّةَ (لَنَا) إلا بكَ . . اللهمَّ أنتَ الغنيُّ ونحنُ الفُقَرَاءُ إِلَيْكَ . . وأَنْتَ القَوِيُّ ونَحْنُ الضُّعفاءُ بين يديك . . اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

وَلذَلِكَ ؛ فالمُلْحِدُ تَائِهٌ وحَيْرَانُ ؛ فَقَدْ سَقَطَ فِي شِبَاكِ ومكَائِدِ الشَّيْطَانِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ

حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام : ٧١] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج : ٣٠ و ٣١] .

إنَّمَا الكَافِرُ حَيْرَانُ لَهُ الآفَاقُ تِيهٌ
وَأَرَى المُؤْمِنَ كَوْنًا تَاهَتِ الآفَاقُ فِيهِ

فَالمُلْحِدُ يُحِسُّ (ولابُدَّ) أَنَّهُ فِي ضِيْقٍ واخْتِنَاقٍ وَحَيْرَةٍ وشَكٍّ وَرِيْبَةٍ وشَقَاءٍ وَتَعَاسَةٍ وعَدَمِ رَاحَةٍ ! لأنَّ اللهَ قَالَ :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه : ١٢٤– ١٢٧] .

❑ ثَالِثًا : اتِّبَاعُ الهَوَى ، وَمَسَالِكِ الشَّيْطَانِ .

وقَدْ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية : ٢٣ و ٢٤] ، وَقَالَ : ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ

تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس : ٦٠ - ٦٢] .

وقَدْ أَقْسَمَ إِبْلِيْسُ علَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ إِلَى يَوم الدِّيْنِ عَلَى أنْ لا يَأْلُوا جُهْدًا فِي إِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ ، والسَّعْي فِي إِضْلاَلِهِمْ ؛ حَيْثُ : ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦ و١٧] .

❐ رابعًا : الانْغِمَاسُ فِي الشَّهواتِ ، والرُّكُونُ إلى المَلَذَّات .

فحِيْنَ يَتَوَهَّمُ الوَاحِدُ مِنْ هَؤلاءِ المَسَاكِيْنِ أَنَّ النَّجَاةَ فِي الغَرَقِ ! وَأَنَّ سَعَادَتَهُ فِي إِشْبَاعِ رَغْبَتِهِ ، وغرِيْزَتِهِ ، يُحَاوِلُ أَنْ يَصْبغَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ صِبْغَةِ اللهِ ، وَهُدَاهُ ، وَيَلْبَسُ قَمِيْصًا سِوَى مَا اخْتَارَهُ لَهُ اللهُ ، لِيُبَرِّرَ فَعْلَتَهُ ، ومَا اقْتَرَفَتْهُ يَدَاهُ !! وقد قَالَ تَعَالَى - مُحَذِّرًا - : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس : ٧ و٨] .

فالمُلْحِدُ يُرِيْدُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ بِلا دِيْنٍ يَرْدَعُهُ ، أَوْ شَرْعٍ يحْكُمُهُ ويُوجِّهُهُ ، أوْ أَخْلاقٍ تُرْشِدُهُ وتُقَوِّمُهُ وتُهَذِّبُهُ ! فَلا حَرَجَ عِنْدَهُ مِنَ اللُّواطِ - الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ - وَزِنَا المحَارِمِ - زِنَا الرَّجُلِ بِأُمِّهِ أَوْ أُخْتِهِ أَوْ عَمَّتِهِ أَوْ خَالَتِهِ - ؛ فَضْلًا عَنِ الزِّنَا بِأَيِّ أَحَدٍ سُواهُنَّ .

كَمَا لا حَرَجَ لَدَيْهِ في شُرْبِ المُسْكِرَاتِ والخُمُورِ والمَخَدِّرَاتِ ! أَوْ فِي عِبَادَةِ الشَّيَاطِيْنِ والفُرُوجِ والبَهَائمِ والفِئْرَانِ ! فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُبَاحٌ أَوْ حَلالٌ ؛ إِذْ لا رَبَّ يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ ، ولا إِلَهَ يَتَّقِيْهِ حَقَّ تُقَاتِهِ !!

فَمَا دَامَ يَهْوِي اسْتِبَاحَةَ المُحَرَّمَاتِ ، والمُكُوثَ فِي النَّجَاسَاتِ ،

والعُكُوف عَلَى المُلَذَّاتِ ، دُونَ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْهَا أَحَدٌ ؛ فَلا طَرِيْق لَهُ – مِنْ ثَمَّ – إلاَّ أنْ يَجْحَدَ رَبَّهُ وخَالِقَهُ ، وَيُكَذِّبَ بالدِّيْنِ ، ويَوْمِ الحِسَابِ والجَزَاءِ ؛ لِيَفْعَل مَا شَاءَ في أيِّ وقْتٍ شَاءَ ! ولكنْ ثُمَّ مَاذَا ؟ وبَعْدَ هَذَا يكُونُ مَاذَا ؟ هَلَ أَحَسَّ بالسَّعادةِ الحَقِيْقِيَّةِ ؟ والجَوَابُ : كلاَّ كلاَّ . . فالسَّعَادَةُ لَيْسَتْ هُنَا ؛ حَيْثُ لا إِنْسَانِيَّةَ – عِنْدَ هَؤلاءِ الحَمْقَى – ؛ بَلْ تِلْك بَهِيْمِيَّةٌ ؛ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ؛ أُولَئِك هُمُ الغَافِلُونَ !!

❑ **خَامِسًا : الاغْتِرَارُ والانْبِهَارُ بالحَضَارةِ الغَرْبِيَّةِ ، والانْسِيَاقُ وَرَاءَ أَفْكَارِ الشَّرْقِ المُلْحِدِ ، وَالغَرْبِ الكَافِرِ ، وتَصْوِيْبُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ مُعْتَقَدَاتٍ ، ومَظَاهَرَ ، وعَادَاتٍ !! .**

يقولُ ﷺ : " **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ** " ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : اليَهُودَ ، وَالنَّصَارَى ، قَالَ : " **فَمَنْ** " ؟ . رواهُ البُخَاريُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه .

أَيْنَ عِزَّةُ المُسْلِمِ فِي تَمَسُّكِهِ بدِيْنِهِ ؟ واتباعِ هَدْي نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرْعِهِ ؟

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ ؟ .

إنَّ هَذِهِ لَهِيَ الطَّامَّةُ الكُبْرَى ، وَالمُصِيْبَةُ العُظْمَى !!

أَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِ اللهِ – تَعَالَى – فِي أَهْلِ الكُفْرِ : ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم : ٧] .

أَنَسِيْتَ تاريخكَ (الإسلاميَّ) المُشْرِقَ المُضِيءَ ؟

أَنَسِيْتَ حَضَارَةَ الإسلامِ التِي ملأتِ الدُّنيا زمَنَ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومن بعدهِ الخلفاءُ الرَّاشِدُونَ ، والمُلُوكُ وأَئِمَّةُ الإسْلامِ مِنْ بَعْدِهِمْ ؟

● **يَقُولُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي " التَّفْسِيرِ " :**

" وَقَدْ أَنْجزَ (اللهُ - تَعَالَى -) مَوْعِدَهُ لَهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَكَّنَ لَهُ فِي الْبِلَادِ ، وَحَكَّمَهُ فِي نَوَاصِي مُخَالِفِيهِ مِنَ الْعِبَادِ ، وَفَتَحَ لَهُ مَكَّةَ ، وَأَظْهَرَهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَعَادَاهُ وَنَاوَأَهُ ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ عَلَى سَائِرِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْبَحْرَيْنِ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ . ثُمَّ فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ وَالْأَقَالِيمُ وَالرَّسَاتِيقُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي أَيَّامِ خُلَفَائِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المُجَادَلَةِ : ٢٠] ، وَقَالَ : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غَافِرٍ : ٥١، ٥٢] ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الْأَنْبِيَاءِ : ١٠٥] ، وَقَالَ - تَعَالَى - إِخْبَارًا عَنْ رُسُلِهِ : ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إِبْرَاهِيمَ : ١٣، ١٤] ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ الْآيَةَ [النُّورِ : ٥٥] ، وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - ذَلِكَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةِ أولا وآخرًا ، باطنًا وظاهرًا " .

● **وَقَالَ فِي " تَفْسِيْرِهِ " لآيَةِ النُّورِ – هَذِهِ – :**

" هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ. بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؛ أَيْ : أئمةَ النَّاسِ والولاةَ عَلَيْهِمْ ، وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ ، وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ ، ولَيُبدلَنّ بَعْدَ خَوْفِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَمْنًا وَحُكْمًا فِيهِمْ، وَقَدْ فَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ . وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ ، وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا . وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوس هَجَر، وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَهَادَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ – وَهُوَ الْمُقَوْقِسُ – وَمُلُوكُ عُمَانَ وَالنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ ، الَّذِي تَملَّك بَعْدَ أصْحَمة ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَهُ .

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ؛ فَلَمّ شَعَث مَا وَهَى عِنْدَ مَوْتِهِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وأطَّدَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ وَمَهَّدَهَا ، وَبَعَثَ الْجُيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ صُحْبَةَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَفَتَحُوا طَرَفًا مِنْهَا، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا. وَجَيْشًا آخَرَ صُحْبَةَ أَبِي عُبَيْدَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، وَثَالِثًا صُحْبَةَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى بِلَادِ مِصْرَ ؛ فَفَتَحَ اللَّهُ لِلْجَيْشِ الشَّامِيِّ فِي أَيَّامِهِ بُصرى وَدِمَشْقَ ومَخَاليفهما مِنْ بِلَادِ حَوران وَمَا وَالَاهَا، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، ومَنَّ عَلَى الْإِسْلَام وَأَهْلِهِ بِأَنْ أَلْهَمَ الصَّدِّيقَ أَنِ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ الْفَارُوقَ ؛ فَقَامَ فِي الْأَمْرِ بَعْدَهُ قِيَامًا تَامًّا، لَمْ يَدُرِ الْفُلْكُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى مِثْلِهِ ، فِي قُوَّةِ سِيرَتِهِ وَكَمَالِ عَدْلِهِ . وَتَمَّ فِي أَيَّامِهِ

فَتْحُ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ بِكَمَالِهَا، وَدِيَارِ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا ، وَأَكْثَرِ إِقْلِيمِ فَارِسَ ، وكَسَّر كِسْرَى وَأَهَانَهُ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَتَقَهْقَرَ إِلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ ، وقَصَّر قَيْصَرَ ، وَانْتَزَعَ يَدَهُ عَنْ بِلَادِ الشَّام فَانْحَازَ إِلَى قُسْطَنْطِينَةَ ، وَأَنْفَقَ أموالَهُمَا فِي سَبِيْلِ اللهِ ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِك وَوَعَدَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَتَمُّ سَلَامٍ وَأَزْكَى صَلَاةٍ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ ، امْتَدَّتِ الْمَمَالِيكُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، فَفُتِحَتْ بِلَادُ الْمَغْرِبِ إِلَى أَقْصَى مَا هُنَالِكَ : الْأَنْدَلُسُ ، وَقُبْرُصُ ، وَبِلَادُ الْقَيْرَوَانِ ، وَبِلَادُ سَبْتَةَ مِمَّا يَلِي الْبَحْرَ الْمُحِيطَ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ الصِّينِ ، وَقُتِلَ كِسْرَى ، وَبَادَ مُلْكُهُ بِالْكُلِّيَّةِ . وَفُتِحَتْ مَدَائِنُ الْعِرَاقِ ، وَخُرَاسَانُ ، وَالْأَهْوَازُ ، وَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ التُّرْكِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدًّا ، وَخَذَلَ اللَّهُ مَلِكَهُمُ الْأَعْظَمَ خَاقَانَ ، وجُبِي الْخَرَاجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَذَلِك بِبَرَكَةِ تِلَاوَتِهِ وَدِرَاسَتِهِ وَجَمْعِهِ الْأُمَّةَ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ ، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي" الصَّحِيحِ " عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِي لِيَ مِنْهَا "** ؛ فَهَا نَحْنُ نَتَقَلَّبُ فِيمَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؛ فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْإِيمَانَ بِهِ ، وَبِرَسُولِهِ ، وَالْقِيَامَ بِشُكْرِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيهِ عَنَّا " . انْتَهَى .

◆ **أَيُّهَا الْمُسْلِمُ** : هَكَذَا مَكَّنَ اللهُ - تَعَالَى - للسَّابِقِيْنَ الصَّالِحِيْنَ ؛ فَلابُدَّ أَنْ تَعْلَمَ - مِنْ ثَمَّ - أَنَّ مَا نَحْنُ فِيْهِ (الآنَ) مِنْ ذُلٍّ وضَعْفٍ وهَوَانٍ ؛ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ إِعْرَاضِنَا عَنْ شَرْعِ رَبِّنَا، وعَنِ دِيْنِ نَبِيِّنَا ﷺ

بالدَّرجةِ الأُولَى ، ثُمَّ (بَعْدَ ذَلكَ) لأنَّنَا قصَّرنا وفرَّطْنَا في الأخْذِ بأسْبَابِ الرُّقيِّ والتَّقدُّمِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ مُقَدَّراتِ وخَيْرَاتِ هذِهِ الأمَّةِ (المُبَاركةِ) .

ونَحْنُ (أَهْلَ الإسلامِ) على إيْمَانٍ تَامٍّ ، ويَقِيْنٍ كَامِلٍ ، وثِقَةٍ مُطْلَقَةٍ أنَّ اللهَ تَعَالَى ناصِرٌ دِيْنَهُ ، وأوليَاءَهُ ؛ لَكِنْ مَا هِي إلاَّ فَتْرَةُ تَمْحِيْصٍ وتَرْبِيَةٍ ، وتَطْهِيْرٍ وتَنْقِيَةٍ ، للصَفِّ المُسْلمِ ؛ حَتَّى يَتَمَيَّزَ الطَّيِّبُ من الخَبِيْثِ ، والصَّادِقُ من الكَاذِبِ ، والمُؤمنُ من المُنَافِقِ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة : ٢١٤] .

● وَقَالَ – تَعَالَى – :

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران : ١٣٩ – ١٤٢] .

● وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت : ٢ و ٣] .

ضَاقَتْ فَلَمَّا استَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وكُنْتُ أظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

❐ **سَادِسًا : عَدَمُ مَعْرِفَةِ وَمُرَاعَاةِ السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ ؛ كَسُنَّةِ : (التَّدَافُعِ) ، و (التَّدَاوُلِ) ، و (التَّغْيِيْرِ) :**

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمًا لَنَا ويومٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

فالصِّراعُ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ قَدِيْمٌ ، وسَيَظَلُّ (هَكَذَا) إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا . ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة : ٢٥١] . ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد : ٤] .

وكَمَا قَالَ القَائِلُ : الدُّنْيَا لا تَبْقَى عَلَى حالٍ ، ودوامُ الحالِ من المُحَالِ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ . يُعِزُّ قومًا ، ويُذِلُّ قومًا ، ويَشْفي مَرِيْضًا ، ويَفُكُّ عَانِيًا ، ويُفَرِّجُ مَكْرُوبًا ، ويُجِيْبُ دَاعيًا ، ويُعْطِي سَائِلًا ، ويَغْفِرُ ذنبًا ، يُحْيِى حيًّا ، ويُمِيْتُ مَيِّتًا ، وَيَرْفَعُ قَوْمًا ، وَيَضَعُ آخَرِين .

وربُّكَ هُوَ الحَكَمُ العَدْلُ ، لا يُحَابِي مَخْلُوقًا ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا أَوْ تَقِيًّا ؛ فَقَدْ حَرَّمَ ربُّكَ الظُّلمَ عَلَى نفْسِهِ ، وَقَالَ : ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت : ٤٦] ، وَلِهَذَا قِيلَ : إِنَّ الله يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً ، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً ، وَيُقَالُ : الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ ، وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ . . وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِالْعَدْلِ قَامَتْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ، وَمَتَى لَمْ تُقَمْ بِالْعَدْلِ لَمْ تَقُمْ ، وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنَ

الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ . ("الاستقامة " لابْنِ تَيْمِيَّةَ) .

● يَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال : ٥٣] .

● وَيَقُولُ – عَزَّ مِنْ قائلٍ – : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد : ١١] .

نَعِيْبُ زَمَانَنَا والعَيْبُ فِيْنَا   وما لزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوانَا

❐ **سَابِعًا : الاكْتِئَابُ ، وَسُوءُ المَعِيْشَةِ و ضَيْقُ الحَالِ ، وَعَدَمُ الرِّضَا ، والتَّسْلِيْمِ لِقَضَاءِ اللهِ وقَدَرِهِ :**

وكَأَنِّي بِهَذَا المُكْتَئِبِ ، وهُوَ يَقُولُ :

وَفَوْقِي سَحَابٌ يُمْطِرُ الهَمَّ وَالأَسَى   وتَحْتِي بِحَارٌ بِالأَسَى تَتَدَفَّقُ

فعِنْدَ ذَلِكَ تَتَغَيَّرُ النَّفْسُ ، وَتَتَبَرَّمُ ، من شِدَّةِ الأَلَمِ والهَمِّ والحُزْنِ ؛ فَيَسْلُكُ صَاحِبُها مَسَالِكَ مُرْدِيةً ، وطَرَائِقَ مُزْرِيَةً ؛ سُخْطًا ، واعْتِرَاضًا ، وتَمَرُّدًا عَلَى اللهِ – تَعَالَى – وعِنَادًا !!

ولا يَنْبَغِي للمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مَهْمُومًا بِشَيءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ اللهَ – تَعَالَى – قَدْ قدَّر الأُمُورَ فأحْكَمَهَا ، وقدَّر الأرزاقَ وأبْرَمَهَا ؛ فلا يجلبُ الهمُّ للعبدِ في الدنيا خيرًا ، ولا يأتيهِ بِمَا لَمْ يُقَدَّر له ، وفي طول الهمِّ ؛ قِلَّةُ رضًا بقَدَرِ اللهِ ، وسُخطُهُ عَلَى ربِّه.

وقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ يَقُولُ : اللهُمَّ رَضِّنِي بالقَضَاءِ ، وحَبِّبْ إليَّ القَدَرَ ؛ حَتَّى لا أُحِبَّ تَقْدِيْمَ مَا أَخَّرْتَ ، ولا تَأْخِيْرَ مَا

قَدَّمْتَ .

وَمَنْ آمَنْ بالقَدَرِ ؛ فلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَهْتَمَّ عَلَى شيءٍ فَاتَهُ من الدُّنيا ، ولا يَتَّهِمَ ربَّهُ ؛ ففِيْمَا قَضَى لَهُ الخِيَرَةُ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي للعَبْدِ الاهْتِمَامُ بِأَمْرِ الآخرةِ ، وَيُفَكِّرُ في معادهِ وعَرْضِهِ على ربِّهِ ، وكيف يَنْجُو منْ سُؤالِهِ عنِ الفتيلِ والقِطْمِيْرِ ؛ قاله ابنُ بطالٍ .

فعَلَى العَبْدِ أَنْ يَخْلُصَ مِنْ مُخَاصَمَةِ الرَّبِّ في أَحْكَامِهِ وَقَضَائِهِ ؛ فَالعَبْدُ عَبْدٌ ، والربُّ ربٌّ . ولله الحكمةُ البالغةُ ، فيما قدَّرَه وقَضَاه . ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام : ١٤٩] . ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورى : ٢٧] .

فلابُدَّ – إِذَنْ – مِنَ المُحَاقَقَةِ – هُنَا – في هَذَا الشَّيْءِ ، وهُوَ أَنَّ النِّعَمَ والرَّفاهِيَةَ قَدْ تَجْعَلُ مِنَ الإنْسَانِ الضَّعِيْفِ طَاغِيَةً !! وَهَذَا مُلاحَظٌ مَلْمُوسٌ ، ووَاقِعٌ غَيْرُ خَفِيٍّ مَحْسُوسٌ ؛ فَيَدَّعِي أحَدُهُمُ الرُّبُوبِيَّةَ لِمُجَرَّدِ أَنْ أغْنَاهُ اللهُ مِنْ فضْلِهِ ، وأعْطَاهُ مِنْ نعيْمِهِ ومُلْكِهِ ؛ كَمَا حَدَثَ مِنْ هَذَا النُّمْرُوذِ الظَّالمِ لِنَفْسِهِ ؛ فَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

● **وَمِمَّا قَالَهُ العَلاَّمَةُ العُثَيْمِيْنُ فِي تَفْسِيْرِ هَذِهِ الآيَةِ – مُعَدِّدًا الفَوَائِدَ المسْتَنْبَطَةَ مِنْهَا –** : " **ومِنْهَا** : أَنَّ النِّعَمَ قَدْ تَكُونُ سببًا للطُّغيانِ ؛ لأنَّ هَذَا

الرَّجُلَ مَا طَغَى وأَنْكَر الخَالِقَ إلَّا لأنَّ اللهَ آتاهُ المُلْكَ ، ولِهَذَا أَحْيَانًا تَكُونُ الأَمْرَاضُ نِعْمَةً مِنَ اللهِ عَلَى العَبْدِ ، والفقْرُ والمصائبُ تكونُ نعمةً عَلَى العَبْدِ ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا دَامَ في نعمةٍ ، وفي رغدٍ ، وفي عَيْشٍ هنيءٍ ؛ فإنَّهُ رُبَّمَا يَطْغَى ، ويَنْسَى اللهَ ﷻ !! " .

فَصَدَقَ اللهُ ﷻ القَائِلُ : ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ، والقَائِلُ ﷻ : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق : ٦ و٧] ، والقَائِلُ ﷻ : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك : ١٤] .

والمُؤْمِنُ يَعْرِفُ هَذِهِ الحِكْمَةَ العظِيْمَةَ ؛ يَقُولُ ﷺ : **" عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ "** .

فعَلَى العَبْدِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ أَنْ يكُونَ صَابِرًا عَلَى البَلاءِ ، شاكرًا عند النَّعْمَاءِ والسَّرَّاءِ . . وأَنْ يَتَأَسَّى في ذَلِك بالرُّسُل والأَنْبِيَاءِ . ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

ففي التأسِّي بهم عِصْمَةٌ . . وفي الاقْتِدَاءِ بِهِمْ هِدَايَةٌ ورَحْمَةٌ . . وفي السَّيْرِ عَلَى هَدْيِهِمْ وسِيْرَتِهِم بركةٌ . . هي خيراتٌ وبركاتٌ ، وثباتٌ وعظاتٌ . ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠﴾ [هود : ١٢٠] .

فالمؤمِنُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَأَسَّى بِهَؤُلاءِ الصَّفْوَة الكِرَام ؛ كَمَا أَمَرَ اللهُ – تَعَالَى – بِذَلِك ؛ حَتَّى تَهُونَ عَلَيْهِ المَصَائِبُ ، وتَخِفَّ عَلَيْهِ المَتَاعِبُ والمَصَاعِبُ .

فإذا كان خِيْرَةُ الخَلْقِ ، وأَفْضَلُهُم ، وأكْرَمُهُم عَلَى اللهِ - تَعَالَى - يَقَعُ بِهِمُ الابتلاءِ ؛ بل يُضَاعَفُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، ويَصْبِرونَ ، ويَتَحَمَّلُون في سبِيْلِ رِضَا اللهِ والجَنَّةِ ؛ فَنَحْنُ كَذَلِك فِي أَمَسِّ الحاجةِ إلى أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُم ، وأنْ نَسِيْرَ على دَرْبِهم ، وأن نقْتَدِي بِهِم في ذلك ، وأن نستقرئَ ونَسْتَطْلِعَ أَحْوَالَهُم مَعَ البلاءِ كَيْفَ كَانُوا مَعَهُ ، وكَيْفَ صَبَرُوا فيه ؟ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

● إنَّ أشدَّ الناسِ بلاءً الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِيْنِهِ ؛ فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً ؟ قَالَ : " **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**[1] ، **فَيُبتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ** (وفي روايةٍ : **فَإِنْ كَانَ رَقِيقَ الدِّينِ**) **ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ؛ فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** " .- وَهُو حديثٌ حَسَنٌ - . رواهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ .

● وفي " الصَّحِيْحَيْنِ " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ؟ قَالَ : " **أَجَلْ ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ** " ؛

---

(١) **قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي " النِّهَايَةِ "** : " أَيِ : الأَشْرَفُ فَالأَشْرَفُ ، والأَعْلَى فَالْأَعْلَى ، فِي الرُّتْبَة والمَنْزِلة . يُقَالُ : هَذَا أَمْثَلُ مِنْ هَذَا ؛ أَيْ : أَفْضَلُ وأدْنَى إِلَى الْخَيْرِ ، وأَمَاثِلُ النَّاسِ : خِيَارُهُمْ " .

قُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ قَالَ : " **أَجَلْ ، ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا** " .

" وَحِينَئِذٍ ؛ فَيَحْتَاجُ مِنْ الصَّبْرِ مَا لَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَذَلِكَ هُوَ سَبَبُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدة : ٢٤] ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ الصَّبْرِ عَلَى فِعْلِ الْحَسَنِ الْمَأْمُورِ بِهِ ، وَتَرْكِ السَّيِّئِ الْمَحْظُورِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : الصَّبْرُ عَلَى فِعْلِ الْأَذَى وَعَلَى مَا يُقَالُ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنْ الْمَكَارِهِ ، وَالصَّبْرُ عَنِ الْبَطَرِ عِنْدَ النِّعَمِ . . وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ . وَلَا يُمْكِنُ الْعَبْدُ أَنْ يَصْبِرَ إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ ، وَيَتَنَعَّمُ بِهِ ، وَيُغْتَذَى بِهِ ، وَهُوَ الْيَقِينُ " . (" مَجْمُوع الفَتَاوى " لِشَيْخِ الإِسْلامِ) .

● **وهناك كَلِمَةٌ أعجَبَتْنِي لأحدِهِم – أسُوقُهَا بِلِسَانِهِ – ؛ حَيْثُ قَالَ :**

" كُنْتُ أشفِقُ قديمًا على بعضِ " المَرْضَى " الذين ابتُلوا بالأسقام المزمِنَةِ ، والتي لازمتهم زمنًا طويلًا ، وكنتُ أتَسَاءَلُ فِي قرارةِ نَفْسِي ، وأَقُولُ : " لماذا أذَلَّهم المَرَضُ هكذا ؟! " ، هل هؤلاء يَسْتَحِقُّونَ تِلْكَ العُقُوبَةَ القَاسِيَةَ ؟!

وبِمُرُورِ الأَيَّامِ . . أَيْقَنْتُ تَمَامًا أَنَّ ذُلَّ المَرَضِ الذِي أَصَابَهُم مَا هُوَ إِلاَّ شئٌ يَسِيْرٌ من إِذْلاَلِهِمْ لِمَنْ حَوْلَهُمْ ، وجَبُروتِهِمْ ، وكَيْدِهِمْ ؛ بَلْ وَلَوْلاَ لُطْفُ اللهِ بِهِمْ ؛ لَكَانَ الأَمْرُ أَعْظَمَ بِكَثِيْرٍ مِنْ ذُلِّ المَرَضِ !

أَلاَ ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ المَرَضَ لَيْسَ عُقُوبَةً فِي كُلِّ الحَالاتِ ، وأحيانًا

يكونُ رفعةً في الدَّرَجَاتِ واختبارًا للتَّمْحِيْصِ وتكْفِيْرِ السَّيِّئَاتِ .

لَكِنْ هَؤُلاءِ بِالذَّاتِ يَسْتَحِقُّون كلَّ مَا هُوَ " مُذِلٌّ " .. إِيْ ، واللهِ .. زَادَهُمْ اللهُ ذلاًّ !! " . انْتَهى مَا قَالَهُ .

❐ **ثامنًا : الكِبْرُ ، والغُرُورُ ، وحُبُّ المِرَاءِ والظُّهُورِ .**

يَتَوَهَّمُ هذا المِسْكِيْنُ أَنَّهُ الأَوْحَدُ في زمانِهِ ، والكَبِيْرُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وأَنَّهُ العَقْلُ المُفَكِّرُ ، والرَّأْسُ المُدَبِّرُ ؛ فَيَذْهَبُ (بَعِيْدًا) في عالمٍ غيرِ عالمِهِ الذي يعيشُ فيهِ ، ويظلُّ يَنْتَفِخُ ويَنْتَفِخُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ هَذَا الرِّيحُ النَّتِنُ !! وَرَبُّكَ – تَعَالَى – يَقُولُ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار : ٦ – ٨] ، ويقولُ : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان : ١ – ٤] .

فَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ : أَفِقْ ! ويَا أَيُّهَا المُلْحِدُ : اخْسَأْ ؛ فَلَنْ تعْدُوَ قَدْرَكَ ؛ فَهَلْ عَرَفْتَ نَفْسَكَ ؟! وَوَقَفْتَ عَلَى حَقِيْقَتِهَا ؟! فَلِمَ الكِبْرُ والغُرُورُ ، والتَّمَرُّدُ عَلَى ذِي العَظَمةِ والجَبرُوتِ ؟! ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ

﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس : ١٧ - ٤٢] .

❐ نَعَمْ . . حَيَاتُكَ مُلَخَّصَةٌ . . فِي قَوْلِ اللهِ - تَعَالَى - :

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس : ١٩ - ٢١] .

فالْزَمْ غَرْزَكَ أَيُّها النَّاقِمُ الجَهُولُ ، والكَفُورُ الظَّلُومُ ؛ فقد توعَّدَ اللهُ - تَعَالَى - أمثالَك بِقَوْلِهِ : ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر : ٣٥] .

❐ **تاسعًا : الفَرَاغُ المُدَمِّرُ ، وجوابٌ عَلَى شُبْهَةِ : مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟!! .**

ومن أَجْوَدِ ما قالَهُ أَبُو العَتَاهِيَةِ :

إنَّ الشَّبَابَ والفراغَ والجِدَةَ   مفسَدَةٌ للمَرْءِ أيَّ مفسَدة

فهَذَا الفَرَاغُ يُوَلِّدُ وَسَاوسَ ، وأَوْهَامًا ، وخَيَالاتٍ ، مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ ، وحِزْبِهِ !! ويجعَلُهُ يَسْتَرْسِلُ مَعَهُ (وَمَعَهَا) ؛ حتَّى يَكُونَ فَرِيْسَةً لَهُ ، وَقَدْ قَالَ ﷺ : **" يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ ؛ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ، مَنْ خَلَقَ كَذَا ، حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، وَلْيَنْتَهِ "** . وفي روايةٍ : **" فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ "** . رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

● **قَالَ أَبُو القاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ فِي " الحُجَّةِ في بَيَانِ المَحَجَّةِ "** : " أَمَرَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْكَفِّ وَالانْتِهَاءِ عَنِ الْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ فِي شَأْنِ الرَّبِّ ﷻ بِالْمَعْقُولِ ، وَاجْتِنَابِ مَا يُورِّثُ شُبْهَةً فِي الْقُلُوبِ ، وَالاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ ؛ لِيَعْصِمَهُ ؛ فَلا يَتَسَلَّط الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ فَيُضِلَّهُ " .

فتِلْك تَسَاؤُلاتٌ بَاطِلَةٌ سَخِيْفَةٌ هَزِيْلَةٌ ؛ فَاللهُ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فكيفَ يكونُ مَخْلُوقًا ؟!!!

فَمُحَالٌ أَنْ يُقَاسَ الخَالِقُ عَلَى المَخْلُوقِ ، والرَّبُّ عَلَى المَرْبُوبِ ، والرَّازِقُ عَلَى المرزُوقِ !!!

تأَمَّلْ ! (أيُّها الإنْسَانُ) هَذِهِ الآياتِ العِظَامَ ؟ وتَفَكَّرْ فيْهَا بقَلْبِك وعَقْلِك وكِيَانِك ورُوحِك ؟ فَهِيَ تُخَاطِبُك وتُواجِهُ أفْكَارَك وخَوَاطِرَك ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام : ١٠١ -١٠٣] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرَّعدُ : ١١٦] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر: ٦٣- ٦٧] .

● وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٦٢- ٧٠] .

نعَمْ .. كَيْفَ يَكُونُ المَخْلُوقُ - مِنْ عَدَمٍ - كَالحيِّ الذِي لا يمُوتُ ، أَوْ كَالقيُّومِ الذِي لا يَنَامُ ، أَوْ كَالخَالقِ العَظِيْمِ لِهَذِهِ الأَكْوَانِ والمَخْلُوقَاتِ بِجَمِيْعِ صُوَرِهَا وأَشْكَالِها وأَلْوَانِها ؟! لا يَكُوْنُ هَذَا كَذَاكَ (أَبَدًا) ..

وأَنْتَ (أَيُّهَا الإِنْسَانُ) - وَللهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ - قَدْ تَصْنَعُ سَيَّارَةً في غَايَةِ الدِّقَّةِ والجَوْدَةِ والإتْقَانِ والبَراعةِ ؛ بتركِيْبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ

حَدِيْدٍ ، وعَجَلٍ ، ومَوَاتِيْرَ ، وسُولارٍ ، وأَسْلاكٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .. ؛ فَهَل سُمِعَ عَاقِلٌ - مِنْ قَبْلُ - يَقُولُ : إنَّ السَّيَّارةَ صَنَعَتْ نَفْسَهَا ؟ أَوْ : أَنَّ السَّيَّارةَ وصَانِعَهَا مخْلُوقَانِ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ ؟! أمْ أَنَّ صَانِعَهَا - بِلا رَيْبٍ - مَخْلُوقٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وعَظْمٍ ورُوحٍ وعَقْلٍ وقَلْبٍ ؟ فَهَلِ صَانِعُ السَّيَّارةِ يُشْبِهُ صَنْعَتَهُ في التَّرْكِيْبِ ؟ أَمْ أَنَّهمَا مُخْتَلِفَانِ - مِنْ مَادَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ تمامًا - ؟ مَعَ أَنَّ الإنْسَانَ وَمَا صَنَعَ كِلاهُمَا مَخْلُوقٌ ؛ لَكِنَّنِي أَسْأَلُكَ سُؤَالًا : أفَتَقُولُ هَذَا فِي المَخْلُوقِيْنَ ؟ وَلاَ تَقُولُهُ فِي حَقِّ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ أَجْمَعِيْنَ ؟!!!

● وَرَبُّك يَقُوْلُ - فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ المُبِيْنِ - : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النَّحل : ١٧- ٢٣] .

● وَيَقُولُ : ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقانُ : ٢ و ٣] .

● وَيَقُوْلُ : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ

عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرَّعدُ: ٣٣ و ٣٤] .

● وَيَقُوْلُ : ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [فاطر: ١٥- ١٧] .

إنَّ الذِي يَقِيْسُ اللهَ عَلَى خَلْقِهِ في مِيْزَانِ الشَّرْعِ والدِّينِ خَارجٌ مِنْ دائرةِ المسلمِيْنَ ، ولا يَنْبَغِي أَنْ يُفَكِّرَ في هَذَا أيُّ عَاقِلٍ ! فَشَتَّانَ بَيْنَ الخَالِقِ والمخْلُوقِ ، وَهَلْ رَأَيْنَا اللهَ حَتَّى نَقُولَ : هُوَ مِثْلُ كَذَا ، أَوْ يُشْبِهُ كَذَا ؟!!

● ولقَدْ حَسَمَ اللهُ - تَعَالَى - هَذِهِ القَضِيَّةَ لخَلْقِهِ في كتَابِهِ المبَارِكِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ، وقَالَ : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه ١١٠] ، وقَالَ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] ؛ فهذه أربعةُ مواضِعَ مُهِمَّةٍ - وهُنَاكَ غَيْرُهَا - في القُرْآنِ تَحْسِمُ هَذِهِ القَضِيَّةَ ؛ فَكُلُّ مَا دَارَ بِبَالِكَ ؛ فَاللهُ لَيْسَ كَذَلِكَ .

● **قَالَ شَيْخُ الإسلامِ في " المَجْمُوعِ " :**

" وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ مُمَاثَلَةَ الْمَخْلُوقِينَ ؛ فَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤] ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كُفُوًا لَهُ ، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ؛ فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَمِيٌّ ، وَقَالَ - تَعَالَى - :

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة : ٢٢] ، وَقَالَ - تعَالَى - : ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النَّحلُ : ٧٤] ، وَقَالَ - تعَالَى - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ؛ فَفِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ : مِنْ تَنْزِيهِهِ عَنِ الْكُفُؤِ ، وَالسَّمِيِّ ، وَالْمِثْلِ ، وَالنِّدِّ ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَهُ ؛ بَيَانُ أَنْ لَا مِثْلَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ ، وَلَا أَفْعَالِهِ" . انْتَهَى .

تَأَمَّلْ !! - أُخَيَّ - أَعْظَمَ آيٍ فِي القرآنِ كُلِّهِ ؟ وهي قَوْلُ اللهِ - تَعَالَى - : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

● رَوَى مُسْلِمٌ فِي " الصَّحِيْحِ " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، كَانَ يَقُولُ : " **اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ** " .

❍ **قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ :**

" وَهَذِهِ الْآيَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى عَشْرِ جُمَلٍ مُسْتَقِلَّةٍ :

- فَقَوْلُهُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِلَهِيَّةِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

- ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ؛ أَي : الْحَيُّ فِي نَفْسِهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا الْقَيِّمُ لِغَيْرِهِ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ : " القَيَّام " ؛ فَجَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ

مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا ، وَلَا قَوَامَ لَهَا بِدُونِ أَمْرِهِ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾ [الرُّوم : ٢٥] .

– وَقَوْلُهُ : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ ؛ أَيْ : لَا يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ وَلَا غَفْلَةٌ وَلَا ذُهُولٌ عَنْ خَلْقِهِ ؛ بَلْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، وَمِنْ تَمَامِ الْقَيُّومِيَّةِ أَنَّهُ لَا يَعْتَرِيهِ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ؛ فَقَوْلُهُ : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ ؛ أَيْ : لَا تَغْلِبُهُ سِنَةٌ وَهِيَ الْوَسَنُ وَالنُّعَاسُ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿وَلَا نَوْمٌۚ﴾ ؛ لِأَنَّهُ أَقْوَى مِنَ السِّنَةِ . وَفِي " الصَّحِيحِ " عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ؛ فَقَالَ : " **إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ** – وَفِي رِوَايَةٍ : **النَّارُ – لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** " .

– وَقَوْلُهُ : ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ إِخْبَارٌ بِأَنَّ الْجَمِيعَ عَبِيدُهُ وَفِي مُلْكِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مَرْيَمَ : ٩٣-٩٥] .

– وَقَوْلُهُ : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النَّجْم : ٢٦] ، وَكَقَوْلِهِ : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأَنْبِيَاء : ٢٨] ، وَهَذَا مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ ؛ كَمَا فِي

حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ : " **آتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ؛ فَأَخِرُّ سَاجِدًا ؛ فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** " قَالَ : " **فَيَحِدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ** " .

- وَقَوْلُهُ : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة : ٢٥٥] دَلِيلٌ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ : مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا ؛ كَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مَرْيَم : ٦٤] .

- وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؛ أَيْ : لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إلا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ ﷻ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ . وَيُحْتَمَلُ : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طَهَ : ١١٠] .

- وَقَوْلُهُ : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة : ٢٥٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ .

- وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ ؛ أَيْ : لا يُثْقِلُهُ ، وَلَا يُكْرِثُهُ حِفْظُ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِمَا ومَنْ بَيْنَهُمَا ؛ بَلْ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَدَيْهِ وَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، الرَّقِيبُ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ؛ فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا حَقِيرَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَاضِعَةٌ ذَلِيلَةٌ صَغِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، مُحْتَاجَةٌ فَقِيرَةٌ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ الْفَعَّالُ لَمَّا يُرِيدُ ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ

وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ الْحَسِيبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الرَّقِيبُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ .

- فَقَوْلُهُ : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ، وَكَقَوْلِهِ : ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرَّعْدُ : ٩] .

وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الْأَجْوَدُ فِيهَا طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَالِحِ : إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ ، مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ، وَلَا تَشْبِيهٍ " . انتهى .

● رَوَى مُسْلِمٌ فِي " الصَّحِيْحِ " عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟** " قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " **يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟** " قَالَ : قُلْتُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : " **وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ** " .

وَقَوْلُهُ ﷺ - المُتَقَدِّمُ - : " **حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ : النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** " .

أي : هُوَ - تَعَالَى - مُحْتَجِبٌ عَنْ إِدْرَاكِ خَلْقِهِ لَهُ بِحِجَابِهِ النُّورِ ، ولَوْ كَشَفَ الحِجَابَ لَمْ يَبْقَ مَخْلُوقٌ إِلاَّ احْتَرقَ ؛ فَإِذَا تَجَلَّى رَبُّنَا بِنُورِهِ لَمْ يقُمْ لَهُ شيءٌ .

وَقَوْلُهُ : " سُبُحَاتُ وَجْهِهِ " ؛ أي : نُوْرُهُ ، وَبَهاؤُهُ ، وجَلَالُهُ ، وجَمالُهُ .

● **قَالَ ابْنُ القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي " الكافِيَةِ الشَّافِيَةِ "** :

وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كُشِفَ الحِجَا ... بُ لأَحْرَقَ السُّبُحَاتُ للأكْوَانِ

فَلَوْ كَشَفَ ذَلِكَ الحِجَابَ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ - الذِي حِجَابُهَا النُّوْرُ أَوِ النَّارُ - مَا أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ العَالَمِ العُلْوِيِّ والسُّفليِّ ؛ فَسُبُحَاتُ وَجْهِهِ تُحْرِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّمَا حِجَابُهُ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ هَذَا الْإِحْرَاقَ .. فَالسُّبُحَاتُ مَحْجُوبَةٌ بِحِجَابِهِ النُّورِ أَوْ النَّارِ .. والْبَصَرُ يُدْرِكُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ . انظُرْ : (" بَيَان تَلْبِيسِ الجَهْمِيَّةِ " ، و " مَجْمُوع الفَتَاوى " لابنِ تَيْمِيَّةَ - فِي مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَاتٍ -) .

● **وقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - فِي مَوْضَعٍ آخَرَ -** : " فَإِنَّ تَرَدُّدَ الرَّاوِي فِي لَفْظِ : (النَّارِ وَالنُّورِ) لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ النَّارِ الصَّافِيَةِ الَّتِي كَلَّمَ بِهَا مُوسَى يُقَالُ لَهَا : نَارٌ وَنُورٌ ؛ كَمَا سَمَّى اللَّهُ نَارَ الْمِصْبَاحِ نُورًا ، بِخِلَافِ النَّارِ الْمُظْلِمَةِ ؛ كَنَارِ جَهَنَّمَ ؛ فَتِلْكَ لَا تُسَمَّى نُورًا ؛ فَالْأَقْسَامُ ثَلَاثَةٌ : " إِشْرَاقٌ بِلَا إِحْرَاقٍ " ، وَهُوَ النُّورُ الْمَحْضُ كَالْقَمَرِ ، وَ " إِحْرَاقٌ بِلَا إِشْرَاقٍ " ، وَهِيَ النَّارُ الْمُظْلِمَةُ ، وَ " مَا هُوَ نَارٌ وَنُورٌ " ؛ كَالشَّمْسِ وَنَارِ الْمَصَابِيحِ الَّتِي فِي الدُّنْيَا تُوصَفُ بِالْأَمْرَيْنِ " .

● **وَقَالَ تِلْمِيذُهُ - البَارُّ الطَّيِّبُ - ابْنُ القَيِّمِ فِي " الوَابِلِ الصَّيِّبِ "** : " فاسْتِنَارَةُ ذَلِكَ الحِجَابِ بِنُورِ وَجْهِهِ ، ولَوْلَاهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ونُورِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ .

وَلِهَذَا لَمَّا تَجَلَّى تبَارَكَ وَتَعَالَى للجَبَلِ ، وكَشَفَ مِنَ الحِجَابِ

شَيْئًا يَسِيْرًا سَاخَ الجبَلُ في الأرْضِ وتَدَكْدَكَ ، ولمْ يَقُمْ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى .

وهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عبَّاسٍ في قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قَالَ : ذَلكَ اللهُ ﷻ ، إذَا تجَلَّى بِنُورِهِ لم يَقُمْ لَهُ شَيءٌ .

وهَذَا مِنْ بَدِيْعِ فَهْمِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ودَقِيْقِ فِطْنَتِهِ ، كيْفَ وقَدْ دَعَا لَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يعَلِّمَهُ اللهُ التَّأويلَ ؛ فالرَّبُ تَبَارَكَ وتَعَالَى يُرَى يَوْمَ القِيَامَةِ بالأَبْصَارِ عَيَانًا ، ولكِنْ يَسْتَحِيْلُ إدْرَاكُ الأَبْصَارِ لَهُ ، وإنْ رأَتْهُ ؛ فالإدْرَاكُ أَمْرٌ ورَاءَ الرُّؤْيَةِ ، وهَذهِ الشَّمْسُ - وللهِ المثَلُ الأعْلَى - نَرَاهَا ، وَلَا نُدْرِكُهَا كَمَا هِي عَلَيْهِ ولَا قَرِيْبًا مِنَ ذَلكَ " .

ف : " نُورُ الذَّاتِ لَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَوْ كَشَفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحِجَابَ عَنْهُ لَتَدَكْدَكَ الْعَالَمُ كُلُّهُ ؛ كَمَا تَدَكْدَكَ الْجَبَلُ وَسَاخَ لَمَّا ظَهَرَ لَهُ الْقَدْرُ الْيَسِيرُ مِنَ التَّجَلِّي " . (" المَدَارِجُ " لَهُ) .

● **وقَالَ - كَذَلِكَ - في " الصَّواعِق المُرْسَلَةِ في الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ " :**

" فَإِذَا كَانَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ الْأَعْلَى لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَوْ كَشَفَ حِجَابَ النُّورِ عَنْ تِلْكَ السُّبُحَاتِ لاحْتَرَقَ الْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ ؛ فَمَا الظَّنُّ بِجَلَالِ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ ؟ وَإِذَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ مَعَ سَعَتِهَا وَعَظَمَتِهَا يَجْعَلُهَا عَلَى إِصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِهِ ، وَالْأَرْضُ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْبِحَارُ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْجِبَالُ عَلَى إِصْبَعٍ ؛ فَمَا الظَّنُّ بِالْيَدِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةٌ

مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ ؟ وَإِذَا كَانَ يَسْمَعُ ضَجِيجَ الْأَصْوَاتِ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ عَلَى تَفَنُّنِ الْحَاجَاتِ بِأَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ؛ فَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَخْتَلِطُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَغْلَطُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الْأَرْضِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ ، وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّهُ الْقُلُوبُ وَأَخْفَى مِنْهُ ، وَهُوَ مَا لَمْ يَخْطُرْ لَهَا أَنَّهُ سَيَخْطُرُ لَهَا ، وَلَوْ كَانَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ بِالْعَالَمِ مِدَادًا وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ كُلُّهَا مِدَادٌ ، وَجَمِيعُ أَشْجَارِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ كُلُّ نَبْتٍ قَامَ عَلَى سَاقِهِ مِمَّا يُحْصَدُ وَمِمَّا لَا يُحْصَدُ ، أَقْلَامٌ يُكْتَبُ بِهَا ، لَنَفِدَتِ الْأَقْلَامُ وَالْبِحَارُ وَلَمْ يَنْفَدْ كَلَامُهُ .

وَهَذَا - وَغَيْرُهُ - بَعْضُ مَا تَعَرَّفَ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ مِنْ كَمَالِهِ ، وَإِلَّا ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُحْصِيَ ثَنَاءً عَلَيْهِ ؛ بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَكُلُّ الثَّنَاءِ ، وَكُلُّ الْحَمْدِ ، وَكُلُّ الْمَجْدِ ، وَكُلُّ الْكَمَالِ لَهُ - سُبْحَانَهُ - " . انتَهَى .

" فَبُعْدًا وَتَبًّا للجَاحِدِيْنَ والظَّالِمِيْنَ : ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١٠] " . (" طريقُ الهجرتينِ " لابْنِ القَيِّمِ) .

● وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد : ٣] .

● وفي " صَحِيْحِ " مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : **" اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ "** . " وهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ إحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، ولَكِنَّ المَعْنَى أَنَّهُ مَعَ

عُلُوِّهِ ﷻ ؛ فهُوَ بَاطِنٌ ، فَعُلُوُّه لا يُنَافِي قُرْبَهُ ﷻ ؛ ف : " البَاطِنُ " قَرِيْبٌ مِنْ مَعْنَى " القريبِ " . (" شَرْحُ الوَاسِطِيَّةِ " لابْنِ عُثَيْمِيْن) .

● وقَالَ - تَعَالَى - :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر : ٢٢- ٢٤] .

فَمَنْ أَبَى ذَلِك مِنَ المُلْحِدِيْنَ وأَنْكَرَهُ ؛ فَلْيَذْهَبْ بَعِيْدًا ؛ لِيَعِيْشَ عَلَى أَرْضٍ أُخْرَى ، ولِيَسْتَظِلَّ تَحْتَ سَمَاءٍ أُخْرَى ، وَلِيَطْلُبْ رِزْقَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ؟!!! فَلَيْسَ لَهُ الحَقُّ (حِيْنَئِذٍ !!) أَنْ يَعِيْشَ عَلَى أَرْضِ اللهِ ، وأَنْ يَسْتَظِلَّ بِسَمَاءِ اللهِ ، وَأَنْ يَأْكُلَ مِنْ رِزْقِ اللهِ !!!

يَا هَذَا !! لَقَدْ أَقَرَّ المشْرِكُونَ الأَوَائِلُ بِمَا تُنْكِرُهُ أَنْتَ ؛ فأَقَرُّوا بأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المدَبِّرُ المحْيِي الممِيْتُ في آياتٍ كثيرةٍ في القُرآنِ العَظِيْمِ ؛ لَكِنَّهُم لحُمْقِهِمْ وبَلادَتِهِمْ وغَبَائِهِمْ ! عَبَدُوا وَعَدَلُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ !! ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

فَإِذَا كَانَ المشْرِكُونَ قَدْ أَقَرُّوا بِذَلِك ، ولا يَسْتَطِيْعُون (البَتَّةَ) إِنْكَارَ ذَلِك ؛ فَبِأَيِّ فَهْمٍ وعَقْلٍ تَقُولُ أَنْتَ غَيْرَ ذَلِك ؟! لَقَدْ ضَحِكَ عَلَيْكَ هَؤُلاءِ المَلاحِدَةُ والشُّيُوعِيُّونَ مِنْ أَمْثَالِ دَارْوِيْنْ ، وكَارْلْ مَارْكِسْ ، واسْتَالِيْنْ ، ولِيْنِيْنْ ، ونِيتْشَة ، وصَاحِبِ روايةِ (أَوْلَاد

حَارِتْنَا !) وغِيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الضَّلالِ المفْتَرِيْنَ ؛ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس : ١٠٥] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام : ١٤] .

فَسَارِعْ وبَادِرْ وعَجِّلْ بالاعْتِرَافِ بخَالقِكَ ورَازِقِكَ قبْلَ أنْ تَأْتِيَكَ المنِيَّةُ ، ويَخْطِفَكَ الموْتُ ، وَرَدِّدْ مَعَ الموَحِّديْنَ سُورَةَ الإخْلاصِ التي سَوْفَ تُخَلِّصُ نَفْسَكَ ورُوحَكَ مِنْ هَذِهِ الأوْحَالِ ؛ فَاقْرَأْ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ وتجَرُّدٍ وإخْلاصٍ وإجْلالٍ قَوْلَ اللهِ – تَعَالَى – :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص : ١- ٤] .

أَيْ : لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ ولاَ مِثْلٌ ؛ فَلَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ ، وَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ ، وَلَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ . (" المَجْمُوعُ " لشَيْخِ الإسْلامِ) .

● **والصَّمَدُ** : الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ .

● **والصَّمَدُ** : الدَّائِمُ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ .

● **والصَّمَدُ** : السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ .

● **وهُوَ** : السَّيِّدُ الْمَقْصُودُ فِي جَمِيعِ الْحَوَائِجِ الْمَرْغُوبِ إِلَيْهِ فِي

الرَّغَائِبِ الْمُسْتَعَانُ بِهِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَتَفْرِيجِ الْكُرَبِ ؛ فهُوَ الْمَرْجِعُ فِي الْحَوَائِجِ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ .

● **وهُوَ** : الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ السُّؤْدُدُ ؛ فَقَدْ صَمَدَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ .

● **وهُوَ** : السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِيهِ جَمِيعُ أَوْصَافِ السُّؤْدُدِ .

● **وَهُوَ** : السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالْحَكَمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حُكْمِهِ ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ ، وَهُوَ الشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ .

● **والصَّمَدُ** : الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ . قِيلَ : وَجْهُ هَذَا الْقَوْلِ : أَنَّ الصَّمَدَ الَّذِي لَيْسَ بِأَجْوَفَ مَعْنَاهُ هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَعَلَى هَذَا الِاعْتِبَارِ هُوَ صِفَةُ كَمَالٍ .

● **قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ فِي " المَجْمُوعِ "** :

" وَالِاسْمُ " الصَّمَدُ " فِيهِ لِلسَّلَفِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ قَدْ يُظَنُّ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ بَلْ كُلُّهَا صَوَابٌ .

وَالْمَشْهُورُ مِنْهَا قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الصَّمَدَ هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ .

وَالْأَوَّلُ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَطَائِفَةٍ مِنْ

أَهْلِ اللُّغَةِ .

وَالثَّانِي قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَجُمْهُورِ اللُّغَوِيِّينَ ، وَالْآثَارُ الْمَنْقُولَةُ عَنِ السَّلَفِ بِأَسَانِيدِهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الْمُسْنَدَةِ وَفِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَغَيْرِ ذَلِك " .

● **وقالَ ابنُ رَجَبٍ في "تَفْسِيْرِهِ"** : " والصَّمدُ : اختلفتْ عِباراتُ السَّلفِ في مَعْنَاهُ ، وهِي مُتَقارِبَةٌ أو مُتَّفِقَةٌ ، والمشْهُورُ مِنْهَا قَوْلانِ " . ثُمَّ قَالَ بمِثْلِ مَا قَالَ شَيْخُ الإسلامِ .

فَقَرَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ السَّيِّدُ الْعَظِيْمُ الذِي لَا نَظِيْرَ لَهُ وَلَا شَبِيْهَ لَهُ ، وَأَنَّ جَمِيْعَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَهُ مَخْلُوقَةٌ لَهُ مَرْبُوبَةٌ . (قالَهُ الحافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ الله تَعَالَى) .

أَلَا فَاعْلَمْ (أَيُّهَا الْمُلْحِدُ - المُغَرَّرُ بِكَ -) أَنَّكَ ستَقِفُ وَحْدَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ (رَغْمًا عَنْكَ) أَمَامَ خَالِقَكَ - الذِي جَحَدْتَهُ وَأَنْكَرْتَهُ !!! - ، ولَنْ تَسْتَطِيْعَ أَنْ تُدَافِعَ عَنْ نَفْسِكَ بِأَيِّ شَيْءٍ ، وَسَتَنْدَمُ حِيْنَ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ !! ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم : ٩٣- ٩٥] .

وسَيَكُونُ مَآلُكَ في النِّهَايةِ (حَتْمًا) ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الملك : ٦] ، ولَنْ تَنْعَمَ (أَبَدًا) بِنَعِيْمِ اللهِ الكَبِيْرِ الذِي أَعدَّهُ للمؤمِنِيْنَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ

أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٦ و٥٧] ؛ فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرُدَّكَ (أيُّها المُلْحِدُ) - وَأَمْثَالَكَ - إلَى الحَقِّ رَدًّا جَمِيْلًا ، وأَنْ يُثَبِّتَنَا (نَحْنُ المُؤْمِنِيْنَ) عَلَى الإسْلام والإيْمَانِ والهُدَى والتُّقَى حَتَّى نَلْقَاهُ ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَجُودِهِ جَلَّ عُلاهُ .

فَقِفْ (أَيُّهَا العَقْلُ) عِنْدَ مُنْتَهَاكَ ، ولا تَتَجَاوَزْ حَدَّكَ وَقَدْرَكَ ؛ فَلْتَنْتَهِ ، وَلْتَقُلْ : آمَنْتُ باللهِ .

أُخَيَّ .. إنَّ رَدَّ هَذِهِ الوَسَاوسِ ، وَعَدَمَ الاسْتِرْسَالِ مَعَهَا (وَفَيْهَا) ؛ دَلِيْلٌ عَلَى الإيمانِ ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلُوهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ : " **وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟** " ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : " **ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ** " .

● **قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ فِي " مَعَالِمِ السُّنَنِ "** :

" قَوْلُهُ ﷺ : " **ذَلِكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ** " ، مَعْنَاهُ : أَنَّ صَرِيحَ الإِيمَانِ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنْ قَبُولِ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفُسِكُمْ ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ ، حَتَّى يَصِيْرَ ذَلِكَ وسْوَسَةً ، لَا يَتَمَكَّنُ فِي قُلُوبكُمْ ، وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ أَنْفُسُكُمْ ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْوَسْوَسَةَ نَفْسَهَا صَرِيحُ الإِيمَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ وَتَسْوِيلِهِ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ إِيمَانًا صَرِيحًا ؟! " .

● **قُلْتُ** : وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ ، لَأَنْ أخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ ، قَالَ :

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " **اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ** " .

● **قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ فِي " المَجْمُوعِ " :**

" قَالَ كَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ : فَكَرَاهَةُ ذَلِكَ وَبُغْضُهُ وَفِرَارُ الْقَلْبِ مِنْهُ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ غَايَةُ كَيْدِ الشَّيْطَانِ الْوَسْوَسَةَ ؛ فَإِنَّ شَيْطَانَ الْجِنِّ إذَا غَلَبَ وَسْوَسَ ، وَشَيْطَانَ الْإِنْسِ إذَا غَلَبَ كَذَبَ ، وَالْوَسْوَاسُ يَعْرِضُ لِكُلِّ مَنْ تَوَجَّهَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى بِذِكْرِ أَوْ غَيْرِهِ ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ وَيُلَازِمَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَا يَضْجَرُ ؛ فَإِنَّهُ بِمُلَازَمَةِ ذَلِكَ يَنْصَرِفُ عَنْهُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٧٦] .

وَكُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ تَوَجُّهًا إلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ جَاءَ مِنْ الْوَسْوَاسِ أُمُورٌ أُخْرَى ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بِمَنْزِلَةِ قَاطِعِ الطَّرِيقِ كُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ يَسِيرُ إلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرَادَ قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ ، ولِهَذَا قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ : إنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ : لَا نُوَسْوَسُ ؛ فَقَالَ صَدَقُوا ! وَمَا يَصْنَعُ الشَّيْطَانُ بِالْبَيْتِ الْخَرَابِ ؟! " .

● **وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ – فِي مَوْضِعٍ آخَرَ – مِنَ " المَجْمُوعِ " :**

" أَيْ : حُصُول هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ ، وَدَفْعه عَنِ الْقَلْبِ هُوَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ ؛ كَالْمُجَاهِدِ الَّذِي جَاءَهُ الْعَدُوُّ فَدَافَعَهُ حَتَّى غَلَبَهُ ؛ فَهَذَا أَعْظَمُ الْجِهَادِ ، وَ" الصَّرِيحُ " : الْخَالِصُ كَاللَّبَنِ الصَّرِيحِ . وَإِنَّمَا صَارَ صَرِيحًا لَمَّا كَرِهُوا تِلْكَ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ وَدَفَعُوهَا ؛ فَخَلَصَ الْإِيمَانُ فَصَارَ صَرِيحًا .

وَلَابُدَّ لِعَامَّةِ الْخَلْقِ مِنْ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجِيبُهَا فَيَصِيرُ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ غَمَرَ قَلْبَهُ الشَّهَوَاتُ وَالذُّنُوبُ فَلَا يُحِسُّ بِهَا إِلَّا إِذَا طَلَبَ الدِّينَ ؛ فَإِمَّا أَنْ يَصِيرَ مُؤْمِنًا وَإِمَّا أَنْ يَصِيرَ مُنَافِقًا ، وَلِهَذَا يَعْرِضُ لِلنَّاسِ مِنْ الْوَسَاوِسِ فِي الصَّلَاةِ مَا لَا يَعْرِضُ لَهُمْ إذَا لَمْ يُصَلُّوا ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَكْثُرُ تَعَرُّضُهُ لِلْعَبْدِ إذَا أَرَادَ الْإِنَابَةَ إلَى رَبِّهِ وَالتَّقَرُّبَ إلَيْهِ وَالِاتِّصَالَ بِهِ ؛ فَلِهَذَا يَعْرِضُ لِلْمُصَلِّينَ مَا لَا يَعْرِضُ لِغَيْرِهِمْ وَيَعْرِضُ لِخَاصَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِضُ لِلْعَامَّةِ ، وَلِهَذَا يُوجَدُ عِنْدَ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ مِنْ الْوَسَاوِسِ وَالشُّبُهَاتِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْلُكْ شَرْعَ اللَّهِ وَمِنْهَاجَهُ ؛ بَلْ هُوَ مُقْبِلٌ عَلَى هَوَاهُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ . وَهَذَا مَطْلُوبُ الشَّيْطَانِ بِخِلَافِ الْمُتَوَجِّهِينَ إلَى رَبِّهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ؛ فَإِنَّهُ عَدُوُّهُمْ يَطْلُبُ صَدَّهُمْ عَنْ اللَّهِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر : ٦] ، وَلِهَذَا أَمَرَ قَارِئَ الْقُرْآنِ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاَللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ تُورِثُ الْقَلْبَ الْإِيمَانَ الْعَظِيمَ ، وَتَزِيدُهُ يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةً وَشِفَاءً " .

● **وقَالَ – فِي مَوْضِعٍ آخَرَ – :**

" فَالشَّيْطَانُ لَمَّا قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسُوسَةً مَذْمُومَةً تَحَرَّكَ الْإِيمَانُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكَرَاهَةِ لِذَلِكَ وَالِاسْتِعْظَامِ لَهُ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ ، وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ الَّذِي هُوَ الْوَسْوَسَةُ مَأْمُورًا بِهِ ، وَالْعَبْدُ أَيْضًا قَدْ يَدْعُوهُ دَاعٍ إلَى الْكُفْرِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ فَيَسْتَعْصِمُ وَيَمْتَنِعُ وَيُورِثُهُ ذَلِكَ إيمَانًا وَتَقْوَى ، وَلَيْسَ السَّبَبُ مَأْمُورًا بِهِ ، وَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران : ١٧٣ و ١٧٤] الْآيَةَ ؛ فَهَذَا الْإِيمَانُ الزَّائِدُ وَالتَّوَكُّلُ كَانَ سَبَبَ تَخْوِيفِهِمْ بِالْعَدُوِّ وَلَيْسَ ذَلِكَ مَشْرُوعًا ؛ بَلْ الْعَبْدُ يَفْعَلُ ذَنْبًا فَيُورِثُهُ ذَلِكَ تَوْبَةً يُحِبُّهُ اللَّهُ بِهَا وَلَا يَكُونُ الذَّنْبُ مَأْمُورًا بِهِ ، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ جِدًّا " .

● وفي " صَحِيْحِ " مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ ، قَالَ : **" تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ "** .

● **قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي " شَرْحِ مُسْلِمٍ "** :

" أَمَّا مَعَانِي الْأَحَادِيثِ وَفِقْهُهَا ؛ فَقَوْلُهُ ﷺ : **" ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ "** ، وَ " مَحْضُ الْإِيمَانِ " ، مَعْنَاهُ : اسْتِعْظَامُكُمُ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ ؛ فَإِنَّ اسْتِعْظَامَ هَذَا وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ وَمِنَ النُّطْقِ بِهِ فَضْلًا عَنِ اعْتِقَادِهِ ، إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبَةُ وَالشُّكُوكُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّوَايَةَ الثَّانِيَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا ذِكْرُ الِاسْتِعْظَامِ ؛ فَهُوَ مُرَادٌ ، وَهِيَ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الرِّوَايَةِ الْأُولَى ، وَلِهَذَا قَدَّمَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ الرِّوَايَةَ الْأُولَى .

وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُوَسْوِسُ لِمَنْ أَيِسَ مِنْ إِغْوَائِهِ ؛ فَيُنَكِّدُ عَلَيْهِ بِالْوَسْوَسَةِ ؛ لِعَجْزِهِ عَنْ إِغْوَائِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ شَاءَ ، وَلَا يَقْتَصِرُ فِي حَقِّهِ عَلَى الْوَسْوَسَةِ ؛ بَلْ يَتَلَاعَبُ بِهِ كَيْفَ أَرَادَ ؛ فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ سَبَبُ الْوَسْوَسَةِ مَحْضُ الْإِيمَانِ ، أَوِ الْوَسْوَسَةُ عَلَامَةُ مَحْضِ الْإِيمَانِ . وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ

القاضي عياضٍ .

وأمَّا قَوْلُهُ ﷺ : " **فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ ؛ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ** " ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى : " **فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ** " ؛ فَمَعْنَاهُ : الْإِعْرَاضُ عَنْ هَذَا الْخَاطِرِ الْبَاطِلِ وَالِالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِذْهَابِهِ" . انتهى .

قُلْتُ : فَالْبَحْثُ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ هُوَ مِمَّا لَا يَعْنِي ، وَهُوَ مِمَّا يَنْهَى عَنْهُ ، وَقَدْ يُوجِبُ الْحَيْرَةَ وَالشَّكَّ ، وَيَرْتَقِي إِلَى التَّكْذِيبِ ؛ كما قَالَ ابنُ رجبٍ في " جامعِ العلومِ والحِكَمِ " .

✧ **وإِلَيْكَ طَائِفَةً أُخْرَى مِنَ الأَقْوَالِ فِي بَيَانِ هَذَا المَوْضِعِ ؛ فَقَالَ العِرَاقِيُّ فِي " طَرْحِ التَّثْرِيْبِ " :**

" قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَجْهُ هَذَا الْحَدِيثِ وَمَعْنَاهُ : تَرْكُ الْفِكْرِ فِيمَا يَخْطُرُ بِالْقَلْبِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَالِامْتِنَاعُ مِنْ قَبُولِهَا ، وَاللِّيَاذُ بِاللَّهِ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ ، وَالْكَفُّ عَنْ مُجَارَاتِهِ فِي حَدِيثِ النَّفْسِ ، وَمُطَاوَلَتِهِ فِي الْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ ، وَالِاشْتِغَالِ بِالْجَوَابِ عَلَى مَا يُوجِبُهُ حَقُّ النَّظَرِ فِي مِثْلِهِ لَوْ كَانَ الْمُنَاظَرُ عَلَيْهِ بَشَرًا ، وَكَلَّمَكَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ نَاظَرَكَ وَأَنْتَ تُشَاهِدُهُ وَتَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُغَالِطَكَ فِيمَا يَجْرِي بَيْنَكُمَا مِنْ الْكَلَامِ حَتَّى يُخْرِجَكَ كَلَامُهُ مِنْ حُدُودِ النَّظَرِ وَرُسُومِ الْجَدَلِ ؛ فَإِنْ بَانَ السُّؤَالُ وَمَا يَجْرِي فِيهِ مِنْ الْمُعَارَضَةِ وَالْمُنَاقَضَةِ مَعْلُومٌ ، وَالْأَمْرُ فِيهِ مَحْدُودٌ مَحْصُورٌ ؛ فَإِذَا رَعَيْت الطَّرِيقَةَ وَأَصَبْت الْحُجَّةَ وَأَلْزَمْتها خَصْمَك انْقَطَعَ ، وَكُفِيتَ مُؤْنَتَهُ ، وَحَسَمْت شَغَبَهُ .

وَبَابُ مَا يُوَسْوِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ إِلَيْك غَيْرُ مَحْدُودٍ وَلَا مُتَنَاهٍ ؛ لِأَنَّك كُلَّمَا أَلْزَمْته حُجَّةً وَأَفْسَدْت عَلَيْهِ مَذْهَبًا زَاغَ إِلَى أَنْوَاعٍ أُخَرَ مِنْ الْوَسْوَاسِ الَّتِي أُعْطِيَ التَّسْلِيطَ فِيهَا عَلَيْك ؛ فَهُوَ لَا يَزَالُ يُوَسْوِسُ إِلَيْك حَتَّى يُؤَدِّيَك إِلَى الْحِيرَةِ وَالْهَلَاكِ وَالضَّلَالِ ؛ فَأَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ مَا يَعْرِضُ مِنْ وَسَاوِسِهِ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِاَللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَالِانْتِهَاءِ عَنْ مُرَاجَعَتِهِ ، وَحَسَمَ الْبَابُ فِيهِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، وَالِاسْتِعَاذَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالِاشْتِغَالِ بِأَمْرٍ سِوَاهُ.

وَهَذِهِ حِيلَةٌ بَلِيغَةٌ ، وَجُنَّةٌ حَصِينَةٌ يَخْزَى مَعَهَا الشَّيْطَانُ ، وَيَبْطُلُ كَيْدُهُ ، وَلَوْ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَاجَّتَهُ ، وَأَذِنَ فِي مُرَاجَعَتِهِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ فِيمَا يُوَسْوِسُ بِهِ لَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ سَهْلًا فِي قَمْعِهِ وَإِبْطَالِ قَوْلِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنْ يَكُونَ السَّائِلُ عَنْ مِثْلِ هَذَا وَاحِدًا مِنْ الْبَشَرِ لَكَانَ جَوَابُهُ وَالنَّقْضُ عَلَيْهِ مُتَلَقًّى مِنْ سُؤَالِهِ وَمَأْخُوذًا مِنْ فَحَوَى كَلَامِهِ.

وَذَلِك أَنَّهُ إذَا قَالَ : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ؛ فَمَنْ الَّذِي خَلَقَهُ ، فَقَدْ نَقَضَ بِأَوَّلِ كَلَامِهِ آخِرَهُ ، وَأَعْطَى أَنْ لَا شَيْءَ يُتَوَهَّمُ دُخُولُهُ تَحْتَ هَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ وَنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَتَأَتَّى مِنْهُ فِعْلٌ ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ وَاقِعٌ تَحْتَ اسْمِ الْخَلْقِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ لِلْمُطَالَبَةِ مَعَ هَذَا مَحَلٌّ وَلَا قَرَارٌ ، وَأَيْضًا لَوْ جَازَ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَسْأَلَ فَيُقَالُ : مَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ فَيُسَمِّي شَيْئًا مِنْ الْأَشْيَاءِ يَدَّعِي لَهُ هَذَا الْوَصْفَ ؛ لَلَزِمَ أَنْ يُقَالَ : وَمَنْ خَلَقَ ذَلِكَ الشَّيْءَ ؟! وَلَامْتَدَّ الْقَوْلُ فِي ذَلِك إلَى مَا لَا يَتَنَاهَى ، وَالْقَوْلُ بِمَا لَا يَتَنَاهَى فَاسِدٌ ؛ فَسَقَطَ السُّؤَالُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَمِمَّا كَانَ يُقَالُ لِمَنْ يَسْأَلُ هَذَا السُّؤَالَ إِنَّمَا وَجَبَ

إِثْبَاتُ الصَّانِعِ[١] الْوَاحِدِ لِمَا اقْتَضَاهُ أَوْصَافُ الْخَلِيقَةِ مِنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ الْمُوجِبَةِ أَنَّ لَهَا مُحْدِثًا فَقُلْنَا إِنَّ لَهَا خَالِقًا ، وَنَحْنُ لَمَّا نُشَاهِدْ الْخَالِقَ عِيَانًا فَنُحِيطَ بِكُنْهِهِ ، وَلَمْ يَصِحَّ لَنَا أَنْ نَصِفَهُ بِصِفَاتِ الْخَلْقِ ؛ فَيَلْزَمُنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ لَهُ خَالِقًا.

وَالشَّاهِدُ لَا يَدُلُّ عَلَى مِثْلِهِ فِي الْغَائِبِ ، إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى فِعْلِهِ وَالِاسْتِدْلَالُ إِنَّمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَاتِ دُونَ الْمُشْتَبِهَاتِ ، وَالْمَفْعُولُ لَا يُشْبِهُ فَاعِلَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ نُعُوتِهِ الْخَاصَّةِ ؛ فَبَطَلَ مُطْلَقًا مَا يَقَعُ فِي الْوَهْمِ مِنْ اقْتِضَاءِ خَالِقٍ لِمَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُ ، وَلَوْ أَكْثَرْنَا فِي هَذَا لَدَخَلْنَا فِي نَوْعِ مَا نُهِينَا عَنْهُ فِيمَا رَوَيْنَاهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ؛ فَإِذًا نَنْتَهِي

---

(١) **الصَّانِعُ** لَيْسَ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى ؛ لَكِنْ مِنَ القَوَاعِدِ المَعْرُوفَةِ عِنْدَ أهلِ العلْمِ : أَنَّ بابَ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الأَسْمَاءِ ، وبَابَ الإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ ؛ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَفْعَالِهِ - تَعَالَى - وَهِيَ لَا مُنْتَهى لَهَا . فيُتَسَامَحُ فِي بَابِ الإِخْبَارِ ؛ إِذْ لَا يُشْتَرطُ فِيْهِ التَّوقِيْفُ ، أَمَّا الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ ؛ فتَوقِيْفِيَّةٌ . وَعَلَيْهِ ؛ فَالصَّانِعُ يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَى اللهِ مِنْ بَابِ الإِخْبَارِ عَنِ اللهِ ، وأَمَّا كونُهُ مِنَ الأَسْمَاء الحُسْنَى ؛ فلاَ ، وقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النَّملُ : ٨٨] ، وقَالَ : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعامُ : ١٩] ؛ فالشيءُ يجُوزُ إطلاقُهُ عَلَى اللهِ مِنْ بابِ الإخبارِ . . وهَكَذَا المتْقِنُ ، والفَاعِلُ ، والمُحْدِثُ ، والمريْدُ ، والموجُودُ ، والقَائمُ بنفْسِهِ ، والشَّارِعُ ، والمتَكَلِّمُ ، والمفْتِي . . فَهَذَا سَائِغٌ وَإِنْ كَانَ لَا يُدْعَى بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَدْحِ ؛ كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلام فِي " فَتَاوَاهُ " (١٩ / ٣٠١) ، وانْظُرْ : " بدَائِع الفَوائدِ " لابنِ القيِّم (١ / ١٦١) ، و " المدارج " (٣ / ٣٨٤) .

إِلَى مَا أُمِرْنَا بِهِ مِنْ حَسْمِ هَذَا الْبَابِ فِي مُنَاظَرَةِ الشَّيْطَانِ ؛ لِجَهْلِهِ ، وَقِلَّةِ إِنْصَافِهِ ، وَكَثْرَةِ شَغَبِهِ ، وَقَدْ تَوَاصَى الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ فِيمَا دَوَّنُوهُ وَرَسَمُوهُ مِنْ حُدُودِ الْجَدَلِ وَآدَابِ النَّظَرِ بِتَرْكِ مُنَاظَرَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَأَمَرُوا بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ . انْتَهَى" .

● **وَقَالَ الحَافِظُ فِي " الفَتْحِ "** :

" قَوْلُهُ : **" مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ "** ؛ أَيْ : عَنِ الِاسْتِرْسَالِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ ؛ بَلْ يَلْجَأُ إِلَى اللهِ فِي دَفْعِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ إِفْسَادَ دِينِهِ وَعَقْلِهِ بِهَذِهِ الْوَسْوَسَةِ ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي دَفْعِهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَجْهُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا وَسْوَسَ بِذَلِكَ فَاسْتَعَاذَ الشَّخْصُ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَكَفَّ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ فِي ذَلِكَ انْدَفَعَ . قَالَ : وَهَذَا بِخِلَافِ مَا لَوْ تَعَرَّضَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ بِذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ قَطْعُهُ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ . قَالَ : وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْآدَمِيَّ يَقَعُ مِنْهُ الْكَلَامُ بِالسُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَالْحَالُ مَعَهُ مَحْصُورٌ ؛ فَإِذَا رَاعَى الطَّرِيقَةَ وَأَصَابَ الْحُجَّةَ انْقَطَعَ ، وَأَمَّا الشَّيْطَانُ فَلَيْسَ لِوَسْوَسَتِهِ انْتِهَاءٌ ؛ بَلْ كُلَّمَا أُلْزِمَ حُجَّةً زَاغَ إِلَى غَيْرِهَا إِلَى أَنْ يُفْضِيَ بِالْمَرْءِ إِلَى الْحَيْرَةِ ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ : (مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟) كَلَامٌ مُتَهَافِتٌ يَنْقُضُ آخِرُهُ أَوَّلَهُ ؛ لِأَنَّ الْخَالِقَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا ، ثُمَّ لَوْ كَانَ السُّؤَالُ مُتَّجِهًا ؛ لَاسْتَلْزَمَ التَّسَلْسُلَ ، وَهُوَ مُحَالٌ ، وَقَدْ أَثْبَتَ الْعَقْلُ أَنَّ الْمُحْدَثَاتِ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى مُحْدِثٍ ؛ فَلَوْ كَانَ هُوَ مُفْتَقِرًا إِلَى مُحْدِثٍ لَكَانَ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ . انْتَهَى .

وَالَّذِي نَحَا إِلَيْهِ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ وَمُخَاطَبَةِ الْبَشَرِ فِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : **" لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ؛ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؛ فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ "** ؛ فَسَوَّى فِي الْكَفِّ عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ بَيْنَ كُلِّ سَائِلٍ عَنْ ذَلِكَ مِنْ بَشَرٍ وَغَيْرِهِ . وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَأَلَنِي عَنْهَا اثْنَانِ . وَكَانَ السُّؤَالُ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ وَاهِيًا لَمْ يَسْتَحِقَّ جَوَابًا أَوِ الْكَفُّ عَنْ ذَلِكَ نَظِيرَ الْأَمْرِ بِالْكَفِّ عَنِ الْخَوْضِ فِي الصِّفَاتِ وَالذَّاتِ . قَالَ الْمَازِرِيُّ : الْخَوَاطِرُ عَلَى قِسْمَيْنِ ؛ فَالَّتِي لَا تَسْتَقِرُّ وَلَا يجلبها شُبْهَةٌ هِيَ الَّتِي تَنْدَفِعُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَعَلَى هَذَا يَنْزِلُ الْحَدِيثُ وَعَلَى مِثْلِهَا يَنْطَلِقُ اسْمُ وَسْوَسَةٍ ، وَأَمَّا الْخَوَاطِرُ الْمُسْتَقِرَّةُ النَّاشِئَةُ عَنِ الشُّبْهَةِ ؛ فَهِيَ الَّتِي لَا تَنْدَفِعُ إِلَّا بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ . وَقَالَ الطِّيبِيُّ : إِنَّمَا أَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِأَمْرٍ آخَرَ وَلَمْ يَأْمُرْ بِالتَّأَمُّلِ وَالِاحْتِجَاجِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِاسْتِغْنَاءِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْمُوجِدِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَقْبَلُ الْمُنَاظَرَةَ ، وَلِأَنَّ الِاسْتِرْسَالَ فِي الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ لَا يَزِيدُ الْمَرْءَ إِلَّا حَيْرَةً ، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ ؛ فَلَا عِلَاجَ لَهُ إِلَّا الْمَلْجَأُ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَالِاعْتِصَامُ بِهِ " .

● **وَقَالَ الحَافِظُ – في موضعٍ آخرَ – :**

" نَقَلَ الْخَطَّابِيُّ الْمُرَادَ بِ : " صَرِيحِ الْإِيمَانِ " ، هُوَ : الَّذِي يَعْظُمُ فِي نُفُوسِهِمْ إِنْ تَكَلَّمُوا بِهِ وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ قَبُولِ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ؛ فَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَتَعَاظَمْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَنْكَرُوهُ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الْوَسْوَسَةَ نَفْسَهَا صَرِيحُ الْإِيمَانِ ؛ بَلْ هِيَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ .

وَقَالَ الطِّيبِيُّ : قَوْلُهُ : (نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا الشَّيْءَ) ؛ أَي : الْقَبِيحَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَقَوْلُهُ : " يَعْظُمُ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ " ؛ أَيْ : لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ أَنْ نَعْتَقِدَهُ . وَقَوْلُهُ : " ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ " ؛ أَيْ : عِلْمُكُمْ بِقَبِيحِ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ وَامْتِنَاعُ قَبُولِكُمْ وَوُجُودُكُمُ النَّفْرَةَ عَنْهَا دَلِيلٌ عَلَى خُلُوصِ إِيمَانِكُمْ ؛ فَإِنَّ الْكَافِرَ يُصِرُّ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمُحَالِ وَلَا يَنْفِرُ عَنْهُ .

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ) ؛ أَيْ : يَتْرُكُ التَّفَكُّرَ فِي ذَلِكَ الْخَاطِرِ وَيَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ إِذَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ التَّفَكُّرُ . وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ : أَنَّ الْعِلْمَ بِاسْتِغْنَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا يُوَسْوِسُهُ الشَّيْطَانُ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا يَحْتَاجُ لِلِاحْتِجَاجِ وَالْمُنَاظَرَةِ ؛ فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَهُوَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ وَهِيَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ ؛ فَمَهْمَا عُورِضَ بِحُجَّةٍ يَجِدْ مَسْلَكًا آخَرَ مِنَ الْمُغَالَطَةِ وَالِاسْتِرْسَالِ فَيُضَيِّعِ الْوَقْتَ إِنْ سَلِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ ؛ فَلَا تَدْبِيرَ فِي دَفْعِهِ أَقْوَى مِنَ الْإِلْجَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] الْآيَةَ . وَقَالَ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ : (فَلْيَقُلِ : اللهُ الْأَحَدُ) الصِّفَاتُ الثَّلَاثُ مُنَبِّهَةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا ؛ أَمَّا أَحَدٌ ؛ فَمَعْنَاهُ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ وَلَا مِثْلَ ؛ فَلَوْ فُرِضَ مَخْلُوقًا لَمْ يَكُنْ أَحَدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ . . وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَوْلُهُ : " صَرِيحُ الْإِيمَانِ " ، يَعْنِي : الِانْقِطَاعُ فِي إِخْرَاجِ الْأَمْرِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ ؛ فَلَا بُدَّ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ إِيجَابِ خَالِقٍ لَا خَالِقَ لَهُ ؛ لِأَنَّ الْمُتَفَكِّرَ الْعَاقِلَ يَجِدُ لِلْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا خَالِقًا لِأَثَرِ الصَّنْعَةِ فِيهَا وَالْحَدَثِ الْجَارِي عَلَيْهَا ، وَالْخَالِقُ بِخِلَافِ هَذِهِ الصِّفَةِ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِكُلٍّ مِنْهَا خَالِقٌ لَا خَالِقَ لَهُ ؛ فَهَذَا هُوَ

صَرِيحُ الْإِيمَانِ لَا الْبَحْثُ الَّذِي هُوَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْحيرَة .

" وَقَالَ ابنُ بَطَّالٍ : فَإِنْ قَالَ الْمُوَسْوِسُ : فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَالِقُ نَفْسَهُ ؟ قِيلَ لَهُ : هَذَا يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا ؛ لِأَنَّك أَثْبَتَّ خَالِقًا ، وَأَوْجَبْتَ وُجُودَهُ . ثُمَّ قُلْتَ : يَخْلُقُ نَفْسَهُ فَأَوْجَبْتَ عَدَمَهُ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ كَوْنِهِ مَوْجُودًا مَعْدُومًا فَاسِدٌ لِتَنَاقُضِهِ ؛ لِأَنَّ الْفَاعِلَ يَتَقَدَّمُ وُجُودُهُ عَلَى وُجُودِ فِعْلِهِ ؛ فَيَسْتَحِيلُ كَوْنُ نَفْسِهِ فِعْلًا لَهُ . قَالَ : وَهَذَا وَاضِحٌ فِي حَلِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ ، وَهُوَ يُفْضِي إِلَى صَرِيحِ الْإِيمَانِ . انْتَهى مُلَخَّصًا مُوَضَّحًا " .

● **ثُمَّ قَالَ الحافِظُ** : " وَيُقَالُ : إِنَّ نَحْوَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَقَعَتْ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ فِي قِصَّةٍ لَهُ مَعَ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَأَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ : هَلْ يَقْدِرُ الْخَالِقُ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ ؟

فَسَأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ ؛ فَبَدَرَ شَابٌّ ؛ فَقَالَ : هَذَا السُّؤَالُ مُحَالٌ ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ مُحْدَثٌ ، وَالْمُحْدَثُ لَا يَكُونُ مِثْلَ الْقَدِيمِ ؛ فَاسْتَحَالَ أَنْ يُقَالَ : يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ أَوْ لَا يَقْدِرُ ؛ كَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ فِي الْقَادِرِ الْعَالِمِ يَقْدِرُ أَنْ يَصِيْرَ عَاجِزًا جَاهِلًا " . انْتَهَى .

● ● **وأخْتِمُ هذا المَوْضِعَ – وقدْ أَطَلْتُ فيهِ لخُطُورتِهِ – بِقَوْلِ العَلَّامةِ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله تَعَالَى فِي " زَادِ المَعَادِ " ؛ حَيْثُ قَالَ :**

" وَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَتْ : ٣٦] .

وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ عَلَى نَوْعَيْنِ : نَوْعٍ يُرَى عِيَانًا ، وَهُوَ شَيْطَانُ

الْإِنْسِ ، وَنَوْعٍ لَا يُرَى ، وَهُوَ شَيْطَانُ الْجِنِّ ، أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَكْتَفِيَ مِنْ شَرِّ شَيْطَانِ الْإِنْسِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، وَالْعَفْوِ ، وَالدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَمِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَالْعَفْوِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ، وَسُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُورَةِ فُصِّلَتْ ، وَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ أَبْلَغُ فِي دَفْعِ شَرِّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ ، وَالْعَفْوُ وَالْإِعْرَاضُ وَالدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ أَبْلَغُ فِي دَفْعِ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ " .

❐ عاشرًا : الغلوُّ في الشُّيُوخِ وتَقْدِيْسُهُمْ (فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ) مِمَّا يَعْكِسُ الأَمْرَ سَلْبِيًّا في حَالَةِ مَا إِذَا أَخْطَأَ الشَّيْخُ أَوْ المُعَلِّمُ .

ويَنْقَلِبُ المَرْءُ ، ويَنْتَكِسُ ؛ لأَنَّهُ رَأَى القُدْوَةَ التي كانَ يقدِّرُها ويُجِلُّها في وادٍ بعيدٍ عن التطبيق العَمَليِّ لِمَا يَقُولُهُ ويزْرَعُهُ في الناسِ !! وهذه سَوأةٌ كبيرةٌ ، وآفةٌ عظيمةٌ مَريرةٌ يقعُ فيها كثيرٌ ممن ينتمي إلى العلمِ والعُلَماءِ ، فلا يثقُ الطالبُ بعد ذلك في من يُلْقِي العِلْمَ ؛ بل ويكونُ ذلك الشيءُ !! سببًا لانحرافهِ ، وانصرافهِ عن الحقِّ ، وتشكُّكهِ (أحيانًا) بسببِ ذلك في ذاتِ المَنْهَجِ ، ولكِنَّنَا نَقُولُ (دومًا) - كَمَا قَالَ القائلُ - : الحقُّ لا يُعْرَفُ بالرِّجَالِ ، ولكنَّ الرِّجَالَ هُمُ الذِيْنَ يُعْرَفُون بالحقِّ . واللهُ - تَعَالَى - يَتَوَعَّدُ أَمْثَالَ هؤلاءِ بقَوْلِهِ : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف : ٢ و ٣] .

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأْتِي مِثْلَهُ عارٌ عَلَيْكَ إِذَا فعَلْتَ عَظِيْمُ

❐ حَادِي عَشَر : طَرْحُ بَعْضٍ مِنَ القَضَايَا (العِلْمِيَّةِ) التي قَدْ تَزِيْدُ فِي بَلْبَلَةِ واضْطِرَابِ كَثِيْرٍ من العُقُولِ والأَفْهَامِ ، مع ضعفِ العلمِ الشرعيِّ

عند الأغلبيةِ ، وقلَّة الثقافةِ الدينيةِ لَدَى الأَكْثَرِيَّةِ !! وَرَبُّك - تَعَالَى - يَقُولُ : ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

ولنْ أذْكُرَ أمثلةً عَلَى ذَلِكَ ؛ فالأَمْرُ يَخْتَلِفُ من مكانٍ إلى مكانٍ ، ومن زمانٍ إلى زمانٍ ، ومن داعيةٍ إلى داعيةٍ ، وَمِنْ أسلوبٍ إلى أسلوبٍ .

ولكنْ ما يُهِمُّنَا في هذا المقامِ ؛ ما قالهُ الإمامُ البخاريُّ في " صَحِيْحِهِ " : (بَابٌ : العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ : " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ : " حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ ، وَيُقَالُ : الرَّبَّانِيُّ : الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ ") . فطَعَامُ الكِبَارِ سُمُّ الصِّغَارِ !! .

فيبدأُ المُعَلِّمُ بالمَسَائِلِ السَّهلةِ الواضِحَةِ ، وبالعُلوم الأَوَّلِيَّةِ المُهِمَّةِ النَّافعةِ . ويبتعدُ عنِ الأُمورِ المُعَقَّدَةِ الصَّعْبَةِ (المُشْتَبِهَةِ) ، والتِي قدْ يُسِيءُ فهْمَهَا كثيرٌ منَ النَّاسِ - لاسيَّمَا معَ انشغالِ النَّاسِ عنِ العِلْمِ - ، وقدْ قالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ : " حَدِّثُوا النَّاسَ ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " . رواهُ البخاريُّ في " الصحيحِ " .

● **قَالَ الحَافِظُ** : " وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : (بِمَا يَعْرِفُونَ) ؛ أَيْ : يَفْهَمُونَ " . وَزَادَ آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ فِي آخِرِهِ : (وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ) ؛ أَيْ : يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ فَهْمُهُ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ عِنْد الْعَامَّة" . انتهى مُلَخَّصًا .

● وَفِي مُقَدِّمَةِ " صَحِيْحِ " مُسْلِمٍ عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً " .

● وَقَدْ قَالَ مُعَاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ ؟ قَالَ : **" لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا "** " ؛ أَيْ : يَتْرُكُوا العَمَلَ والاجْتِهَادَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى بِمَا ذَكَرَ مِنْ (حَقِّ الْعِبَادِ) في قولهِ : **" فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "** . رواه البخاريُّ ومُسْلِمٌ .

فَرِعَايَةُ الأَحْوالِ والمَقَامَاتِ مِنْ تَوْفِيْقِ اللهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ . واللهُ يَقُولُ : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

❑ ثَانِي عَشَر : غَلْقُ بابِ الحِوَارِ والنِّقَاشِ ، وعَدَمُ سَعَةِ الصَّدْرِ ، وَعَدَمُ الاسْتِمَاعِ إلى كَثِيرٍ من التَّسَاؤُلاتِ التي يَطْرَحُهَا كَثِيرٌ من الشَّبَابِ والفَتَيَاتِ ؛ بَلْ وَالأَطْفَالِ كَذَلِكَ .

وإنَّ هذا المِحْوَرَ - أو السَّبَبَ - (الأَخِيْرَ) واجَهَهُ البَشِيْرُ النَّذيرُ ﷺ ، وعالجَهُ بِرجَاحَةِ عَقْلٍ وحِكْمَةٍ ، وَرَوِيَّةٍ وفِطْنَةٍ ، وردَّ كَيْدَ الشيطانِ عنْ هَذَا الإِنْسَانِ الذي أقبلَ أَمَامَ مَرْأًى وَمَسْمَعٍ من الجميعِ ؛ لِيَبُوحَ بِأَمْرٍ تَرْفُضُهُ كُلُّ فِطْرَةٍ سَوِيَّةٍ ؛ فَيَا تُرَى ! مَا هَذَا الأَمْرُ الذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ ؟ فقامَ إليه الصَّحابةُ (الكرامُ) لزجرهِ ؟ لَقَدْ جَاءَ هذا الفَتَى (بِنَفْسِهِ) إِلَى (المَسْجِدِ !! نعم . . إلى المَسْجِدِ) ، وَبَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ ، وأَمَامَ صَحَابَتِهِ ؛ لِيَقُولَ لَهُ : ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ؟!

هل وجدتَ بَشَاعَةً وَفَظَاعَةً فِي الطَّلَبِ كَمِثْلِ هَذِهِ ؟!! وَلَكِنْ تَأَمَّلْ! ولا تَغْفَلْ ، كَيْفَ وَاجَهَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا المَوْقِفَ ؟ وكيفَ عَالَجَ ودَاوَى هذا المَرِيْضَ ؟ فَفِي " مُسْنَدِ " أَحْمَدِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ ، وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ ؛ فَقَالَ : " **ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا** " . قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : " **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟** " ، قَالَ : لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : " **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** " . قَالَ : " **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟** " قَالَ : لَا . وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ : " **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ** " . قَالَ : " **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** " قَالَ : لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ : " **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ** " . قَالَ : " **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟** " قَالَ : لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : " **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ** " . قَالَ : " **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟** " قَالَ : لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : " **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ** " . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : " **اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** " قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

نعم . . لا نُرِيْدُ (نَحْنُ) أَنْ نَكُونَ سَبَبًا لِتَنْفِيرِ النَّاسِ عَنِ المَنْهَجِ الحَقِّ ؛ فَلْنَفْتَحْ بَابَ الحِوارِ بالحُسْنَى ، ولتتسِعْ صدُورُنَا للنقاشِ ، ولنُحْسِنِ الاستماعَ إلى المخالِفِ . ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥] . ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .



طُرُقُ العِلاجِ
ومُحَاولاتٌ لتَدْمِيْرِ هَذَا الفَيْرَسِ المُدَمِّرِ

✧ **الوقايةُ (أولًا) خَيْرٌ مِنَ العِلاجِ :**

فالواجِبُ (مُنْذُ البِدَايَةِ) أنْ نُحَصِّنَ أنْفُسَنَا وأولادَنا قبلَ أنْ تَقَعَ المُصِيْبَةُ والكَارثةُ ، **وذلك من خلالِ الآتي :**

● (**أولًا**) : تعليمُ الطفلِ المسلمِ القرآنَ والصَّلاةَ ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقۡوَمُ﴾ . ثم ينبغي معرفة معاني كلمات القرآنِ ؛ ليكون الطفلُ على فهمٍ ووعيٍ ودرايةٍ بما يحفظه ويردِّدُهُ من كتابِ ربِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى؛ فلا يُرَدِّدُ شيئًا لا يفهمُهُ ، والتعليمُ في الصِّغر ؛ كالنَّقْشِ عَلَى الحَجرِ .

● (**ثانيًا**) : غرسُ العقيدةِ الإسلاميةِ الصحيحةِ بأسلوبٍ حسنٍ ، وسهلٍ وميسَّرٍ من خلالِ البرامجِ العلميةِ للأطفالِ والأبناءِ (والتي ينتفعُ منها الكبارُ – في كثيرٍ من الأحيانِ –) ؛ ليستمعَ إليها الطفلُ المسلمُ عبرَ جهاز الكمبيوتر . وهناك – على سبيلِ المثالِ – برنامجٌ كرتونيٌّ يتحدَّثُ بأسلوبٍ ميسَّرٍ وسهلٍ وجميلٍ عن (أحكامِ القرآن) . . وهكذا . .

وكذلك من خلالِ الكتبِ والرَّسائلِ والتوجيهاتِ التي قامَ بها

أفاضلُ من أهلِ العلمِ ؛ ك : " العقيدة الإسلامية " للشيخ محمد جميل زينو – طيبَ الله ثراه – ، وله أيضًا : " شرح أركان الإسلام والإيمان وما يجب أنْ يعرفه المسلم عن دينهِ " ، و" مجموعة الرسائل والتوجيهات الإسلامية " . وكذلك هناك رسالةٌ جيدةٌ للحكميِّ رَحِمَهُ اللهُ بعنوانِ : " ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة " .

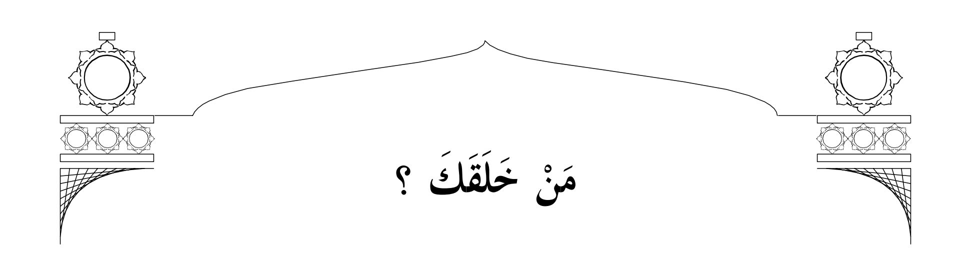
● (**ثالثًا**) : تَحْبِيْبُ الطِّفْلِ والولدِ في حلقاتِ العلمِ والعلماءِ ، وإرسالهُ إلى تلك المجالس الصالحةِ ، ومتابعتهُ فيها ، والكتابةُ وراء الشيخِ والمعلمِ (في أبواب التفسير ، والفقه ، والحديثِ ، وما شابه) ؛ ليأخذَ دينَهُ غضًّا طريًّا ، صافيًا نقيًّا من أفواه أهلِ الفضلِ والعلمِ ؛ بعيدًا عن الطرقِ المُضِلَّةِ ، والسُّبلِ المُلْتويةِ عبرَ المواقعِ (العلْمَانِيَّةِ واللاَّدينيةِ !!) ، والشَّبَكاتِ (الشَّيْطَانِيَّةِ !!) .

● (**رابعًا**) : الاجتهادُ من (الوالد والوالدة) في الطاعة ، والعبادة ، والعمل الصالحِ من أجلِ الأولادِ والأبناء، وقد كانَ الإمامُ أحمدُ (إمامُ أهلِ السُّنةِ) يقولُ لأحدِ أبنائه : " إني لأكثرُ لك يا ولدي من صلاتي " . فيجتهدُ ويكثرُ من الصلاةِ لربِّه تَبَارَكَ وتَعَالَى، ويتوسَّلُ بها إلى الله تَعَالَى ، ويكثرُ فيها من الدُّعاء؛ لهدايةِ أولادهِ ، وصلاحِ أبنائهِ ؛ فكانَ عنده (صالحٌ ، وعبد الله) ، وهما مَنْ هما في العلمِ والدِّيَانَةِ ؟!

● (**خَامِسًا**) : متابعةُ الأبناءِ في مَدَارسِهم ، وأماكنِ تعليمهم ؛ فيُوصِّلُهُ ، وينتظرُهُ ، ويراقبُهُ ، ويصاحبُهُ .. (ولو أخذَ ذلك مجهودًا) ؛ فيكونُ الأبُ وكأنَّه (خادمٌ) – واعذُرْني (أيها الوالدُ ، وأيتها الوالدةُ) في هذه الكَلِمَةِ – ؛ فسَتَرونَ ثمرةَ هذا الجهدِ – بإذنِ

الله – أمامَ أَعْيُنِكُم ، عِنْدَمَا يَكْبَرُ الولدُ ، وتطْمَئِنَّان عليهِ (نوعًا ما) ، ولنْ يضيعَ عمَلُكُما هباءً أو سُدَىً – إنْ شاء الله – ؛ قال تَعَالَى : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف : ٣٠] ، وقال تَعَالَى : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة : ١٠٥] .

✧ **ولتكن البداية (أيها .. !!) من هنا :**



مَنْ خلقَكَ ؟

قَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور : ٣٥ و ٣٦] .

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ ؛ أي : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ ؛ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ خَالِقٍ ، وَإِذَا أَنْكَرُوا الْخَالِقَ ؛ فَهُمُ الْخَالِقُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَذَلِكَ فِي الْفَسَادِ وَالْبُطْلَانِ أَشَدُّ ؛ لِأَنَّ (مَا لَا وُجُودَ لَهُ) ، كَيْفَ يَخْلُقُ ؟!!!

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ ؛ أَيْ : إِنْ جَازَ لَهُمْ أَنْ يَدَّعُوا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ؛ فَلْيَدَّعُوا خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُهُمْ .

ثُمَّ قَالَ : ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ ؛ فَذَكَرَ الْعِلَّةَ الَّتِي عَاقَتْهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَهُوَ عَدَمُ الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ مَوْهِبَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ ؛ فَلِهَذَا انْزَعَجَ جُبَيْرٌ ؛ حَتَّى كَادَ قَلْبُهُ يَطِيرُ ، وَمَالَ إِلَى الْإِسْلَامِ . قاله الخَطَّابيُّ ؛ كما في (الفتح) .

● رَوَى البُخَارِيُّ فِي " صَحِيْحِهِ " عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور : ٣٥ – ٣٧] " ،

قَالَ[١] : كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ . وفي روايةٍ فِي " الصَّحِيْحِ " : " وَذَلِك أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي " .

● **قَالَ الْخَطَّابِيُّ** : " كَأَنَّهُ انْزَعَجَ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الْآيَةِ ؛ لِفَهْمِهِ مَعْنَاهَا ، وَمَعْرِفَتِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ ؛ فَفَهِمَ الْحُجَّةَ ؛ فَاسْتَدْرَكَهَا بِلَطِيفِ طَبْعِهِ ، وَذَلِك مِنْ قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ؛ قِيلَ : مَعْنَاهُ : لَيْسُوا أَشد خلقًا من خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ ؛ لِأَنَّهُمَا خُلِقَتَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؛ أَيْ : هَلْ خُلِقُوا بَاطِلًا لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يُنْهَوْنَ " .

● **وقال الإِمَامُ ابْنُ الجوزيِّ في "كَشْفِ المُشْكِلِ"** : " وَقَوله : ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ، فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ :

أَحدُهَا : أَن الْمَعْنَى : لَيْسُوا بأشدَّ من خلقِ السَّمَوَات وَالْأَرْض ، وَقد خُلقت من غيرِ شَيْء ، وهم خُلقُوا من آدَمَ .

وَالثَّانِي : أَن الْمَعْنَى : أم خُلِقُوا لغيرِ شَيْء ؛ أَي : أخُلِقُوا عَبَثًا .

وَالثَّالِث : أم خُلقُوا فوجِدُوا بِلَا خَالقٍ ، وَذَلِك مَا لَا يَجُوزُ ؛ لِأَنَّ تعلُّق الْخَلْقِ بالخالقِ من ضَرُورَة الِاسْم : ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ لأَنْفُسِهِمْ ؛ فَإِذا ثَبت أَن لَهُم خَالِقًا فليؤمنوا بِهِ ، ذكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ ، قَالَ : وَقَولُ : ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ هِيَ الْعلَّة الَّتِي منعتهم عَن الْإِيمَان ، وَلِهَذَا انزعَجَ جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ ؛ لحُسْنِ مَعْرفَته بِمَا تَحْوِي الْآيَة " . انتهى .

---

(١) وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ قَدْ بَيَّنَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَنَّه لَمْ يَسْمَعْهَا مِنَ الزُّهْرِيِّ مُبَاشَرَةً ؛ كَمَا فِي " الصَّحِيْحِ " .

قلتُ : والمَعْنَى الأخيرُ هُوَ المَعْرُوفُ ؛ **قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ في " المِنْهَاجِ "** : " فَالْمَشْهُورُ : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ رَبٍّ ؟! " .

وهَذَا أمرٌ بَدَهِيٌّ أنَّ الْمُحْدَثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ ، وأنَّ المَخْلُوقَ لابدَّ لهُ منْ خالقٍ ؛ **قالَ شيخُ الإسلامِ في " مجموع الفتاوى "** : " وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِبَدَاهَةِ الْعُقُولِ أَنَّ الْحَادِثَ لَا يَحْدُثُ بِنَفْسِهِ[١] ، وَلِهَذَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ، وَقَدْ قِيلَ : ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ مِنْ غَيْرِ رَبٍّ خَلَقَهُمْ ، وَقِيلَ : مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ ، وَقِيلَ : مِنْ غَيْرِ عَاقِبَةٍ وَجَزَاءٍ ، وَالْأَوَّلُ مُرَادٌ قَطْعًا ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا خُلِقَ مِنْ مَادَّةٍ أَوْ لِغَايَةٍ ؛ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ . وَمَعْرِفَةُ الْفِطَرِ : أَنَّ الْمُحْدَثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ أَظْهَرُ فِيهَا مِنْ أَنَّ كُلَّ مُحْدَثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَادَّةٍ خُلِقَ مِنْهَا ، وَغَايَةٍ خُلِقَ لَهَا ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ (الْعُقَلَاءِ) نَازَعَ فِي هَذَا وَهَذَا ، وَلَمْ يُنَازِعْ فِي الْأَوَّلِ " . انتهى .

✧ وَيَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الحشر : ٥٨ و ٥٩] .

● **قَالَ الْفَرَّاءُ** : " قَوْلُهُ : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يَعْنِي : النُّطَفَ إِذَا قُذِفَتْ فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ ؛ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَ تِلْكَ النُّطَفَ أَمْ نَحْنُ ؟ " .

● **وقَالَ ابْنُ كثيرٍ** : " أَيْ : أَنْتُمْ تُقِرُّونَهُ فِي الْأَرْحَامِ وَتَخْلُقُونَهُ فِيهَا ، أَمِ اللَّهُ الْخَالِقُ لِذَلِك ؟ " .

✧ ويَقُولُ ﷺ : **" قَالَ اللَّهُ ﷻ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ**

---

(١) يعني : أنَّ المَقْطُوعَ بِهِ أَنَّ شيئًا لا يَحْدُثُ من تلقاءِ نفسهِ .

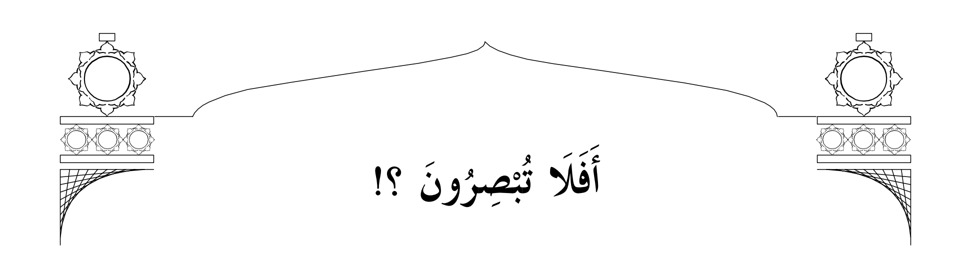
كَخَلْقِي ؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ؟ أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ؟ أَوْ شَعِيرَةً ؟ ″ . رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

مَنْ ذَا الذِي يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَخْلُقَ ذَرَّةً ؟!!! أَوْ : حَبَّةً ؟!!!! أَوْ : شَعِيرَةً ؟!! أَوْ حتَّى ذُبَابَةً ؟!! قَالَ - تَعَالَى - : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج : ٧٣] .

◆ **فيَأيُّهَا المُسْلِمُ .. فَكِّرْ في نَفْسِكَ : مَنْ أَنْتَ ؟ ومَنْ خَلَقَكَ ؟ وما صِفَتُكَ ؟ وكَيْفَ اغْتَرَرْتَ ؟!!** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار : ٦ - ١٩] . . **نعم : أما تعرفُ نفسَكَ ؟ أما تعرفُ أَصْلَكَ ؟ أَوَّلُك نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُك جِيفةٌ قَذِرَةٌ، وَحَشْوُك فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذِرَةٌ !!**

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ ... وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذِرَهْ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ ... يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَةً قَذِرَهْ
وَهُوَ عَلَى عُجْبِهِ وَنَخْوَتِهِ ... مَا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَهْ

❁ ❁ ❁



أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟!

● يَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات : ٢١] ، وَيَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت : ٥٣] .

فَإِنْ كُنْتَ لا تَزَالُ شَاكًّا في مَنْ خَلَقَكَ ؟ فاطْرَحْ عَلَى نَفْسِكَ هَذَا السُّؤالَ : كَيْفَ خَلْقُكَ ؟ نَعَمْ . . هَلْ تَفَكَّرْتَ في خَلْقِكَ ؟ أفلاَ تُبْصِرُ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ ؟ فنَظَرُكَ (فِيْكَ) يَكْفِيْكَ ، بلاَ تَرَدُّدٍ أوْ مثْنويَّةٍ ؛ للإقْرَارِ بِخَالِقِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ . بِهَذَا الجَمَالِ ، والقَوَامِ ، والتَّمَامِ ، والإحْسَانِ ، والإتقانِ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾ [التين : ٤] .

✧ **كانَ هَذَا هُوَ المُوجزَ ؛ فإلِيْكَ (هُنَا) التَّفْصِيْلَ والبَيَانَ :**

يَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤] .

● **ثُمَّ قَالَ شيخُ الإسلامِ – مُتَمِّمًا كلامَهُ السَّابقَ – :**

" وَالْجَسَدُ إِذَا لَمْ يُنْفَخْ فِيهِ الرُّوحُ ؛ فَهُوَ مَوَاتٌ لَيْسَ لَهُ حِسٌّ وَلَا

حَرَكَةٌ إِرَادِيَّةٌ ، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يَنْطِقُ وَلَا يَعْقِلُ ، وَلَا يَبْطِشُ وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يُمْنِي وَلَا يَنْكِحُ ، وَلَا يَتَفَكَّرُ وَلَا يُحِبُّ وَلَا يُبْغِضُ ، وَلَا يَشْتَهِي وَلَايَغْضَبُ ؛ فَإِذَا اتَّصَلَتْ بِهِ النَّفْسُ ، تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ، وَاسْتَحَالَتْ صِفَاتُهُ ، وَصَارَ حَسَّاسًا مُتَحَرِّكًا بِالْإِرَادَةِ " .

فهكذا كانَتْ مَرَاحِلُ وأَطْوَارُ ومَبْدأُ خَلْقِكَ (أيُّها الإنْسَانُ = سريعُ النِّسْيَانِ !!) .

(نُطْفَةٌ = قطرةُ ماءٍ مَهِيْنٍ = مَدْفُوقٍ = وهُوَ : مَاءُ الرَّجُلِ) ؛ كما قالَ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات : ٣٧] ، وقالَ : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات : ٢٠] . وقالَ : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق : ٥ - ٧] .

قال ابنُ القيِّم في " إعلام الموقعين " : " وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالصُّلْبِ : صُلْبُ الرَّجُلِ ، وَاخْتُلِفَ فِي التَّرَائِبِ ؛ فَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهَا : تَرَائِبُهُ أَيْضًا ، وَهِيَ : عِظَامُ الصَّدْرِ مَا بَيْنَ التَّرْقُوَةِ إلَى الثَّنْدُوَةِ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ : تَرَائِبُ الْمَرْأَةِ ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ : ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ : يَخْرُجُ مِنْ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَاءُ الرَّجُلِ خَارِجًا مِنْ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ ؛ كَمَا قَالَ فِي اللَّبَنِ : ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ . . " . ولكنَّه نقلَ عنْ جُمْهُورِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ تَرْجِيْحَ القَوْلِ الثَّاني ؛ كما في " تحفةِ المَوْدُودِ بأحكامِ المولودِ " ، ثمَّ قالَ : " فالحَيَوانُ يَنْعَقِدُ مِنْ مَاءِ الذَّكَرِ وَمَاءِ الْأُنْثَى ؛ كَمَا يَنْعَقِدُ النَّبَاتُ مِنَ المَاءِ وَالتُّرَابِ والهَوَاءِ " . انتهى .

واعلمْ : أنَّ هذهِ (النُّطْفَةَ) لو تُرِكَتْ في الهَوَاءِ لفَسَدَتْ وأَنْتَنَتْ !! ولَكِنْ . . وهي ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ :

(تحوَّلتِ النُّطْفَةُ إِلَى عَلَقَةٍ) . وَهِيَ : الْقِطْعَةُ الصَّغِيرَةُ مِنَ الدَّمِ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ . وقالَ : ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ . وَقَالَ : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ .

(ثُمَّ تَحَوَّلَتِ العَلَقَةُ إِلَى مُضْغَةٍ) . وَهُي : قِطْعَةُ لَحْمٍ ؛ كَاللَّحْمِ الَّذِي يُمْضَغُ بِالْفَمِ ، ثُمَّ تَخَلَّقَ فَتُصُوِّرَ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ ، وَقَالَ : ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ .

(ثُمَّ تَحَوَّلتِ المُضْغةُ المُخَلَّقَةُ : عِظَامًا ، ثم يُكْسَى العِظَامُ بِاللَّحْمِ) ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ .

وَقَدْ (خُلِقَ الكلُّ فِي مَحَلٍّ مُظْلِمٍ وَضَيِّقٍ . . بطنٌ ورَحِمٌ ومَشِيْمَةٌ) ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ . وَقَالَ : ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

● **قَالَ شَيْخُ الإسلامِ في " الجوابِ الصَّحيح "** : " فَيَكُونُ جَسَدًا مَيِّتًا ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ؛ فَيَصِيرُ الْجَسَدُ حَيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيِّتًا " .

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ .

● **ثُمَّ قَالَ شيخُ الإسلامِ – مُتَمِّمًا كلامَهُ السَّابقَ – :**

" وَالْجَسَدُ إِذَا لَمْ يُنْفَخْ فِيهِ الرُّوحُ ؛ فَهُوَ مَوَاتٌ لَيْسَ لَهُ حِسٌّ وَلَا

حَرَكَةٌ إِرَادِيَّةٌ ، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يَنْطِقُ وَلَا يَعْقِلُ ، وَلَا يَبْطِشُ وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يُمْنِي وَلَا يَنْكِحُ ، وَلَا يَتَفَكَّرُ وَلَا يُحِبُّ وَلَا يُبْغِضُ ، وَلَا يَشْتَهِي وَلَايَغْضَبُ ؛ فَإِذَا اتَّصَلَتْ بِهِ النَّفْسُ ، تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ، وَاسْتَحَالَتْ صِفَاتُهُ ، وَصَارَ حَسَّاسًا مُتَحَرِّكًا بِالْإِرَادَةِ " .

فَهَلْ تَبَيَّنَتْ واسْتَبَانَتِ لَكَ العَظَمَةُ والقُدْرَةُ الإلَهِيَّةُ ؟ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ . وقَالَ : ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧﴾ [مريم : ٦٧] .

فَتَأَمَّلْ .. كيفَ تَخَلَّقَتِ المُضْغَةُ (وَهِي : قِطْعَةُ اللَّحْمِ) ؟

تأَمَّلْ كيفَ دوَّرَ (الخالقُ = الخلاَّقُ) الرَّأْسَ ؟

تأَمَّلْ كيفَ شقَّ فيهِ السَّمعَ والبصرَ والأنْفَ والفَمَ ؟

تأَمَّلْ كيفَ مدَّ اليدَ والرِّجلَ ؟

تأَمَّلْ كيفَ قسَّمَ رؤوسَ الأصابعِ ، وقسَّمَهَا بِالأنَامِلِ ؟

تأَمَّلْ كيفَ ركَّب الأعضاءَ الباطنةَ مِنَ القَلْبِ وَالمِعْدَةِ والكَبِدِ والطِّحَالِ والرِّئةِ والرَّحمِ والمثانةِ والأمعاءِ ؟

تأَمَّلْ كَيْفَ خَلَقَ عِظَامَ الرَّأْسِ ، وجَمَعَهَا ، وركَّبَهَا ؟

تأَمَّلْ كيفَ ركَّبَ العينَ منْ سبعِ طبقاتٍ ؟

تأَمَّلْ كيفَ جعلَ أسنانًا ، بعضها عريضةٌ تصلحُ للطحنِ ، وبعضها حادَّةٌ تصلحُ للقطعِ ، وهِي (الأنيابُ ، والأضراسُ ، والثَّنَايَا) ؟

تأمَّلْ كيفَ جعلَ في الجسدِ الأعصابَ والعروقَ والأوتارَ والعظمَ ؟

تأمَّلْ كيفَ جعلَ في كلِّ إنسانٍ : كَعْبَيْنِ ، وركُبَتَيْنِ ، ومِرْفَقَيْنِ ، وسَاعِدَيْنِ ، وكُوعَيْنِ ، وبُوعَيْنِ ، وكُرْسُوعَيْنِ ؟

تأمَّلْ قولَ اللهِ – تَعالَى – : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد : ٨ – ١٠] .

تأمَّلْ قولَ اللهِ – تَعالَى – : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان : ٢] .

تأمَّلْ وتفكَّر ؟ وانْظُرْ وتَدَبَّرْ ؟ فكلُّ هَذَا الإِنْسَانِ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ !!

أفبعدَ كلِّ هذَا يَسْتَعْلي ويَسْتَكْبِرْ ؟! ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر : ١٨ – ٢٣] .

لكنِّي مَا زلْتُ أسْأَلُك وأطالبُك بأنْ تتفَكَّرَ ، وأقولُ : هلْ تعلمُ أنَّ ماءَ العينِ مالحٌ ؟ وماءَ الفمِ عَذْبٌ ؟ وماءَ الأذنِ مُرٌّ ؟ وماءَ الأنفِ حامِضٌ ؟ فلِمَاذَا ؟

● **قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ في " النُّبُوَّاتِ " – وهو يتحَدَّثُ عن خَلْقِ الإنسانِ – :**

" . . أدْنَى ذَلِكَ أَنَّ العَيْنَ ، وَالفَمَ ، والأُذُنَ فِيْهَا مِيَاهٌ وَرُطُوبَةٌ ؛ فَمَاءُ العَيْنِ مَالِحٌ ، وَمَاءُ الفَمِ عَذْبٌ ، وَمَاءُ الأُذُنِ مُرٌّ.

فإنَّ (العَيْنَ) شَحْمَةٌ ، والمُلُوحَةُ تحفَظُهَا أنْ تَذُوبَ . وهذه أيضًا

حكمةُ تمليحِ ماءِ البَحْرِ ؛ فإِنَّ له سببًا وحِكْمَةً ؛ فَسَبُبُهُ سُبوخَةُ أرْضِهِ ومُلوحَتُهَا ؛ فهي تُوجِبُ مُلوحَةَ مَائِهِ ، وحِكْمَتُهَا : أَنَّها تمنعُ نَتَنَ الماءِ بما يُموتُ فيه مِنَ الحِيتانِ العَظيمةِ ؛ فإِنَّه لولا مُلوحةُ مَائِهِ لأَنْتَنَ ، ولو أنتنَ لفسَدَ الهواءُ لملاقاتهِ لهُ ؛ فهلكَ النَّاسُ بفسادهِ ، وإذا وقعَ أحيانًا، قُتلَ خلْقٌ كثيرٌ ؛ فإِنَّه يُفسِدُ الهواءَ حتَّى يموتَ بسببِ ذلكَ خَلْقٌ كثيرٌ.

وماءُ (الأُذُنِ) مُرٌّ ؛ ليمنَعَ دخولَ الهوامِّ إلى الأذُنِ .

وماءُ (الفَمِ) عَذْبٌ ؛ ليُطَيِّب به ما يأكلُه.

فلو جعلَ اللهُ ماءَ الفمِ مرًّا ، لفَسَدَ الطعامُ على أكلَتِهِ ، ولو جعلَ ماء الأذنِ عَذْبًا ، لدخلَ الذبابُ في الدِّماغِ .

ونظائرُ هذا كثيرةٌ ؛ فلا يجوزُ أن يفعلَ بخلافِ ذلكَ ؛ مثلَ أنْ يجعلَ العَيْنَيْنَ في القدميْنِ ، ويجعلَ الوجْهَ خَشِنًا غليظًا ؛ كالقدَمينِ ؛ فإِنَّه كان يُفسدُ مصلحةَ النَّظَرِ والمَشْي .

بَلْ منَ الحكمةِ أنَّهُ جعلَ (العينَيْنَ) في أعْلَى البَدَنِ ، في مُقَدَّمهِ ؛ ليَرَى بها مَا أَمَامَهُ، فيَدْرِي أيْنَ يَمْشِي .

وجعَلَ (الرِّجْلَ) خَشِنَةً تَصْبِرُ عَلَى مَا تُلاقِيْهِ مِنَ التُّرابِ وغَيْرِه.

و (العينُ) لطيفةٌ يُفْسِدُهَا أَدْنَى شَيءٍ ؛ فجَعَلَ لَهَا (أجفانًا) تُغَطِّيها ، و(أَهْدَابًا) "[1] . انتهى .

---

(١) وراجع " مِفْتَاح دار السعادة " لابن القيِّم (١/ ١٨٨) ؛ فقد استفاض في هذا الموضعِ .

✧ **فيَا أيُّها الإنسانُ النَّاسي !! يا مَنْ عقْلُه مُصَابٌ وقلْبُه قَاسِي !!** خَرَجْتَ منْ بطنِ أمِّك ما كانَ لك سِنٌّ تقطعُ ، ولا ضرسٌ يطحنُ ، ولا قدمٌ تسعى ، ولا يدٌ تبطشُ أَوْ تتَحَسَّسُ ، ومَا كانَ لَك قلبٌ يدقُّ ، ولا أنفٌ يتنفَّسُ؛ فمنِ الذي امتنَّ عليكَ بذلكَ ؟ ومنْ الذي خَلَقَ فيكَ كلَّ ذلكَ ؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ . أفلا تقرُّ بذي العظمةِ والجبروتِ ؟ أفلا تُذْعِنُ وتَخْضَعُ لذي العزَّةِ والملكوتِ ؟

ثُمَّ ألاَ تُؤْمِنُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ الذي أخْبَرَنَا بِهَذِهِ التَّفْصِيْلاتِ عن مراحلِ خَلْقِ الجَنِيْنِ قَبْلَ خَمْسَةَ عَشَرَ عامًا ، وقبل أن تَكُون هُنَاكَ اكْتِشَافَاتٌ علميةٌ ؛ فَمَنِ الذي أعْلَمَهَ وعَلَّمَهُ ؟

◆ وتأمَّلْ جَلالَ وعظَمَةَ وهَيْبَةَ هَذِهِ الآيةِ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران : ٦] .

● **قَالَ الإمامُ القرطبيُّ في " تَفْسِيْرِهِ " :**

" قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ ؛ أَخْبَرَ – تَعَالَى – عَنْ تَصْوِيرِهِ لِلْبَشَرِ فِي أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ ، وَأَصْلُ الرَّحِمِ مِنَ الرَّحْمَةِ ؛ لِأَنَّهَا مِمَّا يُتَرَاحَمُ بِهِ . وَاشْتِقَاقُ الصُّورَةِ مِنْ صَارَهُ إِلَى كَذَا إِذَا أَمَالَهُ ؛ فَالصُّورَةُ مَائِلَةٌ إِلَى شَبَهٍ وَهَيْئَةٍ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ – تَعَالَى – " .

● **وقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي " تَفْسِيْرِهِ " :**

" ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ ؛ أَيْ : يَخْلُقُكُمْ كَمَا يَشَاءُ فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَحَسَنٍ وَقَبِيحٍ ، وَشَقِيٍّ وَسَعِيدٍ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ؛ أَيْ : هُوَ الَّذِي خَلَقَ ، وَهُوَ

الْمُسْتَحِقُّ لِلْإِلَهِيَّةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَهُ الْعِزَّةُ الَّتِي لَا تُرَامُ ، وَالْحِكْمَةُ وَالْأَحْكَامُ .

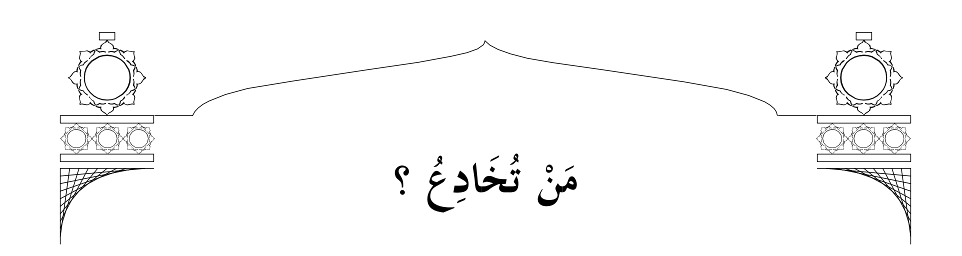
وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَعْرِيضٌ ؛ بَلْ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ ؛ كَمَا خَلَقَ اللَّهُ سَائِرَ الْبَشَرِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - صَوَّرَهُ فِي الرَّحِمِ وَخَلَقَهُ ، كَمَا يَشَاءُ ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا كَمَا زَعَمَتْهُ النَّصَارَى - عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ - وَقَدْ تَقَلَّبَ فِي الْأَحْشَاءِ ، وَتَنَقَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزُّمَرِ : ٦] " .

● **وقَالَ العَلاَّمةُ السَّعْدِيُّ فِي " تَيْسِيرِ الكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ "** :

" فَهُوَ ﴿ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وكامِلِ الخَلْقِ وناقصِهِ ، مُتَنَقِّلِيْنَ في أطْوَارِ خِلْقَتِهِ ، وبَدِيْعِ حِكْمَتِهِ ؛ فَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ مَعَ عِبادِهِ ، واعْتِنَاؤُهُ العَظِيْمُ بأحْوَالِهِمْ ، مِنْ حِيْنِ أَنْشَأَهُم إِلَى مُنْتَهَى أُمُورِهِم لا مُشَارِكَ لَهُ فِي ذَلِك ؛ فَيَتَعَيَّنُ أَنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ إلاَّ هُوَ .

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذِي قَهَرَ الخَلائِقَ بِقُوَّتِهِ ، واعْتَزَّ عَنْ أَنْ يُوصَفَ بِنَقْصٍ ، أو يُنْعَتَ بِذَمٍّ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خَلْقِهِ وشَرْعِهِ " .

❁ ❁ ❁

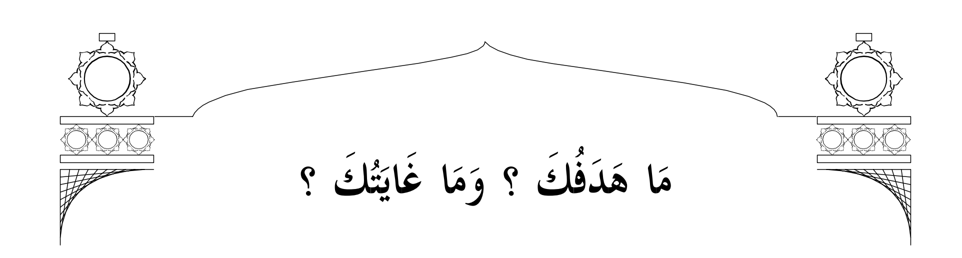


مَنْ تُخَادِعُ ؟

أَفَبَعْدَ كُلِّ هَذَا تُحَاوِلُ أَنْ تُخَادِعَ ؟ أَتَظُنُّ أَنَّكَ ! تُخَادِعُ رَبَّ العَالِمِيْنَ ؟! كَلاَّ . . كَلاَّ . . ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة : ٩ و ١٠] ، وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء : ١٤٢] .

وَعَلَى مَنْ تُنَافِقُ وتُمَاطِلُ ؟ وَبِمَنْ تَمْكُرُ ؟ فَاحْذَرْ مَغَبَّةَ ! مَكْرِكَ وَخِدَاعِكَ وَغَبَائِكَ ؟!! ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر : ١٠] . ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝١٢٣ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ۝١٢٤ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦﴾ [الأنعام : ١٢٣ – ١٢٦] .

❁ ❁ ❁

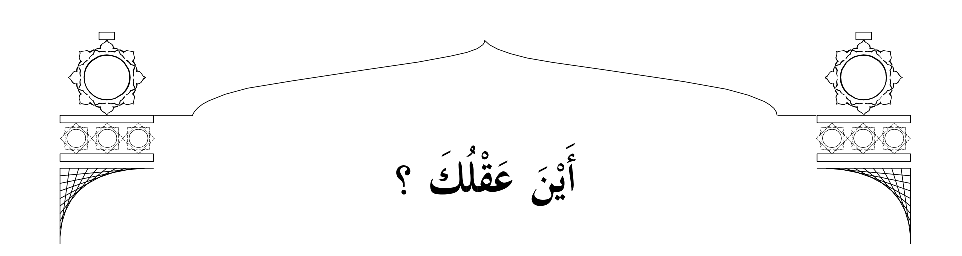


مَا هَدَفُكَ ؟ وَمَا غَايَتُكَ ؟

إنَّ الأَمَرَ البَدِيْهِيَّ (وَالضَّرُورِيَّ) هُوَ : أَنَّ خَالِقَ الخَلْقِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ المُسْتَحِقَّ (وَحْدَهُ) للعِبَادَةِ والتَّذَلُّلِ والخُضُوعِ دُونَ أَيِّ أَحَدٍ سِوَاهُ ؛ فَمَا دَامَ أَنَّهُ الخَالِقُ ؛ فَلا مَنْدُوحَةَ فِي تَرْكِ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ ؛ فَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة : ٢١ و ٢٢] .

وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ العِبَادَةَ للهِ (وَحْدَهُ) هي : هَدَفَهُ وغَايَتَهُ في هَذِهِ الحَيَاةِ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات : ٥٦- ٥٨] .

أَمَّا هؤلاء المَادِّيُّون ، والمُلْحِدُونَ ؛ فلا يَدْرُونَ شيئًا عَنْ هَذِهِ الغايةِ ؛ فيعيشُ أحدهمْ كالبهيمةِ (البَكْمَاءِ !!) ؛ بَلْ أَضَلُّ (مِنْهَا) ؛ فَلا يَدْرِي : لِمَاذَا خُلِقَ ؟ وما سِرُّ وجودهِ في هذه الأرضِ ؟! كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف : ١٧٩] .



أَيْنَ عَقْلُكَ ؟

لَوْ أَعْمَلْتَ عَقْلَكَ السَّلِيْمَ ، وَذِهْنَكَ القَوِيْمَ ، وقَلْبَكَ المُسْتَقِيْمَ ، وأَنْصَفْتَ نَفْسَكَ ؛ فَسَتَجِدُ أَنَّكَ (حَقِيْقَةً) في سَرابٍ ، وتَبَابٍ ، وَخَرابٍ ، وَعَذَابٍ .

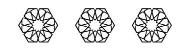
إنك لو أنْصَفْتَ نَفْسَكَ لاهْتَدَيْتَ ، ووصَلْتَ إلى حقائقِ الأمورِ ، ومعالم الحقِّ والنورِ ؛ لتكون من أهل السعادةِ ، ومع أهلِ السُّرور .

إنَّ العقلَ الصحيحَ لا يَتَعَارَضُ ، ولا يَتَنَاقَضُ (البَتَّةَ) مع النقلِ الصحيحِ .

فـ " الْعَقْلُ شَرْطٌ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ وَكَمَالِ وَصَلَاحِ الْأَعْمَالِ ، وَبِهِ يَكْمُلُ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ ؛ لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا بِذَلِكَ ؛ بَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ فِي النَّفْسِ وَقُوَّةٌ فِيهَا بِمَنْزِلَةِ قُوَّةِ الْبَصَرِ الَّتِي فِي الْعَيْنِ ؛ فَإِنْ اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ كَانَ كَنُورِ الْعَيْنِ إذَا اتَّصَلَ بِهِ نُورُ الشَّمْسِ وَالنَّارِ . وَإِنْ انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ لَمْ يُبْصِرْ الْأُمُورَ الَّتِي يَعْجِزُ وَحْدَهُ عَنْ دَرْكِهَا وَإِنْ عُزِلَ بِالْكُلِّيَّةِ : كَانَتْ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ مَعَ عَدَمِهِ : أُمُورًا حَيَوَانِيَّةً قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَحَبَّةٌ وَوَجْدٌ وَذَوْقٌ كَمَا قَدْ يَحْصُلُ لِلْبَهِيمَةِ . فَالْأَحْوَالُ الْحَاصِلَةُ مَعَ عَدَمِ الْعَقْلِ نَاقِصَةٌ ، وَالْأَقْوَالُ الْمُخَالِفَةُ لِلْعَقْلِ بَاطِلَةٌ " .
(" مجموع الفتاوى " لابْنِ تيْمِيَّةَ) .

● **وقال الإمامُ الطَّبريُّ في " التَّفْسِيْرِ " :**

" الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾**﴾ [الأنعام : ٤١] يَقُولُ – تَعَالَى ذِكْرُهُ – مُكَذِّبًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ : مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ بِمُسْتَجِيرِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ وَصَنَمٍ ؛ بَلْ تَدْعُونَ هُنَاكَ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبِهِ تَسْتَغِيثُونَ وَإِلَيْهِ تَفْزَعُونَ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ ﴿**فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ**﴾ [الأنعام : ٤١] يَقُولُ : فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ ، وَتَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ بِكُمْ إِنْ شَاءَ أَنْ يُفَرِّجَ ذَلِكَ عَنْكُمْ ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ مَا تَدْعُونَهُ إِلَهًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ﴿**وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام : ٤١] يَقُولُ : وَتَنْسَوْنَ حِينَ يَأْتِيكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا مَا تُشْرِكُونَهُ مَعَ اللَّهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ فَتَجْعَلُونَهُ لَهُ نِدًّا مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَدْعُونَهُ إِلَهًا !! " .



مَا السِّرُّ وَرَاءَ خَلْقِ الإِنْسَانِ وَفَرْضِ العِبَادَةِ عَلَيْهِ ، ومُسَاءَلَتِهِ ومُجَازَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ مَا دَامَ أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِيْنَ ؟

لَقَدْ أَبْدَعَ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّمِ فِي حَدِيْثِهِ عَنْ هَذِهِ المَسْأَلَةِ ؛ حَيْثُ قَالَ فِي " شِفَاءِ العَلِيْلِ " :

" إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَبْرَزَ خَلْقَهُ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ ؛ لِيُجْرِيَ عَلَيْهِ أَحْكَامَ أَسْمَائِهِ وصفَاتِهِ ، فيَظْهَرَ كَمَالُهُ المُقَدَّسُ ، وإِنْ كَانَ لَمْ يَزَلْ كَامِلًا ؛ فَمِنْ كَمَالِهِ : ظُهُورُ آثارِ كَمَالِهِ فِي خَلْقِهِ وأَمْرِهِ ، وقَضَائِهِ وقَدَرِهِ ، وَوَعْدِهِ ووعِيْدِهِ ، ومَنْعِهِ وإعطائِهِ ، وإكرامِهِ وإهانتِهِ ، وعدلِهِ وفضْلِهِ ، وعفْوِهِ وإنْعَامِهِ ، وَسَعَةِ حِلْمِهِ وشِدَّةِ بَطْشِهِ ، وَقَدِ اقْتَضَى كَمَالُهُ المُقَدَّسُ سُبْحَانَهُ أنهُ كلَّ يوم هوَ في شأنٍ ؛ فَمِنْ جُمْلَةِ شُئُونهِ : أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا ، ويُفَرِّجَ كَرْبًا ، ويشْفِيَ مَرِيْضًا ، ويَفُكَّ عَانِيًا ، وينْصُرَ مظْلُومًا ، ويُغِيْثَ مَلْهُوفًا ، ويَجْبُرَ كَسِيْرًا ، ويُغْنِيَ فَقِيْرًا ، ويُجِيْبَ دَعْوَةً ، ويُقِيْلَ عَثْرَةً ، ويُعِزَّ ذليلًا ، ويُذِلَّ مُتَكَبِّرًا ، ويَقْصِمَ جَبَّارًا ، ويُمِيْتَ ويُحْيِيَ ، ويُضْحِكَ ويُبْكِيَ ، ويَخْفِضَ ويَرْفَعَ ، ويُعْطِيَ ويَمْنَعَ ، ويُرْسِلَ رُسُلَهُ مِنْ المَلائِكَةِ ومِنَ البَشَرِ فِي تنْفِيْذِ أوامرهِ ، وسَوْقِ مَقَاديرِهِ التِي قدَّرهَا ، إِلَى مَوَاقِيْتِهَا التِي وَقَّتَهَا لَهَا ، وهَذَا كُلُّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَحْصُلَ فِي ذَاتِ البَقَاءِ ، وإِنَّمَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ

البَالِغَةُ حُصُولُهُ في دارِ الامْتِحَانِ والابتلاءِ .

● **يُوَضِّحُهُ** : أَنَّ كَمَالَ مُلْكِهِ التَّام اقْتَضَى كَمَالَ تَصرُّفِهِ فِيْهِ بِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفِ ، ولِهَذَا جَعَلَ اللهُ سبْحَانَهُ الدُّورَ ثَلاثَةً : دَارًا أَخْلَصَهَا للنَّعِيْمِ واللَّذَّةِ والبهْجَةِ والسُّرُورِ ، ودَارًا أَخْلَصَهَا للأَلَمِ والنَّصْبِ وَأَنْوَاعِ البَلاءِ والشُّرُورِ ، ودَارًا خَلَطَ خَيْرَهَا بِشَرِّها، وَمَزَجَ نَعِيْمَها بِشَقَائِهَا ، ومَزَجَ لذَّتَهَا بِأَلَمِهَا يَلْتَقِيَانِ ويُطَالِبَانِ ، وجَعَلَ عِمَارَةَ تَيْنَكَ الدَّارَيْنِ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ ، وأَجْرَى أَحْكَامَهُ عَلَى خَلْقَهُ ، فِي الدُّورِ الثَّلاثَةِ ، بِمُقْتَضَى رُبُوبِيَّتَهُ وإِلَهِيَّتَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَعَدْلَهُ وَرَحْمَتَهُ ؛ فَلَوْ أَسْكَنَهُمْ كُلَّهُم دَارَ البَقَاءِ مِنْ حِيْنِ أَوْجَدَهُمْ ؛ لَتَعَطَّلَتْ أَحْكَامُ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَلَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهَا آثَارُهَا .

● **يُوَضِّحُهُ** : أَنَّ يَوْمَ المَعَادِ الأَكْبَرِ يَوْمٌ مُظْهِرُ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ وَأَحْكَامِهَا ، ولِهَذَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر : ١٦] ، وقَالَ : ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان : ٢٦] ، وَقَالَ : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الإنفطار : ١٩] ، حتَّى إِنَّ اللَّه سبْحَانَهُ لَيَتَعَرَّفُ إلى عبادِهِ ذَلِكَ اليَوْمَ بِأَسْمَاءِ وَصِفَاتِ ، لَمْ يَعْرِفُوهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ ؛ فَهُوَ يَوْمُ ظُهُورِ المَمْلَكَةِ العُظْمَى والأَسْمَاءِ الحُسْنَى وَالصِّفَاتِ العُلَى .

فَتَأَمَّلْ ! مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ ورَسُولُهُ مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ اليَوْمِ وأَحْكَامِهِ ، وَظُهُورِ عِزَّتِهِ - تَعَالَى - وعظمَتِهِ وعَدْلِهِ وفَضْلِهِ ورَحْمَتِهِ وآثَارِ صِفَاتِهِ المُقَدَّسَةِ التِي لَوْ خُلِقُوا في دَارِ البَقَاءِ ، لَتَعَطَّلَتْ ، وكَمَالُهُ سبْحَانَهُ يَنْفِي ذَلِكَ ، وَهَذَا دَلِيْلٌ مُسْتَقِلٌّ لِمَنْ عَرَفَ اللَّهَ - تَعَالَى - وأَسْمَاءَهُ وصَفَاتِهِ ، عَلَى وُقُوعِ المَعَادِ ، وصِدْقِ الرُّسُلِ فِيْمَا أُخْبِرُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ

عَنْهُ ؛ فَيُطَابِقُ دَلِيْلَ العَقْلِ وَدَلِيْلَ السَّمْعِ عَلَى وقُوعِهِ " .

● **وَقَالَ** : " إنَّ اللهَ سبْحَانَهُ يُحِبُّ أنْ يُعْبَدَ بأنواعِ التَّعبُّدَاتِ كلِّها ، ولا يَلِيْقُ ذَلِكَ إلاَّ بِعَظَمَتِهِ وجَلالِهِ ، ولا يَحْسُنُ ، ولا يَنْبَغِي إلاَّ لَهُ وَحْدَهُ ، ومِنَ المَعْلُومِ أن أنْوَاعَ التَّعَبُّدِ الحَاصِلَةِ في دَارِ الابْتِلاءِ والامْتِحَانِ لا يَكُونُ فِي دَارِ المُجَازَاةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدَّارِ بَعْضُ المُجَازَاةِ ، وكَمَالُهَا وَتَمَامُهَا ؛ إنَّمَا هُوَ في تِلْكَ الدَّارِ ، ولَيْسَتْ دَارَ عَمَلٍ ، وإنَّمَا هِي دَارُ جَزَاءٍ وَثَوَابٍ أَوْجَبَ كَمَالُهُ المُقَدَّسُ أَنْ يَجْزِيَ فِيْهَا الذِيْنَ أَسَاؤُا بِمَا عَمَلُوا ويَجْزِيَ الذِيْنَ أحْسَنُوا بِالحُسْنَى ؛ فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ دَارٍ تَقَعُ فِيْهَا الإسَاءَةُ والإحْسَانُ ، ويَجْرِي عَلَى أَهْلِهَا أَحْكَامُ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ ، ثُمَّ يُعْقِبُهَا دَارًا يُجَازِي فِيْهَا المُحْسِنَ والمُسِيءَ ، ويُجْرِي عَلَى أَهْلِهَا فِيْهَا أَحْكَامَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ ؛ فَتَعْطِيْلُ أسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ مُمْتَنِعٌ ومُسْتَحِيْلٌ ، وهُوَ تَعْطِيْلٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَعِزِّهِ وحِكْمَتِهِ ؛ فَمَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الفِقْهِ في أَحْكَامِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ ، وعَلِمَ اخْتِصَاصَهَا لآثَارِهَا ومُتَعَلِّقَاتِهَا ، واسْتِحَالَةَ تَعْطِيْلِهَا ، عَلِمَ أَنَّ الأَمْرَ ؛ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وأَنَّهُ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، ولا يَنْبَغِي لَهُ غَيْرُهُ ، وأَنَّهُ يُنَزَّهُ عَنْ خِلافِ ذَلِكَ ؛ كَمَا يُنَزَّهُ عن سَائِرِ العُيُوبِ والنَّقَائِصِ ، وهَذَا بَابٌ عَزِيْزٌ مِنْ أَبْوَابِ الإِيْمَانِ ؛ فَيَفْتَحُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ من عبادِهِ ، ويَحْرِمُهُ مَنْ يَشَاءُ " . انتَهَى .

وبهَذَا الجَوابِ البَاهِرِ المَاتِعِ مِنَ العَلاَّمَةِ ابْنِ القَيِّم – طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهُ – نَتَبَيَّنُ (جَمِيْعًا) أَنَّ اللهَ خَلْقَ الخَيْرِ والشَّرِّ ، والجَنَّةَ والنَّارَ ، والثَّوابَ والعِقَابَ ؛ لِتُرَى وتَظْهَرَ آثَارُ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى، وصِفَاتِهِ العُلا .

واللهُ – تَعَالَى – مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الكَمَالِ ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ والعُيُوبِ ؛ فلابُدَّ أَنْ يكُونَ الإِلَهُ خَالِقًا ، وَرَازِقًا ، وَقَدِيْرًا ، وَحكِيْمًا ، وَمُدَبِّرًا ، وَقَهَّارًا ، وَجَبَّارًا ، وَقَوِيًّا ، إِلَى غَيْرِ هَذِهِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ التِي أَخْبَرَنَا اللهُ – تَعَالَى – بِهَا عَنْ نَفْسِهِ .

ومِنْ حَقِّهِ عَلَيْنَا – وَقَدْ خَلَقَنَا مِنْ عَدَم ، وأَوْجَدَنَا في هذهِ الحَيَاةِ وَلَمْ نَكُ شَيْئًا قَبْلَ ذَلِك – : أَنْ نَعْبُدَهُ ، وَأَنْ نُطِيْعَهُ ، وَأَنْ نُحِبَّهُ ، وَأَنْ نَشْكُرَهُ ، وأَنْ نَذِلَّ لَهُ ، وأَنْ نَلْجأ إِلَيْهِ ، وَأَنْ نُظْهِرَ فَقْرَنَا وحَاجَتَنَا إِلَيْهِ ، وقَدْ سَخَّر لنَا كُلَّ شيءٍ ، وأَكْرَمَنَا عَلَى جمِيْع المخْلُوقاتِ ؛ فقَال – تَعَالَى – : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، وقَالَ : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [التين : ٤] .

أَلاَ يَسْتَحِقُّ مِنَّا هذَا الإِلهُ العَظِيْمُ أَنْ نعْبُدَهُ ؟ وأنْ نَشْكُرَهُ ؟ وأنْ نطيْعَهُ ؟ وأنْ نُوَقِّرَهُ وَنُقَدِّرَهُ ؟

● قَالَ – تعَالَى – : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر : ١٥] .

● وقَالَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة : ٢١] .

● واللهُ يُذَكِّرُكَ بِنَفْسِكَ حَتَّى لا تَغْتَرَّ ؛ فَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار : ٦- ١٢] .

● وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس : ١٧- ٢٣] .

ثمَّ إنَّكَ بِهَذِهِ العِبَادَةِ لِرَبِّكَ تُغَذِّي رُوحَكَ وَقَلْبَكَ وَبَدَنَكَ ؛ فَالحَيَاةُ بَعِيْدًا عَنِ اللهِ ضَنْكٌ وَضِيْقٌ وَشَقَاءٌ ، وهَذَا الأَمْرُ يَلْمَسُهُ هَؤُلاءِ الذِيْنَ غَرِقُوا فِي المادِّيَّاتِ والشَّهَوَاتِ والمحَرَّمَاتِ .

فالحَيَاةُ مَعَ اللهِ مُتْعَةٌ حَقِيْقِيَّةٌ ، وغِذَاءٌ للرُّوحِ والبَدَنِ معًا ؛ كَمَا بيَّنَ اللهُ ذلِكَ في كِتَابِهِ ؛ فَقَالَ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشُّورى : ٥٢] .

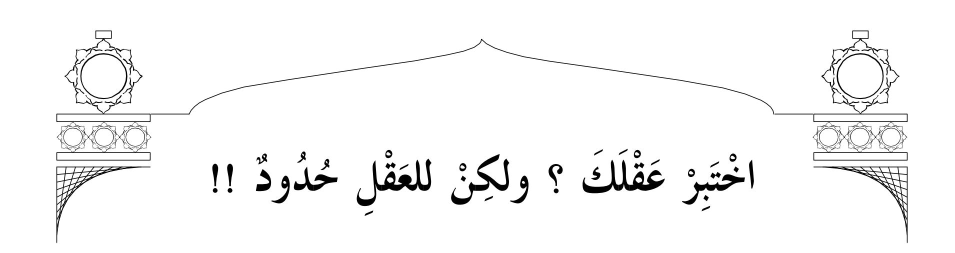
ثُمَّ إنَّكَ بهذهِ العبادةِ لربِّكَ تَشْعُرُ بِالفَخْرِ والعِزَّةِ ، والشَّرفِ والكَرَامَةِ ؛ فربُّكَ هُوَ القادِرُ ، الخالقُ ، بِيَدِهِ الأُمُورُ كُلُّهَا ، وإلَيْهِ المنْتَهَى ، خَزَائِنُهُ مَلأَى ، كريْمٌ ، غنيٌّ ، شكُورٌ ، رحيْمٌ ، عزيزٌ ، قويٌّ ، متيْنٌ ، فعالٌ لما يريدُ ؛ فَمَنْ مِثْلُهُ ؟ ومَنْ فَوْقَهُ ؟ ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزُّمَرُ : ٤] .

وإنَّكَ – كَذَلِكَ – بِهَذِهِ العِبَادَةِ تَنَالُ رِضَا اللهِ والجَنَّةَ ، وتَحْصُلُ عَلَى السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ ، والنَّعِيْمِ المُقِيْمِ ، وتَنْجُو مِنْ العَذَابِ الأليمِ ، والعقابِ الشَّديدِ في الآخرةِ ، وهَذَا حقُّهُ – تَعَالَى – ، ولا غَضَاضَةَ فيْهِ عَلَى الإطْلاقِ ، والعَقْلُ يَقْبَلُهُ ، وهَذَا نَلْمَسُهُ في حَيَاتِنَا ؛ فالوالدُ الذي لَهُ أولادٌ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَوْلادَهُ بَيْنَ يدَيْهِ مُتَمَيِّزِيْنَ ، مُطِيْعِيْنَ لَهُ ، غَيْرَ عَاقِّيْنَ ولا عَاصِيْنَ ، ثمَّ إنَّكَ تَرَاهُ يُحِبُّ المطيعَ مِنْهُم ، ويَكْرَهُ

العَاصِي ، المتَمَرِّدَ عَلَيْهِ مِنْ أولادهِ ، ويُكْرِمُ هَذَا لأَدَبِهِ وطَاعَتِهِ ، ويمْنَعُ ذَاكَ لِعُقُوقِهِ ومخَالَفَتِهِ ؛ أَأَحَدٌ يُعَاتِبُ الوَالِدَ عَلَى صَنِيْعِهِ هَذَا مَعَ أَوْلادِهِ ؟ فالسُّؤَالُ : أَنُجِيْزُ هَذَا ؛ بَلْ ونُوجِبُهُ في حَقِّ المَخْلُوقِيْنَ ، ونَمْنَعُهُ في حَقِّ خَالِقِ جميعِ العالمين ؟!! ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النَّجمُ : ٢٢] .

فَلأجْلِ هَذَا كُلِّهِ ، أَوْجَدَنَا رَبُّنَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ ، وسَخَّرَ لنَا كُلَّ شيءٍ ؛ فقَدْ وُجِدَ الكَوْنُ - أوَّلًا - قبْلَ أنْ يُخْلَقَ الإنْسَانُ ؛ فكانتْ هناكَ سماءٌ ، وأرضٌ ، وجبالٌ ، وشمسٌ ، وقمرٌ ، وليْلٌ ، ونهارٌ ، وهواءٌ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرةُ : ٢٩] ، وبَعْدَ كلِّ هذِهِ النِّعَمِ العظيْمةِ ، والمِنَنِ الجَسِيْمَةِ ، أَمَرَنَا أَنْ نُوَحِّدَهُ ولا نُشْرِكَ بِهِ شيئًا ، وهُوَ الغَنِيُّ عنَّا ، لا يَحْتَاجُ إِلَى عِبَادَتِنَا ولا طَاعَتِنَا ، ولكنَّهُ سبْحَانَهُ قَدْ أَمَرَنَا بِذَلِكَ ؛ مُنْفَعَةً لنَا نَحْنُ - كَمَا قُلْنَا - ، ثمَّ بَعْدَ هَذَا الامتِحَانِ في دارِ الابتلاءِ : ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٩] ، وبَعْدَ ذلِكَ في دَارِ الجزاءِ : ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النَّجمُ : ٣١] ؛ فيُدْخِلَ المؤمِنِيْنَ الجنَّةَ ؛ إحسَانًا وامْتِنَانًا ، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسانُ : ٣١] .

❁ ❁ ❁



اخْتبَرْ عَقْلَكَ ؟ ولكِنْ للعَقْلِ حُدُودٌ !!

فَلا يَنْبَغِي أَنْ يَتَجَاوزَ عقلُكَ حَدَّهُ وقَدْرَهُ .

- **فَهَلْ تَبْصِرُ بِبَصَرِكَ كُلَّ شَيءٍ ؟!**
- **وَهَلْ تُدْرِكُ بِسَمْعِكَ كُلَّ شَيءٍ ؟!**

فكَذَلِكَ عَقْلُكَ لا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَصِلَ بِهِ إِلَى كُلِّ شَيءٍ . ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨] ، و (خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ) . كما قال ﷺ .

لَكِنْ لَوْ سَأَلْتَ نَفْسَكَ ، وَأَعْمَلْتَ عقْلَكَ ، وَأَخَذَ بِكَ تَفْكِيْرُكَ (يومًا) في هَذِهِ الأُمُورِ الآتِيَةِ ، وَقُلْتَ - مَثَلًا - شَاكًّا ، أو : (مُتَرَدِّدًا !!) :

● **كَيْفَ يُعَذَّبُ إِبْلِيْسُ بالنارِ ، وهو مَخْلُوقٌ مِنَ النَّار ؟ والجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ سَهْلٌ ويَسْيْرٌ (أيها العاقلُ اللبيبُ ، والفطنُ الأريبُ) ؛ فيقالُ لك – بكلِّ سلاسةِ ووضوحٍ** – : إنَّ الإنسانَ مَخْلُوقٌ من صلصالٍ (كالفخَّار) ، ولَو ضُرب بالصلصالِ لقَتَلَهُ ؛ فكذلك إبليسُ – لعنهُ الله – يُعَذَّبُ بالنَّار (هُوَ وَذريتُه) ، وَإِن كَانَ مخلوقًا مِنْ نَارٍ ؛ قاله ابنُ تيمية ؛ كما في " المستدرِك على مجموع الفتاوى " .

● وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا جَعْفَرٍ الْهَمَذَانِيَّ

حَضَرَ مَجْلِسَ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ (الْمَعْرُوفِ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ) ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي نَفْيِ صِفَةِ الْعُلُوِّ ، وَيَقُولُ : كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشَ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ ! فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ : أَخْبِرْنَا يَا أُسْتَاذُ عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا ؟ فَإِنَّهُ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ : يَا اللَّهُ ، إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ الْعُلُوَّ ، لَا يَلْتَفِتُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً ؛ فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ أَنْفُسِنَا ؟ قَالَ : فَلَطَمَ أَبُو الْمَعَالِي عَلَى رَأْسِهِ وَنَزَلَ ! وَأَظُنُّهُ قَالَ : وَبَكَى ! وَقَالَ : حَيَّرَنِي الْهَمَذَانِيُّ حَيَّرَنِي ! أَرَادَ الشَّيْخُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ ، يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ طَلَبًا ضَرُورِيًّا يَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ وَيَطْلُبُهُ فِي الْعُلُوِّ .

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : ٥] . ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل : ٥٠] . ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام : ١٨] . ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر : ١٠] .

● وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلْقَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (المعتزليُّ !!) ؛ فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُسْرَقَ نَاقَتُهُ فَسُرِقَتْ ، فَارْدُدْهَا عَلَيْهِ ! فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا حَاجَةَ لِي فِي دُعَائِكَ ! قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَخَافُ - كَمَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ - أَنْ يُرِيدَ رَدَّهَا فَلَا تُرَدُّ !!.

(وفي روايةٍ : جاء أعرابيٌّ إلى (عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الْمُعْتَزِلِيِّ !! وَأَحْدِ رُؤُوسِ أَهْلِ البِدَعِ) ، وقال : ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ حِمَارَةً سُرِقَتِ مِنِّي ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! إنَّ حِمَارَتَهُ سُرقتْ ولم تُرِدْ سَرِقَتَهَا ؛ فارْدُدْهَا عليه ؛ فقال الأعْرَابيُّ : يا هَذَا! كُفَّ عنِّي دعاءَكَ الخَبِيْثَ ؛

فإنه إن كانت سُرقتْ ولم يُرِدْ سرقتها ؛ فقد يُرِيدُ ردَّها ؛ فلا تُرَدُّ !!) .

● **قَالَ المَاوَرْدِيُّ** : " مِنَ الأَجْوِبَةِ المُسْكِتَةِ ؛ أَنَّ إِبْلِيْسَ ظَهَرَ لِعِيْسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ؛ فَقَالَ : أَلَسْتَ تَقُولُ : إِنَّهُ لَنْ يُصِيْبَكَ إِلَّا مَا كتَبَهُ اللهُ لَكَ وَعَلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَارْمِ بِنَفْسِكَ مِنْ ذِرْوَةِ الجَبَلِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ لَكَ السَّلاَمَةُ سَلِمْتَ ! قَالَ : يَا مَلْعُونُ ! إِنَّ للهِ تَعَالَى أَنْ يَخْتَبِرَ عِبَادَهُ ، وَلَيْسَ للعَبْدِ أَنْ يَخْتَبِرَ رَبَّهُ " . (" فَيْضُ القَدِيْرِ " للمُنَاوِي ") .

● **وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عِصَامٍ – الْقَسْطَلَّانِيِّ –** : " أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى وَأَوْرَدَنِي الضَّلَالَ ثُمَّ عَذَّبَنِي ، أَيَكُونُ مُنْصِفًا ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عِصَامٍ : إِنْ يَكُنِ الْهُدَى شَيْئًا هُوَ لَهُ ؛ فَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَمْنَعَهُ مَنْ يَشَاءُ " . ("شرح الطحاوية") .

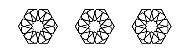
● **ولمَّا تنَاظَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الإِسْفَرَائِيْنِيُّ مَعَ (عَبْدِ الجَبَّار المُعْتَزِلِيِّ !!)** ، قَالَ عَبْدُ الجَبَّار : سُبْحَانَ من تنَزَّهَ عنِ الفَحْشَاءِ ! – وَقَصْدُهُ : أَنَّ المَعَاصِي كَالسَّرِقَةِ والزِّنَا بِمَشِيْئَةِ العَبْدِ دُون مَشِيْئَةِ اللهِ ؛ لأنَّ اللهَ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَشَاءَ القَبَائِحَ في زَعْمِهِمْ – ؛ فَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : كَلِمَةُ حَقٍّ أُريدَ بِهَا بَاطِلٌ ، ثُمَّ قَالَ : سبحانَ من لا يقع في مُلْكِهِ إلا ما يَشَاءُ ! فَقَالَ عَبْدُ الجَبَّارِ : أتراه يخلُقُهُ ويعاقِبُنِي عليهِ ؟! فقال أبو إسحاقَ : أتراك تفعله جَبْرًا عليه ؟ أي : أَأَنْتَ الرَّبُّ وَهُوَ العَبْدُ ؟! فقال عَبْدُ الجبَّارِ : أرَأَيْتَ إِنْ دَعَانِي إِلَى الهُدَى ، وَقَضَى عَلَيَّ بالرَّدَى ، أتراه أَحْسَنَ إليَّ أم أساء ؟! فقال أبو إِسْحَاقَ : إن كان الذي منعك منه مِلْكًا لَكَ فقد أَسَاءَ ، وإن كَانَ لَهُ ؛ فَإِنْ أَعْطَاكَ فَفَضْلٌ ، وَإِنْ مَنَعَكَ فَعَدْلٌ . (" دَفْعُ إِيْهَامِ الاضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ

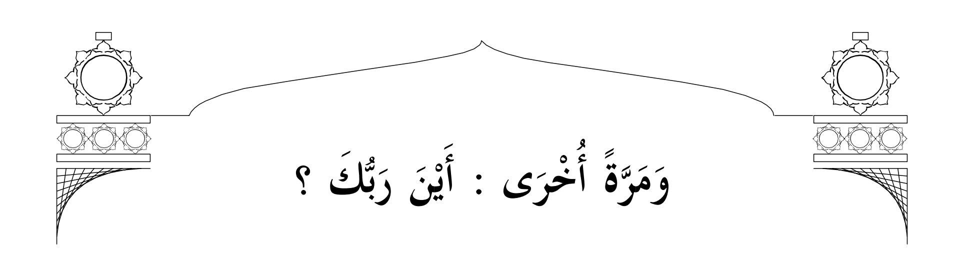
الكِتَابِ " للشِّنْقِيْطِيِّ) .

يَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة : ١٣] . ويقولُ : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وَيَقُولُ : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان : ٣٠] .

أَرَأَيْتَ (أَيُّهَا الإِنْسَانُ) ظُهُورَ الحَقِّ بِحَقٍّ وَعَدْلٍ (فِي مَسَائِلِ القَدَرِ ، والهِدَايةِ ، والإرادةِ ، والعُلُوِّ ، ومَا شَابَهَ مِنْ أُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِرَبِّكَ - جَلَّ في عَلْيَائِهِ -) ؟ فَمَا الذِي دَهَاكَ ؟! ومَا الذِي بَلَغَ بِكَ ؟!





وَمَرَّةً أُخْرَى : أَيْنَ رَبُّكَ ؟

س : وكأنِّي بِكَ وأَنْتَ تَقُولُ : وهَلْ رأَيْتَهُ ؟ ولِمَاذَا لا نَرَاهُ ؟

ج : **والجوابُ** : أنَّ اللهَ – تَعَالَى – لا يُرَى في الدُّنْيَا ، وإنَّمَا يُرَى في الآخِرَةِ ؛ فَيَرَاهُ المُؤْمِنُونَ المُصَدِّقُونَ ، ولا يَرَاهُ الكافِرُون ، والمُلْحِدُون !! ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين : ١٥] .

س : ولمَاذَا لا نَرَاهُ في الدُّنْيا ؟

ج : **والجَوَابُ** : لِيَكُونَ ذَلِكَ ؛ اخْتِبَارًا وامْتِحَانًا (وفِتْنَةً) للخَلْقِ ؛ لِيَتَمَيَّزَ المُصَدِّقُ مِنَ المُكَذِّبِ ، والمُؤْمِنُ مِنَ الكَافِرِ . وكُلٌّ يَأْخُذُ جَزَاءَهُ يَوْمَ الجَزَاءِ والحِسَابِ .

فالمؤمِنُونَ (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) ، والكافرُ (المُلْحِدُ) لا يُؤْمِنُ إلا بالحِسِّياتِ ، أو : (المَحْسُوسَاتِ) ، والمَرْئِيَّاتِ (التِي تَرَاهَا العَيْنُ) فَقَطْ !! فَكُلُّ ما لا يَرَاهُ بعينهِ ؛ فليس حقيقةً عِنْدَهُ ؛ كالرُّوحِ – مثلًا – لا يؤمنونَ بوجودِهَا ؛ لأنها لا تُرَى[1] ، ولا يؤمنُونَ بالجنِّ ولا الملائِكَةِ ؛ لكنْ يا تُرَى : هل يؤمِنُ (المُلْحِدُ) بوجودٍ (عَقْلٍ) فيهِ ، وهو لا يَرَاهُ ؟!! فالعَقْلُ (هُوَ الآخَرُ) لا يُرَى ؛ فكيفَ آمَنَ بهِ ، وهو

---

(١) وهم يَعْلَمُون أَنَّهُم كَاذِبُون فِي ذَلِكَ !!

مِنَ الأشياءِ التي لا تُرَى ؟! وهلْ يؤمنُ بوجودِ (تيَّارٍ كهْرُبائيٍّ) يُضِيءُ المَصَابيحَ ، وهو لا يُرَى ؟! فإنْ آمَنَ بِهَذَا ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِذَاك ؛ قُلْنَا – إِذَنْ – : ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ !!

فأيْنَ عُقُولُ القَوْمِ ؟! أينَ راحتْ ؟! وأينَ ذهبتْ ؟! ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة : ٨٧] . ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

فَالهَوَاءُ – كَذَلِكَ – لا نَرَاهُ ؛ لَكِنَّنَا مُوقِنُونَ بِوجُودِهِ ، والجَاذِبِيَّةُ لا نَرَاهَا ؛ لَكِنَّنَا نَرَى آثَارَهَا ؛ فَهِي مَوْجُودَةٌ كَذَلِك ، والألَمُ والوَجَعُ الذي في الجُرْحِ لا نَرَاهُ ، وَنَحْنُ نُحِسُّ بهِ ، والحُبُّ والكُرْهُ . . والنَّشَاطُ والكَسَلُ ، والنَّوْمُ والنُّعاسُ ، وهَكَذَا ؛ فكلُّ هذه الأشياءِ لا تُرَى ، وإنَّما تُرَى آثَارُهَا .

ومَنْ يُخَالِفُ في هَذَا ؛ فإنَّهُ يُخَالِفُ الحَقَائِقَ العِلْمِيَّةَ الثَّابتةَ ، وقَائِلُ هَذَا فَاسِدُ العَقْلِ تَمَامًا ، لا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَهُ في مَا يَدَّعِي ويَزْعُمُ إلاَّ مجْنُونٌ ومخْبُولٌ !!

● **قِيْلَ لأَعْرَابِيٍّ** ؛ كَيْفَ تَعْبُدُ رَبًّا لا تَرَاهُ ؟! فَقَالَ : أحْيَا بالهَواءِ ولا أَرَاهُ . . أفَلا أَعْبُدُ الذِي خَلَقَهُ وإن لَمْ أَكُنْ أَرَاهُ ؟!

إذنْ ؛ فَهُنَاكَ أشْيَاءُ كثيرةٌ لا تُرَى فِي الكَوْنِ ، وهي مَوجُودَةٌ ، ونُؤْمِنُ بِهَا . والعَجَبُ أَنَّنِي سَمِعْتُ مُلْحِدًا يَقُولُ لي : أَنَا أَسْتَطِيْعُ أنْ أَرَى العَقْلَ ! وذَلِك إذَا فُتِحَ الرَأْسُ أو صَوَّرَتْهُ الأشِعَّةُ سَوْفَ أَرَاهُ !!

فانْظُرْ إلَى هَذَا العَجَبِ العُجَابِ ؟! وسَلْ ربَّك السَّلامةَ والعَافِيَةَ ؟

فَمَنْ قَالَ لَهُ : إنَّ العَقْلَ في الرَّأسِ[1] ؟!! ولوْ فُرِضَ جدَلًا أَنَّ

(١) اخْتَلَفُوا فِي مَحَلِّهِ ؛ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ : مَحَلُّهُ الدِّمَاغُ ؛ لِأَنَّ الدِّمَاغَ مَحَلُّ الْحِسِّ .
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ : مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَعْدِنُ الْحَيَاةِ وَمَادَّةُ الْحَوَاسِّ . . وَكُلُّ مَنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا أَثْبَتَ مَحَلَّهُ فِي الْقَلْبِ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ الْعُلُومِ كُلِّهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج : ٤٦] .
فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَمْرَيْنِ :
أَحَدِهِمَا : أَنَّ الْعَقْلَ عِلْمٌ .
وَالثَّانِي : أَنَّ مَحَلَّهُ الْقَلْبُ.
وَفِي قَوْله تَعَالَى : ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] ، تَأْوِيلَانِ : أَحَدُهُمَا : يَعْلَمُونَ بِهَا ، وَالثَّانِي : يَعْتَبِرُونَ بِهَا.
(" أدب الدنيا والدين" – للمَاوَرْدِيِّ – ص : ١٩ و ٢٠) .
وقَالَ العَلاَّمَةُ الشِّنْقِيْطِيُّ فِي " أضواء البيان " (٥/٢٧٥) :
" وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَحَلَّ الْعَقْلِ : فِي الْقَلْبِ ، وَمَحَلَّ السَّمْعِ : فِي الْأُذُنِ ؛ فَمَا يَزْعُمُهُ الْفَلَاسِفَةُ مِنْ أَنَّ مَحَلَّ الْعَقْلِ الدِّمَاغُ بَاطِلٌ ، كَمَا أَوْضَحْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَقْلَ لَا مَرْكَزَ لَهُ أَصْلًا فِي الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهُ زَمَانِيٌّ فَقَطْ لَا مَكَانِيٌّ ؛ فَهُوَ فِي غَايَةِ السُّقُوطِ وَالْبُطْلَانِ كَمَا تَرَى " .
وقال العلامةُ العُثَيْمِيْنُ فِي " شَرْحِ رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ " (١/٣٤١ و ٣٤٢) :
"هذه مسألةٌ أُشْكِلَتْ عَلَى كَثِيْرٍ من النُّظَّارِ الذين ينظرون إلى الأُمُورِ نَظْرَةً ماديَّةً لا يَرْجِعُون فِيْهَا إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى وقوْلِ رسُولِهِ ﷺ .
وإلاَّ ؛ فالحقيقة أنَّ الأَمْرَ فيها واضحٌ أنَّ العقلَ في القَلْبِ ، وأنَّ القَلْبَ =

. . . .

= في الصَّدْرِ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] ، وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ، ولم يَقُلْ: القُلُوبُ التِي في الأَدْمِغَةِ ؛ قال: ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ؛ فالأمر فيه واضحٌ (جدًّا) أَنَّ العَقْلَ يَكُونُ فِي القَلْبِ ، ويؤيد هذا: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: " **ألاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألاَ وَهِي القَلْبُ** " ؛ فما بالُك بِأَمْرٍ شَهِدَ بِهِ كِتَابُ اللهِ ، واللهُ - تَعَالَى - هو الخَالِقُ العَالِمُ بِكُلِّ شيءٍ ، وشهدت به سنةُ الرَّسُولِ ﷺ !

إنَّ الواجب علينا إِزَاءَ ذَلِك أَنْ نَطْرَحَ كُلَّ قولٍ يُخَالِفُ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى ، وَسُنَّةَ رَسُولهِ ﷺ ، وأَنْ نجْعَلَهُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا ، وأن لا نرفع به رأسًا .

إذَنْ ؛ القَلْبُ هُوَ مَحَلُّ العقل - ولاشك - ، ولكِنَّ الدِّمَاغَ محَلُّ التَّصَوُّرِ ، ثم إذا تصورها وجَهَّزَهَا بَعَثَ بِهَا إلى القلب ، ثم القَلْب يأْمُر أَوْ يَنْهى ؛ فكأن الدماغ (سكرتير) يجهز الأشياء ، ثم يدفعها إلي القلب ، ثم القلب يوجه ، يأمر أو ينهي ، وهذا ليس بغريبٍ ، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] " .

● **وقال - في موضعٍ آخرَ - (٢/ ٥٧٣) :**

" وفي قَوْلِهِ: " التَّقْوَى هَا هُنَا " وإشارتُهُ عَلَى صَدْرِهِ ؛ دليلٌ على أنَّ العَقْلَ في القلب الذِي في الصَّدْرِ ، وهذا هو المُطَابِقُ للقرآن - تمامًا - ؛ قال اللهُ - تَعَالَى - : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: ٤٦] ؛ فقال: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ، ثم قال: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ .

وليس القُلْبُ هُوَ المُخَّ ؛ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الجُهَّالِ ؛ فالعَقْلُ في القَلْب . ولكِنَّ المخَّ لا شك أن له أثرًا في أعمال العبد ، في حركاته ، وفي سكناته ؛ لكنهم قالوا: إنَّ المُخَّ مِثْلُ الخَادِمِ ، يُهَيِّئُ الأشياء ويطبخها ، ثم يبعث بها إلي القلب ، ثُمَّ يُصْدِرُ القَلْبُ الأَوَامِرَ عَلَى المُخِّ مِنْ أَجْلِ أَنَّ المُخَّ يُدَبِّرُ الأعصابَ =

العَقْلَ في الرَّأسِ ؛ فَخَبِّرْني وقُلْ لِي : مَنِ الذِي رَآهُ (قَبْلَ ذَلِك) بالأشِعَّةِ أو بِفَتْحِ الرَّأْسِ ؟!! ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة : ١١١] .

ومَاذَا كَانَ يَفْعَلُ القُدَمَاءُ الأوَّلُونَ الذِيْنَ لم يكُونُوا قَدِ اكْتَشَفُوا هَذَا الاكْتِشَافَ المُذْهِلَ العَجِيْبَ ؟!! هَلْ كَانُوا يُصَدِّقونَ بوجُودِ العَقْلِ في الإنْسَانِ ، وهُمْ لَمْ يَرَوْهُ - بَعْدُ - أَمَّ مَاذَا ؟!

إنَّ العَقْلَ مِيْزَةٌ مَيَّزَ اللهُ - تَعَالَى - بِهِ الإِنْسَانَ ، وامْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِ دُونَ سَائِرِ المخْلُوقَاتِ . ثُمَّ مَنِ ادَّعى أنَّ العَقْلَ هُوَ المُخُّ ؛ فَهَذِهِ مِنَ المُغَالَطَاتِ المُنْكَرَةِ الكَبِيْرَةِ ؛ لأَنَّ المُخَّ مَوْجُودٌ فِي الطُّيُورِ والحَيَوَانَاتِ أَيْضًا ؛ فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ الحَيوانَاتِ والإِنْسَانِ ؟!! فَالفَرْقُ هُوَ أنَّ اللهَ أَعْطَى الإنْسَانَ نِعْمَةَ العَقْلِ دُونَ سَائِرِ الحَيَوانَاتِ .

ثُمَّ إِنَّ مُخَّ الأَبْلَهِ والمَجْنُونِ كَمُخِّ الإِنْسَانِ العَاقِلِ فِي عِلْمِ التَّشْرِيْحِ ، وَلَيْسَ كَعَقْلِهِ ؛ فَالمُخُّ يُرَى ؛ لأَنَّهُ مَادِيٌّ فِي الحَيَوانِ والإِنْسَانِ وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الأَحْجَامُ مِنْ مَخْلُوقٍ لآخَرَ ؛ فهَلْ سَيُؤْمِنُ المُلْحِدُ بِمَا يَقُولُهُ لَهُ العِلْمُ الحَدِيْثُ ؟ أَمْ سَيُخَالِفُهُمْ فِي ذَلِك ؟ ويكونُ متَنَاقِضًا فِي مَبْدَأِهِ ؟!!

● **وقَدْ قِيْلَ** : إِنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِوَلَدِهِ وُجُودَ اللهِ تَعَالَى ؛ فَقَالَ لهُ : يا بُنَيَّ ! قُمْ ؛ فَادْخُلْ هَذِهِ الغُرْفَةَ الآنَ ؛ فَدَخَلَ الوَلَدُ ، ثُمَّ نَادَاهُ

= وبقيةَ الجِسْمِ ؛ فيكون هذا المخُّ خادمًا للقلب عند تصدير الأشياء إليه ، واستِصْدَارِهَا منه ؛ فالأشياء تَمُرُّ من القلب ذاهبةً وآتيةً إلى المُخِّ ، والمُخُّ هو الذي يُحَرِّكُ البَدَنَ ، ولذلك إذا اخْتَلَّ المُخُّ اختلَّ كلُّ شيء " .

وَالِدُهُ ؛ فلبَّى الوَلَدُ نِدَاءَ أَبِيْهِ ، وهُوَ بداخلِ الغُرْفَةَ ؛ فَسَأَلَهُ الوَالِدُ : هَلْ رأيتني وأنا أنَادِيْك ؟ فَقَالَ الوَلَدُ : لا ؛ فَقَالَ لَهُ أُبُوهُ : فَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنِّي هُنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : صَوْتُك دَلَّ عَلَيْك ؛ فَقَالَ أَبُوهُ : وكَذَلِك نَحْنُ لا نَرَى اللهَ فِي الدُّنْيَا بِأَعْيُنِنَا ، ولَكِنْ آثَارُهُ العَظِيْمَةُ في الكَوْنِ دَلَّتْ عَلِيْهِ ، ومِنَ المُسْتَحِيْلِ أنْ تُوجَدَ هَذِهِ المُخْلُوقَاتُ كُلُّهَا بلا مُوجِدٍ .

والرُّؤْيَةُ مُتَحَقِّقَةٌ فِي الآخِرَةُ ؛ فَلا وَجْهَ لِمَنْ يَقُولُ : كَيْفَ هَوَ ؟ ومَا شَكْلُهُ ؟ لأَنَّ اللهَ أَخْبَرَنَا عَنْ أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ ؛ لَكِنْ لَمْ يُخْبِرْنَا كَيْفَ هُوَ ؟ وهُوَ تَعَالَى لا يُشْبِهُهُ شيءٌ ، ولا يُمَاثِلُهُ شيءٌ ، وكَوْنُنَا لَمْ نُحِطْ باللهِ عِلْمًا ؛ لَيْسَ لأَنَّ اللهَ مُمْتَنَعٌ مِنْ رُؤيَتِهِ ، ولكنَّ الطَّابعَ البَشَرِيَّ لَهُ حُدُودٌ ؛ فالعَيْنُ لها حُدُودٌ ؛ فهِي لا تُبْصِرُ كلَّ شيءٍ ؛ فكَمَا أنَّ العَيْنَ لا تَرَى مَنْ وراءَ الجِدَارِ ؛ فكيْفَ تَرَى الأشياءَ البعيدةَ ؟! وأنْتَ إذَا سلَّطتَ عَلَى عَيْنِك ضَوْءًا شَدِيْدًا ؛ فَلَنْ تَسْتَطِيْعَ أنْ تَرَى مَنْ أَمَامَك ، - وللهِ المَثَلُ الأعْلَى - .

وقَدْ كلَّمَ اللهُ - تَعَالَى - عَدَدًا مِنْ أنبِيَائِهِ ورُسُلِهِ ؛ كَالكَلِيْمِ مُوسَى عليه السلام ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فَإِذَا كَانَ الجَبَلُ قَدِ انْدَكَّ لِمُجَرَّدِ أَنْ تَجَلَّى نُورُ اللهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُ الإِنْسَانُ الضَّعِيْفُ ذَلِك ؟ " **حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ**

سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ " .

ثُمَّ اللهُ - تَعَالَى - قَدَّرَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ ؛ أَلَا وَهِيَ الابْتِلاءُ والامْتِحَانُ فِي الدُّنْيَا ؛ فَمَنْ آمَنَ بِالغَيْبِ رَأَى رَبَّهُ هُنَاكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيْمِ ، ومَنْ لَمْ يُؤْمِنْ حُجِبَ رُؤيتَهُ ، والتَّمَتُّعَ بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكريم ، ولَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إلاَّ بَعْدَ المَوْتِ ؛ قَالَ ﷺ : **" تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ "** ، رواهُ مُسْلِمٌ عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِ ﷺ ، ولَهُ شَاهِدٌ في روايةٍ أُخْرَى بِلَفْظ : **" اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ ﷻ حَتَّى تَمُوتُوا "** .

● **وَلَقَدْ قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ فِي " بَيَانِ تَلْبِيْسِ الجَهْمِيَّةِ " (٥/ ٥١٣)** :

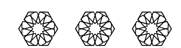
" وإنَّمَا احْتَجَب اللهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ؛ رَحْمَةً لَهُم ؛ لأَنَّهُ لو تَجَلَّى فِي الدُّنْيَا لِهَذِهِ الأَعْيُنِ المخلُوقةِ الفانيةِ لصارت دكًّا ، وما احتملَتِ النَّظَرَ إلى اللهِ تعالى ؛ لأنَّها أبصارُ خُلِقت للفناءِ لا تَحْتَملُ نُورَ البَقاءِ ؛ فإذَا كان يومُ القيامةِ رُكِّبتِ الأبْصَارُ للبَقَاءِ ؛ فاحتَمَلت النَّظَرَ إلى نُورِ البَقَاءِ " .

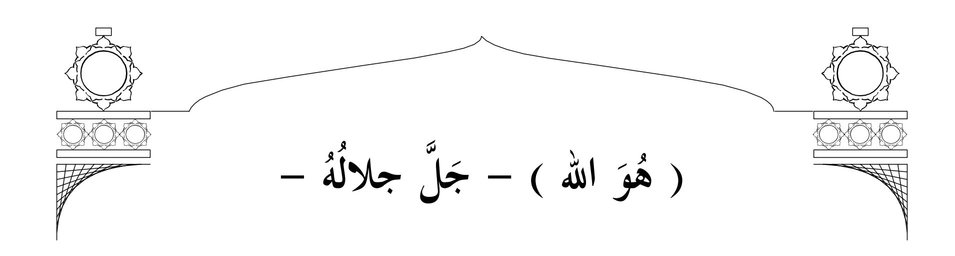
فإيَّاكَ والكِبْرَ ؛ فإنَّ الكِبْرَ بَطَرُ الحَقِّ ؛ كَمَا فَعَلَ ذلِكَ المُشْرِكُونَ الأوَلُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفُرقانُ : ٢١] .

وتأمَّلْ قَوْلَهُ - تَعَالَى - عَنْهُم : ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ؛ لتَقِفَ عَلَى الدَّاءِ ؟ وتَسْتَعِيْذَ باللهِ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ الهَلاكُ والخُسْرَانُ !!

● **ولذا ؛ فإنَّ عدم إدراكِ الشيءِ لا يعني عدم وجودهِ** .

✧ **وعَوْدٌ على بَدْءٍ : نُجِيْبُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ : أَيْنَ اللهُ ؟ والجَوَابُ :** كَمَا تقدَّمَ – من قبلُ – هو في السَّماءِ ، فوقَ جميعِ الخَلْقِ ، لا يعلوه أحدٌ ؛ بل هو عالٍ على الجميعِ ؛ بذاتهِ ؛ علوًّا يليقُ بعظمتهِ وجلالهِ ؛ كما قال تَعَالَى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] . والأدلةُ على عُلُوهِ بـ (الآلافِ) في كتابِ اللهِ المحكمِ ؛ كما قرَّرَ علماؤنا ، ومن ذلكَ : قولُه تَعَالَى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] . وقوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : ٥] . وقوله : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل : ٥٠] .





(هُوَ الله) – جَلَّ جلالُهُ –

الله.. عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ العليَّةِ القُدسيَّةِ .

الله.. اسمٌ لمُسَمَّاهُ كُلُّ كمالٍ على الإطلاقِ ، وكلُّ مدحٍ وحمدٍ ، وكلُّ ثناءٍ ، وكلُّ مجدٍ ، وكلُّ جلالٍ ، وكلُّ كَمَالٍ ، وكلُّ عزٍّ ، وكلُّ جَمَالٍ ، وكلُّ خيرٍ وإِحْسَانٍ وجُودٍ وفَضْلٍ وبرٍّ ؛ فَلَهُ ومِنْهُ .

الله.. هو الاسْمُ الذي ما ذُكِرَ في قليلٍ إلا كثَّرهُ ، ولا عند خوفٍ إلا أزالَهُ ، ولا عند كربٍ إلا كشَفَهُ ، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرَّجَهُ ، ولا عند ضِيْقٍ إلا وسَّعهُ ، ولا تَعَلَّقَ بِهِ ضَعِيْفٌ إلا أفَادَهُ القُوَّة ، ولا ذليلٌ إلا أنَالَهُ العزُّ ، ولا فقيرٌ إلا أصاره غنيًّا ، ولا مستوحشٌ إلا آنسَهُ ، ولا مغلوبٌ إلا أيَّدَهُ ونَصَرَهُ ، ولا مضطرٌ إلا كَشَفَ ضُرَّهُ ، ولا شريدٌ إلا آواهُ .

(فلا يُذْكَرُ عَلَى قَليلٍ إلا كثَّرهُ ، ولا عَلَى خيرٍ إلا أنْمَاهُ وباركَ فيهِ ، ولا عَلَى آفةٍ إلا أذهبَهَا ، ولا عَلَى شيطانٍ إلا ردَّهُ خاسئًا دَاحِرًا ، وكَمَالُ الاسْمِ مِنْ كَمَالِ مُسَمَّاهُ) – كَمَا قَالَ ابْنُ القيِّم ؛ في كتابهِ " الصَّلاةِ " – .

الله.. هو الاسْمُ الذي تُكشَفُ بهِ الكرباتُ ، وتُستنزلُ بِهِ البركاتُ ، وتُجابُ بِهِ الدعواتُ ، وتُقالُ بِهِ العَثَراتُ ، وتُستدفعُ بِهِ السيئاتُ ،

وتُستجلبُ بِهِ الحسناتُ .

الله.. هو الاسْمُ الذي قامت بِهِ الأرضُ والسَّمَاواتُ ، وبِهِ أُنْزِلَتْ الكُتُبُ ، وبِهِ أُرْسِلَت الرُّسُلُ ، وبه شُرِعَتِ الشَّرائعُ ، وبه قامَتِ الحُدودُ ، وبه شُرِعَ الجهادُ ، وبه انقسمت الخليقةُ إلى السعداءِ والأشقياءِ ، وبه حُقَّت الحاقةُ ، ووقعتِ الواقعةُ ، وبِهِ وُضِعَتِ المَوازِيْنُ القِسْطُ ، ونُصب الصِّراطُ ، وقام سوقُ الجنةُ والنارُ ، وبه عُبْدَ ربُّ العالمين وحُمِدَ ، وبحقِّه بُعِثَتِ الرُّسُلُ ، وعنه السؤالُ في القبر ويوم البعثِ والنشور ، وبه الخصام وإليه المحاكمة ، وفيه الموالاةُ والمعاداةُ ، وبه سَعِدَ مَنْ عَرَفَهُ ، وقَامَ بحقِّهِ ، وبه شَقِي مَنْ جهِلَهُ ، وتَرَكَ حَقَّهُ ؛ فهو سِرُّ الخَلْقِ والأَمْرِ ، وبِهِ قَامَا وثَبَّتَا ، وإِلَيْهِ انتهيا ؛ فالخلق به وإليه ولأجلِهِ ؛ فما وُجِدَ خلْقٌ ولا أمرٌ ولا ثوابٌ ولا عقابٌ إلا مبتدئًا مِنْهُ ، ومُنْتَهِيًا إليه . (" فَتْحُ المَجِيْدِ ") .

الله.. هو الاسمُ الذي تضَافُ إليْهِ جميعُ الأسماءِ والصِّفاتِ . ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر : ٢٢- ٢٤] .

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

فمَرْجِعُ جميعِ الأسْمَاءِ والصفاتِ إلى هذا الاسمِ العَلَمِ .

● **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي " المَدَارِجِ "** : " يُضِيفُ اللَّهُ - تَعَالَى - سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى إِلَى هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ ؛ كَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وَيُقَالُ : الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَلَا يُقَالُ : اللَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

فَعُلِمَ أَنَّ اسْمَهُ اللَّهُ مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، دَالٌّ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَالِ ، وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي اشْتُقَّ مِنْهَا اسْمُ اللَّهِ ، وَاسْمُ اللَّهِ دَالٌّ عَلَى كَوْنِهِ مَأْلُوهًا مَعْبُودًا ، تُؤَلِّهُهُ الْخَلَائِقُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخُضُوعًا ، وَفَزَعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالنَّوَائِبِ " .

الله.. هو الاسْمُ الذي اختُصَّ بِهِ ؛ فلم يَتَسَمَّ بِهِ سواهُ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٦٥] .

فَلَمْ يَجْرُؤْ إِنْسَانٌ عَلَى وجْهِ الأَرْضِ (حتَّى ذَاكَ المُلْحِدُ الخَاسِرُ) أَنْ يُسَمِّي بِهِ نَفْسَه بِهِ ، أَوْ يُسَمِّي بِهِ وَلَدَهُ ؛ فَلَمْ يَدْعُ أحدٌ نفْسَهُ بِهِ ، ولنْ يُدْعَى بِهِ أَحَدٌ قطُّ ، غيْرُ اللهِ ﷻ !! ولا يَسْتَطِيْعُ مَخْلُوقٌ أَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ ولا لغيرهِ في أيِّ وقتٍ هَذَا الاسْمَ ؛ لاخْتِصَاصِ اللهِ (وَحْدَهُ) بِهِ دُونَ مَا سَواهُ ؛ بَلْ وَجَمِيْعُ الأَدْيَانِ ؛ حتَّى المُشْرِكْينَ عَبَدَةِ الأَصْنَام والأوثانِ ؛ متَّفِقُونَ عَلَى اختِصَاصِ (اللهِ) بِهَذَا الاسْمِ ؛ فَالبَشَرِيَّةُ جَمِيْعًا تُقِرُّ بِذَلِك ؛ أَلَيْسَ فِي ذَلِك دَلِيْلٌ قَاطِعٌ سَاطِعٌ لامِعٌ عَلَى وَحْدَانيَّةِ اللهِ جَلَّ عُلَاهُ ؟

اختُصَّ بِاسْمٍ فلا يَحْظَى بهِ أَحَدٌ ... وَذَلِكَ الاسْمُ مَعْرُوفٌ هو اللهُ
فانْظُرْ تَأَمَّل تَفْكَّرْ سَوْفَ تَعْرِفُهُ ... فِي كُلِّ شيءٍ وتُوقِنُ أَنَّهُ اللهُ
هُوَ الذي خَلَقَ الأشياء من عدمٍ ... وكُلُّ شيءٍ يُسَبِّحُهُ ويَخْشَاهُ
الكَوْنُ يَشْكُرُهُ والعَبْدُ يَكْفُرُهُ ... والعَبْدُ يَنْسَى وَرَبِّي لَيْسَ يَنْسَاهُ

فَإِنَّ " الْإِلَهَ " هُوَ الْمَأْلُوهُ : الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤْلَهَ ؛ فَيُعْبَدَ ، وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ غَايَةَ الذُّلِّ وَغَايَةَ الْحُبِّ ، وَهَذَا لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا هُوَ . . وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِهِ إِلَى قَرَارِ أَرْضِهِ بَاطِلٌ . (" مَجْمُوعُ الفَتَاوَى " - مِنْ مَوْضِعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ -) .

فـ : لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ . . ولا مِعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ . . تَأْلَهُهُ القُلُوبُ مَحَبَّةً ، وإِنَابَةً ، وإجْلالًا ، وإكرامًا ، وتعظيمًا ، وذلًّا ، وخضوعًا ، وخوفًا ورجاءً ، وتوكلًا . والربُّ تَعَالَى هُوَ الذِي يربى عبْدَهُ ، فيعطِيْهِ خَلْقَهُ ، ثُمَّ يهْدِيْهِ إِلَى مصالحِهِ ؛ فَلا إله إلا هُوَ، ولا ربَّ إلا هو ؛ فكَمَا أَنَّ رُبُوبِيَّةَ مَا سِواهُ أبْطَل البَاطلِ ؛ فكَذَلَك إلهِيَّةُ ما سِواهُ .
- " إغاثةُ اللَّهفانِ " لابْنِ القَيِّمِ - .

● **وقَالَ في " طَرِيْقِ الهِجْرَتَيْنِ "** : " فَإِنَّ الإلَهَ هُوَ المَحْبُوبُ المَعْبُودُ الذي تُؤَلِّهُهُ القلُوبُ بِحُبِّهَا ، وتَخْضَعُ لَهُ ، وَتَذِلُّ لَهُ ، وتَخَافُهُ وتَرْجُوهُ ، وتُنِيْبُ إِلَيْهِ فِي شَدَائِدِهَا ، وتَدْعُوهُ فِي مُهِمَّاتِهَا ، وتتوكَّلُ عليه في مَصَالحِهَا ، وتَلْجَأُ إليه ، وتَطْمَئِنُّ بذِكْرِهِ ، وتَسْكُنُ إِلَى حُبِّهِ ، ولَيْسَ ذَلِكَ إلاَّ الله - وَحْدَهُ - ، ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أصْدَقَ الكَلام ، وكان أهْلُهَا أَهْلَ اللهِ وحزبَهِ ، والمُنْكِرُون لها أعداؤُهُ ، وأهلُ غَضَبِهِ ونِقْمَتِهِ .

فَهَذِهِ المَسْأَلَة قُطْبُ رَحَى الدِّيْنِ الذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ ، وإذا صَحَّتْ صَحَّ بِهَا كُلُّ مسألة وحالٍ وذَوْقٍ ، وإذا لم يصحِّحْهَا العَبْدُ ؛ فالفَسَاد لازمٌ له في عُلُومِهِ وأعْمَالِهِ ، وأحْوَالِهِ وأقوالِهِ ، ولا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله " .

● **وفِي شُمُولِيَّةٍ بَدِيْعَةٍ – أُخْرَى – فِي الحَدِيْثِ عَنِ اللهِ ﷻ ؛ يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ فِي " الوَابِلِ الصَّيِّبِ " :**

" يُدَبِّرُ أَمْرَ المَمَالِكِ ، ويأمرُ ويَنْهَى ، ويَخْلُقُ ويَرْزُقُ ، ويُمِيْتُ وَيُحْيي ، ويَقْضِي وَيُنَفِّذُ ، وَيُعِزُّ ويُذِلُّ ، وَيُقَلِّبُ الليلَ والنَّهَارَ، ويُدَاوِلُ الأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ ، ويُقَلِّبُ الدُّوَلَ ؛ فيَذْهَبُ بدَوْلَةٍ ، ويأتي بأخرى.

والرُّسُلُ مِنَ الملائكةِ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ بين صاعدٍ إليه بالأمرِ، ونازلٍ من عندِهِ به، وأوامرُه ومراسِيمُهُ مُتَعَاقِبَةٌ عَلَى تعاقبِ الأوقاتِ، نافذةٌ بحسبِ إرادتهِ ومشيئتهِ، فما شاءَ كانَ كما شاءَ في الوقتِ الذي يشاءُ على الوجهِ الذي يشاءُ، من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تَقَدُّمٍ ولا تأخُّرٍ، وأمرُهُ وسلطانُهُ نافِذٌ في السمواتِ والأرضِ وأقطارِها، وفي الأرضِ وما عليها وما تحتها، وفي البحارِ والجوِّ، وفي سائرِ أجزاءِ العالمِ وذرَّاتِهِ، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحدِثُ فيها ما يشاءُ ، وقد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا ، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمةً ، ووسعَ سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلفُ عليه ولا تشتبهُ عليه ، بل يسمعُ ضجيجَها باختلافِ لغاتِها على تَفَنُّنِ حاجاتِها، فلا يَشغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، ولا تُغلِطُه كثرةُ المسائلِ، ولا يتبَرَّمُ بإلحاحِ المُلِحِّين ذوي الحاجات.

وأحَاطَ بَصَرُهُ بجميعِ المَرْئِيَّاتِ ؛ فَيَرَى دَبِيْبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي الليلةِ الظَّلماءِ ؛ فالغيبُ عنده شهادةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، يعلمُ السِّرَّ وَأَخْفَى من السِّرِّ ؛ فَالسِّرُّ ما انْطَوى عَلَيْهِ ضَمِيْرُ العبدِ ، وخَطَرَ بِقَلْبِهِ ، ولم تَتَحَرَّكْ به شَفَتَاهُ ، وأخفى منه : ما لم يخطرْ بقلبِهِ بَعْدُ ، فيَعلَمُ أنه سيخطرُ بقلبِهِ كَذَا وكَذَا في وقتِ كذا وكذا.

وله الخَلْقُ والأَمْرُ ، وله المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وله الدنيا والآخرةُ ، وله النعمةُ ، وله الفضلُ ، وله الثناءُ الحَسَنُ ، وله المُلْكُ كُلُّه ، وله الحَمْدُ كلُّهُ ، وبِيَدِهِ الخَيْرُ كلُّهُ ، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّهُ ، شَمَلَتْ قدرتُهُ كلَّ شيءٍ ، ووسِعَتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ ، ووسِعَت نِعْمَتُهُ إلى كلِّ حيٍّ .

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩] ، يغفرُ ذنبًا ، ويفرِّجُ همًّا ، ويكشفُ كربًا ، ويجبرُ كَسِيْرًا ، ويُغني فقيرًا ، ويُعَلِّمُ جاهلًا ، ويهدي ضالًّا ، ويُرشِدُ حيرانًا ، ويُغِيْثُ لَهْفَانًا ، ويَفُكُّ عَانِيًا ، ويُشْبِعُ جائِعًا ، ويَكْسُو عاريًا ، ويشْفِي مريضًا ، ويُعافي مُبْتَلىً ، ويَقْبَلُ تائبًا ، ويجزِي مُحْسِنًا ، وينصرُ مظلومًا ، ويَقْصِمُ جَبَّارًا ، ويُقِيْلُ عَثْرَةً ، ويَسْتُرُ عورةً ، ويُؤَمِّن رَوْعَةً ، ويرفعُ أقوامًا ، ويَضَعُ آخَرِيْنَ .

لا يَنَامُ ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ ، يُرفَعُ إِلَيْهِ عمَلُ الليلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ الليلِ ، حِجَابُه النُّورُ ، لو كشفَهُ لأحرقتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انتهى إليه بَصَرُه مِنْ خَلْقِهِ .

يَمِيْنُه مَلأى ، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ الليلَ والنهارَ ، أرأيتم ما أنفقَ منذ خَلَقَ الخلقَ ؛ فَإِنَّهُ لم يَغِضْ مَا فِي يَمِيْنِهِ .

قُلُوبُ العِبَادِ ونَوَاصِيْهِم بِيَدِهِ ، وأزِمَّةُ الأمورِ معقودةٌ بقضائهِ وقدرِهِ ، الأرضُ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامةِ ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمِيْنِهِ ، يَقْبِضُ سمواتِهِ كلِّها بِيَدِهِ ، والأرضَ باليدِ الأخرى، ثم يَهُزُّهنَّ ، ثم يقولُ : أنا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ ، أنا الذي بَدَأْتُ الدُّنْيَا ولم تَكُنْ شيئًا ، وأنا الذي أعيدُهَا كَمَا بَدَأْتُها.

لا يتعاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ ، ولا حاجةٌ يُسَأَلُها أن يُعْطِيَها.

لو أنَّ أهلَ سمواتِهِ ، وأهلَ أرضِهِ ، وأولَ خلقِهِ وآخرَهم ، وإنسَهم وجنَّهم ، كانوا عَلَى أتْقَى قلبِ رجلٍ منهم ، ما زاد ذلك في ملكهِ شيئًا ، ولو أنَّ أولَ خلقهِ وآخرَهم، وإنسَّهم وجِنَّهم، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ منهم ، ما نقصَ ذلك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهْلَ أرضِهِ، وَإِنْسَهم وجنَّهم، وَحَيَّهُم وميِّتهم، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِ شيئًا ، وَلَو أَنَّ أهلَ سمواتِهِ ، وأهلَ أرضِهِ ، وإنسَهُم وَجِنَّهُم، وحيَّهُم وميِّتهم، ورُطَبَهُم ويَابِسَهُم ، قاموا في صعيدٍ واحدٍ ، فسأَلُوه ؛ فأَعْطَى كُلًّا منهم مسألتَهُ ، ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عندَهُ مثقالَ ذَرَّةٍ .

ولو أنَّ أشجارَ الأرضِ كلَّها – من حين وُجدتْ إلى أن تنقضيَ الدُّنْيَا – أقلامٌ ، والبحرُ وارءه سبعةُ أبحرٍ تَمُدُّه من بَعْدِه مِدادٌ ، فكُتِبَ بتلك الأقلامِ، وذلك المِدَادِ، لَفَنِيَتِ الأقلامُ ، ونَفَدَ المِدَادُ ، ولم تَنْفَدْ كَلِمَاتُ الخالقِ تباركَ وتعالى .

وكيفَ تَفْنَى كلماتُه جَلَّ جلالُهُ - وهي لا بدايةَ لها ولا نهايَةَ - ؟!
والمخلوقُ له بدايةٌ ونهايةٌ، فهو أحقُّ بالفناءِ والنَّفادِ، وكيف يُفنِي المَخْلُوقُ غَيْرَ المَخْلُوقِ ؟!

هو الأولُ الذي ليسَ قبلهُ شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعده شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَهُ شيءٌ ، والباطنُ الذي لَيْسَ دُونَهُ شَيءٌ.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَحَقُّ مَنْ ذُكِر، وأحَقُّ مَنْ عُبِدَ ، وأحقُّ مَنْ حُمِد ، وأولى مَنْ شُكِر ، وأنصَرُ مَنْ ابتُغِي ، وأرأفُ مَنْ مَلَكَ ، وأجودُ مَنْ سُئِل ، وأَعْفَى مَنْ قَدِر ، وأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ ، وأَعْدَلُ مَنْ انتَقَم.

حكْمُهُ بعد عِلْمِهِ ، وعَفْوُهُ بعد قدرتهِ ، ومغفرتُه عن عِزَّتهِ ، ومَنْعُه عن حكمتهِ ، وموالاتُه عن إحسانهِ ورحمتهِ .

ما لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ واجبٌ ... كَلَّا ولا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إن عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أو نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ، وهو الكريمُ الواسِعُ

هو المَلِكُ الذي لا شريكَ له، والفردُ فلا ندَّ له، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصَّمَدُ فلا ولدَ له، ولا صاحبةَ له، والعليُّ فلا شبيهَ له، ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ، وكلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا ملكهُ، وكلُّ ظلٍّ قَالِصٌ إلا ظِلُّهُ، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضله.

لن يُطاعَ إلا بفضلهِ ورحمتهِ ، ولن يُعْصَى إلا بعلمهِ وحكمتهِ ، يُطاعُ فيَشكرُ ، ويُعصَى فيتجاوزُ ويَغْفِرُ ، كلُّ نقمةٍ منه عدلٌ ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، أقربُ شهيدٍ ، وأدنى حفيظٍ ، حالَ دون النفوسِ ، وأخذَ بالنواصي ، ونسَخَ الآثار، وكتبَ الآجالَ ، فالقلوبُ له

مُفْضِيَةٌ ، والسرُّ عنده علانيةٌ ، والغيبُ عندَهُ شهادةٌ ، عطاؤه كلامٌ، وعذابهُ كلامٌ ، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] " . انتهى .

● **وفي سِبَاقِ الكِبَارِ مِنَ السَّادةِ العُلَمَاءِ يتَقَدَّمُ شيخُ الإسْلامِ رَحِمَهُ اللهُ بهَذهِ الكَلِمَاتِ النيِّراتِ ؛ فيقُولُ في " مَجْمُوعِ الفَتَاوَى " – المُبْدِعِ البَاهِرِ – :**

" لَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، لَا إلَهَ إلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ، رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ رَبُّ النَّاسِ مَلِكُ النَّاسِ إلَهُ النَّاسِ ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ؛ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ ، وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ ؛ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود : ٥٦] ، قُلُوبُ الْعِبَادِ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ وَمَا مِنْ قَلْبٍ إلَّا وَهُوَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ .

وَهُوَ الَّذِي أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَغْنَى وَأَقْنَى وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَيَبُثُّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ .

وَهُوَ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : ١] . ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص : ٧٠] وَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ الْقَائِمِ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ . ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود : ٦] .

وَمَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ؛ فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ ؛ فَهَذِهِ الْمَعَانِي وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَخَلْقِهِ وَرِزْقِهِ وَهِدَايَتِهِ وَنَصْرِهِ وَإِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ وَتَدْبِيرِهِ وَصُنْعِهِ ، ثُمَّ مَا يَتَّصِلُ بِذَلِك مِنْ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ وَلَا تُغَلِّطُهُ الْمَسَائِلُ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ ، يُبْصِرُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ ؛ فَهَذَا كُلُّهُ حَقٌّ ، وَهُوَ مَحْضُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا قَدْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ، وَأَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . وَهَذَا صُنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْهِ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَهُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا كَمَا أَقْسَمَ عَلَى ذَلِك النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَقَالَ : " **وَاللَّهِ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا** " إِلَى نَحْوِ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَقْتَضِي شُمُولَ حِكْمَتِهِ وَإِتْقَانَهُ وَإِحْسَانَهُ

خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَسِعَةَ رَحْمَتِهِ وَعَظَمَتِهَا وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ ؛ كُلُّ هَذَا حَقٌّ " .

ف : " اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ : لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ - ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " . رواهُ البُخاريُّ ومسلمٌ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ : . . فذكرهُ . وفي " مُسْلِمٍ " : " أَنْتَ قَيَّامُ . . " .

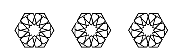
● **قَالَ الشَّافِعِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ :

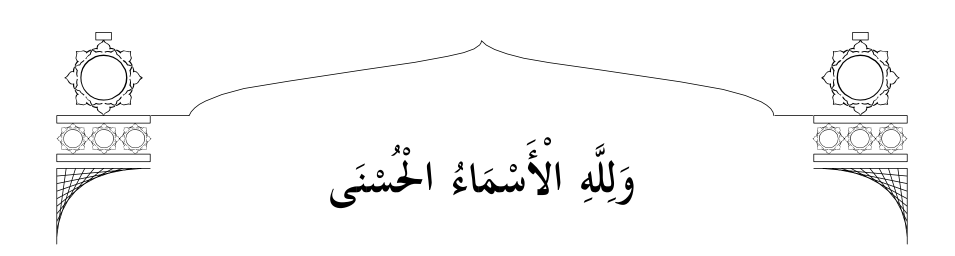
مَا شِئْتَ كَانَ ، وَإِنْ لَمْ أَشَأْ — وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ — فَفِي العِلْمِ يَجْرِي الفَتَى وَالمُسِنْ
فَمِنْهُم شَقِيٌّ، وَمِنْهُم سَعِيْدٌ — وَمِنْهُم قَبِيْحٌ ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وهَذَا خَذَلْتَ — وَذَاكَ أَعَنْتَ ، وذَا لَمْ تُعِنْ

● **وَقَالَ يَحيى بْنُ مُعَاذٍ ؛ كَمَا فِي " الحِلْيَةِ "** :

أنـا إنْ تُـبـتُ مـنَّـانـي — وإن أذنـبـتُ رجَّـانـي

وإنْ أدبَـرْتُ نـادَاني	وإن أقـبـلْـتُ أدنَـانِـي
وإنْ أحْـبَـبْـتُ والانـي	وإن أخْـلَـصْـتُ نَـاجَـانِـي
وإنْ قَـصَّـرتُ عـافَـانـي	وإن أَحْـسَـنْـتُ جـازَانِـي
حَـبِـيْـبِـي أَنْـتَ رَحْـمَـانـي	ألاَ اصْرِفْ عَنِّي أحْزَانِي
إلـيْكَ الـشَّـوقُ مِنْ قَلْبِي	عَـلَـى سِـرِّي وإِعْـلاَنِـي





وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

هذهِ أبياتٌ رائعةٌ مِنْ العَلاَّمَةِ ابْنِ القَيِّمِ رَحمه الله تَعَالَى سَطَّرَهَا فِي " القَصِيْدَةِ النُّونِيَّةِ " أُسُوقُهَا للقَارِيء، مَعَ مُلاحَظَةِ أَنَّ عَدَدًا مِنَ الأسْمَاءِ الوَارِدَةِ – هُنَا – فِيْهَا نَظَرٌ وتوقُّفٌ، والمَقَامُ لا يتَّسِعُ لِبَيَانِهَا، وقدْ حَذَفْتُ بَعْضَ الأَبْيَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِهَا، وتَرَكْتُ بَعْضًا مِنَ الأَسْمَاءِ غَيْرِ الثَّابِتَةِ، لحَاجَةِ السِّيَاقِ إليهَا؛ لكنْ وَضَعْتُ حَوْلَهَا أَقْواسًا للتَّمْييزِ –؛ فَيَقُولُ – طيَّبَ ربِّي ثَرَاهُ – .

فَهوَ العَليُّ بِذَاتِهِ سُبحَانَهُ ... إذ يستَحيلُ خِلافُ ذَا بِبَيَان

وَهْوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ استَوى ... قَد قَامَ بالتَّدبيرِ للأَكوان

حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتكَلِّمٌ ... ذُو رَحمَةٍ وإرَادَةٍ وحَنَان

هُوَ أوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ هَي أربعٌ بِوزَان

مَا قَبلَهُ شيءٌ كَذَا ما بَعدَهُ ... شَيءٌ تَعَالى اللهُ ذُو السُّلطَان

مَا فَوقَهُ شيءٌ كَذَا ما دُونَهُ ... شيءٌ وَذَا تَفسيرُ ذِي البُرهان

فانظُرْ إلى تَفسيرِهِ بتَدَبُّرٍ ... وتَبَصُّرٍ وتَعَقُّلٍ لمِعَان

وانظر إلى ما فيهِ من أنواعِ مَعْـ ... ـرفَةٍ لخَالقِنَا العَظيمِ الشَّان

وهُوَ العَليُّ فَكَلُّ أنواعِ العُلُـ ... ـوِّ لَهُ فثابِتَةٌ بلا نُكران

وهُوَ العَظِيمُ بِكُلِ مَعنًى يُوجِبُ ... التَّعظِيمَ لَا يُحصِيهِ مِن إنسَان

وَهُوَ الجميلُ عَلَى الحقِيقَةِ كَيفَ لا؟! ... وَجَمالُ سائِرِ هَذِهِ الأكوان

مِن بَعضِ آثارِ الجمَيلِ فَرَبُّها أولَى وأجدَرُ عَندَ ذِيَ العِرفان

فَجَمَالَهُ بالذَّاتِ والأوصافِ والـ أفعَالِ والأسمَاءِ بالبُرهَان

لا شَيءَ يُشبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبحَانَهُ عَن إفكِ ذِي البُهتَان

وهُوَ المَجِيدُ صَفاتُهُ أوصَافِ تع ظِيمٍ فَشَأنُ الوَصفِ أعظَمُ شَان

وهُوَ السَّميعُ يَرى ويَسمَعُ كُلَّ مَا في الكَونِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعلان

ولِكُلِ صَوتٍ مِنهُ سَمعٌ حاضرٌ فالسِّرُّ والإعلانُ مُستويان

والسَّمْعُ منه واسعُ الأصواتِ لا يَخْفَى عليه بعيدُها والدَّاني

وهُوَ البَصِيرُ يَرى دَبيبَ النَمَّلةِ السْ ودَاءِ تَحتَ الصَّخْرِ والصَّوان

ويَرَى مَجارِي القُوتِ في أعضَائِهَا ويَرَى بَياضَ عُروقِها بِعيان

ويَرَى خَياناتِ العُيونِ بِلَحظِهَا ويَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأجفَان

وهُوَ العَليمُ أحَاطَ عِلمًا بالذِي في الكَونِ من سِرٍّ ومِنْ إعلان

وبكُلِّ شيءٍ عِلمُهُ سُبحَانَهُ فَهْوَ المُحِيطُ ولَيسَ ذَا نِسيَان

وَكَذاكَ يعْلمُ مَا يَكونُ غَدًا وَمَا قَد كَانَ والموجودَ في ذَا الآن

وَكَذَاكَ أَمرٌ لَمْ يَكُن لَو كَانَ كَيْـ ـفَ يَكُونُ ذَاكَ الأَمرُ ذَا إمكَان

وهُوَ الحَميدُ فَكُلُ حمدٍ وَاقِعٍ أو كَانَ مَفروضًا مَدَى الأزمَان

مَلأَ الوجُودَ جميْعَهُ ونَظِيرَهُ مِن غَيرِ ما عَدٍّ ولا حُسْبَان

هُوَ أهْلُهُ سُبْحَانَهُ وبِحَمْدِهِ كُلُّ المحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحسَان

وهُوَ المكُلِّمُ عَبْدَهُ مُوْسَى بتَك لِيمِ الخِطابِ وَقَبلَهُ الأبَوان

كَلِماتُهُ جَلَّتْ عن الإحصَاءِ والتَّع دَادِ بَل عَن حَصرِ ذِي الحسبَان

لو أنَّ أشجَارَ البِلادِ جَميعَهَا الـ أقْلَامُ تَكْتُبُهَا بكَلِّ بَنَان

والبَحرَ تُلقَى فِيهِ سَبعَةُ أبحُرٍ لِكَتابَةِ الكَلِماتِ كُلِّ زَمَان

نَفِدَت وَلَم تَنفَد بِهَا كَلِمَاتُهُ ... لَيْسَ الكَلامُ مِن الإِلَهِ بِفَان
وهُوَ القَدِيرُ ولَيْسَ يُعجِزُهُ إذا ... مَا رَامَ شَيئًا قَطُّ ذُو سُلطَان
وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القُوَى جمعًا تعَا ... لَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ والأَكوان
وهُوَ الغَنيُّ بذاتِهِ فغِناهُ ذا ... تِيٌّ لَهُ كَالجُودِ والإِحسَان
وهُوَ العَزيزُ فَلَن يُرامَ جَنَابُهُ ... أَنَّى يُرامُ جَنَابُ ذِي السُّلطَان
وهُوَ العَزيزُ القَاهِرُ الغلَّابُ لمْ ... يَغلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفتَان
وهُوَ العَزيزُ بقُوَّةٍ هِيَ وَصفُهُ ... فالِعَزُّ حِينَئِذٍ ثَلاثُ مَعَان
وَهْيَ الَّتي كَمُلَت لَهُ سُبحَانَهُ ... مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُقصَان
وهُوَ الحَكِيمُ وذَاكَ مِن أوصَافِهِ ... نَوعَانِ أيضًا مَا هُمَا عَدَمَان
حُكمٌ وإِحكَامٌ فَكُلٌّ مِنهُمَا ... نَوعَانِ أيضًا ثَابتَا البُرهَان
والحُكْمُ شَرعِيٌّ وَكَونيٌّ وَلَا ... يَتلازَمانِ وَمَا هُمَا سِيَّان
وهُوَ (الحَيِيُّ) فَلَيس يَفضَحُ عَبدَهُ ... عِندَ التَّجَاهُرِ مِنهُ بِالعِصيَان
لَكِنَّهُ يُلقِي عَلَيه سِترَهُ ... فَهُوَ (السِّتِيرُ) وَصَاحِبُ الغُفرَان
وهُوَ الحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ ... بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِصيان
وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفوُهُ وَسِعَ الوَرَى ... لولَاهُ غَارَ الأَرض بالسُّكَان
وَهُوَ (الصَّبُورُ[١]) عَلَى أذَى أعدائِهِ ... شَتَمُوهُ بَل نَسَبُوهُ لِلبُهتَان
قَالُوا لَهُ ولَدٌ ولَيس يُعَيدُنَا ... شَتمًا وتَكذِيبًا مِنَ الإِنسان
هَذَا وَذَاكَ بِسَمعِهِ وَبِعلِمِهِ ... لَوْ شَاءَ عَاجَلهُم بِكُلِ هَوَان

---

(١) لا حِظْ أنَّ هَذَهَ الأقواسَ للدَّلالةِ عَلَى أنَّ هذهِ الأسماءَ غيْرُ ثابتةٍ ؛ كَمَا نبَّهْتُ – قَبْلُ – .

لَكِنْ يُعَافِيهِم ويَرزُقُهُمْ وهُمْ ... يُؤذُونَهُ بالشِّرْكِ وَالكُفرَان

وَهَوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَواطِرِ واللَّوَا ... حِظِ كَيفَ بالأَفعَالِ بِالأَرْكَان

وَهُوَ الحَفِيظُ عَلَيهِمُ وَهُوَ الكَفِيـ ... ـلُ بِحِفظِهِمْ مِنْ كُلِّ أمرٍ عَان

وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ ... واللُّطفُ فِي أوصَافِهِ نَوعَان

إدرَاكُ أسرارِ الأمُورِ بِخِبرَةٍ ... واللُّطفُ عِندَ مَوَاقِعِ الإحسِان

فيُرِيكَ عِزَّتَهُ ويُبدِي لُطفَهُ ... وَالعَبدُ فِي الغَفَلَاتِ عَن ذَا الشَّان

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أهلَ الرِّفقِ بَل ... يُعطِيهُمُ بالرِّفقِ فَوقَ أمَان

وهُوَ القَرِيبُ وقُربُهُ المُختَصُّ بالدْ ... داعِي وعَابِدِهِ عَلَى الإيمَان

وَهُوَ المُجِيبُ يَقولُ مَنْ يَدعُو أُجِبْـ ... ـهُ أَنَا المُجِيبُ لِكُلِّ مَن نَادَانِي

وهُوَ المُجِيبُ لِدَعوَةِ المضطَرِّ إذ ... يَدْعُوهُ فِي سِرٍ وفِي إعلان

وهُوَ (الجَوَادُ) فَجُودُهُ عَمَّ الوُجُو ... دَ جَمِيعَهُ بالفَضلِ والإحسَان

وهُوَ (الجَوَادُ) فَلا يُخَيِّبُ سَائِلًا ... وَلَوَ انَّهُ مِن أُمَّةِ الكُفْرَانِ

وَهُوَ الوَدُودُ يُحِبُّهُم ويُحبُّهُ ... أحبَابُهُ وَالفَضلُ للمَنَّان

وهُوَ الَّذِي جَعلَ المَحَبَّةَ فِي قُلُو ... بِهِمُ وَجَازَاهُم بِحُبٍّ ثَان

هَذَا هُوَ الإحسَانُ حَقًّا لَا مُعَا ... وَضَةً وَلَا لِتَوقُّعِ الشُّكْرَان

لَكِن يُحِبُّ شَكُورَهُم وَشُكُورُهُم ... لَا لاحتِياجٍ مِنهُ للشُّكرَان

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَن يُضَيِّعَ سَعيَهُم ... لِكِن يَضاعِفُهُ بِلَا حُسبَان

ما لِلعِبَادِ عليه حَقٌّ وَاجِبٌ ... هُوَ أوجَبَ الأَجرَ العَظِيمَ الشَّان

كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيهِ ضَائِعٌ ... إن كَانَ بِالإخلَاصِ والإحسَان

إن عُذِّبُوا فِبعَدلِهِ أو نُعِّمُوا ... فِبفَضلِهِ وَالحَمدُ للرَّحمَن

وهُوَ الغَفُورُ فَلَو أُتِي بقُرَابِهَا ... مِن غَيرَ شِركٍ بَل منَ العِصيَان

لاقَاهُ بالغُفرانِ مِلءَ قُرابِها ... سُبحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفران
وكَذلِكَ التَّوابُ مِنْ أوصَافِهِ ... والتَّوبُ فِي أَوصَافِهِ نوعَان
إذنٌ بِتوبةِ عَبدِهِ وقَبُولِهَا ... بَعدَ المتَابِ بمِنَّةِ المنَّان
وَهُوَ الإلهُ السَّيدُ الصَّمَدُ الَّذِي ... صَمَدَتْ إِليهِ الخَلقُ بالإِذعان
الكَامِلُ الأَوصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو ... هِ كَمَالُهُ ما فِيهِ مِنْ نُقْصَان
وكَذلِكَ القَهَّار مِنْ أَوْصَافِهِ ... فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بالسُّلْطَان
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا ... مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَلَا سُلطان
وَكَذلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... والجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسمَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ... ذَا كَسْرةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَان
الثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالعِزِّ الذي ... لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسان
ولَهُ مُسَمًّى ثالثٌ وهُوَ العُلوْ ... فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِن إِنْسَان
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخلِةِ الـ ... ـعُلْيَا التي فاتَتْ لِكُلِّ بَنان
وَهُوَ الحَسِيبُ كِفَايَةً وحِمَايَةً ... وَالحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلَّ أَوان
وَهُوَ (الرَّشِيدُ) فَقَولُهُ وفِعَالُهُ ... رُشْدٌ وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الحَيْرَان
وَكِلاهُمَا حَقٌّ فَهَذا وَصْفُهُ ... وَالْفِعْلُ للإِرْشَادِ ذَاكَ الثَانِي
وَ (الْعَدْلُ) مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ ... وَمَقَالِهِ وَالحُكْمُ بِالميزَان
فَعَلى الصِّراطِ المَستَقيمِ إلهُنَا ... قَولًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي القُرآن
هَذَا وَمِنَ أَوْصَافِهِ القُدُّوسُ ذَو ... التَّنْزِيْهِ بِالتَعْظِيمِ للرَّحْمَن
وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالمٌ ... مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَان
والبَرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ ... هُوَ كَثْرةُ الخَيْرَاتِ والإِحْسَان
صَدَرَتْ عَنْ البِرِّ الذي هُوَ وَصْفُهُ ... فَالبِرُّ حِينَئذٍ لَهُ نَوعَان

وَصْفٌ وفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ ... مُوْلِي الجَمِيلِ ودَائِمُ الإِحْسَان

وكَذلِكَ الوَهَّابُ مِن أَسْمَائِهِ ... فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الأَزْمَان

أَهْلُ السَّمواتِ العُلَى والأَرْضِ عَنْ ... تِلكَ المَواهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّان

وَكَذلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ ... والفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَان

فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إِلهِنَا ... وَالْفَتْحُ بِالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثان

وَالرَبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِما ... عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمن

وَكَذَلِكَ الرَزَّاقُ مِنَ أَوْصَافِهِ ... والرَّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَان

رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ ... نوعانِ أَيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَان

رِزْقُ القُلُوبِ العِلمُ والإِيمَانُ والر ... زْقُ المُعَدُّ لِهَذِهِ الأَبْدَان

هَذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلالُ وَرَبُّنَا ... رَزَّاقُهُ وَالفَضْلُ لِلمَنَّان

وَالثَّانِي سَوْقُ القُوتِ لِلأَعْضَاءِ فِي ... تِلْكَ المَجَارِيْ سَوقُهُ بِوَازان

هَذَا يَكُونُ مِنَ الحَلالِ كَمَا يَكُو ... نُ مِنْ الحَرَامِ كِلاهُمَا رِزْقَان

واللهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الاعْتَبا ... رِ وَلَيْسَ بِالإِطْلَاقِ دُوْنَ بَيَان

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القَيُّومُ والـ ... ـقَيُّومُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَان

إِحْدَاهُمَا القَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ ... وَالْكُونُ قَامَ بِهِ هُمَا الأَمْرَان

فَالأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ ... وَالْفَقْرُ مِنْ كُلٍّ إليهِ الثَانِي

وَالوْصفُ بِالقَيُّوْمِ ذُوْ شأنٍ ... كَذَا مَوْصُوْفُهُ أَيْضًا عظيمُ الشَّان

وَالحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الكَما ... لِ هُمَا لأُفْقِ سَمَائِهَا قُطبان

فَالحَيُّ وَالقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الـ ... أَوْصَافُ أَصلًا عَنهُمَا بِبَيَان

هُوَ (قَابِضٌ) هُوَ (بَاسِطٌ) هُوَ (خَافِضٌ) ... هُوَ (رَافِعٌ) بِالعَدْلِ وَالمِيزَان

وَهُوَ (المُعِزُّ) لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وذا ... عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بَلَا بُطْلَان

وَهُوَ (المُذِلُّ) لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلِةِ الدَّا ... رَيْنِ ذِلٌّ شَقَا وَذِلٌّ هَوان

هُوَ (مَانِعٌ مُعْطٍ) فَضْلُهُ ... وَالمَنْعُ عَيْنُ العَدْلِ لِلْمَنَّان

يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَا ... ءُ بِحِكْمَةٍ وَاللهُ ذُو سُلْطَان

وَ(النُّورُ) مِنَ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنَ ... أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي البُرْهَان

قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكا ... هُ الدَّارِمِيُّ عَنْهُ بِلَا نُكْرَان

مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ ولا نَها ... رٌ قُلتُ تَحتَ الفُلْكِ يُوْجَدُ ذَان

نُورُ السَّمَواتِ العُلَى مِنْ نُورِهِ ... والأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمُ والقَمَران

مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَكَذَا حَكَاهُ الحَافِظُ الطَبْرَانِي

فِيهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ والكُرسِيُّ مَعْ ... سَبْعِ الطِبَاقِ وسَائِرِ الأَكْوان

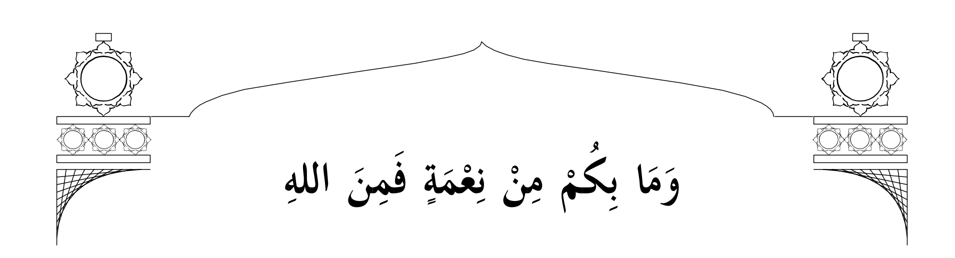
وكِتَابُهُ نُورٌ كَذلِكَ شَرْعُهُ ... نُورٌ كَذا المَبعوثُ بِالفُرْقَان

وَكَذلِكَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِ الفَتَى ... نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ القُرْآن

وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الحِجَا ... بَ لأَحْرَقَ السُبُحَاتُ للأَكْوَان

وَإِذْا أَتَى لِلْفَصْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ ... فِي الأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَان

وَكَذَاكَ دَارُ الرَّبِ جَنَاتُ العُلَى ... نُورٌ تَلَأْلَأُ لَيْسَ ذَا بُطْلَان



وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ

أيُّ عاقلٍ لابُدَّ وأنْ يُقِرَّ ويَعْتَرِفَ بِنِعَمِ اللهِ العَظِيْمَةِ ، ومِنَنِهِ الجَسِيْمَةِ ، وآلائهِ الواسِعَةِ الكَثِيْرَةِ العَمِيْمَةِ ، وعَطَايَاهُ الوَفِيْرَةِ الكَريمةِ ، عَلَى جَمِيْعِ المخْلُوقَاتِ ؛ لا سِيَّمَا الإِنْسَانُ ؛ فَلَهُ مِيْزَةٌ مَيَّزَهُ اللهُ بِهَا عَلَى كُلِّ الخلائقِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء : ٧٠] .

● **قَالَ الطَّبَرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ : " يَقُولُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بِتَسْلِيطِنَا إِيَّاهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ ، وَتَسْخِيرِنَا سَائِرَ الْخَلْقِ لَهُمْ ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ وَالْمَرَاكِبِ ، وَفِي ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ فِي الْفُلْكِ الَّتِي سَخَّرْنَاهَا لَهُمْ ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يَقُولُ : مِنْ طَيِّبَاتِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَهِيَ حَلَالُهَا وَلَذِيذَاتُهَا ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ذَلِكَ تَمَكُّنُهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَخْذُ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ بِهَا وَرَفْعُهَا بِهَا إِلَى أَفْوَاهِهِمْ ، وَذَلِكَ غَيْرُ مُتَيَسِّرٍ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ " .

وكلُّ نعْمَةٍ يَرَاهَا الإنْسَانُ ؛ فَمِنَ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل : ٥٣] ؛ أي : مَا يَكُنْ بِكُمْ فِي أَبْدَانِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ عَافِيَةٍ وَصِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ ، وَفِي

أَمْوَالِكُمْ مِنْ نَمَاءٍ ؛ فَاللهُ الْمُنْعِمُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ لَا غَيْرُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ . (" تَفْسِيْرُ " الطَّبَرِيِّ) .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة : ٢٩] ؛ **قَالَ الطَّبَرِيُّ :** " فَمَعْنَى الْكَلَامِ – إِذَنْ – : هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ؛ فَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَسَخَّرَهُ لَكُمْ ؛ تَفَضُّلًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ ؛ لِيَكُونَ لَكُمْ بَلَاغًا فِي دُنْيَاكُمْ ، وَمَتَاعًا إِلَى مُوَافَاةِ آجَالِكُمْ ، وَدَلِيلًا لَكُمْ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ " .

❍ ومِنْ صُوَرِ وألوانِ وأَشْكَالِ وضُرُوبِ هَذِهِ النِّعَمِ التِي لَا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ؛ مَا ذَكَّرنَا اللهُ بهِ في قُرْآنِهِ في آيَاتٍ كَثِيْرَةٍ ، تُبْكِي القُلُوبَ والعُيونَ ؛ تأثُّرًا وإِخْبَاتًا ، وإجلالًا ومحبَّةً وَتَعْظِيْمًا :

✧ فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَلِي :

١– ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٢ و ٣٣] .

● **قَالَ الطَّبَرِيُّ :** " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ لَا تُطِيقُوا إِحْصَاءَ عَدَدِهَا ، وَالْقِيَامَ بِشُكْرِهَا ، إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ لَكُمْ عَلَيْهَا ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ يَقُولُ : إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا لَظَلُومٌ : يَقُولُ : لَشَاكِرٌ غَيْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ وَاضِعُ الشُّكْرِ فِي غَيْرِ

مَوْضِعِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِمَا أَنْعَمَ ، وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ ، فَعَبَدَ غَيْرَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ ظُلْمُهُ ، وَقَوْلُهُ : ﴿كَفَّارٌ﴾ يَقُولُ : هُوَ جُحُودُ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ لِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَى غَيْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَتَرْكُهُ طَاعَةَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ " .

٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النَّحلُ : ١٢] .

● **قَالَ الطَّبَرِيُّ** : " وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ الَّتِي ذَكَرَهَا قَبْلُ أَنْ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ ، هَذَا لِتَصَرُّفِكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ ، وَهَذَا لِسَكَنِكُمْ فِيهِ ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ أَزْمِنَتِكُمْ ، وَشُهُورِكُمْ ، وَسِنِينِكُمْ ، وَصَلَاحِ مَعَايِشِكُمْ . ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ لَكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَجْرِي فِي فَلَكِهَا لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : إِنَّ فِي تَسْخِيرِ اللَّهِ ذَلِكَ عَلَى مَا سَخَّرَهُ لَدَلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ حُجَجَ اللَّهِ وَيَفْهَمُونَ عَنْهُ تَنْبِيهَهُ إِيَّاهُمْ " .

٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل : ١٤] .

٤- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجّ : ٦٥] .

٥- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان : ٢٠] .

٦- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية : ١٣] .

٧- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء : ٧٨ - ٨٢] .

٨- ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح : ١٠- ٢٠] .

٩- ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى : ١ - ٧] .

١٠- ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق : ١ - ٥] .

ولَوْ عَدَّدْتَ نِعَمَ الله تَعَالَى عَلَيْك ؛ فَلَنْ تَسْتَطِيْعَ . . وَلَنْ تَقْدِرَ . . ولَنْ يَأْتِي عَلَيْها العَدُّ والحَصْرُ ، مَهْمَا حَاوَلْتَ وَفَكَّرْتَ . . ثمَّ إنَّكَ لَوْ شَكَرْتَ رَبَّك عَلَيْهَا لزَادَكَ وأعطَاكَ وأكرمَكَ بالكَثِيْرِ ؛ فهو الشَّكُورُ ،

الواسعُ ، الكريمُ ، الرزَّاق ، البرُّ ، الرَّحيمُ ، صاحبُ النِّعمةِ ، ووليُّ العطاءِ ؛ قَالَ تَعالَى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وخزائنُهُ لا تَفْنَى .. بِيَدِهِ مَفَاتِيْحُ الرِّزْقِ .. وَمَقَالِيْدُ السَّمواتِ والأَرْضِ بيَدِهِ .. ويدهُ مَلْأَى سَحَّاءُ الليلِ والنَّهارِ .. يقُولُ اللهُ تَعَالَى - في الحَدِيْثِ القُدُسِيِّ - : " **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ** " . رواهُ مسلمٌ في " الصَّحيح " .

فإذا كُنْتَ في نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فإنَّ الذُّنُوبَ تزِيْلُ النِّعَمَ

وحُطْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ العِبَادِ ... فإنَّ الإلهَ سريعُ النِّقَمِ

ففَكِّرْ فِي نِعَمِهِ العظيمةِ ، وآلائهِ الجسِيمةِ ؛ لتكونَ شاكرًا حامدًا ؛ فمن الذي خلقَك ، وكرَّمكَ ، ورزقَك ، وأَطْعَمَك ، وأَلْبَسَك ، وقوَّاكَ وأَعانَك ، وزوَّجَك وأَعْطَاكَ الأَوْلَادَ ؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النَّملُ : ٦٠] .

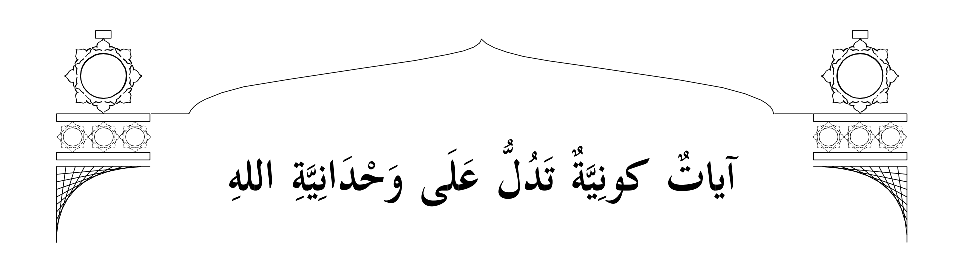
مَنِ الذِي أَعْطَاكَ الصِّحَّةَ والعَافِيَةَ ، والعَقْلَ والفَهْمَ ، والقِرَاءَةَ

والكِتَابَةَ والعِلْم ؟

- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **التَّنَفُسِ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **السَّمْعِ والبَصَرِ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **التَّذَوُّقِ والشَّمِّ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **الإحْسَاسِ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **الحَركَةِ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **النَّومِ والدِّفْءِ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **الهَواءِ والماءِ** ؟
- هَلْ شكَرْتَ اللهَ عَلَى نِعْمَةِ **اللَّيْلِ والنَّهَارِ** ؟

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص : ٧٠- ٧٣] .

❁ ❁ ❁



آياتٌ كونِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ

قَالَ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة : ١٦٤].

● **قَالَ العلاَّمةُ السَّعديُّ في " تَيْسِيْرِ اللطِيْفِ المَنَّانِ " :**

" أَخْبَرَ – تَعَالَى – أَنَّ فِي هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ العَظِيْمَةِ آيَاتٍ ؛ أي : أَدِلَّة علَى وحْدَانِيَّة البَارِي وإِلَهِيَّتِهِ ، وعَظِيْم سُلْطانِه ورحْمَتِهِ ، وسائِرِ صفاتِهِ ، وآيةٌ عَلَى البَعْثِ والجزَاءِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ؛ أي : لهم عُقُولٌ يُعْمِلُونَها فيما خُلِقَتْ له ؛ فعلى حِسَابِ مَا مَنَّ اللهُ على عبده مِنَ العقل ، وصرفه في التفكر في الآيات يَنْتَفِع بها ويَعْرِفُها ويَعْقِلُها بعقلِهِ وفِكْرِه وتدبُّرِه ؛ ففي خلْقِ السماواتِ ، في ارتفاعها واتِّسَاعِها ، وإحكامها وإتقانِها ، وما جعل اللهُ فيها من الشَّمْسِ والقمر والنجوم ، وجريانها بانتظامٍ عجيبٍ ، لمصالحِ العبادِ .

وفي خلق الأرضِ ؛ وجَعْلِها مهادًا للخلق ، يُمْكِنُهم القرارُ عليها، والانتفاعُ بما عليها والاعتبارُ ؛ ما يَدُلُّ ذلك على انفرادِ الله بالخلق والتدبير ، وبيانِ قدرتِهِ العظيمةِ التي بها خَلَقَها ، وحكمتِهِ

التي بها أَتْقَنَها وأَحْسَنَها ونَظَّمَها ، وعلمِهِ ورحمتِهِ التي بها أَوْدَعَ مَا أَوْدَعَ فيها من منافع الخلق ومصالحِهِم وضروراتِهِم وحاجاتِهِم ، وفي ذلك أبلغُ دليلٍ وبرهانٍ على كماله من كل وجهٍ ، وأن يُفْرَدَ بالعبادة ؛ لانفراده بالخَلْقِ والتدبير والقيام بشؤون عباده.

وفي (اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ) ، وهو : تعاقُبُهُما على الدَّوَام إذا ذَهَبَ أحدُهُما خلَفَهُ الآخَرَ ؛ وفي اخْتِلافِهِمَا في الحرِّ والبَرْدِ والتَّوَسُّطِ ، وفي الطُّول والقِصَر والتَّوَسُّطِ ، وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظامُ مصالحِ الآدميين وحيواناتِهِم وأشجارِهِم وزروعِهِم ، والنَّوَابِتِ كلها ؛ كلُّ ذلك بتدبيرٍ وتسخيرٍ تُحَيَّرُ في حُسْنِهِ العقولُ ، ويَعْجِزُ عن إدراك كُنْهِهِ الرجالُ الفحولُ ، وذلك يدلُّ على قدرة مُصرِّفِها ، وسعة علمه ، وشمول حكمته ، وعموم رحمته ، ولطفه الشامل ، وعظمته وكبريائه وسلطانه العظيم ، يضطر العباد إلى معرفة ربهم ، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

وفي (الفُلْكِ التِي تَجْرِي فِي البَحْرِ) ، وهي : السفن والمراكب ونحوها مما ألهم الله عباده صنعتها ، وأقدرهم عليها بتيسير أسبابها ، ثُمَّ سَخَّر لها هذا البحر العظيم ، والرياح التي تحمِلُها بما فيها من الركاب والأموال والبضائع التي هي من منافع الناس ، وبها تنتظم معايشهم .

فمَنِ الذي ألهمهم صَنْعَتَها ، وأقدرهم عليها ، وخَلَق لهم من الآلات المتنوعة ما بِهِ يعملونها ؟ أم مَنِ الذي سخَّر لها هذا البَحْرَ تجري فيه - بإذنه وتسخيره - الرياحُ ؟ أم مَنِ الذي خلق للمراكب

البرية والبحرية والهوائية النارَ والمَعَادِنَ المتنوعةَ المُعِيْنَةَ على حَمْلِها وحَمْلِ ما فيها من الأموال الثقيلة (جدًّا) ؟ فهَلْ هذه الأمور حصلت صُدْفَةً واتِّفَاقًا ؟! أم اسْتَقَلَّ بِعَمَلِهَا ، وخَلق أسبَابَها هذا المخلُوقُ الضعيفُ العاجِزُ ، الذي خرج من بطن أمِّهِ لا يعلم شيئًا ، وليس له قدرةٌ على شيء ، ثم أعطاه خالِقُهُ القدرةَ ، وعلَّمَهُ ما لم يكن يعْلَمُ ؟ أم تقولُ : - والحق تقول - : بل المُسَخِّرُ لِذَلِك الرَّبُّ الواحِدُ ، العظيمُ العليمُ الحكيمُ القديرُ ؛ الذي لا يعجزه شيءٌ ، ولا يمتنع عليه شيءٌ ؛ بل الأشياء كلُّها قد دانت لربوبيتهِ ، واستكانَتْ لعَظَمَتِهِ ، وخضَعَتْ لجبروتِهِ ، وغاية العبد الضعيف أن جعله الله جزءًا من أجزاءِ الأسبابِ التي بها وجدت هذه الأمور العظام ؛ فهذا يدلُّ على رحمة الله وعنايته بعبادِهِ ، ويَدْعُو العبادَ إلى أن يعبدوه وحده لا شريك له ، وَيُنِيْبُوا إليه في كل حالٍ .

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهو المَطرُ النازلُ من السحابِ ، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة : ١٦٤] ؛ فأظهرت أنواع الأقوات وأصناف الأشجار والنباتات التي لا يمكن للعباد أن يعيشوا بدونها.

أليس ذلك برهانًا على قدرة مَنْ أنزلَهُ ، وأخرج به ما أخرج ، وعلى رحمته ولطفه بعباده ، وشدة افتقار الخليقة إليه في كل أحوالهم ، وهو يحدوهم إلى إخلاص الدين له والإنابة إليه ، والقيام بعبوديته ظاهرًا وباطنًا ؟

وكذلك هو دليلٌ على إحياء الله للموتى ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ

ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت : ٣٩] .

وقد ذكر اللهُ هذا البرهانَ على البعث في عدة آيات ؛ كما ذكر ابتداءَ الخلق ؛ برهانًا على إعادته ، وكما ذكر كمال علمه وقدرتهِ ، وخلق السماوات والأرض ، وأنه جعل للعباد من الشجر الأخضر نارًا ؛ برهانًا بينًا على البعث.

وقوله : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؛ أي : نَشَرَ في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة ، وسخرها للآدميين ينتفعون بها من وجوهٍ كثيرةٍ ، ومع هذا ؛ فهو قائمٌ بأرزاقها ، متكفلٌ بأقواتها ؛ فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستَقَرَّهَا ومستودَعَهَا .

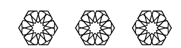
وفي تصريف الرياح آياتٌ عظيمةٌ على وحدانية الله ، وتفرُّدِهِ بالكمال المطلق ؛ فتارة تكون باردةً وحارةً وبين ذلك ، وجنوبًا وشمالًا ، ودبورًا (أي : غربِيَّةً) ، وبين ذلك ، وتارةً تُثِيْرُ السَّحَاب ، وتارة تؤلف بَيْنَهُ ، وتارة تُلَقِّحُه وتُدِرُّه ، وتارة تُمَزِّقُه وتزيلُ ضررَهُ، وتارةُ تُرْسَلُ بالرحمةِ ، وتارة تُرْسَلُ بالعذاب ؛ فمن الذي صرفها هذا التصريف، ورتَّبَ عليها من المنافع للعباد كثيرًا إلا العزيز الحكيم ، الرحيم اللطيف بعباده ، المُسْتَحِقُّ للمحبة والثناء والشكر والحمد من الحقيقة ؟

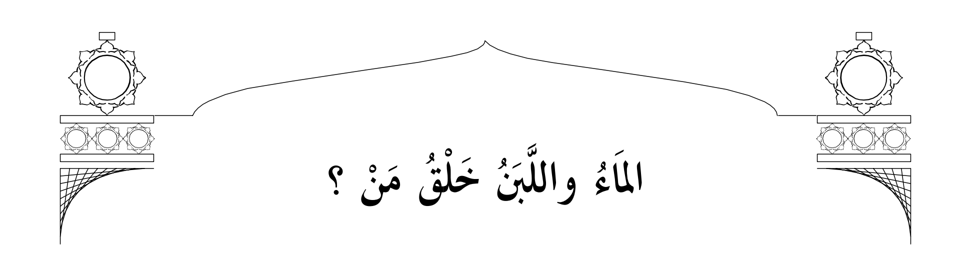
وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفَّتِهِ ولطافَتِهِ يحْمِلُ الماء الكثير ، فيسوقُهُ اللهُ إلى حيث يشاء ، ويجعله حياةً للبلاد والعباد ، ويروي به التُّلول والوهاد ، وينزله على الخلق وقت

حاجتهم إليه ، ويصرف عنهم ضررَهُ ، فينزله رحمة ولطفًا، ويصرفه عناية وعطفًا.

فما أعظم سلطانَهُ ، وأغْزَرَ إحسانَهُ ، وألطف امتنانَهُ ، أليس من أقبَحِ القَبِيْحِ ، وأظلم الظلم أن يتمتع العباد برزقِهِ ، ويعيشوا ببرِّهِ ، وهم يستعِيْنُونَ بذلك على مَسَاخِطِهِ ومَعَاصِيْهِ ؟ ومع ذلك من كَمَالِ حلْمِهِ وعَفْوِهِ وصَفْحِهِ يُوَالي عليهم الإحسَانَ ، خَيْرُهُ إليهم - على الدوام - نازلٌ ، وشرُّهم إليه - في كلِّ وقتٍ - صاعِدٌ .

● **والحاصِلُ** : أنه كلَّمَا تَدَبَّرَ العاقل في هذه المخلوقات ، وتَغَلْغَلَ فِكْرُهُ في بدائع الكائنات ، عَلِمَ أنها خُلِقَتْ للحق وبالحق ، وأنها صحائف آياتٍ ، وكتبُ براهين ودلالاتٍ على جميع ما أخْبَرَ بِهِ عن نفسه ووحدانيتهِ ، وما أخبرت به الرُّسُلُ من اليوم الآخر ، وأنها مُدَبراتٌ مُسَخَّرات ، ليس لها تدبيرٌ ولا استعْصَاءٌ على مُدَبِّرِها ومُصَرِّفِهَا ؛ فتعرف أن العالم العلويَّ والسفليَّ كلَّهم إليه مُفْتَقِرُون ، وإليه صامِدُون ، وأنه الغنيُّ بالذَّاتِ عن جميع المخلوقاتِ ؛ فلا إله إلا هو، ولا رب سواهُ " . انتهى.





المَاءُ واللَّبَنُ خَلْقُ مَنْ ؟

وأَطْرَحُ – هُنَا – سُؤَالًا مُهِمًّا ؛ أَلَا وهُوَ : هَلْ يَسْتَطِيْعُ مَخْلُوقٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَنْ يَخْلُقَ (أو يَسْتَصْنِعَ) قَطْرَةَ مَاءٍ ، أَوْ قَطْرَةَ لَبَنٍ خَالِصٍ ؟

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أنَّ الماءَ هُوَ عَصَبُ الحَيَاةِ ، وَهُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ نَبَاتٌ ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياءُ : ٣٠] .

وَتَأْتِي الآيَاتُ القُرْآنِيَّةُ تَتَوَارِدُ لِبَيَانِ أَهمِيَّةِ الماءِ لِحَيَاةِ كُلِّ كَائِنٍ ، وكُلِّ دَابَّةٍ ؛ بَلْ وَلِحَيَاةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى وجْهِ الأَرْضِ ، وكذلِك تَأْتِي الآياتُ الكَرِيْمَةُ لِبَيَانِ كَيْفيَةِ اسْتِخْلاصِ اللَّبَنِ بِطَرِيْقَةٍ عَجِيْبَةٍ بديْعةٍ مِنْ بُطُونِ الأَنْعَامِ ، وأَسُوقُ إِلَيْكُم جُمْلَةً آياتٍ في غُضُونِ هَذَا الأَمْرِ المُذْهِلِ ؛ فَلَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – :

– ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرةُ : ٢٢] .

– ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرةُ : ١٦٤] .

– ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ

وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّعد: ٤].

- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النَّحل: ١١].

- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النَّحل: ٦٥ و ٦٦].

- ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحجّ: ٥].

- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨- ٢١].

– ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النَّمَلُ : ٦٠ و ٦١] .

– ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السَّجْدَةُ : ٢٧] .

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة : ٦٨- ٧٠] .

– ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النَّبَأُ : ١٤- ١٦] .

– ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس : ٢٥- ٣٢] .

فَتَأَمَّلْ قَوْلَ اللهِ – تَعَالَى – : ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النَّحلُ : ٦٦] ، وَقَوْلَ اللهِ تَعَالَى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطَّارِقُ : ٥- ٧] .

فاللَّبَنُ : خَرَجَ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ، **والإِنْسَانُ** : خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ .

فالشَّرابُ ؛ هَذَا مَخْرَجُهُ ، والإنْسَانُ ؛ هَذَا مَخْرَجُهُ . " فَخُرُوجُ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ وَالدَّمِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِخُرُوجِ الْمَنِيِّ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ " ؛ ؛ كَمَا قَالَ شيْخُ الإسْلامِ في " الفتاوى الكُبْرَى " (١ / ٤١٦) ، و " مَجْمُوع الفَتَاوى " (٢١ / ٦٠٣) .

فَانْظُرْ إلَى مَدَى التَّشَابُهِ بيْنَ الأَمْرَيْنِ ؛ لِتُؤمِنَ بِالخَالِقِ (وَحْدَهُ) تبَارَكَ وَتَعَالَى . ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

وقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ اللَّبَنِ والمَاءِ كَنَعِيْمٍ لأَهْلِ الجَنَّةِ ؛ فَقَالَ فِي الْجَنَّةِ : ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [مُحَمَّد : ١٥] .

وتأَمَّلْ صُنْعَ اللَّبَنِ ! ف : " قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الدَّمَ نَجِسٌ ؛ فَكَذَلِكَ الْفَرْثُ ؛ لِتَظْهَرَ الْقُدْرَةُ وَالرَّحْمَةُ فِي إخْرَاجِ طَيِّبٍ مِنْ بَيْنِ خَبِيثَيْنِ " ؛ كَمَا قَالَ شَيْخُ الإسْلامِ في " الفَتَاوى الكُبْرَى " (١ / ٣٧٧) ، و " مَجْمُوعِ الفَتَاوى " (٢١ / ٥٤٧) .

● **ويُمَتِّعُ فُؤَادَكَ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّمِ فِي " زَادِ المَعَادِ " (٤ / ٣٥٣-٣٥٥) بِقَوْلِهِ** : " اللَّبَنُ : وَإِنْ كَانَ بَسِيطًا فِي الْحِسِّ ، إِلَّا أَنَّهُ مُرَكَّبٌ فِي أَصْلِ الْخِلْقَةِ تَرْكِيبًا طَبِيعِيًّا مِنْ جَوَاهِرَ ثَلَاثَةٍ : الْجُبْنِيَّةُ، وَالسَّمْنِيَّةُ، وَالْمَائِيَّةُ ؛ فَالْجُبْنِيَّةُ : بَارِدَةٌ رَطْبَةٌ، مُغَذِّيَةٌ لِلْبَدَنِ، وَالسَّمْنِيَّةُ : مُعْتَدِلَةُ الْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ مُلَائِمَةٌ لِلْبَدَنِ الْإِنْسَانِيِّ الصَّحِيحِ، كَثِيرَةُ الْمَنَافِعِ، وَالْمَائِيَّةُ : حَارَّةٌ رَطْبَةٌ، مُطْلِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ، مُرَطِّبَةٌ لِلْبَدَنِ، وَاللَّبَنُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَبْرَدُ وَأَرْطَبُ مِنَ الْمُعْتَدِلِ .

وَقِيلَ : قُوَّتُهُ عِنْدَ حَلْبِهِ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ، وَقِيلَ مُعْتَدِلٌ فِي

الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ.

وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ اللَّبَنُ حِينَ يُحْلَبُ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ تَنْقُصُ جَوْدَتُهُ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ، فَيَكُونُ حِينَ يُحْلَبُ أَقَلَّ بُرُودَةً، وَأَكْثَرَ رُطُوبَةً، وَالْحَامِضُ بِالْعَكْسِ، وَيُخْتَارُ اللَّبَنُ بَعْدَ الْوِلَادَةِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَجْوَدُهُ مَا اشْتَدَّ بَيَاضُهُ، وَطَابَ رِيحُهُ، وَلَذَّ طَعْمُهُ، وَكَانَ فِيهِ حَلَاوَةٌ يَسِيرَةٌ، وَدُسُومَةٌ مُعْتَدِلَةٌ، وَاعْتَدَلَ قِوَامُهُ فِي الرِّقَّةِ وَالْغِلَظِ، وَحُلِبَ مِنْ حَيَوَانٍ فَتِيٍّ صَحِيحٍ، مُعْتَدِلِ اللَّحْمِ، مَحْمُودِ الْمَرْعَى وَالْمَشْرَبِ.

وَهُوَ مَحْمُودٌ يُوَلِّدُ دَمًا جَيِّدًا، وَيُرَطِّبُ الْبَدَنَ الْيَابِسَ، وَيَغْذُو غِذَاءً حَسَنًا، وَيَنْفَعُ مِنَ الْوَسْوَاسِ وَالْغَمِّ وَالْأَمْرَاضِ السَّوْدَاوِيَّةِ، وَإِذَا شُرِبَ مَعَ الْعَسَلِ نَقَّى الْقُرُوحَ الْبَاطِنَةَ مِنَ الْأَخْلَاطِ الْعَفِنَةِ، وَشُرْبُهُ مَعَ السُّكَّرِ يُحَسِّنُ اللَّوْنَ جِدًّا، وَالْحَلِيبُ يَتَدَارَكُ ضَرَرَ الْجِمَاعِ، وَيُوَافِقُ الصَّدْرَ وَالرِّئَةَ، جَيِّدٌ لِأَصْحَابِ السُّلِّ، رَدِيءٌ لِلرَّأْسِ وَالْمَعِدَةِ، وَالْكَبِدِ وَالطِّحَالِ، وَالْإِكْثَارُ مِنْهُ مُضِرٌّ بِالْأَسْنَانِ وَاللِّثَةِ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُتَمَضْمَضَ بَعْدَهُ بِالْمَاءِ ، وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ لَبَنًا ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضْمَضَ وَقَالَ : " **إِنَّ لَهُ دَسَمًا** " .

وَهُوَ رَدِيءٌ لِلْمَحْمُومِينَ ، وَأَصْحَابِ الصُّدَاعِ، مُؤْذٍ لِلدِّمَاغِ، وَالرَّأْسِ الضَّعِيفِ، وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ تُحْدِثُ ظُلْمَةَ الْبَصَرِ وَالْغِشَاءَ، وَوَجَعَ الْمَفَاصِلِ وَسُدَّةَ الْكَبِدِ، وَالنَّفْخَ فِي الْمَعِدَةِ وَالْأَحْشَاءِ، وَإِصْلَاحُهُ بِالْعَسَلِ وَالزَّنْجَبِيلِ الْمُرَبَّى وَنَحْوِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ لِمَنْ لَمْ يَعْتَدْهُ .

● **لَبَنُ الضَّأْنِ** : أَغْلَظُ الْأَلْبَانِ وَأَرْطَبُهَا ، وَفِيهِ مِنَ الدُّسُومَةِ

وَالزُّهُومَةِ مَا لَيْسَ فِي لَبَنِ الْمَاعِزِ وَالْبَقَرِ، يُوَلِّدُ فُضُولًا بَلْغَمِيًّا، وَيُحْدِثُ فِي الْجِلْدِ بَيَاضًا إِذَا أُدْمِنَ اسْتِعْمَالُهُ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَابَ هَذَا اللَّبَنُ بِالْمَاءِ لِيَكُونَ مَا نَالَ الْبَدَنَ مِنْهُ أَقَلَّ، وَتَسْكِينُهُ لِلْعَطَشِ أَسْرَعَ، وَتَبْرِيدُهُ أَكْثَرَ.

● **لَبَنُ الْمَعْزِ** : لَطِيفٌ مُعْتَدِلٌ، مُطْلِقٌ لِلْبَطْنِ، مُرَطِّبٌ لِلْبَدَنِ الْيَابِسِ، نَافِعٌ مِنْ قُرُوحِ الْحَلْقِ وَالسُّعَالِ الْيَابِسِ وَنَفْثِ الدَّمِ.

● **وَاللَّبَنُ الْمُطْلَقُ** أَنْفَعُ الْمَشْرُوبَاتِ لِلْبَدَنِ الْإِنْسَانِيِّ لِمَا اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ التَّغْذِيَةِ وَالدَّمَوِيَّةِ، وَلِاعْتِيَادِهِ حَالَ الطُّفُولِيَّةِ، وَمُوَافَقَتِهِ لِلْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ، وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحٍ مِنْ خَمْرٍ، وَقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ ؛ فَقَالَ جِبْرِيلُ : " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ** " . وَالْحَامِضُ مِنْهُ بَطِيءُ الِاسْتِمْرَاءِ، خَامُ الْخِلْطِ، وَالْمَعِدَةُ الْحَارَّةُ تَهْضِمُهُ وَتَنْتَفِعُ بِهِ.

● **لَبَنُ الْبَقَرِ** : يَغْذُو الْبَدَنَ، وَيُخَصِّبُهُ، وَيُطْلِقُ الْبَطْنَ بِاعْتِدَالٍ، وَهُوَ مِنْ أَعْدَلِ الْأَلْبَانِ وَأَفْضَلِهَا بَيْنَ لَبَنِ الضَّأْنِ، وَلَبَنِ الْمَعْزِ فِي الرِّقَّةِ وَالْغِلَظِ وَالدَّسَمِ .

● **لَبَنُ الْإِبِلِ** : تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ ، وَذِكْرُ مَنَافِعِهِ ؛ فَلَا حَاجَةَ لِإِعَادَتِهِ " . انتهى .

◆ فَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُرَيْنَةَ وَعُكَلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَالَ : " **لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَبْوَالِهَا**

وَأَلْبَانِهَا " ؛ فَفَعَلُوا ؛ فَلَمَّا صَحُّوا عَمَدُوا إِلَى الرُّعَاةِ ؛ فَقَتَلُوهُمْ ، وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؛ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آثَارِهِمْ ؛ فَأُخِذُوا فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ، وَأَلْقَاهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى مَاتُوا .

● **قَالَ ابْنُ القيِّمِ في " الزَّادِ " (٤ / ٤٣ - وَمَا بَعْدَهَا -) :**

" فَإِنَّ فِي لَبَنِ اللِّقَاحِ جَلَاءً وَتَلْيِينًا ، وَإِدْرَارًا وَتَلْطِيفًا، وَتَفْتِيحًا لِلسُّدَدِ ؛ إِذْ كَانَ أَكْثَرُ رَعْيِهَا الشِّيحَ، وَالْقَيْصُومَ، وَالْبَابُونَجَ، وَالْأُقْحُوَانَ، وَالْإِذْخِرَ، وَغَيْرَ ذَلِك مِنَ الْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ لِلِاسْتِسْقَاءِ ؛ قَالَ الرَّازِيُّ : لَبَنُ اللِّقَاحِ يَشْفِي أَوْجَاعَ الْكَبِدِ، وَفَسَادَ الْمِزَاجِ ، وَقَالَ الإِسْرَائِيْلِيُّ : لَبَنُ اللِّقَاحِ أَرَقُّ الْأَلْبَانِ وَأَكْثَرُهَا مَائِيَّةً وَحِدَّةً وَأَقَلُّهَا غِذَاءً ؛ فَلِذَلِك صَارَ أَقْوَاهَا عَلَى تَلْطِيفِ الْفُضُولِ ، وَإِطْلَاقِ الْبَطْنِ ، وَتَفْتِيحِ السُّدَدِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِك مُلُوحَتُهُ الْيَسِيرَةُ الَّتِي فِيهِ لِإِفْرَاطِ حَرَارَةٍ حَيَوَانِيَّةٍ بِالطَّبْعِ ، وَلِذَلِك صَارَ أَخَصَّ الْأَلْبَانِ بِتَطْرِيَةِ الْكَبِدِ وَتَفْتِيحِ سُدَدِهَا وَتَحْلِيلِ صَلَابَةِ الطِّحَالِ إِذَا كَانَ حَدِيثًا ، وَالنَّفْعُ مِنَ الِاسْتِسْقَاءِ خَاصَّةً إِذَا اسْتُعْمِلَ لِحَرَارَتِهِ الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا مِنَ الضَّرْعِ مَعَ بَوْلِ الْفَصِيلِ، وَهُوَ حَارٌّ كَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَيَوَانِ ؛ فَإِنَّ ذَلِك مِمَّا يَزِيدُ فِي مِلْوَحَتِهِ وَتَقْطِيعِهِ الْفُضُولَ وَإِطْلَاقِهِ الْبَطْنَ ؛ فَإِنْ تَعَذَّرَ انْحِدَارُهُ وَإِطْلَاقُهُ الْبَطْنَ وَجَبَ أَنْ يُطْلَقَ بِدَوَاءٍ مُسَهِّلٍ .

قَالَ صَاحِبُ " الْقَانُونِ " : وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مَا يُقَالُ : مِنْ أَنَّ طَبِيعَةَ اللَّبَنِ مُضَادَّةٌ لِعِلَاجِ الِاسْتِسْقَاءِ . قَالَ : وَاعْلَمْ أَنَّ لَبَنَ النُّوقِ دَوَاءٌ نَافِعٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْجَلَاءِ بِرِفْقٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ خَاصِّيَّةٍ ، وَأَنَّ هَذَا اللَّبَنَ شَدِيدُ الْمَنْفَعَةِ ؛ فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَقَامَ عَلَيْهِ بَدَلَ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ شُفِيَ بِهِ ، وَقَدْ

جُرِّبَ ذَلِكَ فِي قَوْمٍ دُفِعُوا إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ ؛ فَقَادَتْهُمُ الضَّرُورَةُ إِلَى ذَلِكَ فَعُوفُوا . وَأَنْفَعُ الْأَبْوَالِ : بَوْلُ الْجَمَلِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَهُوَ النَّجِيبُ ، انْتَهَى" .

وأمَّا المَاءُ ؛ فَمَاذَا نَقُولُ أَكْثَر مِمَّا قَالَ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

● **يَقُولُ العَلاَّمَةُ ابنُ القيِّمِ في " زَادِهِ " الطَّيِّبِ المُبَارِكِ (٤ / ٢٠٦) – وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الماءِ البارِدِ – :**

" وَالْمَاءُ الْبَارِدُ رَطْبٌ يَقْمَعُ الْحَرَارَةَ ، وَيَحْفَظُ عَلَى الْبَدَنِ رُطُوبَاتِهِ الْأَصْلِيَّةَ ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ بَدَلَ مَا تَحَلَّلَ مِنْهَا ، وَيُرَقِّقُ الْغِذَاءَ وَيُنْفِذُهُ فِي الْعُرُوقِ.

وَاخْتَلَفَ الْأَطِبَّاءُ هَلْ يُغَذِّي الْبَدَنَ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ : فَأَثْبَتَتْ طَائِفَةٌ التَّغْذِيَةَ بِهِ بِنَاءً عَلَى مَا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ النُّمُوِّ وَالزِّيَادَةِ وَالْقُوَّةِ فِي الْبَدَنِ بِهِ ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

قَالُوا : وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ ، مِنْهَا : النُّمُوُّ وَالِاغْتِذَاءُ وَالِاعْتِدَالُ ، وَفِي النَّبَاتِ قُوَّةُ حِسٍّ تُنَاسِبُهُ ، وَلِهَذَا كَانَ غِذَاءُ النَّبَاتِ بِالْمَاءِ ؛ فَمَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَيَوَانِ بِهِ نَوْعُ غِذَاءٍ ، وَأَنْ يَكُونَ جُزْءًا مِنْ غِذَائِهِ التَّامِّ.

قَالُوا : وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ قُوَّةَ الْغِذَاءِ وَمُعْظَمَهُ فِي الطَّعَامِ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرْنَا أَنْ لَا يَكُونَ لِلْمَاءِ تَغْذِيَةٌ الْبَتَّةَ .

قَالُوا : وَأَيْضًا الطَّعَامُ إِنَّمَا يُغَذِّي بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَائِيَّةِ ، وَلَوْلَاهَا لَمَا

حَصَلَتْ بِهِ التَّغْذِيَةُ.

قَالُوا : وَلِأَنَّ الْمَاءَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى مَادَّةِ الشَّيْءِ، حَصَلَتْ بِهِ التَّغْذِيَةُ ؛ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ مَادَّتَهُ الْأَصْلِيَّةَ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ؛ **فَكَيْفَ نُنْكِرُ حُصُولَ التَّغْذِيَةِ بِمَا هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؟ .**

قَالُوا : وَقَدْ رَأَيْنَا الْعَطْشَانَ إِذَا حَصَلَ لَهُ الرِّيُّ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ ، تَرَاجَعَتْ إِلَيْهِ قُوَاهُ وَنَشَاطُهُ وَحَرَكَتُهُ ، وَصَبَرَ عَنِ الطَّعَامِ ، وَانْتَفَعَ بِالْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنْهُ ، وَرَأَيْنَا الْعَطْشَانَ لَا يَنْتَفِعُ بِالْقَدْرِ الْكَثِيرِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَا يَجِدُ بِهِ الْقُوَّةَ وَالِاغْتِذَاءَ ، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّ الْمَاءَ يُنْفِذُ الْغِذَاءَ إِلَى أَجْزَاءِ الْبَدَنِ، وَإِلَى جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّ أَمْرُ الْغِذَاءِ إِلَّا بِهِ ، وَإِنَّمَا نُنْكِرُ عَلَى مَنْ سَلَبَ قُوَّةَ التَّغْذِيَةِ عَنْهُ الْبَتَّةَ ، وَيَكَادُ قَوْلُهُ عِنْدَنَا يَدْخُلُ فِي إِنْكَارِ الْأُمُورِ الْوِجْدَانِيَّةِ .

وَأَنْكَرَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى حُصُولَ التَّغْذِيَةِ بِهِ ، وَاحْتَجَّتْ بِأُمُورٍ يَرْجِعُ حَاصِلُهَا إِلَى عَدَمِ الِاكْتِفَاءِ بِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقُومُ مَقَامَ الطَّعَامِ ، وَأَنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي نُمُوِّ الْأَعْضَاءِ ، وَلَا يُخَلِّفُ عَلَيْهَا بَدَلَ مَا حَلَّلَتْهُ الْحَرَارَةُ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُنْكِرُهُ أَصْحَابُ التَّغْذِيَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ تَغْذِيَتَهُ بِحَسَبِ جَوْهَرِهِ ، وَلَطَافَتِهِ وَرِقَّتِهِ ، وَتَغْذِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسْبِهِ ، وَقَدْ شُوهِدَ الْهَوَاءُ الرَّطْبُ الْبَارِدُ اللَّيِّنُ اللَّذِيذُ يُغَذِّي بِحَسْبِهِ ، وَالرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ تُغَذِّي نَوْعًا مِنَ الْغِذَاءِ ؛ فَتَغْذِيَةُ الْمَاءِ أَظْهَرُ وَأَظْهَرُ " .

● **وقَالَ ابنُ رَجَبٍ فِي " لَطَائفِ المَعَارفِ " (ص : ٢٣ و ٢٤) :**

" وَقَدْ دَلَّ القُرْآنُ عَلَى أَنَّ المَاءَ مَادَّةُ جَمِيْعِ الحَيَوَانَاتِ ؛ قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى – : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياءُ : ٣٠] ، وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [فاطرُ : ٤٥] .

وَقَوْلُ مَنْ قالَ : إنَّ المُرَادَ بِالمَاءِ : النُّطْفَةُ التي يَخْلُقُ مِنْهَا الحَيَوانَاتُ ! بَعِيْدٌ ؛ **لِوَجْهَيْنِ :**

● **أحَدِهِمَا :** أنَّ النُّطفَةَ لا تُسمَّى ماءً مطلقًا ؛ بَلْ مقيَّدًا ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطَّارقُ : ٦ و٧] ، وقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝﴾ [المُرْسَلاتُ : ٢٠] .

● **والثَّانِي :** أنَّ مِنَ الحَيَوانَاتِ مَا يتولَّدُ مِنْ غيرِ نُطْفَةٍ ؛ كدودِ الخلِّ ، والفاكهةِ ونحوِ ذلك ؛ فَلَيْسَ كلُّ حيوانٍ مخلوقًا من نُطفةٍ ، والقرآنُ دلَّ عَلَى خَلْقِ جَمِيْعِ مَا يدِبُّ ، وما فيْهِ حياةٌ من ماءٍ ؛ فعُلِمَ بذلك أنَّ أَصْلَ جميعِها الماءُ المُطْلَقُ .

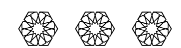
ولا يُنَافِي هَذَا قَوْلَهُ – تَعَالَى – : ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝﴾ [الحجرُ : ٢٧] ، وقَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : **" خُلِقَتِ المُلائِكَةُ مِنْ نُورٍ "** .

فإنَّ حَدِيْثَ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، دَلَّ عَلَى أنَّ أَصْلَ النُّور والنَّارِ : المَاءُ[1] ؛ كَمَا أَنَّ أصْلَ التُّرابِ الذي خُلِقَ منهُ آدمُ : الماءُ ؛ فإنَّ آدمَ

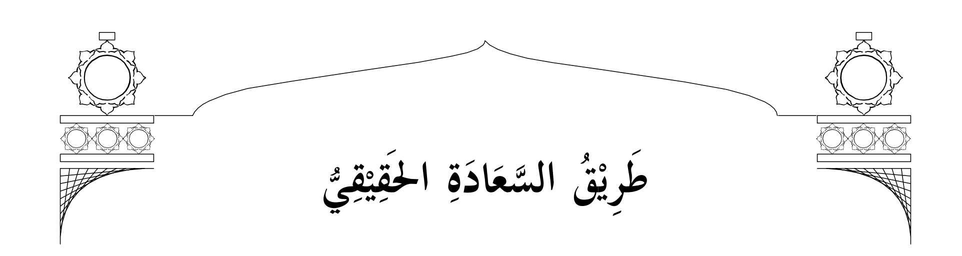
---

(١) فَفِي " المُسْنَدِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي ؛ فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : =

خُلِقَ من طينٍ ، والطينُ ترابٌ مُخْتَلِطٌ بماءٍ، والترابُ خُلِقَ من الماءِ ؛ كَمَا تقدَّمَ عن ابنِ عباسٍ، وغيرِهِ ، وزعمَ مقاتِلٌ : أنَّ الماءَ خُلِقَ من النُّور ، وهُوَ مَرْدُودٌ بحديثِ أَبِي هُريرةَ هَذَا وغيرِهِ ، ولا يُستنكَرُ خَلْقُ النَّارِ من الماءِ ؛ فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ جَمَعَ بقدرتِهِ بَيْنَ المَاءِ والنَّارِ في الشَّجرِ الأخضَرِ ، وجعلَ ذَلِكَ من أدلةِ القُدرةِ على البَعْثِ ، وذكر الطبَائعيُّونَ : أنَّ المَاءَ بانْحِدَارِه يَصِيْرُ بُخَارًا ، والبُخَارُ يَنْقَلِبُ هَوَاءً ، والهَوَاءُ يَنْقَلِبُ نَارًا ، واللهُ أَعْلَمُ " . انتهى .



= " **كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ** " . وفِي إِسْنَادِهِ قَتَادَةَ مُدلِّسٌ ، وَقَدْ عَنْعَنَ ، وَفِيْهِ أَبُو مَيْمُونَةَ ؛ مُخْتَلَفٌ فِيْهِ . ولهُ شاهدٌ في " سُنَنِ " التِّرمذيِّ ، ولفظهُ : " مِمَّ خُلِقَ الخَلْقُ ؟ قَالَ : " **مِنَ الْمَاءِ** " . وإسنادُهُ ضَعِيْفٌ ، وقد أشرتُ إليهِ في تحقيقي لـ : " حادي الأرواحِ " (ص : ٢٨٥) ط ابنِ عباسٍ .



طَرِيْقُ السَّعَادَةِ الحَقِيْقِيُّ

إنَّ السَّعَادَةَ (الحَقِيْقِيَّةَ) لَيْسَتْ فِي جَمْعِ الأَمْوَالِ ، وَبِنَاءِ الدُّورِ والقُصُورِ ، والتَّلَذُّذِ بِأَنْوَاعِ المَلَذَّاتِ ؛ بل السَّعادَةُ الحَقِيْقِيَّةُ ، والحَيَاةُ الطَّيِّبةُ الهَنِيَّةُ فِي الطَّاعَةِ والعِبَادَةِ لِرَبِّ البَرِيَّةِ ، وفي ذِكْرِهِ تَعَالَى والأُنسِ به ، ومحبتهِ ، والإنابةِ إليه ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرَّعدُ : ٢٨]، وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النَّحلُ : ٩٧] .

فإنه لا شَيْءَ أَلَذَّ للقُلُوب ، ولا أَحْلَى مِنْ مَحَبَّةِ خَالِقِهَا ، والأُنْسِ بِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ ، وعَلَى قَدْرِ معَرِفَتِهَا باللهِ ، ومَحَبَّتِهَا لَهُ ، يكُونُ ذكرُها لَهُ ؛ قاله السَّعديُّ .

فهي تَطِيْبُ ، وتَرْكَنُ إلى جَانِبِ اللهِ ، وتَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِهِ ، وتَرْضَى بِهِ مَوْلَىً ونَصِيْرًا ؛ قَالَهُ ابْنُ كَثِيْرٍ .

والمَعِيْشَةُ الضَّنْك ، والحَيَاةُ التَّعِيْسَةُ في الإعراضِ عن اللهِ تَعَالَى ، وعن دِيْنِهِ ، وشَرْعِهِ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه : ١٢٤] .

وَإِلاَّ ؛ فَأَنْتَ تَرَى أَهْلَ الكُفْرِ ، وَالمُلْحِدِيْنَ ، والمَادِّيين يَتَمَتَّعُونَ بِأَلَذِّ أَنْوَاعِ النَّعِيْمِ ، وَلَكِنْ دُونَ سَعَادةٍ غامِرَةٍ تَمْلأُ قُلُوبَهُمْ ، وَتُنِيْرُ حَيَاتَهُم . ثُمَّ مَصِيْرُهُمْ (بَعْدُ) إِلَى النَّارِ ، وَبِئْسَ القَرَارُ !! ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد : ١٢] .

● إِنَّ قَشْعَرِيْرَةً تَهُزُّ قَلْبَكَ وكِيَانَكَ بِذِكْرِكَ للهِ ، تَجِدُ بَعْدَهَا لَذَّةً وسعادَةً ؛ لَشَيْءٌ بَارِزٌ فِي أَعْمَاقِكَ أَنَّ هُنَاكَ رَبًّا عَظِيْمًا يُدَاوِيْكَ ويُرَاقِبُكَ .

● إِنَّ انْشِرَاحَةَ تُحِسُّهَا فِي قَلْبِكَ بَعْدَ طاعةٍ من الطاعاتِ تقومُ بها لخالقِكَ ورازِقُكَ ؛ لَدَلِيْلٌ ظَاهِرٌ مِنَ الأدلَّةِ الخَاشِعَةِ الجَلِيْلَةِ التِي تَحْمِلُكَ على أن تُقِرَّ وتُذْعِنَ وتَزْدَادُ يَقِيْنًا بِوُجُودِ إِلَهٍ كَبِيْرٍ عَظِيْمٍ .

● إنَّ (مُجَرَّدَ) التفكيرِ في ارتكابِ الحَرَامِ - فَضْلًا عن مباشرتِهِ وفعلِهِ - لَيَجْعَلُ القَلْبَ في حالةٍ من الألمِ والوَحْشَةِ والوَجَعِ ، مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ هناكَ ربًّا كبيرًا لا يحبُّ لكَ هذا الصَّنِيْعَ .

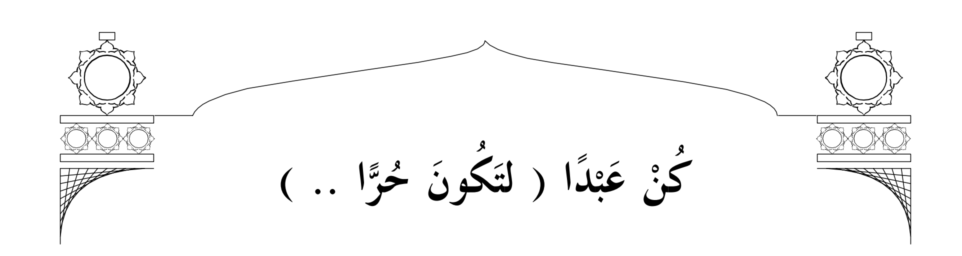
ألاَ تُوقِنُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ بِرَبِّكَ ؟

ألاَ تَفِيْقُ مِنْ رَقْدَتِكَ وغَفْلَتِكَ ؟

تأمَّل هذه الآيةَ - مرَّةً أُخرَى - : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرَّعدُ : ٢٨] .

فَلِلَّهِ ؛ مَا أَعْظَمَكَ وأَرْحَمَكَ وأَصْبَرَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ !!

❁ ❁ ❁



كُنْ عَبْدًا (لتكُونَ حُرًّا ..)

مَا أَشْرَفَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لِرَبِّكَ وخَالِقِكَ ورَازِقِكَ !! فالعبوديةُ له شرفٌ وفخرٌ ، وحياةٌ وسعادةٌ ، ورضًا وطمأنينةٌ .

والعَبْدُ البَعِيْدُ عَنْ رَبِّهِ - تَبَارَكَ وتَعَالَى - يَشْعُرُ في قرارةِ نفسهِ بالتَّعَاسةِ والشَّقاءِ ؛ لَكِنَّهُ يَكْتُمُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ ، ولا يُفْصِحُ بِهِ لِغَيْرِهِ ؛ بَلْ يَظَلُّ فِي غَيِّهِ وَضَلالِهِ ، وأوهامِهِ وأحلامِهِ !! ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ هَذَا الطَّرِيْقَ هُوَ سعادَتُهُ وَهَنَاؤُهُ ، ولاَ يَدْرِي المِسْكِيْنُ أَنَّ نَفْسَ الطريقِ الذِي يَسْلُكُهُ فِيْهِ حَتْفُهُ وشقَاؤُهُ !! ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٦] .

لقد سلكَ طريقًا غيرَ طريقِ النجاةِ .. واختارَ لنفسهِ مَسْلَكَ الضُّلالِ الطُّغاةِ .. وهو مع كلِّ هذا يرجُو .. ويَحْلُمُ .. ويَغُطُّ في سُبَاتٍ عَمِيْقٍ .. وهو الذِي انْحَرَفَ (بِنَفْسِهِ) عن الطريق !!

تَرْجُو النَّجاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلَى يُبْسِ
مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدَنِّسَهُ ... وَإِنَّ ثَوْبَكَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

إنَّ أيْسَرَ طريقٍ للعبدِ أنْ يَسْلَكَهُ بِكُلِّ نقاءٍ .. وَيَمْضِي فِيْهِ بِكُلِّ

صفاءٍ وهناءٍ . . هو طريقُ (العُبُودِيَّةِ) لقَيُّومِ الأرضِ والسَّماءِ . . عالمِ الغيبِ والشهادةِ . . القائمِ على كلِّ نفسٍ . . المطلعِ على كلِّ عبدٍ . . فما أحْلَى وأغْلَى وأعْلَى أنْ يطرحَ العبدُ قلبَهُ بين يديهِ . . ويناديهِ . . ويناجيهِ . . قائلًا : **" اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ "** ، قَالَ : **" وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا ؛ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ "** . رواه البُخاريُّ عن شدَّادِ بن أوسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

والله لولا مَا عَلَى القُلُوبِ من دُخَانِ الشهواتِ ، وَغَيْمِ النُّفوسِ ؛ لطارتْ فرحًا وسرورًا بطريقِ العبوديةِ الباهرِ الطَّاهِرِ .

فَكُنْ عبدًا . . لتعيشَ حُرًّا . . ولكنَّها الحُريةُ المُنْضَبِطَةُ بالشَّرعِ والدِّين ، لا بعقلي ، أو بعقلِكَ ، ولا بِعَقْلِ زيدٍ ، أو عَمْرٍو !!

وَمَنْ يَظُنُّ أنَّ الدينَ مقيِّدٌ للحُرِّيَّاتِ . . فنعمْ . . ولكنها الحُرَّيَّاتُ المُنْفَلِتَةُ مِنِ الأخلاقِ الحميدةِ ، والأقوالِ الرشيدةِ . . وفي الحقيقةِ (وذلك لِمَنْ أَنْصَفَ وَلَمْ يُجْحِفْ) ؛ فالدينُ (والإسلامُ الحنيفُ الطاهرُ الظاهرُ المتينُ) حفظَ للإنسانِ كرامتَهُ ومكانتَهُ . ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٠] . ولمْ يَرْضَ (أبدًا) بإهانتهِ ، ومنْ ظنَّ (أو اعتقدَ) ذلكَ ؛ فهو واهمٌ أو ظالمٌ ؛ لأنَّه كيفَ يكونُ الدينُ الحقُّ كذلكَ ، **وقدْ حَفِظَ للإِنْسَانِ (١- عقلَهُ)** ؛

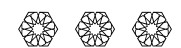
فمنعه من شُربِ الخَمْرِ والمُسْكِراتِ ، وكلِّ ما يُشَوِّشُ عليه عقلَهُ ويُغَطِّيْهِ ؛ فيكونَ إنسانًا عاقلًا سويًّا ؛ فلا يُهِيْنُ نفسَهُ ، ولا يَعْبَثُ بها (أمامَ الناسِ !! أو من وراءِ حجابٍ) ، ولا يُؤْذِي مَنْ حَوْلَهُ ، **وحَفِظَ عَلَيْهِ** (**٢- شَرَفَهُ وعِرْضَهُ ونَسَبَهُ**) ؛ فقبَّحَ أمَامَهُ الزِّنَا وارْتكابَ الفواحشِ والمُحرَّمات ، وحرَّمَ أسبابَهُ وما يدعو إليهَا ؛ فحرَّم التبرجَ والسُّفور ، والاختلاطَ ، والخُلْوَةَ المُحَرَّمَةَ ، وإطلاقَ البَصَرِ ، والنَّظرَ المُحرَّم ، وسَفَرَ المرأةِ بدونِ محْرمٍ ، ووضعَ الحُدودَ الواقيةَ (لحفظِ) المجتمعِ (وصِيانتهِ) من الفاحشةِ والرَّذِيلة ِ ، والحَدِّ منها ؛ حتى لا يكونَ مجتمعًا بهيميًّا ؛ كالبهائمِ والحيواناتِ ، **وحَفِظَ عَلَيْهِ** (**٣- النَّفْسَ**) ؛ فحرَّمَ القَتْلَ (بغيرِ الحقِّ) ، وجعلَ ذلكَ من أبْشَعِ الكبائرِ والذنوب ، **وحَفِظَ عَلَيْهِ** (**٤- المَالَ**) ؛ فحرَّمَ أكلَ أموالِ الناسِ بالباطلِ ، وحرَّمَ الرِّشوة ، وحرَّمَ الرِّبَا ، والغشَّ ، والسَّرقةَ ، وتطفيفَ المكاييل والموازين ؛ حتى لا يعتدي أحدٌ على أحدٍ ، ولا يظلمَ أحدٌ أحدًا ، **وحَفِظَ عَلَيْهِ** (**٥- الدِّيْنَ**) ؛ فمنعه من الزَّندقةِ ، والكفرِ ، والإلحادِ ، والابتداعِ ؛ ليردَّهُ إلى الفِطْرةِ النقيَّةِ التي فطَرَ اللهُ النَّاسَ عليْهَا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران : ١٩] . ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر : ٧] .

وقد اتَّفَقَتْ جَمِيْعُ الدِّياناتِ والشَّرائعِ (بَلْ وَجَمِيْعُ العقلاء) على الحفاظِ على هذه الضَّرورياتِ (والكُلِّيَّاتِ) الخَمْسِ . ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [يونس : ٩٤ و ٩٥] .

فمن خالفَ ذلك ؛ فهو في (غَايَةِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ ؛ إِمَّا فَسَادُ الْعَقْلِ ؛ وَإِمَّا فَسَادُ الِاعْتِقَادِ ؛ فَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْإِلْحَادِ) . والأخيرُ من كلامِ ابن تيمية - طيَّبَ اللهُ ثَرَاهُ - .

يقولُ - تَعَالَى - : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء : ٢٦ و ٢٧] .

فأيُّ أمنٍ وأمانٍ ، وتماسُكٍ وَبِرٍّ وإحسانٍ ، وترابطٍ وصيانةٍ ، وحفظٍ ورعايةٍ ، لكلِّ العَالَمِينَ ، وللخَلْقِ أجمعينَ ، بَعْدَ هذا الدِّينِ القويمِ ، والصِّراطِ المُسْتَقِيمِ ؟!! ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام : ١٥٣] .





لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ

﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾

القُرْآنُ هُوَ الآيَةُ[١] الكُبْرَى ، والنِّعْمَةُ العُظْمَى ، والحُجَّةُ الدَّامِغَةُ القَاطِعَةُ ، والبَيِّنَةُ البَاقِيَةُ الخَالِدَةُ السَّاطِعَةُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وكَرِّ العُصُورِ .

● فلَقَدْ تَحَدَّى اللهُ بِهِ جَمِيعَ الخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، أو : بِعَشْرِ سُوَرٍ مثْلِهِ ، أو : بِسُورةٍ مِثْلِهِ ؛ فلقَدْ وَقَعَ التَّحَدِّي الصَّرِيْحُ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي آيَاتٍ عِدَّةٍ ؛ كَمَا سَيَأْتِي .

● فَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ إلاَّ وَحْيًا ، وحَقًّا ، وعَدْلًا، وصِدْقًا ؛ قَالَ

---

(١) **قَالَ شيْخُ الإسلامِ في " الجوَابِ الصَّحِيْحِ لِمَنْ بَدَّلَ دِيْنَ المَسِيْحِ " (٥ / ٤١٢) :**
" وَالْآيَاتُ وَالْبَرَاهِينُ الدَّالَّةُ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ ، وَهِيَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ آيَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيُسَمِّيهَا مَنْ يُسَمِّيهَا مِنَ النُّظَّارِ (مُعْجِزَاتٍ) ، وَتُسَمَّى (دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ) ، وَ (أَعْلَامَ النُّبُوَّةِ) .
وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ إِذَا سُمِّيَتْ بِهَا آيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ ، كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ لَفْظِ الْمُعْجِزَاتِ ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَفْظُ (الْمُعْجِزَاتِ) مَوْجُودًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَإِنَّمَا فِيهِ لَفْظُ (الْآيَةِ) ، وَ (الْبَيِّنَةِ) ، وَ (الْبُرْهَانِ) " .
وقَدِ اسْتَعْمَلَهُ عددٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ ؛ فَيَكُونُ " : " الْمُرَادُ بِالْآيَاتِ : الْمُعْجِزَاتِ " ؛ كَمَا في " الفَتْحِ " .

تَعَالَى : ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ[١] لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونسُ : ٣٧ - ٤١] .

● وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسفُ : ١١١] .

● فَمِنْ حِيْنِ نَزَلَ ! وأَهْلُ الضَّلالِ في حَنَقٍ وغَيْظٍ ، وحِقْدٍ وَحَسَدٍ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ[٢] وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا[٣] فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقانُ : ٤ - ٦] .

---

(١) **والكِتَابُ** : اسْمُ جِنْسٍ ؛ كَمَا قَالَ شَيْخُ الإسْلام في " مَجْمُوعِ الفَتَاوَى " ، وهو تِبْيَانُ الكِتَابِ الذي كتَبَهُ اللهُ على أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وفَرَائِضُهُ التي فَرَضَهَا عَلَيْهِم ؛ فهَذَا الكِتَابُ فيه تَفْصِيْلُ العَقَائدُ والحَلالُ والحرامُ والأحكامُ الدينيةُ والدنيويةُ .

(٢) يَعْنُونَ : افترَاهُ محَمَّدٌ ﷺ !! وحاشاهُ .

(٣) أي : طَلَبَ أَنْ تُكْتَبَ لَهُ !! وحاشاهُ .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ[1] لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصِّلت : ٢٦ – ٢٨] .

● فَمِنْ أعْظَمِ المِنَنِ ، وأجلِّ النِّعَمِ أنْ أكْرَمَنَا اللهُ وشَرَّفَنَا بِهَذَا القُرْآنِ المُبَارَكِ ، وهُوَ أفضلُ الكتبِ المُنَزَّلةِ عَلَى أفضلِ رَسُولٍ ، وأعظمِ نبيٍّ ؛ فهي فضائلُ تَتْرَى ، ونعمٌ لا تُحْصَى .

● جعَلَهُ اللهُ روحًا ؛ فَهُوَ حَيَاةُ القُلُوبِ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى : ٥٢] .

● وجعَلَهُ اللهُ شفاءً للصدورِ ؛ فَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٥٧] .

● وجعَلَهُ اللهُ نورًا ؛ فَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة : ١٥ و ١٦] .

● فهو روحٌ وشفاءٌ ونورٌ . . . وأسماؤهُ وصفاتُهُ كثيرةٌ عَظِيمةٌ جَليْلَةٌ ؛ لِعَظَمِ شأنِهِ ، وجَلالِ قَدْرِهِ.

---

(١) أي : شوِّشوا عليْهِ ! وهذا يدلُّ عَلَى عجْزهِم .

● جعَلَهُ اللهُ هِدَايَةً للبَشَرِيَّةِ كلِّها ؛ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعامُ : ٣٨] ، والمقْصُودُ بالهِدَايَةِ (هُنَا) هِدَايَةُ الدِّلالَةِ والإرْشَادِ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسانُ : ٣] .

● لقدْ جَاءَتِ النُّصُوصُ الإلَهِيَّةُ تبيِّنُ هِدَايَةَ القُرْآنِ العَظِيْمَةَ النَّدِيَّةَ ؛ فَقَالَ – تَعَالَى – في آياتهِ العَلِيَّة ، وسُوَرِ القُرْآنِ الزَّكيَّةِ الألمعيَّة – : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩][1] .

● وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقافُ : ٢٩– ٣٢] .

● وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجنُّ : ١ و٢] . وَقَالَتِ الجنُّ لِقَوْمِهِمْ كَذَلِك : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ

---

(١) **قال العلاَّمةُ صَالِح آل الشيخ – حفظه الله تَعَالَى – فِي (صفحتِهِ الرَّسْمِيَّةِ عَلَى الفِيْس)** : " القرآنُ لَيْسَ كتابَ فَلَكٍ ، ولا كِتَابَ زِرَاعةٍ ، ولا كتابَ جُيولوجْيَا ، ولا كتابَ طِبٍّ ، القرآنُ كتابُ هداية . ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ " .

فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجنّ : ١٣] .

● فَهُوَ قُرْآنٌ مُبَارَكٌ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .. أي : إِلَى أَقْوَمِ سَبِيْلٍ ، وأحسنِ طريقٍ وأوضحهِ وأفضلهِ وأصوبهِ وأَسْلَمِهِ وأَعْدَلِهِ ، وهي الطريقُ المُوَصِّلَةُ إلى ربِّ العالمين ، وإلى مرضاتِهِ وجنَّاتهِ .. في أبواب التوحيدِ ، والعقائدِ ، والعباداتِ ، والأخلاقِ والمعاملاتِ ، والأَقْضِيَةِ ، والمواريثِ ، والقِصَاصِ والدِّياتِ ، والأَنْكِحَةِ ، والطَّلاقِ ، والأَخْبَارِ والقَصَصِ .. وفي كلِّ شيءٍ لمنْ بَحَثَ وأرادَ خيري الدنيا والآخرةِ . فليعلَمْ ذلكَ كلُّ مُتَشَكِّكٍ ومُلْحدٍ وحائرٍ خَاسِرٍ.

● ويَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ .. لا إِلَى الغَيِّ ولا إِلَى الضَّلالِ ولا إِلَى البَاطِلِ .. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٠- ٤٤] ؛ فَلَيْسَ للبُطْلَانِ إِلَيْهِ سبِيْلٌ ؛ لأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ .

● ويَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ .. فَلَا اعْوِجَاجَ فِيْهِ ، وَلَا مَيْلَ وَلَا شَطَطَ .. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١ و٢] ، وقَالَ : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمَرُ: ٢٧ و ٢٨] .

● فَأَيُّ اعوِجَاجٍ فِي القُرْآنِ وَهُوَ يَهْدِي ويَدْعُو إِلَى الفَضِيْلَةِ .. ويَدْعُو إِلَى الاسْتِقَامَةِ .. ويَدْعُو إِلَى الهِدَايَةِ .. ويَدْعُو إِلَى الأَمْنِ والأَمَانِ .. ويَدْعُو إِلَى الرَّشَادِ .. ويَدْعُو إِلَى صَالِحِ الأَخْلاقِ ، وَمَعَالِي الأُمُورِ .

● ويَدْعُو إِلَى الحِكْمَةِ ، والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَالطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ .. و يدْعُو إلى مُوَاسَاةِ الفُقَرَاءِ والمساكينَ والمحتاجين .. وإلى إفشاءِ السَّلامِ .. وإلى إطعامِ الطعام .. وَصِلَةِ الأرحامِ .. وحُسْنِ الجوارِ .. والعفوِ عَنِ المُسِيءِ .. وإلى العِلْمِ وإتقانِ العملِ .. ويَنْهَى عَنِ الرَّذِيْلَةِ .. والظُّلْمِ والاعتداء .. والعقوقِ والبَغْيِ .. وسوءِ الخُلُقِ .. والغَدْرِ .. والكَذِبِ .. والخِيَانَةِ .. والمَكْرِ .. والغِشِّ .. والنفاقِ .. والرِّشوةِ .. والسَّرِقَةِ .. والزِّنَا .. والفواحشِ ما ظهر منها وما بَطَن .

نَعَمْ .. إِنْ كُنْتَ تريدُ - فِعْلًا - السَّعادةَ ، وتَطْلُبُ - حقًّا - الفَلاحَ ، وتَبْحَثُ - صَادِقًا - عَنِ النَّعيمِ ، وطِيْبِ العَيْشِ ، ولَذِيْذِ الحَيَاةِ ؛ فَعَلَيْكَ بخَيْرِ صَاحِبٍ وأَنِيْسٍ ، وأَعْظَمِ رَفِيْقٍ وجَلِيْسٍ ، وأَصْدَقِ رَائِدٍ ، وأَصْلَحِ قائِدٍ ، يُنِيْرُ لَكَ الدَّرْبَ ، ويَشْرَحُ لَكَ الصَّدْرَ والقَلْبَ ، ويُرْشِدُكَ إلى الطَّرِيْقِ المُسْتَقِيْمِ ، ويُوصِلُكَ إلَى جَنَّاتِ النَّعِيْمِ .. ولا يُوجَدُ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الوَحْيِ الإلَهِيِّ .. المُنَزَّلِ مِنَ الرَّبِّ العَلِيِّ عَلَى أَطْهَرِ قلْبٍ عَرَفَتْهُ البَشَرِيَّةُ - وَهُوَ قُلْبُ الرَّسُولِ

النَّبِيِّ ﷺ - ، الذي قالَ لهُ ربُّهُ العَلِيُّ ﷻ - مخَاطِبًا - : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] . وقالَ لَهُ - آمِرًا - : ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف : ٤٣ و ٤٤] .

أَيْ : خُذْ بِالْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَى قَلْبِك ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْحَقُّ ، وَمَا يَهْدِي إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُفْضِي إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ ، الْمُوصِلِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَالْخَيْرِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فسَعَادَتُك ونَجَاتُك ، وفَلاحُك ونَجاحُك ، وفَخْرُك وشَرَفُك ، وعِزُّك ومَجْدُك مَعَ القرآنِ . . فَهَلِ اهتَدَيْتَ بهُدَاهُ ؟ وهَلْ سَلَكْتَ خُطَاهُ ؟ وهل امْتَثَلْتَ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ جلَّ عُلاهُ ؟ وَهَلْ آمَنْتَ بِهِ وصَدَّقتَهُ ؟ هَلْ فكَّرتَ فيْهِ وتأَمَّلْتَهُ ؟ وَهَلْ دَرَستَهُ ودرَّسْتَهُ ؟ هَلْ تعَلَّمْتَهُ وعلَّمْتَهُ ؟ هَلْ تذوَّقتَ حلاوتَهُ ؟ واستطَعَمْتَ هِدايَتَهُ ؟ هَلْ تدَبَّرْتَ مَعَانِيْهِ وكَلِمَاتِهِ ؟ هل اسْتَنَارَ قَلْبُك بنُورهِ وأَنْوَارهِ ، وَعِزِّهِ وضِيَائِهِ ، وجَلالِهِ وَجَمالِهِ ؟ قَالَ - تَعالَى - : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] ؛ فهَذِهِ هِي الغَايَةُ : ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ؛ فهَلِ انْتَبهْتَ ؟ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ﴾ [النساء : ٨٢] ؛ أَفَلَا يَتَدَبَّرُ الْمُبَيِّتُونَ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ كِتَابَ اللَّهِ ، فَيَعْلَمُوا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ ، وَأَنَّ الَّذِي أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ ، لِاتِّسَاقِ مَعَانِيهِ وَائْتِلَافِ أَحْكَامِهِ وَتَأْيِيدِ بَعْضِهِ بَعْضًا بِالتَّصْدِيقِ ، وَشَهَادَةِ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ بِالتَّحْقِيقِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَاخْتَلَفَتْ أَحْكَامُهُ ، وَتَنَاقَضَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَبَانَ بَعْضُهُ عَنْ

فَسَادِ بَعْضٍ . قالَهُ الطَّبَرِيُّ .

وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى مِنْ سُورةِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية : ٢٥] . وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحَشْرُ : ٢١] . وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر : ٢٣] .

إنَّكَ لَوْ قَرَأْتَ آيةً واحِدَةً (فَقَطْ) مِنْ كِتَابِ ربِّكَ بتأمُّلٍ وتدبُّرٍ ، وصِدْقٍ وتَفَكُّرٍ ؛ لاقْشَعَرَّ بَدَنُكَ ، وارتَاحَ بَعْدَها قَلْبُكَ ، وهَذَا دَلِيْلٌ بارزٌ ظَاهِرٌ ، وبُرْهَانٌ سَاطِعٌ بَاهِرٌ عَلَى وجودِ إلهٍ عَظِيْمٍ خَالِقٍ مُدَبِّرٍ للكَوْنِ يَسْتَحِقُّ أنْ يُعْبَدَ وحْدَهُ ، ويُذَلَّ لهُ وحْدَهُ ، لا شريكَ لَهُ ، ولا ربَّ سِوَاهُ ، ولعَلِمْتَ (يَقِيْنًا) أنَّ القُرْآنَ هُوَ كُلامُ رَبِّ العَالمينَ ، ومَالِكِ يومِ الدِّينِ ، وليْسَ بقَوْلِ البَشَرِ ؛ كمَا ادَّعى الأولُّونَ مِنَ المشركينَ ؛ فَقَدْ قصَّ القرآنُ الكريمُ عَنْ واحدٍ منْ هؤلاءِ المنْحَرِفِيْنَ المشَكِّكِيْنَ : ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر : ٢٤ و٢٥] ؛ فردَّ اللهُ - تعَالَى - عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدَّثِّر : ٢٤- ٢٩] .

إنِّنِي أَقُولُ بكلِّ فَخْرٍ واعْتِزَازٍ ، وتَحَدٍّ وَاثِقٍ بامْتِيَازٍ : إنَّهُ لَا يَسْتَطِيْعُ مخْلُوقٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَنْ يَأْتِيَ بمثْلِهِ ولا بِسُورةٍ (واحِدةٍ) مِنْ مِثْلِهِ ؛ كَمَا قَالَ ربِّي - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا - : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء : ٨٨] .

● **قَالَ شيْخُ الإسْلامِ في " الجوابِ الصَّحيْحِ "** : " (فَصْلٌ : بَحْثٌ فِي الْإِعْجَازِ الْقُرْآنِيِّ) ؛ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ ، وَفِيهِ الدَّعْوَةُ وَالْحُجَّةُ ؛ فَلَهُ بِهِ اخْتِصَاصٌ عَلَى غَيْرِهِ ؛ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ : " مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

وَالْقُرْآنُ يَظْهَرُ كَوْنُهُ آيَةً وَبُرْهَانًا لَهُ مِنْ وُجُوهٍ : جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا .

أَمَّا الْجُمْلَةُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَتِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ مِنْ عَامَّةِ الْأُمَمِ ، عِلْمًا مُتَوَاتِرًا : أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَى بِهَذَا الْقُرْآنِ ، وَتَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ أَعْظَمَ مِنْ تَوَاتُرِهَا بِخَبَرِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْفَلَاسِفَةِ ، وَغَيْرِهِمْ.

وَالْقُرْآنُ نَفْسُهُ فِيهِ تَحَدِّي الْأُمَمِ بِالْمُعَارَضَةِ ، وَالتَّحَدِّي هُوَ أَنْ يَحْدُوَهُمْ ؛ أَيْ : يَدْعُوَهُمْ ؛ فَيَبْعَثُهُمْ إِلَى أَنْ يُعَارِضُوهُ ؛ فَيُقَالُ فِيهِ : حَدَانِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؛ أَيْ : بَعَثَنِي عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ سُمِّي حَادِي الْعِيسِ ؛ لِأَنَّهُ بِحِدَاهُ يَبْعَثُهَا عَلَى السَّيْرِ.

وَقَدْ يُرِيدُ بَعْضُ النَّاسِ بِالتَّحَدِّي دَعْوَى النُّبُوَّةِ ، وَلَكِنَّهُ أَصْلُهُ الْأَوَّلُ ؛ قَالَ تَعَالَى - فِي سُورَةِ الطُّورِ - : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور : ٣٣ و ٣٤] ؛ فَهُنَا قَالَ : ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور : ٣٤] فِي أَنَّهُ تَقَوَّلَهُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَتَقَوَّلَهُ كَمَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ

عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَظْمٍ وَنَثْرٍ، كَانَ هَذَا مُمْكِنًا لِلنَّاسِ ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ جِنْسِهِ ؛ فَأَمْكَنَ النَّاسَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ ؛ فَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود : ١٣] .

ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ ؛ فَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس : ٣٧- ٣٨] .

فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ هُمْ وَكُلُّ مَنِ اسْتَطَاعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ ، ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ هُمْ وَمَنِ اسْتَطَاعُوا ، قَالَ : ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [هود : ١٤] .

وَهَذَا أَصْلُ دَعْوَتِهِ ، وَهُوَ الشَّهَادَةُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [هود : ١٤] .

كَمَا قَالَ : ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ﴾ [النساء : ١٦٦] ؛ أَيْ : هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ ، لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُفْتَرًى ؛ كَمَا قَالَ : ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس : ٣٧] .

أَيْ : مَا كَانَ لِأَنْ يُفْتَرَى ، يَقُولُ : مَا كَانَ لِيَفْعَلَ هَذَا ؛ فَلَمْ يَنْفِ مُجَرَّدَ فِعْلِهِ ؛ بَلْ نَفَى احْتِمَالَ فِعْلِهِ ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَقَعُ ؛ بَلْ يَمْتَنِعُ وُقُوعُهُ ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى : مَا يُمْكِنُ، وَلَا يُحْتَمَلُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُفْتَرَى هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَفْتَرِيهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . وَهَذَا التَّحَدِّي كَانَ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّ هَذِهِ السُّوَرَ مَكِّيَّةٌ ؛ سُورَةَ يُونُسَ، وَهُودٍ، وَالطُّورِ .

ثُمَّ أَعَادَ التَّحَدِّي فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ؛ فَقَالَ فِي (الْبَقَرَةِ) وَهِيَ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة : ٢٣] ، ثُمَّ قَالَ : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة : ٢٤] .

◆ **فَذَكَرَ أَمْرَيْنِ :**

● **أَحَدَهُمَا** ؛ قَوْلُهُ : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة : ٢٤] .

يَقُولُ : إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ حَقٌّ ؛ فَخَافُوا اللَّهَ أَنْ تُكَذِّبُوهُ ، فَيَحِيقُ بِكُمُ الْعَذَابُ، الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْمُكَذِّبِينَ، وَهَذَا دُعَاءٌ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، بَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ بِالْحِكْمَةِ، وَهُوَ جِدَالُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

● **وَالثَّانِي** ؛ قَوْلُهُ : ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة : ٢٤] .

وَ : (لَنْ) لِنَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَثَبَتَ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ ، لَا يَأْتُونَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ؛ كَمَا أَخْبَرَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ

يَقُولَ فِي سُورَةِ (سُبْحَانَ) ، وَهِيَ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، افْتَتَحَهَا بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ، وَهُوَ كَانَ بِمَكَّةَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ، وَذَكَرَ فِيهَا مِنْ مُخَاطَبَتِهِ لِلْكَفَّارِ بِمَكَّةَ مَا يُبَيِّنُ بِذَلِك بِقَوْلِهِ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء : ٨٨] .

فَعَمَّ بِالْخَبَرِ جَمِيعَ الْخَلْقِ مُعْجِزًا لَهُمْ، قَاطِعًا بِأَنَّهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ، لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلَوْ تَظَاهَرُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى ذَلِك، وَهَذَا التَّحَدِّي وَالدُّعَاءُ هُوَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهَذَا قَدْ سَمِعَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ الْقُرْآنَ وَعَرَفَهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، وَعَلِمَ - مَعَ ذَلِك - أَنَّهُمْ لَمْ يُعَارِضُوهُ ، وَلَا أَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَمِنْ حِينِ بُعِثَ، وَإِلَى الْيَوْمِ، الْأَمْرُ عَلَى ذَلِك، مَعَ مَا عُلِمَ مِنْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَلَمَّا بُعِثَ إِنَّمَا تَبِعَهُ قَلِيلٌ .

وَكَانَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِهِ، مُجْتَهِدِينَ بِكُلِّ طَرِيقٍ يُمْكِنُ، تَارَةً يَذْهَبُونَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ فَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ أُمُورٍ مِنَ الْغَيْبِ، حَتَّى يَسْأَلُوهُ عَنْهَا، كَمَا سَأَلُوهُ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَأَهْلِ الْكَهْفِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَتَارَةً يَجْتَمِعُونَ فِي مَجْمَعٍ بَعْدَ مَجْمَعٍ عَلَى مَا يَقُولُونَهُ فِيهِ، وَصَارُوا يَضْرِبُونَ لَهُ الْأَمْثَالَ ، فَيُشَبِّهُونَهُ بِمَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ لِمُجَرَّدِ شَبَهٍ مَا مَعَ ظُهُورِ الْفَرْقِ. فَتَارَةً يَقُولُونَ : مَجْنُونٌ . وَتَارَةً يَقُولُونَ : سَاحِرٌ. وَتَارَةً يَقُولُونَ : كَاهِنٌ . وَتَارَةً يَقُولُونَ : شَاعِرٌ . . إِلَى أَمْثَالِ ذَلِك مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَعْلَمُونَ - هُمْ وَكُلُّ عَاقِلٍ سَمِعَهَا - أَنَّهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ.

فَإِذَا كَانَ قَدْ تَحَدَّاهُمْ بِالْمُعَارَضَةِ - مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ - وَهِيَ تُبْطِلُ

دَعْوَتُهُ ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهَا لَفَعَلُوهَا ؛ فَإِنَّهُ مَعَ وُجُودِ هَذَا الدَّاعِي التَّامِّ الْمُؤَكَّدِ إِذَا كَانَتِ الْقُدْرَةُ حَاصِلَةً، وَجَبَ وُجُودُ الْمَقْدُورِ ، ثُمَّ هَكَذَا الْقَوْلُ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

فَهَذَا الْقَدْرُ يُوجِبُ عِلْمًا بَيِّنًا لِكُلِّ أَحَدٍ بِعَجْزِ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ بِحِيلَةٍ، وَبِغَيْرِ حِيلَةٍ . وَهَذَا أَبْلَغُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يُكَرَّرُ جِنْسُهَا ؛ كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ؛ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِهِ ، وَكَوْنُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ هُوَ مِنْ جِهَةِ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَطْ ، أَوْ نَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ فَقَطْ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بِالْغَيْبِ فَقَطْ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ صَرْفِ الدَّوَاعِي عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ سَلْبِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ ؛ **بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مُعْجِزَةٌ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ** :

مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ .

وَمِنْ جِهَةِ النَّظْمِ .

وَمِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى .

وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ ، الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ الْغَيْبِ الْمَاضِي ، وَعَنِ الْغَيْبِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَمِنْ جِهَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمَعَادِ .

وَمِنْ جِهَةِ مَا بَيَّنَ فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةِ ، وَالْأَقْيِسَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩] .

● وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف : ٥٤] .

● وَقَالَ : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر : ٢٧- ٢٨] .

وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنَ الْوُجُوهِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، هُوَ حُجَّةٌ عَلَى إِعْجَازِهِ ، وَلَا تَنَاقُضَ فِي ذَلِكَ ؛ بَلْ كُلُّ قَوْمٍ تَنَبَّهُوا لِمَا تَنَبَّهُوا لَهُ .

وَمِنْ أَضْعَفِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَام : إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِصَرْفِ الدَّوَاعِي - مَعَ تَمَامِ الْمُوجِبِ لَهَا - أَوْ بِسَلْبِ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ ، أَوْ بِسَلْبِهِمُ الْقُدْرَةَ الْمُعْتَادَةَ فِي مِثْلِهِ سَلْبًا عَامًّا ، مِثْلُ قَوْلِهِ - تَعَالَى - لِزَكَرِيَّا : ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم : ١٠] .

وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ صَرَفَ قُلُوبَ الْأُمَمِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ قِيَامِ الْمُقْتَضِي التَّامِّ ؛ فَإِنَّ هَذَا يُقَالُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَقْدِرُ النَّاسُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ؛ فَامْتِنَاعُهُمْ - جَمِيعُهُمْ - عَنْ هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ ، مَعَ قِيَامِ الدَّوَاعِي الْعَظِيمَةِ إِلَى الْمُعَارَضَةِ ، مِنْ أَبْلَغِ الْآيَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ : إِنِّي آخُذُ أَمْوَالَ جَمِيعِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ ، وَأَضْرِبُهُمْ جَمِيعَهُمْ ، وَأُجَوِّعُهُمْ ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يَشْكُوا إِلَى اللَّهِ ، أَوْ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلَيْسَ فِيهِمْ - مَعَ ذَلِكَ - مَنْ يَشْتَكِي ؛ فَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْعَجَائِبِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ .

وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ وَاحِدًا صَنَّفَ كِتَابًا يَقْدِرُ أَمْثَالُهُ عَلَى تَصْنِيفِ مِثْلِهِ، أَوْ

قَالَ شِعْرًا، يَقْدِرُ أَمْثَالُهُ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ، وَتَحَدَّاهُمْ كُلَّهُمْ ؛ فَقَالَ : عَارِضُونِي ، وَإِنْ لَمْ تُعَارِضُونِي ؛ فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ، مَأْوَاكُمُ النَّارُ، وَدِمَاؤُكُمْ لِي حَلَالٌ ، امْتَنَعَ فِي الْعَادَةِ أَنْ لَا يُعَارِضَهُ أَحَدٌ ؛ فَإِذَا لَمْ يُعَارِضُوهُ كَانَ هَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْعَجَائِبِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ .

وَالَّذِي جَاءَ بِالْقُرْآنِ قَالَ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، وَمَنْ آمَنَ بِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي دَخَلَ النَّارَ ، وَقَدْ أُبِيحَ لِي قَتْلُ رِجَالِهِمْ، وَسَبْيُ ذَرَارِيهِمْ ، وَغَنِيمَةُ أَمْوَالِهِمْ ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ طَاعَتِي ، وَمَنْ لَمْ يُطِعْنِي كَانَ مِنْ أَشْقَى الْخَلْقِ ، وَمِنْ آيَاتِي هَذَا الْقُرْآنُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ ، وَأَنَا أُخْبِرُكُمْ أَنَّ أَحَدًا لَا يَأْتِي بِمِثْلِهِ .

فَيُقَالُ : لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ قَادِرِينَ عَلَى الْمُعَارَضَةِ أَوْ عَاجِزِينَ .

فَإِنْ كَانُوا قَادِرِينَ ، وَلَمْ يُعَارِضُوهُ ؛ بَلْ صَرَفَ اللَّهُ دَوَاعِي قُلُوبِهِمْ ، وَمَنَعَهَا أَنْ تُرِيدَ مُعَارَضَتَهُ مَعَ هَذَا التَّحَدِّي الْعَظِيمِ ، أَوْ سَلَبَهُمُ الْقُدْرَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ قَبْلَ تَحَدِّيهِ ؛ فَإِنَّ سَلْبَ الْقُدْرَةِ الْمُعْتَادَةِ أَنْ يَقُولَ رَجُلٌ : مُعْجِزَتِي أَنَّكُمْ كُلُّكُمْ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى الْكَلَامِ وَلَا عَلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ؛ فَإِنَّ الْمَنْعَ مِنَ الْمُعْتَادِ ؛ كَإِحْدَاثِ غَيْرِ الْمُعْتَادِ - فَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْخَوَارِقِ .

وَإِنْ كَانُوا عَاجِزِينَ ، ثَبَتَ أَنَّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ؛ فَثَبَتَ كَوْنُهُ خَارِقًا عَلَى تَقْدِيرِ النَّقِيضَيْنِ ؛ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ؛ فَثَبَتَ أَنَّهُ مِنَ الْعَجَائِبِ النَّاقِضَةِ لِلْعَادَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

فَهَذَا غَايَةُ التَّنَزُّلِ ، وَإِلَّا ؛ فَالصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَقْدِرُ مُحَمَّدٌ ﷺ - نَفْسُهُ - مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ؛ بَلْ يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ سَائِرِ كَلَامِهِ لِكُلِّ مَنْ لَهُ أَدْنَى تَدَبُّرٍ ؛ كَمَا قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وَأَيْضًا ؛ فَالنَّاسُ يَجِدُونَ دَوَاعِيَهِمْ إِلَى الْمُعَارَضَةِ حَاصِلَةً ؛ لَكِنَّهُمْ يُحِسُّونَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَجْزَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ ، وَلَوْ كَانُوا قَادِرِينَ لَعَارَضُوهُ.

وَقَدِ انْتَدَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ لِمُعَارَضَتِهِ ؛ لَكِنْ جَاءَ بِكَلَامٍ فَضَحَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَظَهَرَ بِهِ تَحْقِيقُ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ عَجْزِ الْخَلْقِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، مِثْلَ قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، كَقَوْلِهِ : (يَا ضُفْدَعُ بِنْتَ ضُفْدَعِينَ ، نِقِّي كَمْ تَنِقِّينَ ، لَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ ، وَلَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ ، رَأْسُكِ فِي الْمَاءِ ، وَذَنَبُكِ فِي الطِّينِ) .

وَكَذَلِكَ - أَيْضًا - يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِفْ حَالُ قُدْرَتِهِمْ قَبْلَ سَمَاعِهِ وَبَعْدَ سَمَاعِهِ ؛ فَلَا يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ عَاجِزِينَ عَمَّا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهِ ؛ كَمَا وَجَدَ زَكَرِيَّا عَجْزَهُ عَنِ الْكَلَامِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ.

وَأَيْضًا ؛ فَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ وَالْمُكَذِّبِينَ لَهُ ، أَنَّهُ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يُصَدِّقَهُ النَّاسُ وَلَا يُكَذِّبُوهُ ، وَكَانَ - مَعَ ذَلِكَ - مِنْ أَعْقَلِ النَّاسِ وَأَخْبَرِهِمْ وَأَعْرَفِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ ، يَنَالُ مَقْصُودَهُ ، سَوَاءٌ

قِيلَ : إِنَّهُ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ ؛ فَإِنَّ مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَانْتَشَرَتْ مِلَّتُهُ هَذَا الِانْتِشَارَ، هُوَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ ؛ فَإِقْدَامُهُ – مَعَ هَذَا الْقَصْدِ – فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَهُوَ بِمَكَّةَ ، وَأَتْبَاعُهُ قَلِيلٌ ، عَلَى أَنْ يَقُولَ خَبَرًا، يَقْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، لَا فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَلَا فِي سَائِرِ الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ جَزْمِهِ بِذَلِكَ، وَتَيَقُّنِهِ لَهُ، وَإِلَّا فَمَعَ الشَّكِّ وَالظَّنِّ لَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ كَذِبُهُ فَيَفْتَضِحَ فَيَرْجِعَ النَّاسُ عَنْ تَصْدِيقِهِ.

وَإِذَا كَانَ جَازِمًا بِذَلِكَ – مُتَيَقِّنًا لَهُ – لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ إِعْلَامِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ. وَلَيْسَ فِي الْعُلُومِ الْمُعْتَادَةِ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ كَلَامِهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ. وَالْعِلْمُ بِهَذَا يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ مُعْجِزًا، فَإِنَّا نَعْلَمُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمُنَا بِذَلِكَ خَارِقًا لِلْعَادَةِ، وَلَكِنْ يَلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ ثُبُوتُ الْمَعْلُومِ، وَإِلَّا كَانَ الْعِلْمُ جَهْلًا، فَثَبَتَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ.

وَأَمَّا التَّفْصِيلُ ؛ فَيُقَالُ : نَفْسُ نَظْمِ الْقُرْآنِ وَأُسْلُوبِهِ عَجِيبٌ بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِ هَذَا الْأُسْلُوبِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الشِّعْرِ وَلَا الرَّجَزِ وَلَا الْخَطَابَةِ وَلَا الرَّسَائِلِ ، وَلَا نَظْمُهُ نَظْمُ شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ ، وَنَفْسُ فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَبَلَاغَتِهِ هَذَا عَجِيبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فِي كَلَامِ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَبَسْطُ هَذَا وَتَفْصِيلُهُ طَوِيلٌ، يَعْرِفُهُ مَنْ

لَهُ نَظَرٌ وَتَدَبُّرٌ.

وَنَفْسُ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنُ فِي بَابِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَمْرٌ عَجِيبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، لَمْ يُوجَدْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ بَشَرٍ، لَا نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِ نَبِيٍّ.

وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْجِنِّ وَخَلْقِ آدَمَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنَفْسُ مَا أَمَرَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنَ الدِّينِ، وَالشَّرَائِعِ كَذَلِكَ، وَنَفْسُ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَبَيَّنَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ هُوَ - أَيْضًا - كَذَلِكَ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ مَا صَنَّفَهُ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ فِي الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَجَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ - التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِ الْأَنْبِيَاءِ - وَجَدَ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ مِنَ التَّفَاوُتِ أَعْظَمَ مِمَّا بَيْنَ لَفْظِهِ وَنَظْمِهِ، وَبَيْنَ سَائِرِ أَلْفَاظِ الْعَرَبِ وَنَظْمِهِمْ.

فَالْإِعْجَازُ فِي مَعْنَاهُ أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ مِنَ الْإِعْجَازِ فِي لَفْظِهِ، وَجَمِيعُ عُقَلَاءِ الْأُمَمِ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَعَانِيهِ أَعْظَمَ مِنْ عَجْزِ الْعَرَبِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ لَفْظِهِ - وَمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ -، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ، لَا يُقْدَحُ فِي الْمَقْصُودِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ كُتُبُ اللَّهِ - أَيْضًا -، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْتِيَ نَبِيٌّ بِنَظِيرِ آيَةِ نَبِيٍّ؛ كَمَا أَتَى الْمَسِيحُ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَدْ وَقَعَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى عَلَى يَدِ غَيْرِهِ؛ فَكَيْفَ وَلَيْسَ مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مُمَاثِلًا لِمَعَانِي الْقُرْآنِ؛ لَا فِي الْحَقِيقَةِ وَلَا فِي الْكَيْفِيَّةِ وَلَا الْكَمِّيَّةِ؛ بَلْ يَظْهَرُ التَّفَاوُتُ لِكُلِّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ

الْكُتُبَ.

وَهَذِهِ الْأُمُورُ مَنْ ظَهَرَتْ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، ظَهَرَ لَهُ إِعْجَازُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَمَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ ذَلِكَ اكْتَفَى بِالْأَمْرِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَظْهَرُ لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ كَعَجْزِ جَمِيعِ الْخَلْقِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ مَعَ تَحَدِّي النَّبِيِّ ، وَإِخْبَارِهِ بِعَجْزِهِمْ ؛ فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ " . انتهى .

فالقرآنُ كلامُهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ، ولهُ تأثيرٌ عظيمٌ (بأسْلُوبِهِ البَاهِرِ) لمنْ قرأهُ بتدبُّرٍ ، ومَرَّ عليْهِ بتفَكُّرٍ ؛ فيردُّ المُنْحَرِفَ عَنِ انْحِرَافِهِ ، والمُتُشَكِّكَ عَنِ تَشَكُّكِهِ وارتيَابِهِ ، شَرِيْطَةَ أنْ يَقَرَأَهُ القَارِىءُ بِكُلِّ إخْلاصٍ وإِنْصَافٍ ، وصِدْقٍ وعُمْقٍ ، وتَأَمُّلٍ وتَعَقُّلٍ ؛ فـ : ﴿ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرةُ : ١٨٥] ، وهُوَ للمُؤْمِنِيْنَ : ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَتْ : ٤٤] .

○ وبِهَذِهِ المُنَاسَبةِ أَلْفِتُ النَّظَرَ إِلَى مَقْطَعٍ مَعْرُوفٍ عَلَى (اليُوتُيُوب) بعُنْوَان : (رَدَّة فِعْلِ أَمْرِيكَان بَعْدَ سَمَاعِ القُرْآنِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ / مُتَرْجَمٌ) ، وَقَدْ اسْتَمعْتُ إليْهِ ؛ فَأَعْجَبَنِي ، فَفَرَّغْتُهُ بِيَدِي ، وأَنْقُلُ لَكُمْ أَجْزَاءَ مِنْ هَذَا المَقْطَعِ المُبْهِرِ ؛ حَيْثُ قَامَ شَابٌّ (يُسَمَّى : آدَمُ صَالحٌ - مُسْلِمٌ -) بِجَوْلَةٍ جَمِيْلَةٍ يَطُوفُ مِنْ خِلالِهَا عَلَى الشَّبَابِ والفَتَيَاتِ ؛ لِيُسْمِعَهُم كَلِمَاتِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وأَحْكَمِ الحَاكِمِيْنَ ؛ فَقَالَ آدَمُ فِي مقدِّمةِ حَدِيْثِهِ :

(سَأَذْهَبُ لأَشْخَاصٍ عَشْوَائِيِّيْنَ ، وسَأَجْعَلُهُم يَسْتَمِعُونَ للقُرْآنِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ ، بِدُونِ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّ هُنَاكَ كَامِيْرَاتٍ عَلَيْهِمْ تُصَوِّرُهُمْ ؛

سَأَسْأَلُهُمْ ! مَا الذِي يَعْتَقِدُونَهُ ؟ وَمَاذَا جَعَلَهُمْ يَشْعُرُونَ ؟) .

وكَانَ بِدَايَةُ الحِوَارِ مَعَ شَابٍّ ؛ فَقَالَ لَهُ (آدَم صَالحُ) - بَعْدمَا وَضَعَ فِي أُذُنِ الشَّابِّ سمَّاعةَ هاتفهِ (الجَوَّالِ) ليُسْمِعَهُ القُرْآنَ - :

(المَعْذِرَةَ سَيِّدِي ! أَيُمْكِنُكَ أَنْ تُسْدِي لي مَعْرُوفًا ؟ أَيُمْكِنُكَ أَنْ تَسْتَمِعَ لهذَا الشَّيءِ لمدَّةِ ثلاثيْنَ ثَانِيَةً ؟ وأَخْبِرْنِي مَاذَا تَظُنُّ هَذَا ؟ وكَيْفَ جَعَلَكَ تَشْعُرُ ؟) ؛ فَلَمَّا اسْتَمَعَ الشَّابُّ لِجُزْءٍ مِنْ سُورةِ الفَاتِحَةِ ، وهِي أَوَّلُ سُورِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ ، وهي أمُّ القُرْآنِ العَظِيْمِ ، قَالَ لَهُ آدمُ : (أيُمْكِنُكَ أنْ تُخْبِرَنِي مَا هَذَا بِرَأْيِكَ ؟ ماذَا تظنُّهُ ؟) ؛ فردَّ الشَّابُّ قائلًا : (لسْتُ مُتَأَكِّدًا بالضَّبطِ مَا هذَا ؟!) ؛ فَقَالَ لَهُ آدَمُ : (لا تَعْلَمُ كَيْفَ جَعَلَكَ تَشْعُرُ ؟ لأنِّنِي رَأَيْتُ عَيْنَيْكَ مُغْلَقَةً !) ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّابُّ قَائِلًا : (بالحقيقةِ شعرتُ أنَّ هَذَا أخذَنِي لِعَالَمٍ آخِرَ ، شعرتُ أنَّ العالَمَ اختَفى مؤقَّتًا ، ركَّزتُ كثيْرًا بنَفْسِي ، وأنَّني أصبَحتُ مُتَعَمِّقًا في ذَاتِي ، أحسَسْتُ بالرَّاحةِ والطُّمَأْنِيْنَةِ ، شَعُرْتُ بأنَّنِي مُرْتَاحٌ ومُتَحَرِّرٌ) .

وعَرَضَ (آدَمُ صَالحُ) القرآنَ عَلَى مَجْمُوعةٍ أخْرَى ؛ فَاسْتَمَعَتْ إِحْدَى النِّسْوَةِ لِسُورَةِ (النَّاسِ) ، ثُمَّ قَالَ - آدَمُ - لَهَا : (أَخْبِرِيْنِي مَاذَا سَتَشْعُرِيْنَ بَعْدَ هَذَا ؟ ومَا هُوَ باعتِقادَكِ ؟) ؛ فقالتْ : (تَبْعَثُ - أي السُّورةُ - الشُّعورَ بالهدوءِ والسَّكِيْنَةِ نَوْعًا مَا) ؛ فَقَالَ آدمُ : (هَذَا هُوَ القرْآنُ ، وهُوَ كِتَابٌ إسْلاميٌّ ، لَمْ يَتِمَّ تَحرِيْفُهُ أَبَدًا ، وكَلِمَاتُهُ تَأْخُذُكِ للطَّرِيْقِ الصحيحِ) ؛ فردَّتِ المرأةُ قائلةً : (مِنَ المُثِيرِ للاهتمامِ أنَّكَ قُلْتَ : إنَّهُ كتابٌ دِيْنِيٌّ ؛ لأنَّنِي ضِدُّ الدِّياناتِ !! ولكِنَّها (بالحقيقةِ) تَبْعَثُ الشُّعُورَ بالسَّكِيْنَةِ ، ولِهَذَا أَفْهَمُ أَنَّكَ اتَّبَعْتَ ديانةً

كَهَذِهِ ، الآنَ أَعْلَمُ لِمَاذَا تُرِيْدُ أَنْ تَنْضَمَّ لِهَذَا الدِّيْنِ ؛ لأنَّه يُشْعِرُكَ بالاطمِئْنَانِ) .

وهَا هُوَ شابٌّ آخرُ يقولُ بعْدمَا استمعَ لسورةِ الفاتحةِ : (جعلتْني أَشْعرُ بشعورٍ عظيْمٍ ، جعلتْنِي أَشْعرُ وكَأَنَّنِي شَخْصٌ مُخْتَلِفٌ) ؛ فقالَ لَهُ آدمُ : (كَشَخْصٍ أَفْضَلَ ؟) ؛ فردَّ الشابُّ : (نعَمْ ؛ كشخْصٍ أفضَلَ ، إيجابيٍّ) .

وهَا هُوَ شابٌّ آخَرُ يَقُولُ بَعْدمَا اسْتَمَعَ لِجُزْءٍ مِنْ سورةِ (يَس) : (هذَا أجْمَلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ طُوَالَ هَذَا اليَوْمِ) ، ثُمَّ أَخَذَتْ هَذَا الشَّابَّ دَهْشَةٌ ؛ فنظرَ إليْهِ آدمُ ، وَسَأَلَهُ : (هَلْ أنتَ بخيْرٍ ؟) ؛ فردَّ عليْهِ الشابُّ قائلًا : (أنَا مُشَرَّدٌ ، منْذُ مدَّةٍ طويلةٍ ، وكَلِمَاتٌ بِهَذَا الإلهامِ لَمْ تأتِ إليَّ) .

فقَالَ آدَم صَالحٌ : (إِذَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ؛ هَذَا هُوَ القُرْآنُ ، وهُوَ كِتَابُ الإسْلَامِ ، والذي يَجْعَلُكَ تَذْهَبُ للطَّرِيْقِ الصَّحيْحِ ، وأنَّهُ الكِتَابُ الذِي لَمْ يَتِمَّ تَحْرِيْفُهُ أبدًا) .

وهُنَا أطرقَ الشابُّ بوجههِ إِلَى الأرضِ في حالةِ ذهولٍ ودهشةٍ للمرَّةِ الثَّانيةِ ؛ فقالَ له آدمُ : (هَلْ أنتَ بخيْرٍ ؟) ، ثمَّ عانقهُ آدمُ ، ووضعَ رأسهُ عَلَى صدرهِ رحمةً بهِ ، وشفقةً عليْهِ .

وقَدْ آمَنَ بالقُرْآنِ الكريمِ الكَثِيْرُونَ حِيْنَ صَدَقَتْ نُفُوسُهُمْ ، وحَسُنَتْ نِيَّاتُهُم ، وخَلَصَتْ قُلُوبُهمْ ، وتجرَّدَتْ لطَلَبِ الحقِّ ، والبَحْثِ عَنِ الحقيقةِ أفئِدَتُهم .

فالعَدْلُ طَرِيْقٌ للوصُولِ ، لا يَجُوزُ عَنْهُ العُدُولُ ، والظُّلْمُ

يُغْلِقُ البَابَ ، ويُبْعِدُ المرءَ عَنِ الهدَايةِ والرَّشَادِ ، وهَذَا مَفَادُ قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

● **قال العَلَّامةُ العُثَيْمِيْن – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – مُعَدِّدًا الفوائدَ المُسْتَنْبَطَةَ مِنَ الآية – فِي " تَفْسِيْرِهِ "** : " ومِنْهَا : أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ الإنْسَانُ أَظْلَمَ كَانَ عَنِ الهدايةِ أَبْعَدَ ؛ لأنَّ الله علَّقَ نَفْيَ الهدايةِ بالظُّلْمِ ، وتَعْلِيْقُ الحُكْمِ بالظُّلْمِ يَدُلُّ عَلَى عِلِّيَتِهِ ، وكلَّمَا قويَتْ العلَّةُ قوي الحُكْمُ المعلَّق عليه . ومِنْهَا : أنَّ مَنْ أَخَذَ بالعدلِ كان حريًّا بالهداية ؛ لمَفْهُومِ المُخَالَفَةِ في قولِهِ تَعَالَى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ؛ فإذا كان الظَّالمُ لا يَهْدِيْهِ اللهُ ؛ فصَاحِبُ العَدْلِ حَرِيٌّ بأن يهديهِ اللهُ عزَّ وجَلَّ ؛ فإنَّ الإنسانَ الذي يريدُ الحقَّ ويتبعُ الحقَّ – والحَقُّ هو العَدْلُ – غالبًا يُهْدَى ، ويُوفَّقُ للهدايةِ ، ولهذا قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ في " العَقِيْدَة الواسِطِيَّة " عبارةً من أحْسَنِ العِبَاراتِ ؛ قَالَ : " مَنْ تَدَبَّر القُرْآنَ طَالِبًا الهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيْقُ الحَقِّ " ؛ وهذه كلمةٌ مأخوذةٌ مِنَ القرآنِ مَنْطُوقًا ، ومَفْهُومًا " . انتهَى .

فلا تَغْتَرَّ بِتَهْوِيْلِ المهوِّلينَ ، ولَا بِإِفْكِ الأَفَّاكِيْنَ ، ولَا بِتَشْكِيْكِ المشكِّكين ؛ بَلِ اسْتَمْسِكْ بهِ ، وعَضَّ عَلَيْهِ . . وكُنْ لهُ صَاحِبًا ، في حِلِّكَ وتَرْحَالِكَ ، وذَهَابِكَ وإِيَابِكَ ، وحَضَرِكَ وسفَرِكَ ، وفي كلِّ حالِكَ وأَمْرِكَ ؛ فلَنْ تَنْدَمَ ؛ بلْ – ووالله – ستَكُونُ – إنْ كُنْتَ له مُصَاحِبًا ، وبهِ مُسْتَمْسِكًا – في أَعَالِي الدَّرجَاتِ ، وكَرِيْمِ المنَازِلِ العَالِيَاتِ ؛ قالَ ﷺ : " يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اقْرَأْ، وَارْقَ ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا " . رواهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ

عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

● وقَالَ ﷺ : " **اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ** " . رواهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

مَنَعَ الْقُرَانُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ — مُقَلَ الْعُيونِ بِلَيْلِهَا أَنْ تَهْجَعَ
فَهِمُوا عَنِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ كَلَامَهُ — فَهْمًا تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

● **قال الزَّرْكَشِيُّ في " البُرْهَانِ فِي عُلُومِ القُرْآنِ "** :

" وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَفَهْمٌ وَتَقْوَى وَتَدَبُّرٌ لَمْ يُدْرِكْ مِنْ لَذَّةِ الْقُرْآنِ شَيْئًا " .

بَلْ ؛ كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي " المُصَنَّف " ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي " زَوَائِدِ الزُّهْدِ " ، والطَّبَرَانِيُّ فِي " المُعْجَمِ الكَبِيْرِ " ، وَالخَطِيْبُ فِي " الفَقِيْهِ وَالمُتَفَقِّهِ " بإسنادٍ صحيحٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (وفي روايةٍ : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ) ؛ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ[1] ؛ فَإِنَّ فِيهِ خَيْرَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ " .

---

(١) أي : لِيُنَقِّرَ عَنْهُ . " غَرِيْبُ الحَدِيْثِ " - لابن الجوزي - (١/ ١٣٢) . قَالَ شَمَرَ : تَثْوِيْرُ القُرْآنِ : قِرَاءَتُهُ وِمُفَاتَشَةُ العُلَمَاءِ بِهِ . (" تَفْسِيْرُ القُرْطُبِيِّ ") . **وقَالَ ابْنُ الأَثِيْرِ في " النِّهَايَةِ "** : " أي : لِيُنَقِّرَ عنه ، ويُفَكِّرَ فِي مَعَانِيهِ وَتَفْسِيرِهِ وَقِرَاءَتِهِ " .

والحسْرَةُ كلُّ الحَسْرةِ ، والمُصِيْبَةُ كُلُّ المصِيْبَةِ : أَنَّنَا - نَحْنُ المُسْلِمِيْنَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ - حُرِمْنَا لَذَّتَهُ وَحَلاوَتَهُ وَهُوَ بَيْنَ أَيْدِيْنَا ، وَمِلءُ أَسْمَاعِنَا !! لِعَدَمِ تدبُّرِهِ ، وكثرةِ ذنُوبِنَا ومعاصِيْنَا ، ولا حَوْلَ ولا قوَّة إلاَّ باللهِ .

فَلْنُجَدِّدِ التَّوْبَةَ والأوبةَ ، والتَّأمُّلَ والتَّفَكُّرَ في آياتِ الكتاب . " فإنَّ القرآنَ لم يَنْزِلْ لمُجَرَّدِ التِّلاوة وانْعِقَادِ الصَّلاة علَيْهِ ؛ بَلْ أُنْزِلَ ليُتَدَبَّر ، ويُعْقَلَ ، ويُهْدَى بهِ علمًا وعملًا ، ويُبَصِّرَ مِنَ العَمَى ، ويُرْشِدَ مِنَ الغَيِّ ، ويُعَلِّم مِنَ الجهلِ ، ويَشْفِيَ مِنَ الغَيِّ ، ويَهْدِيَ إلى صراطٍ مُسْتقيمٍ " ؛ كما قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي " الصَّوَاعِقِ المُرْسَلَةِ " .

● قَالَ - تَعَالَى - : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٥ و ١٦] .

إنَّ طريقَ النَّجَاةِ في اتِّبَاعِهِ ، والسَّيْرِ عَلَى شِرْعَتِهِ ومِنْهَاجِهِ ، واتِّبَاعِ مَنْ نَزَلَ القُرْآنُ عَلَى قَلْبِهِ وفؤادِهِ . .

" فَبِمُحَمَّدٍ ﷺ تَبَيَّنَ الْكَفْرُ مِنْ الْإِيمَانِ ، وَالرِّبْحُ مِنْ الْخُسْرَانِ ، وَالْهُدَى مِنْ الضَّلَالِ ، وَالنَّجَاةُ مِنْ الْوَبَالِ ، وَالْغَيُّ مِنْ الرَّشَادِ ، وَالزَّيْغُ مِنْ السَّدَادِ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَالْمُتَّقُونَ مِنْ الْفُجَّارِ ، وَإِيثَارُ سَبِيلِ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ سَبِيلِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ .

فَالنُّفُوسُ أَحْوَجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ مِنْهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؛ فَإِنَّ هَذَا إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْمَوْتُ فِي الدُّنْيَا . وَذَاكَ إِذَا فَاتَ حَصَلَ الْعَذَابُ .

فَحَقَّ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بَذْلُ جُهْدِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ فِي مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتِهِ ؛ إِذْ هَذَا طَرِيقُ النَّجَاةِ مِنْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالسَّعَادَةِ فِي دَارِ النَّعِيمِ. وَالطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ الرِّوَايَةُ وَالنَّقْلُ ؛ إِذْ لَا يَكْفِي مِنْ ذَلِكَ مُجَرَّدُ الْعَقْلِ ؛ بَلْ كَمَا أَنَّ نُورَ الْعَيْنِ لَا يُرَى إِلَّا مَعَ ظُهُورِ نُورٍ قُدَّامَهُ ؛ فَكَذَلِكَ نُورُ الْعَقْلِ لَا يَهْتَدِي إِلَّا إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ[1] .

فَلِهَذَا كَانَ تَبْلِيغُ الدِّينِ مِنْ أَعْظَمِ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ . وَكَانَ مَعْرِفَةُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَاجِبًا عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ.

وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَبِهِمَا أَتَمَّ عَلَى أُمَّتِهِ الْمِنَّةَ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة : ١٥٠ – ١٥٢] ، وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

(١) **قَالَ العَلامةُ ابْنُ القَيِّم – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – في " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (ص : ٣٤٩)** : " فالسَّمْعُ يجِيءُ بِمَا يَعْجَزُ العَقْلُ عن إدراكِهِ ولا يستقِلُّ بهِ ، ولا يجيءُ بما لا يَعْلَمُ العَقْلُ إحالَتَهُ " . **وقال في " مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ " (٢/ ١٠١)** : " الشَّرِيعَة جاءَت بِمَا يَعْجَزُ العَقْلُ عَن إِدْرَاكِهِ لَا بِمَا يحِيْلُهُ الْعَقْلُ " .

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة : ٢]، وَقَالَ – تَعَالَى – عَنْ الْخَلِيلِ : ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة : ١٢٩] " . مِنْ كَلِمَاتِ شَيْخِ الإِسْلامِ فِي " فَتَاوَاهُ " .

● **وقَدْ نَوَّه العَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ في " تَفْسِيْرِهِ "** بِهَذِهِ الفَائِدَةِ المَأْخُوذَةِ مِنَ هَذِهِ الآيَةِ ؛ حَيْثُ أَشَارَ أَنَّ الآيَةَ جَمَعَتْ وَحْدَها قِرَاءَةَ القُرْآنِ وحِفْظَهُ ، وفَهْمَهُ ، والعَمَلَ بِهِ ؛ فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : " ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ لَفْظًا ، وحِفْظًا ، وتَحفِيْظًا ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ مَعْنىً ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بالتَّرْبِيَةِ عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالحَةِ ، والتَّبرِّي مِنَ الأَعْمَالِ الرَّدِيَّةِ ، التِي لا تُزكِّي النُّفُوسَ مَعَهَا " .

● **وَكَمَا قَالَ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّمِ فِي " بَدَائِعِ الفَوَائِدِ "** : " مَا أشدَّها مِنْ حَسْرَةٍ ، وأَعْظَمَهَا مِنْ غُبْنَةٍ ! عَلَى مَنْ أَفْنَى أَوْقَاتَهُ فِي طَلَبِ العِلْمِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيا ومَا فَهِمَ حَقَائِقَ القُرْآنِ ، ولا بَاشَرَ قَلْبُهُ أَسْرَارَهُ ومَعَانِيْهِ ؛ فَاللهُ المُسْتَعَانُ " .

✧ **وَدُوْنَكَ شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِهِ ومَعَانِيْهِ وأَنْوَارِهِ ، وبَدَائِعِهِ وَرَوَائِعِه ، وفَوَائِدِهِ وَفَرَائِدِهِ وقَلائِدِهِ :**

● حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ " فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ

الْقُرْآنَ ؛ فَقَالَ : إنْ كَانَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ ؛ فلا يَقُولُ كَذَا ، ومرَّ بهمَا رَجُلٌ ؛ فقَالَ : كَيْفَ تقْرَأُ هذِهِ الآيَةَ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ؛ فقَالَ : هَكَذَا يَنْبَغِي ، الْحَكِيمُ لَا يَذْكُرُ الْغُفْرَانَ عِنْدَ الزَّلَلِ ؛ لِأَنَّهُ إِغْرَاءٌ عَلَيْهِ . (" الإتْقَانُ " للسُّيُوطِيِّ) .

● حَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ جَارِيَةً أَعْرَابِيَّةً تُنْشِدُ وَتَقُولُ :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ ... قَبَّلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ
مِثْلَ الْغَزَالِ نَاعِمًا فِي دَلِّهِ ... فَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهِ

فَقَالَ لَهَا : قَاتَلَكِ اللهُ ! ما أَفْصَحَكِ ؟! فَقَالَتْ : أَوَ تَعُدُّ هذا فَصَاحَةً بَعْدَ قولِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص : ٧] ؛ فَجَمَعَ في آيةٍ واحدةٍ بين أَمْرَيْنِ[(١)] ونَهْيَيْنِ[(٢)] ، وخَبَرَيْنِ[(٣)] ، وبِشَارَتَيْنِ[(٤)] . (" شرح البخاري" للقسطلاني) ، و (" الفتح المبين بشرح الأربعين " لابن حجرٍ الهيتميِّ) ، و (" الشفا " للقاضي عياض) (ص :٢٦٣) ، و (" تفسير القرطبي " ١/ ٧٦ و ١٣/ ٢٥٢) .

● **قَالَ البَيْهَقِيُّ في " الاعْتِقَادِ "** : " قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ فِيمَا قَرَأْتُ مِنْ كِتَابِهِ - : وَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ (ﷺ) : أَنَّهُ وُجِدَ

(١) " أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ " .
(٢) " وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي " .
(٣) " وَأَوْحَيْنَا " و " فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ " .
(٤) " إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " .

فِي بَدْءِ أَمْرِهِ يَتِيمًا ضَعِيفًا عَائِلًا فَقِيرًا لَيْسَ لَهُ مَالٌ يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ ، وَلَا لَهُ قُوَّةٌ يَقْهَرُ بِهَا الرِّجَالَ ، وَلَا كَانَ فِي إِرْثِ مَلِكٍ فَتَثُوبُ إِلَيْهِ الْآمَالُ ؛ طَمَعًا فِي دَرَكِ الْحَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَعَوْدِ الْمُلْكِ الْمَورُوثِ ، وَلَا كَانَ لَهُ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانٌ يُطَابِقُونَهُ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَالدِّينِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ ؛ فَخَرَجَ عَلَى هَذَا الْحَالِ إِلَى الْعَرَبِ قَاطِبَةً وَإِلَى الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ كَافَّةً وَحِيدًا طَرِيدًا مَهْجُورًا مَحْقُورًا[١] ، وَهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَام ، وَتَعْظِيمِ الْأَزْلَامِ ، مُقِيمُونَ عَلَى عِبَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَالتَّعَادِي وَالتَّبَاغِي وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَشَنِّ الْغَارَاتِ وَاسْتِبَاحَةِ الْحَرَام ، لَا يَجْمَعُهُمْ أُلْفَةُ دِينٍ ، وَلَا تَمْنَعُهُمْ دَعْوَةُ إِمَام ، وَلَا يَكُفُّهُمْ طَاعَةُ مَلِكٍ ، وَلَا يَحْجِزُهُمْ عَنْ سُوءِ أَفْعَالِهِمْ نَظَرٌ فِي عَاقِبَةٍ[٢] ، وَلَا خَوْفُ عُقُوبَةٍ أَوْ لَائِمَةٍ ؛ فَأَلَّفَ قُلُوبَهَا ، وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا ؛ حَتَّى اتَّفَقَتِ الْآرَاءُ ، وَتَنَاصَرَتِ الْقُلُوبُ ، وَتَرَافَدَتِ الْأَيْدِي ، وَصَارُوا إِلْبًا وَاحِدًا فِي نُصْرَتِهِ ، وَعُنُقًا وَاحِدًا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَهَجَرُوا بِلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ ، وَجَفُوا قَوْمَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ ، وَنَبَذُوا الْأَصْنَامَ الْمَعْبُودَةَ ، وَتَرَكُوا السِّفَاحَ ، وَكَانَ مُقْتَضَى شَهَوَاتِهِمْ ، وَشُرْبَ الْخَمْرِ ، وَكَانَ وَفْقَ طِبَاعِهِمْ ، وَالرِّبَا ، وَكَانَ مُعْظَمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَبَذَلُوا مُهَجَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ ، وَنَصَبُوا وُجُوهَهُمْ لِوَقْعِ السُّيُوفِ بِهَا فِي إِعْزَازِ كَلِمَتِهِ بِلَا دُنْيَا بَسَطَهَا لَهُمْ ، وَلَا آمَالٍ أَفَاضَهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا عِوَضٍ فِي الْعَاجِلِ أَطْمَعَهُمْ فِي نَيْلِهِ ؛ مِنْ مَالٍ يَحُوزُونَهُ أَوْ مُلْكٍ أَوْ شَرَفٍ فِي الدُّنْيَا يُحْرِزُونَهُ ؛ بَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ

(١) لكنَّهُ عنْدَ اللهِ ﷻ عظِيْمٌ .

(٢) وذلِكَ ؛ لأنَّهُم لا يَهابُونَ أحَدًا مِنَ النَّاسِ .

أَنْ يَجْعَلَ الْمُلْكَ مِنْهُمْ سَوِيَّةً ، الْغَنِيَّ فَقِيرًا ، وَالشَّرِيفَ أُسْوَةً بِالْوَضِيعِ ؛ فَهَلْ تَلْتَئِمُ مِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ أَوْ يَتَّفِقُ مَجْمُوعُهَا لِأَحَدٍ هَذَا سَبِيلُهُ مِنْ قِبَلِ الِاخْتِيَارِ الْعَقْلِيِّ أَوِ التَّدْبِيرِ الْفِكْرِيِّ أَوْ مِنْ جِهَةِ الِاجْتِهَادِ أَوْ مِنْ بَابِ الْكَوْنِ وَالِاتِّفَاقِ ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَسَخَّرَ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورَ مَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ إِلَهِيٌّ ، وَشَيْءٌ غَالِبٌ سَمَاوِيٌّ نَاقِضٌ لِلْعَادَاتِ ، يَعْجَزُ عَنْ بُلُوغِهِ قُوَى الْبَشَرِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

قَالَ : وَقَدِ انْتَظَمَ جُمْلَةَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ ؛ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال : ٦٣] .

قَالَ : وَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَخُطُّ كِتَابًا بِيَدِهِ وَلَا يَقْرَؤُهُ ، وُلِدَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ ، وَنَشَأَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فِي بَلَدٍ لَيْسَ بِهَا عَالِمٌ يَعْرِفُ أَخْبَارَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مُنَجِّمٌ يَتَعَاطَى عِلْمَ الْكَوَائِنِ ، وَلَا مُهَنْدِسٌ يَعْرِفُ التَّقْدِيرَ ، وَلَا فَيْلَسُوفٌ يُبْصِرُ الطَّبَائِعَ ، وَلَا مُتَكَلِّمٌ يَهْتَدِي لِرُسُومِ الْجَدَلِ وَوُجُوهِ الْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِالْحَاضِرِ عَلَى الْغَائِبِ، وَلَمْ يَخْرُجْ فِي سَفَرٍ ضَارِبًا إِلَى عَالِمٍ فَيَعْكُفُ عَلَيْهِ وَيَأْخُذُ مِنْهُ هَذِهِ الْعُلُومَ ، وَكُلُّ هَذَا مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ مَشْهُورٌ عِنْدَ ذَوِي الْمَعْرِفَةِ وَالْخِبْرَةِ بِشَأْنِهِ ، يَعْرِفُهُ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ وَالْخَاصُّ وَالْعَالِمُ مِنْهُمْ ؛ فَجَاءَهُمْ بِأَخْبَارِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَقَدْ كَانَ ذَهَبَ مَعَالِمُ تِلْكَ الْكُتُبِ وَدَرَسَتْ وَحُرِّفَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِصَحِيحِهَا مِنْ سَقِيمِهَا إِلَّا الْقَلِيلُ .

ثُمَّ حَاجَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ بِمَا لَوِ احْتَشَدَ لَهُ حُذَّاقُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَابِذَةُ الْمُحَصِّلِينَ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُمْ نَقْضُ شَيْءٍ مِنْهُ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَدَلِّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت : ٥١] ؛ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا اقْتَصَصْنَا مِنْ حَالِهِ وَوَصَفْنَا مِنْ أَمْرِهِ فِي أَنَّهُ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، وَلَمْ يُعْرَفْ بِدَرْسِ الْكُتُبِ وَطَلَبِ الْأَخْبَارِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى بِهِ دَلَالَةً عَلَى صِحَّةِ أَمْرِهِ وَصِدْقِ دَعْوَاهُ .

وَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ : أَنَّهُ تَحَدَّى الْخَلْقَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْإِعْجَازِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ؛ فَنَكَلُوا عَنْهُ ، وَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِنْهُ .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ(١) :

---

(١) **قَالَ الحَافِظُ فِي " الفَتْحِ " : " وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمْ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ :**
أَحَدُهَا : حُسْنُ تَأْلِيفِهِ وَالْتِئَامُ كَلِمِهِ مَعَ الْإِيجَازِ وَالْبَلَاغَةِ .
ثَانِيهَا : صُورَةُ سِيَاقِهِ وَأُسْلُوبِهِ الْمُخَالِفِ لِأَسَالِيبِ كَلَامِ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا حَتَّى حَارَتْ فِيهِ عُقُولُهُمْ ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِثْلِهِ ، مَعَ تَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ وَتَقْرِيعِهِ لَهُمْ عَلَى الْعَجْزِ عَنْهُ .
ثَالِثُهَا : مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَمَّا مَضَى مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالشَّرَائِعِ الدَّاثِرَةِ مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ بَعْضَهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .
رَابِعُهَا : الْإِخْبَارُ بِمَا سَيَأْتِي مِنَ الْكَوَائِنِ الَّتِي وَقَعَ بَعْضُهَا فِي الْعَصْرِ النَّبَوِيِّ =

مِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِعْجَازُهُ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَحُسْنِ اللَّفْظِ دُونَ النَّظْمِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِعْجَازُهُ فِي نَظْمِهِ دُونَ لَفْظِهِ ؛ فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَكَلَّمَتْ بِأَلْفَاظِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِعْجَازُهُ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ الْحَوَادِثِ وَإِنْذَارِهِ بِالْكَوَائِنِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ وَوُقُوعِهَا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي أَنْبَأَ عَنْهَا .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِعْجَازُهُ فِي أَنَّ اللهَ أَعْجَزَ النَّاسَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، وَصَرَفَ الْهِمَمَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ(١) ، مَعَ وَقُوعِ التَّحَدِّي ، وَتَوَفُّرِ

= وَبَعْضُهَا بَعْدَهُ .

وَمِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ آيَاتٌ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ فِي قَضَايَا أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهَا ؛ فَعَجَزُوا عَنْهَا مَعَ تَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ ؛ كَتَمَنِّي الْيَهُودِ الْمَوْتَ ، وَمِنْهَا : الرَّوْعَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لِسَامِعِهِ ، وَمِنْهَا : أَنَّ قَارِئَهُ لَا يَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهِ ، وَسَامِعَهُ لَا يَمُجُّهُ ، وَلَا يَزْدَادُ بِكَثْرَةِ التَّكْرَارِ إِلَّا طَرَاوَةً وَلَذَاذَةً ، وَمِنْهَا : أَنَّهُ آيَةٌ بَاقِيَةٌ لَا تُعْدَمُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا ، وَمِنْهَا : جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهَا وَلَا تَنْتَهِي فَوَائِدُهَا . اهـ . مُلَخَّصًا مِنْ كَلَامِ عِيَاضٍ وَغَيْرِهِ " .

(١) **والقَوْلُ بــ : (الصَّرْفَةِ)** ؛ أي : أنَّ اللهَ صَرَفَ قُلُوبَ الخَلْقِ عَنِ الإتْيَانِ بمثْلِهِ ، هُوَ قَوْلٌ ضعِيْفٌ ؛ لأنَّ فيْهِ نَفْيًا لإعْجَازِ القُرْآنِ وسَبْقهِ في نَفْسِهِ وذَاتِهِ .

وقَدْ قَالَ الخَطَّابيُّ (ت : ٣٨٨هـ) في " بيانِ إعْجَازِ القُرْآنِ " – لَهُ – (ص : ٢٣) : " وَهَذَا أَيْضًا وَجْهٌ قَرِيْبٌ – أي : القَوْلُ بالصِّرفةِ – ؛ إلَّا أنَّ دَلَالةَ الآيَةِ تَشْهَدُ بِخِلافِهِ ، وهِي قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨] ؛ فَأَشَارَ في ذَلِكَ إِلَى أَمْرٍ طَرِيقُهُ التَّكَلُّفُ والاجتِهَادُ ، وسبيلُهُ التَّأَهُّبُ والاحْتِشَادُ . =

. . . .

= والمَعْنَى فِي الصِّرفةِ التي وصَفُوها لا يُلائِمُ هَذِهِ الصِّفةَ ؛ فَدَلَّ عَلَى أنَّ المُرادَ غَيْرُهَا ، واللهُ أَعْلَمُ " ، ثمَّ قَالَ : " واعْلَمْ أنَّ القرآنَ إنَّمَا صارَ مُعْجِزًا ؛ لأَنَّهُ جاءَ بأَفصحِ الألفاظِ في أحسَنِ نُظُومِ التأليفِ ، مُضَمَّنًا أصحَّ المعَانِي ، مِنْ توحيدٍ له عزَّت قدرتُه ، وتنزيهٍ له في صفاتِهِ ، ودعاءٍ إلى طاعته ، وبيانٍ بمنهاج عبادتهِ ؛ مِنْ تحليلٍ وتَحْرِيمٍ ، وحظْرٍ وإباحةٍ ، ومِنْ وعظٍ وتقويمٍ ، وأمرٍ بمعروف ونهيٍ عن منكر ، وإرشادٍ إلى محاسن الأخلاق ، وَزَجرٍ عِنْ مَسَاوِئِها ، واضعًا كلَّ شيءٍ مِنْهَا مَوْضِعَهُ الذِي لا يُرى شَيْءٌ أَوْلَى مِنْهُ ، ولا يُرى في صُورةِ العَقْلِ أمرٌ أليقُ مِنْهُ ، مُودِعًا أخبارَ القرونِ الماضيةِ وما نزل مِنْ مَثُلات الله بمنْ عَصَى وعانَدَ منْهُم ، مُنَبِّئًا عَنِ الكَوَائِنِ المُسْتَقْبَلَةِ فِي الأَعْصَارِ البَاقِيَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، جامعًا في ذلك بين الحجَّةِ والمحتجِّ لهُ ، والدليلِ والمَدْلُولِ عَلَيْهِ ؛ ليكونَ ذلك أوكدَ للِزُومِ مَا دَعَا إليه ، وإنباءً عَنْ وُجُوبِ مَا أمَر بهِ ، ونهى عنه .

ومعلومٌ أنَّ الإتيانَ بمثلِ هذه الأمور ، والجمعَ بين شتاتها حتى تنتَظِمَ وتَتَّسِقَ أمرٌ تَعْجَزُ عنْهُ قُوَى البَشَرِ ، ولا تبلُغُهُ قُدَرُهم ، فانقطع الخَلْقُ دونَهُ ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته في شكْلِهِ " .

وراجع : " الجواب الصَّحيْح " (٥ / ٤٢٩) لِشَيْخِ الإسْلام ؛ **فَقَدَ قَالَ** : " وَمِنْ أَضْعَفِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ : إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِصَرْفِ الدَّوَاعِي – مَعَ تَمَامِ الْمُوجِبِ لَهَا – أَوْ بِسَلْبِ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ ، أَوْ بِسَلْبِهِمُ الْقُدْرَةَ الْمُعْتَادَةَ فِي مِثْلِهِ سَلْبًا عَامًّا ، مِثْلُ قَوْلِهِ – تَعَالَى – لِزَكَرِيَّا : ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم : ١٠] . وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ صَرَفَ قُلُوبَ الْأُمَمِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ قِيَامِ الْمُقْتَضِي التَّامِّ ؛ فَإِنَّ هَذَا يُقَالُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَقْدِرُ النَّاسُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ؛ فَامْتِنَاعُهُمْ – جَمِيعُهُمْ – عَنْ هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ ، مَعَ قِيَامِ الدَّوَاعِي الْعَظِيمَةِ إِلَى الْمُعَارَضَةِ ، مِنْ أَبْلَغِ الْآيَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ : إِنِّي آخُذُ أَمْوَالَ جَمِيعِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ ، =

الدَّوَاعِي إِلَيْهِ ؛ لِتَكُونَ آيَةً لِلنُّبُوَّةِ ، وَعلاَمَةً لِصِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ .

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلمَاءِ إِلَى إِثْبَاتِ الْإِعْجَازِ لِلْقُرْآنِ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ

= وَأَضْرِبُهُمْ جَمِيعَهُمْ، وَأُجَوِّعُهُمْ ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يَشْكُوا إِلَى اللَّهِ ، أَوْ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ - مَعَ ذَلِكَ - مَنْ يَشْتَكِي ؛ فَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْعَجَائِبِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ.

وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ وَاحِدًا صَنَّفَ كِتَابًا يَقْدِرُ أَمْثَالُهُ عَلَى تَصْنِيفِ مِثْلِهِ ، أَوْ قَالَ شِعْرًا ، يَقْدِرُ أَمْثَالُهُ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ ، وَتَحَدَّاهُمْ كُلَّهُمْ ؛ فَقَالَ : عَارِضُونِي ، وَإِنْ لَمْ تُعَارِضُونِي فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ ، مَأْوَاكُمُ النَّارُ ، وَدِمَاؤُكُمْ لِي حَلَالٌ ، امْتَنَعَ فِي الْعَادَةِ أَنْ لَا يُعَارِضَهُ أَحَدٌ. فَإِذَا لَمْ يُعَارِضُوهُ كَانَ هَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْعَجَائِبِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ " .

فَهَذَا القَوْلُ بِخلافِ قَوْلِ أهْلِ السُّنةِ ؛ لكِنَّهُ يُقَالُ عَلَى سَبِيْلِ التنزُّلِ ؛ قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كثيرٍ فِي " التَّفسِيْرِ " (١ / ١١٠) : " وَقَدْ قَرَّرَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْإِعْجَازَ بِطَرِيقٍ يَشْمَلُ قَوْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وقَوْلِ المعْتزِلَةِ فِي الصِّرْفَةِ ؛ فَقَالَ : إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ مُعْجِزًا فِي نفسِهِ لا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ وَلَا فِي قُوَاهُمْ مُعَارَضَتُهُ ؛ فَقَدْ حَصَلَ الْمُدَّعَى وَهُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَإِنْ كَانَ فِي إِمْكَانِهِمْ مُعَارَضَتُهُ بِمِثْلِهِ وَلَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِصَرْفِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ .

وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَرْضِيَّةً ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِي نَفْسِهِ مُعْجِزٌ ، لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ مُعَارَضَتَهُ ؛ كَمَا قَرَّرْنَا ؛ **إِلَّا أَنَّهَا تَصْلُحُ عَلَى سَبِيلِ التَّنَزُّلِ وَالْمُجَادَلَةِ وَالْمُنَافَحَةِ عَنِ الْحَقِّ**، وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أجاب الرازيُّ فِي " تَفْسِيرِهِ " عَنْ سُؤَالِهِ فِي السُّوَرِ الْقِصَارِ ؛ كالعَصْرِ ، وَإِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " . انتهى . هَكَذَا قرَّرَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ ، وشيْخهُ شيْخُ الإسلامِ . ورَجَّحَا أنَّ الصَّوابَ : هُوَ أنَّهم عَجَزُوا عَنِ الإتْيَانِ بمثْلهِ ؛ لأنَّهُ مُعْجِزٌ في نَفْسِهِ . وراجعْ بحثًا مختَصَرًا في ذلك بِعُنْوَان : " الصَّرْفَةُ دلالتُها لدَى القائلينَ بِهَا ، ورُدُودُ المُعَارِضِيْنَ لَهَا " . د . سامي عَطَا حَسَن ، جامعة آلِ البَيْتِ .

الْوُجوهِ ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِعْجَازَ فِي لَفْظِهِ ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمُتَداوَلَةٌ فِي خِطَابِهَا ؛ لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ فِي أَعْيَانِ الْأَسْمَاءِ وَمُفْرَدِ الْأَلْفَاظِ ، وَحَسْبُ ، دُونَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَوْضَاعُ مُعْتَبَرَةً بَمَحَالِّهَا وَمواضِعِهَا الْمُصَرَّفَةِ إِلَيْهَا ، وَالْمُسْتَعْمَلَةِ فِيهَا(١) .

---

(١) **قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ فِي " الجَوَابِ الصَّحِيحِ " (٥/٤١٠ و ٤١١) :**
" فَإِنَّ كَوْنَهُ مُعْجِزًا يُعْلَمُ بِأَدِلَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَالْإِعْجَازُ فِيهِ وُجُوهٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَتَنَوَّعَتْ دَلَائِلُ إِعْجَازِهِ، وَتَنَوَّعَتْ وُجُوهُ إِعْجَازِهِ، وَكُلُّ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ هُوَ دَالٌّ عَلَى إِعْجَازِهِ، وَهَذِهِ جُمَلٌ لِبَسْطِهَا تَفْصِيلٌ طَوِيلٌ ، وَلِهَذَا قَالَ - تَعَالَى - :
﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت : ٥٠ و ٥١] .
فَهُوَ كَافٍ فِي الدَّعْوَةِ وَالْبَيَانِ ، وَهُوَ كَافٍ فِي الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ " .
● **وَقَالَ (٥/ ٤٢٨ و ٤٢٩) :**
" وَكَوْنُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ هُوَ مِنْ جِهَةِ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَطْ ، أَوْ نَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ فَقَطْ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بِالْغَيْبِ فَقَطْ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ صَرْفِ الدَّوَاعِي عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ سَلْبِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ ؛ بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مُعْجِزَةٌ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ :
مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظْمِ ، وَمِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.
وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ ، الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ الْغَيْبِ الْمَاضِي ، وَعَنِ الْغَيْبِ =

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ : وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَعْرِفُ لَفْظَ الصَّدْعِ فِي لُغَتِهَا ، وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي خِطَابِهَا ، ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَجِدُهُ مُسْتَعْمَلًا لَهُمْ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ : ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجْرُ : ٩٤] ، وَيُسْتَعْمَلُ اسْمُ الضَّرْبِ ، ثُمَّ لَا تَجِدُهُ لَهُمْ مُسْتَعْمَلًا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف : ١١] ، وَكذَلِكَ لَفْظُ النَّبْذِ ثُمَّ لَا تَجِدُهُ لَهُمْ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال : ٥٨] إِلَى مَا يَجْمَعُ هَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْوَجَازَةِ وَالَاخْتِصَارِ وَحَذْفِ الْمُقْتَضَى وَإِعْمَالِ الضَّمِيرِ وَالَاقْتِصَارِ عَلَى الْوَحْيِ الْمُفْهِمِ ، وَكَقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس : ٣٧] ؛ فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ : نُخْرِجُ مِنْهُ النَّهَارَ ؛ إِلَّا أَنَّ مَوْضِعَ الْبَلَاغَةِ هَاهُنَا فِي السَّلْخِ أَنَّهُ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ مِمَّا لَابَسَهُ ، وَعَسُرَ انْتِزَاعُهُ مِنْهُ ؛ لِالْتِحَامِهِ بِهِ ، وَذَلِكَ قِيَاسُ اللَّيْلِ وَمِثَالُهُ ، وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج : ٥٥] ؛ أَيْ : يَوْمٌ لَا يُعْقِبُ لِلمُعَذَّبِينَ غَدًا ، وَلَا يُنْتِجُ لَهُمْ خَيْرًا .

قَالَ : وَقَدِ اسْتَحْسَنَ النَّاسُ فِي الْإِيجَازِ قَوْلَهُمْ : الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ ! وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة : ١٧٩] تَفَاوتٌ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْإِيجَازِ .

= الْمُسْتَقْبَلِ ، وَمِنْ جِهَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمَعَادِ ، وَمِنْ جِهَةِ مَا بَيَّنَ فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةِ ، وَالْأَقْيِسَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ . .

وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنَ الْوُجُوهِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، هُوَ حُجَّةٌ عَلَى إِعْجَازِهِ، وَلَا تَنَاقُضَ فِي ذَلِكَ، بَلْ كُلُّ قَوْمٍ تَنَبَّهُوا لِمَا تَنَبَّهُوا لَهُ " .

وَبَيَانُ ذَلِكَ : أَنَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ كُلَّ مَا فِي قَوْلِهِمْ : الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ ، وَزِيَادَةَ مَعَانٍ لَيْسَتْ فِيهِ :

● **مِنْهَا** : الْإِبَانَةُ عَنِ الْفِدَاءِ لِذِكْرِ الْقِصَاصِ .

● **وَمِنْهَا** : الْإِبَانَةُ عَنِ الْغَرَضِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ لِذِكْرِ الْحَيَاةِ .

● **وَمِنْهَا** : بُعْدُهُ عَنِ التَّكَلُّفِ ، وَسلَامَتُهُ مِنْ تَكْرَارِ اللَّفْظِ الَّذِي فِيهِ عَلَى النَّفْسِ مَشَقَّةٌ ، وَعَلَى السَّمْعِ مَئُونَةٌ .

● **قَالَ الشَّيْخُ** : وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البَقَرَةُ : ١٧٩] أَوْجَزُ فِي الْعِبَارَةِ ؛ فَإِنَّهُ عَشَرَةُ أَحْرُفٍ ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ : الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ ، أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا .

قَالَ : وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْمَعَانِي مِنَ الْقُرْآنِ وَتَتَبَّعْتَهَا مِنْهُ كَثُرَ وُجُودُكَ لَهَا ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا الْقَدْرَ ؛ لِيَكُونَ مِثَالًا مُرْشِدًا إِلَى نَظَائِرَ مِنْهُ .

وَأَمَّا إِعْجَازُهُ مِنْ جِهَةِ النَّظْمِ ؛ فَالْمُعْجِزُ مِنْهُ نَظْمُ جِنْسِ الْكَلَامِ الَّذِي بَايَنَ بِهِ الْقُرْآنُ سَائِرَ أَصنَافِ الْكَلَامِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ ؛ فَإِنَّ أَجْنَاسَ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ بِهَا خَمْسَةٌ :

١- الْمَنْثُورُ الَّذِي تَسْتَعْمِلُهُ الْعَرَبُ فِي مُحَاوَرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا .

٢- وَالشِّعْرُ الْمَوْزُونُ .

٣- وَالْخُطَبُ .

٤- وَالرَّسَائِلُ .

٥- وَالسَّجْعُ .

وَكُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا نَمَطُهُ غَيْرُ نَمَطِ صَاحِبِهِ ، وَنَظْمُ كَلَامِ الْقُرْآنِ مُبَايِنٌ لِهَذِهِ الْوُجُوهِ الخَمْسَةِ مُبَايَنَةً لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ أَوْ ذِي مَعْرِفَةٍ بِلِسَانِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، حَتَّى إِذَا سَمِعَهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَشْهَدَ بِمُخَالَفَتِهِ لِسَائِرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَالْحُجَّةُ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى قُرَيْشٍ وَسَائِرِ الْعَرَبِ بِوُقُوفِهِمْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَنَّ هَذَا الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْكَلَامِ هُوَ مَوْضِعُ الْحُجَّةِ .

وَبِذَلِكَ صَارَ مُعْجِزًا لِلخَلْقِ ، وَقَائِمًا مَقَامَ الْحُجَجِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رُسُلَهُ وَاحْتَجَّ بِهَا عَلَى النَّاسِ ؛ مِثْلِ فَلْقِ الْبَحْرِ ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَمَنْعِ النَّارِ مِنَ الْإِحْرَاقِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرةُ : ٢٣] – إِلَى أَنْ قَالَ تَعَالَى – : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرةُ : ٢٤] الْآيَةُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَى الْعَرَبِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي أَعْجَزَهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَعْجَبُ فِي الْآيَةِ ، وَأَوْضَحُ فِي الدَّلَالَةِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ ؛ لِأَنَّهُ أَتَى أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَأَرْبَابَ الْفَصَاحَةِ وَرُؤَسَاءَ الْبَيَانِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي اللِّسَانِ بِكَلَامٍ مَفْهُومِ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ ؛ فَكَانَ عَجْزُهُمْ أَعْجَبَ مِنْ عَجْزِ مَنْ شَاهَدَ الْمَسِيحَ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ فِيهِ ، وَلَا فِي إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ ، وَلَا يَتَعَاطَوْنَ عِلْمَهُ ، وَقُرَيْشٌ كَانَتْ تَتَعَاطَى الْكَلَامَ الْفَصِيحَ وَالْبَلَاغَةَ وَالْخَطَابَةَ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَجْزَ عَنْهُ إِنَّمَا كَانَ لِأَنْ يَصِيرَ عَلَمًا عَلَى رِسَالَتِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ، وَهَذِهِ

حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحٌ ؛ فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ وَجْهَ مَا يَظْهَرُ بِهِ بَيْنُونَتُهُ الْقُرْآنِ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ هُوَ مَا يَقَعُ مِنَ السَّجْعِ فِي مَقَاطِعِ الْكَلَامِ وَمُنْتَهَى الْآيَاتِ ، نَحْوَ قَوْلِهِ : ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطُّور: ٢] ، وَقَوْلِهِ : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النَّجْم: ١- ٢] ، وَقَوْلِهِ : ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝﴾ [الشَّمْس: ١- ٢] ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ ، وَالسَّجْعُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ ، غَيْرُ عَدِيمٍ وَلَا غَرِيبٍ ؛ فَكَيْفَ جَعَلْتُمْ ذَلِكَ عَلَمًا لِلْإِعْجَازِ ؟

قِيلَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا سَجْعًا ، وَإِنَّمَا هِيَ فَوَاصِلُ تَفْصِلُ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ بِحُرُوفٍ مُتَشَاكِلَةٍ فِي الْمَقَاطِعِ ، تُعِينُ عَلَى حُسْنِ إِفْهَامِ الْمَعَانِي ، وَالْفَوَاصِلُ بَلَاغَةٌ ، وَالسَّجْعُ عَيْبٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَوَاصِلَ تَابِعَةٌ لِلْمَعَانِي ، وَأَمَّا الْأَسْجَاعُ ؛ فَالْمَعَانِي تَابِعَةٌ لَهَا ، وَالسَّجْعُ تَكَلُّفٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ تَأْلِيفِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ عَلَى نَمَطٍ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ سَجْعِ الْحَمَامَةِ ، وَهُوَ مُوَالَاتُهَا الصَّوْتَ عَلَى نَمَطٍ لَا يَخْتَلِفُ ؛ فَمَنْ شَبَّهَ الْفَوَاصِلَ التَّابِعَةَ لِمَعَانِي الْكَلَامِ ، الْمُفِيدَةَ حُسْنَ الْإِفْهَامِ بِالسَّجْعِ الْخَالِي عَنِ الْمَعْنَى الْمُتَتَبِّعِ لَهُ ، الْمُتَكَلَّفِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِكْرَاهِ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ عَنِ الصَّوَابِ ، وَأَخْطَأَ مَذْهَبَ الْقِيَاسِ .

وَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ إِعْجَازَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ عَنِ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ ؛ فَوَجْهُهُ بَيِّنٌ ، وَشَوَاهِدُهُ كَثِيرَةٌ :

● كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ[1]

---

(١) أي : أَقْرَب مِنْ أَرْضِ الشَّامِ - (مِنْ أَرْضِ العَرَبِ ؛ قِيْلَ : أَرْضُ =

وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ[(١)]﴾ [الرُّومُ : ١ - ٣] ؛ فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ ؛ فَظَهَرَتْ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ ؛ فَاغْتَمَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَسُرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ[(٢)] ؛ فَوَعَدَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ ﴿فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ[(٣)]﴾ [الرُّومُ : ٤] ؛ فَظَهَرُوا عَلَيْهَا لِتِسْعِ سِنِينَ ، وَقِيلَ : لِسَبْعٍ ، وَفَرِحَ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أَهْلَ الْكِتَابِ[(٤)] .

= الْجَزِيرَةِ . وقيْلَ : الْأُرْدُنُ وَفِلَسْطِينُ) - إِلَى أَرْضِ فَارِسَ ، أي : هُمْ في المكانِ أقربُ إلَى أرضِ العربِ ؛ **قَالَ الطَّبَرِيُّ :** " وَمَعْنَى قَوْلُهِ : ﴿أَدۡنَى﴾ : أَقْرَبُ ، وَهُوَ أَفْعَلُ مِنَ الدُّنُوِّ ، وَالْقُرْبِ . وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ : فِي أَدْنَى الْأَرْضِ مِنْ فَارِسَ ؛ فَتَرَكَ ذِكْرَ فَارِسَ ؛ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم : ٣] عَلَيْهِ مِنْهُ " .

(١) **قَالَ الطَّبَرِيُّ :** " وَقَوْلُهُ : ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ [الرُّوم : ٣] يَقُولُ : وَالرُّومُ مِنْ بَعْدِ غَلَبَةِ فَارِسَ إِيَّاهُمْ سَيَغْلِبُونَ فَارِسَ " .

(٢) لأنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ ، وقدْ غَلَبَتْهَا فَارِسُ وَلَيْسُوا أَهْلَ كِتَابٍ ؛ بَلْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ .

(٣) البِضْعُ هُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ أَوِ الْعَشْرِ ؛ فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الِالْتِقَاءِ الْأَوَّلِ ، وَغَلَبَتِ الرُّومُ فَارِسَ . (" تُحْفَةُ الأَحْوَذِيِّ " ٨/ ٢٠٥) ، ويَشْهَدُ - لذلِكَ - روايةٌ فِي " سُنَنِ " التِّرْمِذِيِّ (رقم : ٣١٩٤) عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وفي الإسْنادِ مَقَالٌ ؛ لكنْ لأصْلِهِ شواهِدُ ؛ كمَا سَيَأْتِي .

(٤) فَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ، **وقَدْ قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ في " كَشْفِ المُشْكَلِ " (٤ / ٩٣) :** " وَاتَّفَقَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، وَقِيْلَ : يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ " .

● **وقَالَ شيْخُ الإسْلامِ في " الجَوابِ الصَّحِيحِ " (١ / ٢٧٨) :** " وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَبَرَ جَاءَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَهَبَ آخَرُونَ أَنَّهُ يَوْمُ الْحُدَيْبِيَةِ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ " . =

. . . .

= **قَالَ القُرْطُبِيُّ** : " فَهَذِهِ كُلُّهَا أَخْبَارٌ عَنِ الْغُيُوبِ الَّتِي لَا يَقِفُ عَلَيْهَا إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، أَوْ مَنْ أَوْقَفَهُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْقَفَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ لِتَكُونَ دَلَالَةً عَلَى صِدْقِهِ " . انتهى . روى أحْمدُ في " مُسْنَدِهِ " ، والبُخَارِيُّ في " خَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ " والتِّرْمِذيُّ في " السُّنَنِ " بإسْنادٍ صحِيْحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﭭ ، قَالَ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى الْفُرْسِ ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ ؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ لِأَبِي بَكْرٍ ؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : **" أَمَا إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ "** ؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ ؛ فَقَالُوا : اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا فَإِنْ ظَهَرُوا كَانَ لَكَ كَذَا وَكَذَا وَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا ؛ فَجَعَلَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ ؛ فَلَمْ يَظْهَرُوا ؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقَالَ : **" جَعَلْتَ أَدْنَى ؟ "** قَالَ : دُونَ الْعَشَرَةِ " - ، وفي روايةٍ : **" أَلا جَعَلْتَهُ** - أُرَاهُ قَالَ : - **دُونَ الْعَشْرِ "** - ؛ فَقَالَ سَعِيدٌ - ابْنُ جُبَيْرٍ - : " الْبِضْعُ : مَا دُونَ الْعَشَرَةِ " قَالَ : " فَظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم : ١ - ٤] ، قَالَ : فَغُلِبَتِ الرُّومُ ثُمَّ غَلَبَتْ بَعْدَمَا ؛ قَالَ اللَّهُ : ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم : ٤ و ٥] ، قَالَ : فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ " . . . فهَذهِ الأَخْبَارُ = حَقَائِقُ تاريخيَّةٌ لا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أنْ يُنْكِرَها . والسُّؤالُ : فمَنِ الذي يَعْلَمُ مَا كَانَ ومَا سَيَكُونُ ؟ وهلْ مِنَ المُمْكِنِ أنْ لا تَنْتَصِرَ الرُّومُ في هَذِهِ الجَوْلةِ الثَّانيةِ ؟ ومَا هُو مَوْقِفُنَا - إِذَنْ - لَوْ تَخَلَّفَ هَذَا الذِي أخْبَرنا اللهُ بهِ واختَلَفَتْ نَتِيْجَةُ الحَرْبِ بينَ هاتيْنِ القُوَّتَيْنِ ، ونحنُ نقْرأُ قُرْآنَهُ - ومَا جَاءَ فيْهِ مِنْ أَخْبَارٍ - في المَحَارِيْبِ ؟ أليْسَ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى وجُودِ إِلَهٍ عَظِيْمٍ قَادِرٍ مُدَبِّرٍ ، مَشِيْئَتُهُ نافذةٌ ، يَعْلَمُ الغَيْبَ والشَّهَادَةَ ، ويَعْلَمُ مَا دَارَ ، ومَا سَيَدُوْرُ بَيْنَ خَلْقِهِ ؟ ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك : ١٤] .

● وقَالَ ﷻ فِي قِصَّةِ بَدْرٍ : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال : ٧] ؛ فَكَانَ الأَمْرُ كَمَا وَعَدَ مِنَ الظَّفْرِ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ دُونَ الأُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ ظَفَرَ بالمشْرِكِيْنَ الذِيْنَ خَرَجَوا مِنْ مَكَّةَ بِبَدْرٍ ، وانْفَلَتَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِالعِيْرِ " . انْتَهَى.

● ومِنْ ذِلِكَ - كَذَلِكَ - ؛ قِصَّةُ أَبِي لَهَبٍ - لَعَنَهُ اللهُ - وهِي أَنَّ اللهَ تعَالَى أَخْبَرَ - وخَبَرُهُ الصِّدْقُ ، وقَوْلُهُ الحَقُّ - أَنَّ أَبَا لَهَبٍ سَيَمُوتُ عَلَى الكُفْرِ ، وسَيَكُونُ مآلُهُ النَّارَ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المَسَدُ : ١- ٥] .

● **والسُّؤَالُ (الكَبِيْرُ)** : لَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي حَيَاةِ أَبِي لَهَبٍ الصِّنْدِيْدِ العَنِيْدِ ، المُحَارِبِ للحَقِّ وأَهْلِ التَّوحِيْدِ ، تَتَوَّعَدُهُ وَتُهَدِّدُهُ ، وتَحْكُمُ عَلَيْهِ حُكْمًا رَهِيْبًا مِنَ اللهِ العَلِيْم الخَبِيْرِ ؛ فَتُنْبِئُ (الآيَاتُ) بِمَوْتِهِ كَافِرًا ، وكَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ فَأَيُّ وَعِيْدٍ هَذَا لَوْ عَقَلَهُ الجَاهِلُ أَبُولَهَبٍ لارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ ، وشُلَّتْ أَرْكَانُهُ ، وخَرَصَ لِسَانُهُ ؟!! فمَاذَا صَنَعَ ؟! وكَيْفَ فَكَّرَ ؟! وَهَلِ اسْتَطَاعَ هَذَا (الكَافِرُ) أَنْ يَنْطِقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، ويَدْخُلَ في الإسْلام - وَلَوْ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ - لِيُبْطِلَ قَضِيَّةَ الدِّيْنِ مِنْ أَسَاسِهِ ، ويُشَكِّكَ فِي الرِّسَالةِ بأكْمَلِهَا ، ويَطْعَنَ في الدِّيْنِ مِنْ أَصْلِهِ ، ويُوقِفَ الدَّعْوَةَ فِي أَوَّلِ مَهْدِهَا ، ويَفْتِنَ النَّاسَ ، ويَلْبِسَ عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ ، وليَتَمَكَّنَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ : أَنْ يُكَذِّبَ النَّبِيَّ ﷺ وَمَا جَاءَ

بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ - أمَامَ الخَلْقِ كُلِّهِمْ - ؟!! كلاَّ وألْفُ كلاَّ .. وأنَّى يكُونُ لَهُ ذَلِكَ ؟!!

ومَاذَا لَوْ وقَفَ أَبُو لَهَبٍ - بِكُلِّ جُرْأَةٍ - أَمَامَ النَّاسَ لِيَسْتَغِلَّ الأَمْرَ ؛ فيَجْهَرَ بالتَّوحيْدِ ؟ هَلْ كَانَ يَصْلُحُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْرَأَ المُسْلِمُونَ سُورَةَ المَسَدِ فِي الصَّلَوَاتِ أَوْ فِي غَيْرِهَا ؟ أَمْ سَيَتَحَرَّجُ أَهْلُ الإِسْلامِ مِنْ تِلَاوَةِ هَذِهِ السُّورةِ والجَهْرِ بِهَا ؟ لأَنَّهَا أَخْبَرَتْ بِأَمْرٍ لَمْ يقَعْ كَمَا ذُكِرَ ؟!! والجَوابُ : أَنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ ، ولَنْ يَحْدُثَ ؛ لأنَّ الذي أخبرَ بذلكَ هُوَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ ، ويَعْلَمُ مَا كَانَ ، ومَا هُوَ كَائِنٌ ، ومَا سَيَكُونُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، ولَنْ يتَخَلَّفَ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ .

نَعَمْ ! لَقَدْ كَانَتْ فُرْصَةً ثَمِيْنَةً أَمَامَ أَبِي لَهَبٍ ؛ لِيُكَذِّبَ - مِنْ خِلالِهَا - هَذَا الوَحْيَ المنَزَّلَ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ !! ويَظْهَرَ بِمَظْهرِ المُسْلِمِ المُؤْمِنِ المُوَحِّدِ ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ - بالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ عاشَ بعْدَ زَمَنًا - ؛ لأَنَّ الأَمْرَ قَدْ حُسِمَ ونَفَذَ مِنْ عِنْدِ العَلِيِّ الأَعْلَى ﷻ ؛ فاللهُ " يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ ، وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ ، وَلَا غَالِبَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ "(١) . ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

وهَذَا دَلِيْلٌ أَلْمَعِيٌّ ، وحَدَثٌ تَارِيْخِيٌّ جَلِيٌّ - لا يُنْكَرُ البَتَّةَ - شَافٍ وكَافٍ عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ ، عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، مُدَبِّرِ الكونِ ،

(١) " الإِبَانَةُ الكُبْرَى " (٤ / ٤٣) .

المُسْتَحِقِّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ .

وهَذَا الذِي قَرَّرْتُهُ هُوَ مَا قَرَّرَهُ العُلَمَاءُ ؛ فَقَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي " تَفْسِيْرِهِ " :
" قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى النُّبُوَّةِ ؛ فَإِنَّهُ مُنْذُ نَزَلَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المَسَدُ: ٣- ٥] ؛ فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ لَمْ يُقَيِّضْ لَهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا لا باطنًا ولا ظاهرًا ، لَا مُسِرًّا وَلَا مُعْلِنًا ؛ فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّةِ البَاهِرَةِ البَاطِنَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ " .

● ومِنْ ذَلِكَ - كَذَلِكَ - ؛ قِصَّةُ تَحْوِيْلِ القِبْلَةِ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ فِي مكَّةَ ؛ حَيْثُ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى - عِنْدَمَا حُوِّلَتْ القِبْلَةُ - أَنَّ اليَهُودَ والمنافقيْنَ ومَنْ نَحَا نَحْوَهُم سَيَقُولُونَ كَذَا ، وَسَينْطِقُونَ بِكَذَا . . فَمَعْنَاهُ : أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ نَطَقُوا بِذَلِك بَعْدُ ، ولَكِنَّهُمْ سَيَقُولُونَهُ مُسْتَقْبَلًا ؛ فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ بقَوْلِهِ : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البَقَرةُ: ١٤٢] ؛ فَهَلْ كَانَ هَؤُلاءِ السُّفَهَاءُ يَسْتَطِيْعُونَ السُّكُوتَ عَنْ ذَلِك ، أَوْ كَانَ يمْكنُ لَهُمْ عَدَمُ الخَوْضِ فِي ذَلِك ؛ لِكَيْ يتَمَكَّنُوا مِنْ تَكْذِيْبِ القُرْآنِ ، وَتَكْذِيْبِ مَنْ نَزَلَ القُرْآنُ عَلَيْهِ ، ومِنْ ثَمَّ تَشْكِيْك النَّاسِ فِي دِيْنِهِمْ = أَنَّ القُرْآنَ أَخْبَرَ وَلَمْ يَكُ صَادِقًا فِي خَبَرِهِ ؟!! كَلاَّ وكُلُّ كَلاَّ ؛ فَالذِي قَضَى ذَلِك وَقَدَّرَهُ هُوَ العَلِيُّ الأَعْلَى جَلَّ جَلَالُهُ ؛ فلَمْ يَكُنْ لِيَتَخَلَّفَ البَتَّةَ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ . ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النِّساءُ: ٨٧] .

فَلَمَّا أَخْبَر رَبُّنَا وَقَضَى أَنْ يَقُولُوا ذَلِك ؛ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولُوا ، وَلَا يُمْكِنُ - مَهْمَا كَانَتِ الأَحْوَالُ - أَنْ يُمْسِكُوا عَنِ قَوْلِهِمْ ، أَوْ أَنْ

يَتَرَاجَعُوا عَنْ غَيِّهِمْ - ولَوْ بالكَذِبِ - ؛ بَلْ لابُدَّ أَنْ يَحْدُثَ وأَنْ يُقَالَ ؛ فَلا تَسْتَطِيْعُ أَيُّ قُوَّةٍ ، ولا يَقْدِرُ أَيُّ مخلُوقٍ أَنْ يُغَيِّرَ أَمْرًا أَرَادَهُ اللهُ . . ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطَّلاقُ : ١٢] .

● وكذلِكَ مَا نَزَلَ في كتابِ اللهِ ؛ مِنَ الإخْبَارِ بِقِصَّةِ الفِيْلِ فِي سُورةِ الفِيْلِ - وهِي مَكِّيَّةٌ نزلَتْ فِي بِدَايَةِ الرِّسَالةِ - ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفِيْلُ : ١- ٥] .

فانْظُرْ إلَى تَفَاصِيْلِ القِصَّةِ ، والدِّقَّةِ في الإخْبَارِ عَمَّا قَامَتْ بِهِ هَذِهِ الطَّيْرُ الأَبَابِيْلُ ؟ ولَمْ يكُنِ النَّبِيُّ ﷺ حَاضِرًا وَقْتَئِذٍ ، ولَمْ يُشَاهِدْ مَا جَرَى ؛ إذْ قَدْ ولِدَ ﷺ عَامَ الفِيْلِ ، ومَعَ ذَلِكَ حَدَّثَ بِمَا جَرَى بِهَذِهِ الدِّقَةِ المُتَنَاهِيَةِ ؛ فَهَلِ اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِمَّنَ كَانَ قَدْ (حَضَرَ) هَذِهِ الوَقْعَةَ الكَبِيْرَةَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ (وَشَاهَدَهَا وَرَآهَا) أَنْ يُكَذِّبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَا أَخْبَرَ ؟ فبِالطَّبْعِ كَانَ هُنَاكَ مَنْ رَأَى تِلْكَ الحَادِثَةَ مِنْ كِبَارِ السِّنِّ مِمَّنْ بَلَغَ الخَمْسِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ أَوْ يَزِيْدُ ، ولكِنْ لَمْ يَجْرُؤْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَنْ يُنْكِرَ هَذَا الحَدَثَ التَّارِيْخِيَّ ، أَوْ أَنْ يَهْتَبِلَ الفُرْصَةَ لإِنْكَارِ ذَلِكَ - ولَوْ بالكَذِبِ الأَعْوَرِ - لِيَتَمَكَّنَ مِنَ خِلالِهِ ؛ للنَّيْلِ مِنْ دِيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ؛ فَمَنِ الذِي أَخْبَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِكَ ؟ ومَاذا كَانَ لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الحَدَثُ صَحِيْحًا ، ولَمْ يَحْدُثْ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ ألا يَكُونُ ذَلِكَ تَمْكِيْنًا سَهْلًا لأَعْدَاءِ الدَّعْوَةِ مِنَ الطَّعْنِ فِي هَذَا الدِّينِ ، وإِبْطَالِ قَضِيَّتِهِ مُنْذُ بِدَايَتِهِ ؟!

● **قَالَ الحَبْرُ شَيْخُ الإسْلامِ فِي " الجَوَابِ الصَّحِيْحِ " (١ / ٤٠٨) :**

" فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ بِالْغُيُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ قَامَتْ بِهَا الْحُجَّةُ عَلَى قَوْمِهِ وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ بَلَغَهُ خَبَرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَهَذِهِ تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ عَرَفَ تَصْدِيقَ ذَلِكَ الْخَبَرِ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [الرُّومُ : ٢- ٥].

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة : ٢٣- ٢٤] ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ.

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [الإسراء : ٨٨] ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، وَهَذَا الْخَبَرُ قَدْ مَضَى لَهُ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ[1] ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ .

وَقَالَ عَنِ الْكُفَّارِ - وَهُوَ بِمَكَّةَ - : ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر : ٤٥] ، وَظَهَرَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ وَغَيْرِهِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ كَثِيرَةٍ.

---

(١) وَهَا نَحْنُ بَعْدَ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ - بَعْدَ شَيْخِ الإسْلامِ - لَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ ؛ فَصَدَقَ اللهُ ، وقُتِلَ الخَرَّاصُونَ .

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النُّور: ٥٥] ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَعَدَهُ ، وَظَهَرَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨] ؛ فَأَظْهَرَ اللَّهُ مَا بَعَثَهُ بِهِ بِالْآيَاتِ وَالْبُرْهَانِ ، وَالْيَدِ وَالسِّنَانِ.

وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢] ؛ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَهُمْ : غُلِبُوا فِي الدُّنْيَا ؛ كَمَا شَاهَدَهُ النَّاسُ ، وَهَذَا يُصَدِّقُ الْخَبَرَ الْأَخِيرَ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ " . انْتَهَى .

● **وَيَقُولُ - أَيْضًا - فِي " الجَوَابِ الصَّحِيحِ "** (١/ ٤٢٧) : " فَأَخْبَرَ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ إِذَا اجْتَمَعُوا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ بِمِثْلِهِ ؛ فَعَجَّزَ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ وَمَعَارِفُهُ وَعُلُومُهُ أَكْمَلَ مُعْجِزَةٍ وَأَعْظَمَ شَأْنًا ، وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مَعَ قُوَّةِ عَدَاوَتِهِمْ ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى إِبْطَالِ أَمْرِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، وَقُدْرَتِهِمْ عَلَى أَنْوَاعِ الْكَلَامِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ " .

● **وقَالَ فِي " مَجْمُوعِ الفَتَاوى "** (١٤/ ١٩٧ و ١٩٨) :

" وَكَذَلِكَ قَالَ - فِي هُودٍ - : (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) لَمَّا تَحَدَّاهُمْ

بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور : ٣٤] ، ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا عَنْ ذَا وَذَاكَ .

ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ؛ فَعَجَزُوا ؛ فَإِنَّ الْخَلَائِقَ لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .

وَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَاجِزِينَ عَنْ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَمُحَمَّدٌ مِنْهُمْ ، عُلِمَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ اللَّهِ ، نَزَّلَهُ بِعِلْمِهِ ، لَمْ يُنَزِّلْهُ بِعِلْمِ مَخْلُوقٍ ؛ فَمَا فِيهِ مِنْ الْخَبَرِ ؛ فَهُوَ خَبَرٌ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ " .

● **وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ في " مَرَاتِبِ الإِجْمَاعِ " (ص : ١٧٤) :** " وَاتَّفَقُوا أَنَّ مُحَمَّدًا دَعَا الْعَرَبَ إِلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآن ؛ فعَجَزُوا عَنهُ كُلُّهُم " .

وَقَالَ السُّيُوطيُّ فِي " الخَصَائِصِ الكُبْرَى " (١ / ١٩٤) : " أَجْمَعَ الْعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّ كتَابَ اللهِ تَعَالَى مُعْجِزٌ لَمْ يَقْدِرْ أحَدٌ عَلَى مُعَارضتِهِ مَعَ تحدِّيْهِمْ " .

● **وَيَقُولُ العَلاَّمةُ السَّعْدِيُّ في " تَفْسِيْرِهِ " :**

" ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وهَذَا دَلِيْلٌ قَاطِعٌ ، وبُرْهَانٌ سَاطِعٌ ، عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسولُ وصِدْقِهِ ؛ حَيْثُ تَحَدَّى اللهُ الإِنْسَ والجَنَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، وأَخْبَرَ أَنَّهُم لا يأتُونَ بمثلِهِ ، ولَوْ تَعَاونُوا كُلُّهُم عَلَى ذَلك لَمْ يقْدِرُوا عليْهِ.

وَوَقَعَ كَمَا أَخْبَر الله ؛ فَإِنَّ دَوَاعِي أعْدَائِهِ المُكَذِّبيْنَ بِهِ ، مُتَوَفِّرَةٌ

عَلَى رَدِّ مَا جَاءَ بِهِ بِأَيِّ وَجْهٍ كان ، وهُمْ أهلُ اللسان والفصاحةِ ؛ فَلَوْ كانَ عندهم أَدْنَى تأهُّلٍ وتمَكُّنٍ مِنْ ذلك لفعَلُوه .

فعُلِمَ بذَلكَ ، أنَّهم أذْعَنُوا غايةَ الإذعانِ ، طوعًا وكرهًا ، وعجَزُوا عَنْ معارضتِهِ .

وكَيفَ يقْدِرُ المخلُوقُ مِنْ ترابٍ ، الناقصُ مِنْ جميع الوجوهِ ، الذي ليْسَ لَهُ عِلْمٌ ولا قدرةٌ ولا إرادةٌ ولا مَشِيْئَةٌ ولا كلامٌ ولا كمالٌ إلا مِنْ ربهِ ، أنْ يُعَارض كَلامَ ربِّ الأرضِ والسَّماواتِ ، المُطَّلعِ عَلَى سائرِ الخفيَّاتِ ، الذي لَهُ الكمالُ المُطْلَقُ ، والحَمْدُ المُطْلَقُ ، والمَجْدُ العظيْم ، الذِي لَوْ أنَّ البحْرَ يَمُدُّهُ مِنْ بعْدِهِ سبعةُ أبْحُرٍ مِدَادًا، والأشجَارُ كُلُّها أقلامٌ ؛ لنفِذَ المِدادُ ، وفَنِيَتِ الأقلامُ ، ولَمْ تنْفَدْ كلماتُ اللهِ .

فكَمَا أنَّه لَيْسَ أحدٌ مِنَ المَخْلوقيْنَ مُمَاثلًا للهِ فِي أوصافهِ ؛ فكَلامُهُ مِنْ أوصافهِ ، التي لا يماثِلُهُ فيهَا أحَدٌ ؛ فَلَيْسَ كمثلِهِ شيءٌ ، في ذاتِهِ ، وأسمائِهِ ، وصفاتِهِ ، وأفعالِهِ تَبَاركَ وتَعَالَى .

فتبًّا لمَنْ اشْتَبَهَ علَيْهِ كَلامُ الخَالقِ بِكَلام المَخْلُوقِ ، وزَعَمَ أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ افْتَراهُ عَلَى اللهِ ، واختَلَقَهُ مِنْ نَفْسِهِ " .

◆ **وَثَمَّ قَضَايَا (عِلْمِيَّةٌ) أخبرَ اللهُ عَنْهَا فِي القُرْآنِ قَبْلَ أنْ يَكْتَشِفَهَا أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ**[١] :

١- قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ١٢] ؛ **فَهَلِ النَّهَارُ هُوَ المبْصِرُ أَمِ العَيْنُ هِي التِي تُبْصِرُ ؟ والجوابُ** : أنَّ العَيْنَ لا تُبْصِرُ بِذَاتِهَا ، وإنَّما تُبْصِرُ بِانْعِكَاسِ ضَوْءِ الشَّمسِ - النَّهَارِ - ، ويُبَرْهِنُ ذَلِك كَذَلِك ؛ كَوْنُ العَيْنِ لا تَرَى في الظَّلام ؛ فالمُبْصِرُ لا يَنْتَفِعُ بِبَصَرهِ إلاَّ في ضَوْءِ النَّهَارِ ؛ لِذَا أُضِيْفَ الإبْصَارُ إِلَى النَّهَارِ دُونَ العَيْنِ ؛ ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ؛ **قَالَ ابْنُ القَيِّم فِي " مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ "**[٢] : " أَي : مُضِيْئَةً ، وَحَقِيقَةُ اللَّفْظِ أَنَّها تَجْعَل مَنْ رَآهَا مُبْصِرًا ؛ فَهِيَ تُوجِبُ لَهُ الْبَصَر فَتُبْصِرُهُ ؛ أَيْ : تَجْعَلُهُ ذَا بَصَرٍ ؛ فَهِيَ مُوَضِّحَةٌ مُبيِّنَةٌ ، يُقَالُ :

---

(١) **قَالَ العَلاَّمةُ صَالِحُ آلِ الشيخِ - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى - في " صَفْحَتِهِ الرسْمِيَّة "** : " أَهْلُ الإعْجَازِ العِلْمِيِّ بَيْنَ متَوسِّعٍ جدًّا وبين منكِرٍ لها ، والحَقُّ في ذَلِك : الوَسَطُ ؛ فلَوْ دَلالَةُ الآيةِ كَانتْ ظاهرةً عَلَى المرادِ ؛ فلا حرجَ إنْ كانتْ تحمِلُ دلالَتَهُ العِلْمِيَّةَ " .

● **وقَالَ** : " مَسَائلُ الإعجازِ العِلْمِيِّ المنضبطةُ ممَّا يُقوِّي الحجَّةَ بالقرآنِ عَلَى أهلِ هَذَا الزَّمَانِ الذي اتَّسَمَ أهلُهُ بالاهتمامِ بالأمورِ النَّظَرِيَّةِ العِلْمِيَّةِ " .

ونبَّهَ - حفِظَهُ اللهُ - عَلَى إشكالية تحْمِيْلِ القُرْآنِ مَا لا يحتَمِلُ مِنَ النَّظَرِيَّاتِ الحديْثَةِ ؛ فَقَالَ : " مِنَ التَّعدِّي عَلَى تَفْسِيْرِ القرآنِ أنْ تُحْمَلَ آيَةٌ عَلَى نظَرِيَّاتٍ لم تَثْبُتْ أَوْ ثَبَتَتْ ، ولكنَّها باقيةٌ عَلَى أَنَّهَا نَظَرِيَّةٌ لا يُقْطَعُ بِهَا ، وكُلُّ هَذَا لأَدْنى دَلالةٍ ، أَوْ لِتَوَهُّمِ دَلالَةٍ !! " .

(٢) (١ / ٩٢) .

بَصَرَ بِهِ إِذَا رَآهُ " .

● **وَقَالَ الطَّبَرَيُّ في "تَفْسِيْرِهِ"** : " وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ١٢] .

- فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ : مَعْنَاهَا : مُضِيئَةٌ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ [يونس : ٦٧] مَعْنَاهُ : مُضِيئًا ؛ كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ قِيلَ مُبْصِرًا ؛ لِإِضَاءَتِهِ لِلنَّاسِ الْبَصَرَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ مِنْ أَبْصَرَ النَّهَارُ : إِذَا صَارَ النَّاسُ يُبْصِرُونَ فِيهِ ؛ فَهُوَ مُبْصِرٌ ؛ كَقَوْلِهِمْ : رَجُلٌ مُجْبِنٌ : إِذَا كَانَ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ جُبَنَاءَ ، وَرَجُلٌ مُضْعِفٌ : إِذَا كَانَتْ رُوَاتُهُ ضُعَفَاءَ ؛ فَكَذَلِكَ ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ : إِذَا كَانَ أَهْلُهُ بُصَرَاءَ " . وبمثْلِهِ قَالَ القرطبيُّ والرَّازِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنَ المفَسِّرِيْنَ .

فَمَنِ الذِي أَخْبَرَ مُحَمَّدًا ﷺ - النَّبِيِّ الأُمِيَّ - بِذَلِكَ ؟ أَفَلا يُؤْمِنُ هَؤُلاءِ المُعَانِدُونَ ؟! ويُقِرُّ هَؤُلَاءِ المُلْحِدُونَ الجَائِرُونَ ؟!

٢- وقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّساءُ : ٥٦] .

فأَخْبَرَ اللهُ - تَعَالَى - أَنَّ الجُلُودَ تُبَدَّلُ ؛ لِيَسْتَمِرَّ العَذَابُ بِأَهْلِ النَّارِ ؛ فَعَذَابُ الآخِرَةِ دَائِمٌ ومُسْتَمِرٌّ لا يَنْقَطِعُ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزُّخرفُ : ٧٤ و ٧٥] .

◆ **والسُّؤَالُ : لِمَاذَا تَتَبَدَّلُ الجُلُودُ ؟ والجَوَابُ** : لأنَّ الأَعْصَابَ مَوْجُودَةٌ تَحْتَ الجَلْدِ مُبَاشَرَةً ؛ فَإِذَا احْتَرَقَ الجِلْدُ وأَكَلَتَهُ النَّارُ انْتَهى الإِحْسَاسُ بِالأَلَمِ ؛ فالأعْصَابُ تتَرَكَّزُ في الجِلْدِ ، وأَعْصَابُ الأَلَمِ فِي (الطَّبَقةِ الجِلْديةِ) ، وَهِي التِي تَسْتَقْبِلُ الإحْسَاسَ بِالحَرَارَةِ والبُرُوْدَةِ ، والأَلَمِ والرَّاحَةِ ، ولا يَكُونُ ذَلِكَ فِي جِسْمِ الإِنْسَانِ كُلِّهِ ؛ فالإحْسَاسُ فِيْمَا عَدَاهَا ضَعِيْفٌ ؛ كَالمَرِيْضِ عِنْدَمَا يَأْخُذُ حُقْنَةً لا يُحِسُّ بِالأَلَمِ إلاَّ عِنْدَ دُخُولِهَا لِمَنْطِقَةِ الجِلْدِ فَقَطْ ؛ كَمَا قَرَّرَ أَهْلُ الطِّبِّ ؛ فَكَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تُبَدَّلَ الجُلُودُ بِجُلُودٍ أُخْرَى غَيْرِهَا ، وإِعَادَةِ الجِلْدِ حَيًّا كَمَا كَانَ (مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ) ؛ لكَيْ يتَجَدَّدَ أَلَمُهُ ؛ حتَّى لا يَنْقَطِعَ عَنْهُمُ العَذَابُ ، ولكَيْ تَنْقَطِعَ حُجَجُ الكَافِرِيْنَ (المُلْحِدِيْنَ) فِي بَثِّ شُبُهَاتِهِمُ الحُقِيْرَةِ في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ؛ فَلَرُبَّمَا يتجرَّأ أَحَدُهُم ويَقُولَ : كَيْفَ يَسْتَمِرُّ العَذَابُ والجُلُودُ قَدِ احْتَرَقَتْ ؟ فَيَأْتِيْهِمُ الرَّدُّ بِكُلِّ وُضُوحٍ في هَذِهِ الآيَةِ التي نَزَلَتْ عَلَى خاتَمِ المُرْسَلِيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ .

والآنَ يَكْتَشِفُ العِلْمُ الحَدِيْثُ ، ويكشِفُ النِّقابَ (مُؤَخَّرًا) عَنْ هَذِهِ العُلُومِ ، والتِي أَخْبَرَ بِهَا القُرْآنُ مُنْذُ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْنًا ؛ فَمَنِ الذِي أَخْبَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بِهَذِهِ الحَقِيْقَةِ العِلْمِيَّةِ الدَّقِيْقَةِ ، وهُوَ النَّبِيُّ الأمِيُّ ؟ وَمَنِ الذِي عَلَّمَهُ إِيَّاهَا ؟ أليْسَ اللهُ الخَالِقُ هُوَ مَنْ عَلَّمَ ؟ أليْسَ اللهُ العَلِيْمُ الخَبِيْرُ هُوَ مَنْ بَيَّنَ وأَخْبَرَ ؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ؟!!!

٣- وَهَا نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ شَخْصًا كَانَ اسْمُهُ فِرْعَوْنَ كَانَ يَحْكُمُ مِصْرَ ، وقَصَّ القُرْآنُ عَلَيْنَا خَبَرَهُ ، وكَانَ مَآلُهُ الغَرَقَ ، وأَبْقَاهُ اللهُ إِلَى الآنَ بِجَسَدِهِ ؛ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلْفَهُ عِبْرَةً وآيَةً وعِظَةً ؛ كَمَا

قَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٢] . ثُمَّ يكتَشِفُ العِلْمُ الحَدِيْثُ أَنَّ فِرْعَوْنَ مَاتَ - فِعْلًا - بِالغَرَقِ ، ويَأْتِي لِيُؤَكِّدَ ذَلِك بَعْدَ آلافِ السِّنِيْنِ ، وكَانَ ذَلِك مَوْضِعَ دَهْشَةٍ ؛ فَمَنِ الذِي أَخبَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِك الغَيْبِ ؟ فَلا إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، ولا رَبَّ سِوَاهُ .

" لقَدْ اسْتَكبَرَ فِرْعَوْنُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وطَغَى ، وَجَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ إِلَهًا عَلَى النَّاسِ ، وَلِكَنَّ اللهُ تَعالَى أَرَادَ أَنْ يَجعَلَهُ مُعْجِزَةً يَرَاهُ النَّاسُ - فَيْمَا بَعْدُ - جُثَّةً هَامِدَةً . . . جُثَّةً لَا حَرَاكَ فِيْهَا وَلَا قُوَّةَ . . . هَذَا الذِي ادَّعَى أَنَّهُ إِلَهٌ ذَاتَ يَوْم ، يَرْقُدُ (الآنَ !) فِي أَحَدِ المَتَاحِفِ ؛ لِيَرَاهُ النَّاسُ دَاخِلَ صُندُوقٍ زُجَاجِيٍّ !

لقَدْ قَامَ العَالِمُ الفِرْنِسِيُّ (مُورِيْس بُوكَاي) بِالكَشْفِ عَلَى جُثَّةِ فِرْعَوْنَ ، وَبَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ مَاتَ غَرَقًا خَرَجَ بِنَتِيْجَةٍ وسِرٍّ احْتَفَظَ فِيْهِ لِنَفْسِهِ ، ولكِنَّهُ صَرَّحَ بَعْدَ ذَلِك بِأَنَّهُ كَشَفَ عَنْ سِرٍّ عَظِيْمٍ ، وهُوَ أَنَّنَا للمَرَّةِ الأُولَى نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَ الفَراعِنَةِ قَدْ مَاتَ غَرَقًا ، وتَمَّ انْتِشَالُهُ - مِنَ البَحْرِ - وتَحْنِيْطُهُ وحِفْظُهُ لِيَوْمِنَا هَذَا بِطَرِيقَةٍ فَرِيْدَةٍ .

ولكِنْ يَشَاءُ اللهُ - تَعَالَى - أَنْ يَسْمَعَ هَذَا العَالِمُ صَوْتَ الحَقِّ ؛ فَيَعْلَمَ مِنْ أَحَدِ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ القُرآنَ يَذْكُرُ هَذَا السِّرَّ قَبْلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا . . . وفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَقُومُ العَالِمُ بدِرَاسةِ القُرْآنِ واللُّغةِ العَربيَّةِ ، وعِنْدَمَا تَأَكَّدَ أَنَّ الإسلامَ هُوَ الدِّيْنُ الحقُّ . . . أعْلَنَ إسلامَهُ ؛ بلْ وأصبَحَ دَاعيةً إسْلاميَّةً أَلَّفَ كِتَابًا مُهِمًّا عَنِ العِلْمِ والإيْمَانِ .

لَقَدْ أَثبَتَ مِنْ خِلالِ كتَابِهِ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ الكِتَابُ الوحِيْدُ الذِي

يتَّفِقُ مَعَ العِلْمِ الحَدِيْثِ ، عَلَى عَكْسِ بقيَّةِ الكتُبِ المُحَرَّفةِ التِي تُنَاقِضُ الحقَائقَ العِلْمِيَّةِ . ونَقُولُ : سُبْحَانَ اللهِ ، أَلَّا يَسْتَحِقُّ هَذَا القُرْآنُ مِنَّا أَنْ نَتَدَبَّرَهُ ، ونَتَأَمَّلَ مُعْجِزَاتِهِ العِلْمِيَّةَ . . . عَسَى أَنْ نَزْدَادَ إِيْمَانًا بِهَذَا الخَالِقِ العَظِيْمِ(١) " .

٤- ويَكْتَشِفُ العِلْمُ الحَدِيْثُ أَنَّ أُنْثَى العَنَاكِبِ ، وهي العَنْكَبُوتُ ، هِي التِي تَقُومُ بِبِنَاءِ بَيْتِهَا بنفسِهَا ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ هُوَ الذِي يَقُومُ بِذَلِكَ . وقَدْ أَخْبَرَ اللهُ – تَعَالَى – بِذَلِكَ في كِتَابِهِ مُنْذُ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْنًا بِقَوْلِهِ : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العَنْكَبُوتُ : ٤١] ؛ فَتَأَمَّلْ تَاءَ التَّأْنِيْثِ في قِوْلِهِ : ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾ ؛ فَمَنِ الذِي أَخْبَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِكَ ؟

٥- ويَكْتَشِفُ العِلْمُ الحَدِيْثُ أَنَّ للنَّمْلِ لُغَةً خَاصَّةً يَتَكَلَّمُ بِهَا مَعَ بَعْضِهِ البَعْضِ ؛ لَكِنَّ القُرْآنَ الكَرِيْمَ الذِي نَزَلَ عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الأَوَّلِيْنَ والآخرِيْنَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ بِهَذِهِ المَعْلُومَةِ بأَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وأربعِمائةِ عام ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النَّملُ : ١٧- ١٩] .

---

(١) انْظُر في ذَلِكَ : " مَوْقِعَ الكحيْل للإعْجَازِ العِلْمِيِّ " .

٦- وَيَقُولُ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان : ٦١] ، ويقولُ : ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح : ١٦] .

فَسُمِّيتِ الشَّمْسُ سِرَاجًا ، وكذلِكَ : وَهَّاجًا ؛ كَمَا قَالَ – تعالَى – : ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النَّبأُ : ١٣] .

وسُمِّي القَمَرُ : نُورًا وَمُنِيْرًا . كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] .

فَلِمَاذَا تَغَايَرَتِ الأَوْصَافُ بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ ؟ والجَوَابُ : لأَنَّهُمَا وإنْ كَانَا يَبْعَثَانِ الضِّيَاءَ والنُّورَ ؛ – كَمَا لا يَغْبَى ذَلِكَ عَلَى العَاميِّ مِنَ العَرَبِ ، ويَكُونُ التَّغَايُرُ فِي التَّعْبِيْرِ تَنْوِيْعًا في اللَّفْظِ – ؛ إلاَّ أنَّ الشَّمْسَ تَجْمَعُ إِلَى النُّورِ : الحَرَارَةَ ، والقَمَرَ يَبْعَثُ نُورًا لا حَرَارَةَ فِيْهِ ؛ كمَا أَشَارَ عُلَمَاءُ العَرَبِيَّةِ ؛ اسْتِنْبَاطًا منْ آيةِ الفرقانِ .

وقدِ اكتَشَفَ العِلْمُ الحَدِيْثُ ، والمُتَخَصِّصُونَ في شُئونِ الفَلَكِ أنَّ القَمَرَ جِسْمٌ مُظْلِمٌ ، وإنَّما يُضِيءُ بِمَا يَنْعَكِسُ عَلِيْهِ مِنْ ضياءِ الشَّمسِ التي شبَّهَهَا بالسِّراجِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ .

وَهَذَا المَعْنَى (كَذَلِكَ) مَفْهُومٌ مِنْ آيةِ الفُرْقَانِ المُتَقَدِّمَةِ ؛ حَيْثُ إِنَّهُ يُقَالُ : غُرْفَةٌ مُنِيْرَةٌ إِذَا انْعَكَسَ عَلَيْهَا الضَّوءُ مِنْ سِرَاجٍ فِي وَسَطِهَا ؛ كَمَا يُقَالُ كذلِكَ : قَبَسٌ مُضِيءٌ ، ولا يُقَالُ : قَبَسٌ مُنِيْرٌ ؛ لأنَّ النُّورَ يَنْبَعِثُ مِنْ حقيقتهِ ودَاخِلِهِ ؛ فهو مُضِيءٌ[1] .

(١) تُنْظَرُ رسالةٌ جامعيَّةٌ بعنوانٍ : " خَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ في ضوء القرآن =

فمَنِ الذِي أَخْبَر مُحَمَّدًا ﷺ بِهَذَا الفَرْقِ العِلْمِيِّ ؟

● **قَالَ الحَافِظُ فِي " الفَتْحِ " (٩/٧) :**

" وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَخَرْقُهُ لِلْعَادَةِ فِي أُسْلُوبِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَإِخْبَارِهِ بِالْمَغِيبَاتِ ؛ - فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ مِنَ الْأَعْصَارِ إِلَّا وَيَظْهَرُ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ - يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ . . وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ تُشَاهَدُ بِالْبَصِيرَةِ . . قَوْلُهُ : " **فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " رَتَّبَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ مُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ الْمُسْتَمِرَّةِ ؛ لِكَثْرَةِ فَائِدَتِهِ ، وَعُمُوم نَفْعِهِ ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الدَّعْوَةِ وَالْحُجَّةِ وَالْإِخْبَارِ بِمَا سَيَكُونُ ؛ فَعَمَّ نَفْعُهُ مَنْ حَضَرَ وَمَنْ غَابَ ،

= والعلم الحديثِ " (ص : ٨١) ط دار ابن رجبٍ . وأشارُ المؤلفُ في هذا السِّياقِ أنَّ (الإشاراتِ العِلْمِيَّةِ في القُرْآنِ الكريمِ) استَوْعَبَتْ أَفْهَامَ النَّاسِ ومَعَارِفَهُم عَلَى مَرِّ العُصُورِ ؛ فَمَا مِنْ عَصْرٍ - مُنْذُ نزولِ القرآنِ وحتَّى قيامِ السَّاعةِ - إلاَّ فَهِمَ أَهْلُهُ هذهِ العباراتِ بِمِقْدَارِ مَا لَدَيْهم مِنْ علومٍ ومَعَارِفَ . ويكونُ المَعْنَى وَاحِدًا يَتَضَمَّنُهُ أُسْلُوبُ الآيةِ - وإنْ تَعَدَّدَتْ أَوْجُهُ التَّفْسِيرِ - .

قُلْتُ: وَقَدْ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى تَخْطِئَةِ مَنْ قَالَ: إِنَّ القَمَرَ جِسْمٌ مُظْلِمٌ لا يُنِيْرُ بِذَاتِهِ ؛ قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ : " وَأَمَّا عَدَمُ إِنَارةِ القَمَرِ ؛ فَهَذَا لَا أَصْلَ لَهُ ؛ فالقَمَرُ لَهُ نُورٌ ، والشَّمْسُ لها نُورٌ وَضِيَاءٌ ، هَذا بنَصِّ القُرْآنِ وبالمشَاهَدة ، وَمَنْ نَقَلَ عنِّي أني أقولُ بِعَدَمِ إِنَارةِ القَمَرِ ، وما قُلْتُ هذا ، القَمَرُ جَعَلَهُ اللهُ نورًا بِنَصِّ القُرْآنِ ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ؛ فهذا قولٌ فاسِدٌ لَا أَصْلَ له ، ولا أَقُولُ بِهِ " .

" دُرُوسُ ابْنِ بَازٍ " (١٨/٢).

وَمَنْ وُجِدَ وَمَنْ سَيُوجَدُ " .

❐ **وَدُونَكَ (أَيُّهَا المُسْلِمُ) – بالإضافةِ إلى ما سبقَ – أمثلةً قويةً ، ونماذجَ رضيَّةٍ ؛ لِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ المُجْرِمِيْنَ لَكَ ، وتُفْضَحَ طَرِائقُهُمْ بين يَدَيْكَ ، وأَمَامَ نَاظِرَيْكَ :**

✧ **فَمِنْ سَبِيْلِ المُجْرِمِيْنَ : التَّشْكِيْكُ فِي كِتَابِ رَبِّ العَالَمِيْنَ !!** بِأَفْهَامٍ سَقِيْمَةٍ ، ونُفُوسٍ لَئِيْمَةٍ ، وعُقُولٍ عَلِيْلَةٍ ، وأفئدةٍ كليلةٍ ؛ لَكِنْ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٢ و ٣٣] .

❍ لقَدْ رَوَى أَئِمَّةُ الحَدِيْثِ (والأثرِ) أَثَرَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ حَبْرِ الأمَّةِ ، وتُرْجُمَانِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ تَنَاسُقِ القُرْآنِ ، وتَلائُمِهِ ، وعَدَمِ تَعَارُضِهِ وتَنَاقُضِهِ – إلاَّ عِنْدَ أصْحَابِ القُلُوبِ المَرِيْضَةِ ، والقَفَا العَرِيْضَةِ – ؛ فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنِّي أَجِدُ فِي القُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ ، قَالَ : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات : ٢٧] .

❍ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٤٢] ، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٢٣] ؛ فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الآيَةِ ؟

❍ وَقَالَ : ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات : ٢٧] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات : ٣٠] ؛ فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] ؛

فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ ؟[١] .

○ وَقَالَ : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٩٦] ، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ٥٦] ، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء : ٥٨] ؛ فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى ؟

○ فَقَالَ : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون : ١٠١] : " فِي النَّفْخَةِ الأُولَى ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ : ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر : ٦٨] . ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الآخِرَةِ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات : ٢٧] .

○ وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٤٢] ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الإِخْلاَصِ ذُنُوبَهُمْ ، وَقَالَ المُشْرِكُونَ : تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ ؛ فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ؛ فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لاَ يُكْتَمُ حَدِيثًا ، وَعِنْدَهُ : ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة : ١٠٥] الآيَةَ .

○ وَخَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

---

(١) والعَجَبُ أَنْ يُرَدِّدَ هذهِ الشُّبْهَةَ (نَفْسَهَا) بَعْضُ مُلْحِدِي زَمَانِنا !! ويُضِيْفُ المُلْحِدُ (هُنَا) قَوْلَ اللهِ تَعَالَى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة : ٢٩] ، ولكِنْ اسْتَمِعْ إِلَى جوابِ المُلْهَمِ ابْنِ عمِّ رسُولِ اللهِ ﷺ ، صَاحِبِ القَلْبِ العَقُولِ ، واللِّسَانِ السَّئُولِ ، الذِي دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالفِقْهِ في الدِّيْنِ ، وَأَنْ يُعَلِّمَه اللهُ التَّأْوِيْلَ ؛ فَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذَا فَسَّر القُرْآنَ كأنَّ النُّور يخرجُ من بينِ ثناياهُ .

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ، ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ ، وَدَحْوُهَا : أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا المَاءَ وَالمَرْعَى ، وَخَلَقَ الجِبَالَ وَالجِمَالَ - (وفي روايةٍ : الرِّمالَ ، وفي أُخْرَى : وَالجَمَادَ) - وَالآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات : ٣٠](١) . وَقَوْلُهُ : ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت : ٩] . فَجُعِلَتِ الأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَخُلِقَتِ السَّمَوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ .

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٩٦] سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ

---

(١) فَالدَّحْوُ (أو الدَّحْيُ) عَمَلِيَّةٌ لاسْتِبْقاءِ الحياةِ عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ بَعْدَ خَلْقِ السَّماءِ . والدَّلِيْلُ مَا جاءَ بَعْدَها مِنْ قولِ اللهِ تَعَالَى : ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات : ٣١] .

قَالَ ابنُ كثيرٍ عَقِبَ كلامِ ابن عباسٍ : " فَفَسَّرَ الدَّحْيَ بِإِخْرَاجِ مَا كَانَ مُودَعًا فِيهَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ لَمَّا اكْتَمَلَتْ صُورَةُ الْمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِيَّةِ ثُمَّ السَّمَاوِيَّةِ دَحَى بَعْدَ ذَلِكَ الْأَرْضَ ، فَأَخْرَجَتْ مَا كَانَ مُودَعًا فِيهَا مِنَ الْمِيَاهِ ؛ فَنَبَتَتِ النَّبَاتَاتُ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَصِفَاتِهَا وَأَلْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا ، وَكَذَلِكَ جَرَتْ هَذِهِ الْأَفْلَاكُ ؛ فَدَارَتْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَةِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ " . وفُسِّرَ الدَّحْوُ : بالبَسْطِ ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿دَحَىٰهَآ﴾ ؛ أي : بَسَطَ الأرْضَ وَمَهَّدَهَا وهَيَّأَهَا للإنْسَانِ لِيَعِيْشَ عَلَيْهَا ؛ فَأَخْرَجَ مِنْهَا الماءَ والمرْعَى وأَرْسَى فِيْهَا الجِبَالَ والآكَامَ . وهناكَ أقوالٌ أخرى في الآيةِ ؛ فانْظر " تَفْسِيْرَ البَغَوِيِّ " ، و " تَفْسِيْرَ الطَّبَرِيِّ " . وقَدْ قَالَ ابنُ كثيرٍ في قَوْلِهِ - مِنْ سُورة الشَّمسِ - : ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ : " (طَحَاهَا) بَسَطَهَا . وَهَذَا أَشْهَرُ الْأَقْوَالِ ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : طَحَوْتُهُ مِثْلُ دَحَوْتُهُ ، أَيْ : بَسَطْتُهُ " .

قَوْلُهُ[١] ، أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ[٢] ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ ؛ فَلاَ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ ؛ فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " . رواه البخاريُّ في "الصحيح" .

● **فَانْظُرْ أَيُّهَا العَاقِلُ الأَلْمَعِيُّ** ، وتَدَبَّرْ أَيُّهَا الفَطِنُ الذَّكِيُّ ؛ فَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ إلاَّ وَحْيًا ، وَحَقًّا ، وعَدْلًا ، وصِدْقًا ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس : ٣٧ - ٤١] .

● وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء : ٩ و ١٠] .

● وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨] .

---

(١) أي : تسميةُ نفسِهِ المُقَدَّسَةِ العَلِيَّةِ بِذَلِكَ .

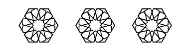
(٢) أي : كَمَا أَنَّه - تَعَالَى - أَوَّلٌ بِصِفَاتِهِ ، لَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا ؛ فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ أَبَدِيَّةٌ ، لا يَنْفَكُّ عَنْهَا ؛ فَاللهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفاتِ أَزَلًا وأبدًا ، سَابِقًا وَلَاحِقًا ، لا بِدَايَةَ لَهَا ولا نِهَايَةَ ، لا أَوَّلَ لِصِفَاتِهِ ولا آخِرَ لَهَا .

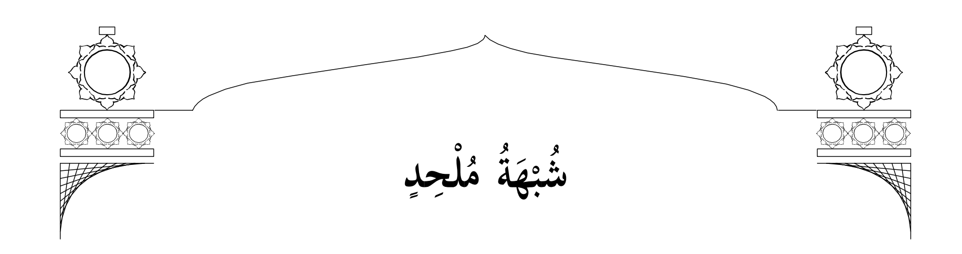
● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل : ٧٦ و ٧٧] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر : ٢٧ و ٢٨] .

ولمَّا كَانَ القُرْآنُ كذلكَ لَمْ يَجِدْ أهلُ الضلالِ إلا صَرْفَ النَّاسِ عَنِ اسْتِمَاعِهِ ، والإنصاتِ لَهُ واتِّبَاعِهِ ؛ فَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت : ٢٦] .

ولكن . . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ؛ فاللهُ غالِبٌ على أَمْرِهِ ؛ كَمَا قَالَ – عزَّ مِنْ قائلٍ – : ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : ٢١] .





شُبْهَةُ مُلْحِدٍ

مَا أَكْثَرَ شُبُهَاتِ المُلْحِدِيْنَ المُتَهَافِتَةَ ؛ لَكِنْ لمَّا كُنْتُ أَسْتَمِعُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى ذَاكُم المُلْحِدِ الذي ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ضَحِكْتُ ضَحِكَ البُكَا !! لأَنِّي مَا كُنْتُ أَتَصَوَّرُ أَنْ يُفَكِّرَ هؤلاءِ اللقطاءُ !! بمثلِ هذا المنطقِ السَّخيفِ ، وبمثلِ هذه الصورةِ السَّطْحِيَّةِ المُزْرِيَةِ .

إنَّ هذا (المُلْحِدَ) يَرَى (بعقلهِ - الذي لا يُرَى - !!) أنَّ في القرآنِ تناقضًا وتعارضًا ؛ فَمِنْ ثَمَّ ؛ فهذه إِحْدَى الطَّوَامِّ في هذا الدينِ المزعومِ المتناقضِ !! على حدِّ زعمهِ وافترائهِ ؛ فَمَاذَا عندكَ يا عُقَيْلُ ؟!

○ **قَالَ (المُلْحِدُ) : عندي في سورة النساءِ آيتان متعارضتان متتاليتان ، وهما قولُ اللهِ – تَعَالَى – : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾**؛ فكيفَ قال : ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ، ثم قال : ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ **؟! أليس هذا تناقضًا ؟!**

● **فكانَ جوابُ المُؤْمِنِ (المُوَحِّدِ)** : أنَّ التَّعارُضَ موجودٌ (فعلًا !!) ؛ لَكِنْ فِي عَقْلِ المُلْحِدِ ، ولَيْسَ فِي عَقْلِ المُؤْمِنِ (المُوَفَّقِ

المُسَدَّد) ، وهو كَالتَّالِي :

أَقُولُ : لِمِثْلِ هَذَا التَّعَارُضِ (الظَّاهِرِيِّ) أَلَّفَ أَهْلُ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مُصَنَّفَاتٍ للجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الإشكالاتِ التي تَطْرَأُ عَلَى ذِهْنِ القَارِئِ أو المُسْتَمِع ، **ولَعَلِّي (هُنَا) أَلْفِتُ النَّظَرَ إِلَى كِتَابِ العَلامَةِ الشِّنْقِيْطِيِّ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – وهُوَ بِعُنْوانِ : " دَفْعِ (إِيْهَامِ) الاضْطِرَابِ عَنْ آياتِ الكِتَابِ " ؛ حَيْثُ قَالَ :**

" قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء : ٧٨] .

لَا تَعَارُضَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ – تَعَالَى – : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء : ٧٩] .

وَالْجَوَابُ ظَاهِرٌ ، وَهُوَ : أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ ؛ أَيْ : مَطَرٌ وَخِصْبٌ وَأَرْزَاقٌ وَعَافِيَةٌ ، يَقُولُوا : هَذَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ؛ أَيْ : جَدْبٌ وَقَحْطٌ وَفَقْرٌ وَأَمْرَاضٌ ، ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ ؛ أَيْ : مِنْ شُؤْمِكَ يَا مُحَمَّدُ وَشُؤْمِ مَا جِئْتَ بِهِ ! قُلْ لَهُمْ : كُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالْمَطَرِ وَالرِّزْقِ وَالْعَافِيَةِ ؛ كَمَا أَنَّهُ يَأْتِي بِالْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَالْفَقْرِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْبَلَايَا ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ ؛ قَوْلُ اللهِ فِي فِرْعَوْنِ وَقَوْمِهِ مَعَ مُوسَى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي قَوْمِ صَالِحٍ مَعَ صَالِحٍ : ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ الْآيَةَ ، وَقَوْلُ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ لِلرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ : ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾

الْآيَةَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أَيْ : لِأَنَّهُ هُوَ الْمُتَفَضِّلُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ . ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ؛ أَيْ : مِنْ قِبَلِكَ وَمِنْ قِبَلِ عَمَلِكَ أَنْتِ ؛ إِذْ لَا تُصِيبُ الْإِنْسَانَ سَيِّئَةٌ إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ " . انتهى .

● **وقَالَ الإمَامُ البَغَوِيُّ :**

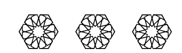
" فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِ : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ : ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ قِيلَ : قَوْلُهُ : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أَيِ : الْخِصْبُ وَالْجَدْبُ وَالنَّصْرُ وَالْهَزِيمَةُ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ : ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ؛ أَيْ : مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنَ اللَّهِ فَبِذَنْبِ نَفْسِكَ عُقُوبَةً لَكَ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : ٣٠] " . وأوردَ وجهًا آخرَ ؛ فانظره . وينظرُ – أيضًا – : (" تفسير" الطبري) ، و ("تفسير" ابن كثير) .

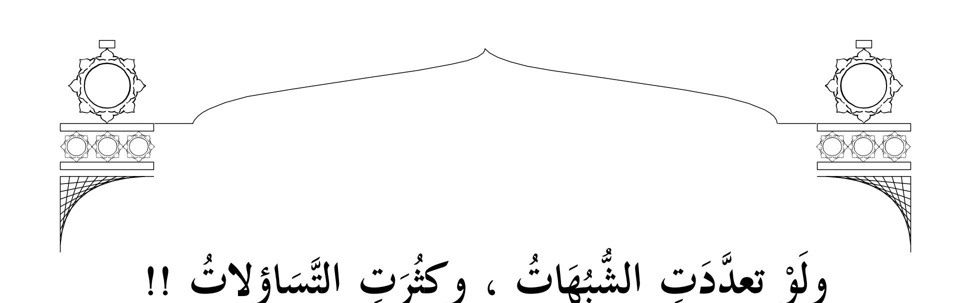
ف (السَّيِّئَةُ) في الآيةِ الأُولَى بِمَعْنَى : القحطِ والجدبِ ، وفي الآيةِ الثانيةِ بمعنى : المعصيةِ والذَّنبِ ؛ فلا شكَّ أنَّ القحطَ والفقرَ والأمراضَ من عندِ اللهِ تَعَالَى ، وليست من عندِ النبيِّ محمدٍ ﷺ ، ولا بسببِ دينهِ أو اتباع شرعهِ ، بل الْجَمِيعُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَهُوَ نَافِذٌ فِي البَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ . وأما المعاصي والذنوبُ ؛ فبما كسبتْ أيدي البشرِ ؛ كما قال تَعَالَى : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم : ٤١] .

بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : " لَا مُنَافَاةَ أَنْ تَكُونَ سَيِّئَةُ الْعَمَلِ وَسَيِّئَةُ الْجَزَاءِ مِنْ نَفْسِهِ ، مَعَ أَنَّ الْجَمِيعَ مُقَدَّرٌ . . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ " فَمِنْ نَفْسِك ، وَأَنَا قَدَّرْتها عَلَيْك " . " مَجْمُوع الفَتَاوى " (١٤/ ٢٣٨) .

فَظَهرَ صِدْقُ القُرْآنِ وَمُنْزِلهِ ، وكَذِبُ المُلْحِدِ وحِزْبِهِ . لَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – بَعْدَ هَذِهِ الآيَاتِ التي شَكَّكَ فِيْها المُلْحِدُ (النَّكِرَةُ) !! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢] . ويُؤَكِّدُ رَبُّنَا ذَلِكَ ؛ فَيَقُولُ : ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت : ٤١ و ٤٢] .





ولَوْ تعدَّدَتِ الشُّبُهَاتُ ، وكثُرَتِ التَّسَاؤلاتُ !!

مَهْمَا حَاوَلَ أَهْلُ البَاطِلِ مِنْ بَثِّ سُمُومِهِم ، وَتَنْفِيْذِ مُخَطَّطَاتِهِمْ ؛ فإنَّ أهلَ الحَقِّ لهمْ بالمِرْصَادِ ، وصَوَاعِقَ الحقِّ تَنْسِفُ مِنْهُمْ كُلَّ فَسَادٍ ؛ فَهِي تَحْرِقُهُمْ حَرْقًا ، وتَنْزِعُ جُلُودَهُمْ نَزْعًا ؛ فلَمْ يَدَعْ أهلُ الحقِّ لهُمْ طَرِيْقًا إلاَّ سَدُّوهُ أَمَامَهُمْ ، وَلَا بَابًا مِنَ الشُّكُوكِ إِلَّا أَغْلَقُوهُ في وُجُوهِهِمْ ؛ فِكِدْتَ لا تَسْمَعُ لهُمْ إِلَّا نَهِيْقًا وَعُوَاءً ، ولا تُبْصِرُ أَمَامَكَ إِلَّا (خَوَاءً وهَوَاءً !!) ؛ فهي شُبُهَاتٌ سَرَابٌ ، ومُكَابَرَاتٌ عُجَابٌ (في تَبَابٍ) (في يَبَابٍ) !! قَدِيْمَةٌ حَدِيْثَةٌ . . سَمِجَةٌ خَبِيْثَةٌ ، صَلْعَاءُ ، عَجْمَاءُ ، عَمْيَاءُ ، عَرْجَاءُ ، قُلْ مَا شِئْتَ مِنَ الأَوْصَافِ وَالأَسْمَاءِ . . أفلاَ يَخْجَلُ هؤلاء ؟؟! ودُونَكَ أَمْثَلَةً ممَّا ظَنُّوهُ يَشْفِي عَلِيْلَهُمْ ، أَوْ يَرْوِي غَلِيْلَهُمْ ، وكما قال تعَالَى : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ﴾ [المدثر : ٣١] ، وقَالَ : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء : ٨٢] :

✧ **المِثَالُ الأَوَّلُ** : يَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة : ١٦٣] ؛ فقَّررَ أنَّ الإلهَ الحقَّ واحِدٌ (لاَ شَرِيْكَ لَهُ) ، وقَالَ : ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ [النحل : ٥١] . والآياتُ في تقريرِ هذا الأَصْلِ كثيرةٌ للغايةِ ،

وقَالَ : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص : ١ - ٥] . فهَذَا مُحْكَمٌ واضحٌ بَيِّنٌ ظاهرٌ ؛ لكنَّه في آياتٍ أُخْرَى قَالَ : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر : ٩] ، ونحْوُ ذِلكَ كَثِيْرٌ في القُرْآنِ ؛ فهُنَا قَالَ : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا﴾ ، و ﴿وَإِنَّآ﴾ ، و ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ ؛ فَهَلْ هَذَا يَدُلُّ عَلَى تعَدُّدِ الآلهةِ !! ، ومنْ ثَمَّ تَنَاقُضِ الذِّكرِ الحَكِيْمِ ؟ والجَوَابُ ظاهرٌ وجَلِيٌّ لكلِّ ذِي عَقْلٍ سَلِيْمٍ ألمعيٍّ ، وهُوَ أنْ يُقَالَ : لاَ تعَارُضَ (البَتَّةَ) ؛ فقَوْلُهُ : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا﴾ . . . ، وأمثالُ ذلكَ ؛ لِبَيَانِ (العَظَمَةِ) ، و (الجَلاَلَةِ) في الخِطَابِ ، وهذه عادةٌ مَعْلُومَةٌ ، وسكيكةٌ معروفةٌ في كلامِ العربِ ، وفي حَدِيثِ الكُبَرَاءِ والعُظَمَاءِ والمُلُوكِ ؛ كَقَوْلِهِمْ : لَقَدْ قُمْنَا بِكَذَا ، وأَمَرنَا ، وحَكَمنَا ، ونَفَّذْنَا ، وقُلْنَا ، وَأَصْدَرْنَا ، وهَكَذَا . . ولا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ مُطْلَقًا . ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ ؛ فَهَذِهِ النُّونُ تُسَمَّى (نُونَ العَظَمَةِ) لا نُونَ الجَمْعِ !! ؛ كَقَولِهِ : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ ، وقَوْلِهِ : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ ، وقَوْلِهِ : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ . وهَذَا كلُّهُ متعلِّقٌ بأفعالِهِ وقُدْرَتِهِ تبَارَكَ وتَعَالَى ؛ فنَاسبَ أنْ يَسْتَخْدِمَ (نُونَ العَظَمَةِ) ؛ فهُوَ العَظِيْمُ الَّذِي لاَ شَيءَ أَعْظَمَ مِنْهُ ، وهُوَ الأَحَقُّ بالتَّعْظِيْمِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وأمَّا مَا يتعلَّقُ بأُلُوهِيَّتِهِ ، ووحْدَانِيَّتِهِ ، وعِبَادَتِهِ ؛ فيَأْتِي (ضَمِيْرُ المُفْرَدِ : الوَاحِدِ) ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه : ١٤] . ولَمْ يَقُلْ : إنَّنَا نَحْنُ . .!! ولَمْ يَقُلْ : فَاعْبُدْنَا !! وَلَمْ يَقُلْ : لِذِكْرِنَا !! وكَقَوْلِهِ : ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ . وقَوْلِهِ : ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠

رَبُّكَ﴾ . وقَوْلِهِ : ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . . فتَأَمَّلْ جَمَالَ القُرْآنِ وإِتْقَانَهُ ؟ ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [يونس : ٩٤ و ٩٥] . ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام : ١١٤] .

فظَهَرَ بِذلِكَ بُطْلانُ كُلِّ الآلِهَةِ المَزْعُومَةِ (المُفْتَرَاةِ) ، وكَذِبُ المُشْرِكِيْنَ وَالمُلْحِدِيْنَ (الجُنَاةِ !!) ، وإثباتُ الألُوهِيَّةِ للهِ ربِّ العَالَمِيْنَ (وَحْدَهُ) ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج : ٦٢] .

قال شيخ الإسلامِ ابنُ تيمية – مُقَرِّرًا هذا الأصلَ ؛ كما في " مجموع الفتاوى " – :

" وَهَذَا كَمَا أَنَّ لَفْظَ (إِنَّا) وَ (نَحْنُ) وَغَيْرُهُمَا مِنْ صِيَغِ الْجَمْعِ يَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاحِدُ لَهُ شُرَكَاءُ فِي الْفِعْلِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاحِدُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَهُ صِفَاتٌ تَقُومُ كُلُّ صِفَةٍ مَقَامَ وَاحِدٍ ، وَلَهُ أَعْوَانٌ تَابِعُونَ لَهُ ؛ لَا شُرَكَاءَ لَهُ ؛ فَإِذَا تَمَسَّكَ النَّصْرَانِيُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ، وَنَحْوَهُ عَلَى تَعَدُّدِ الْآلِهَةِ !! كَانَ الْمُحْكَمُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ﴾ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُ إلَّا مَعْنًى وَاحِدًا يُزِيلُ مَا هُنَاكَ مِنْ الِاشْتِبَاهِ، وَكَانَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ صِيغَةِ الْجَمْعِ مُبَيِّنًا لِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ الْعَظَمَةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَطَاعَةِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ " .

ويقولُ البغويُّ في " تفسيره " : " .. عَادَة الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ يُخَاطِبُونَ الْوَاحِدَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ؛ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ ؛ فَقَالَ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجْر : ٩] ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ " .

✧ **المِثَالُ الثَّاني** : وهُوَ قَرِيْبٌ مِمَّا سَبَقَ (فِي مَسَائِلِ الوَحْدَانِيَّةِ) في قولِهِ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ [الأنبياء : ٩٨] ؛ فَهَلِ الآيةُ تُثْبِتُ دُخُولَ نَبِيِّ اللهِ عِيْسَى عليه السلام في النَّارِ ، وكذلكَ الملائكةُ ، وكذلك عُزَيْرٌ ، ونَحْوُهُمْ مِنَ الصالحينَ الذينَ عُبدوا دونَ رضىً منهم ؟! والجوابُ واضحٌ وظاهرٌ وجليٌّ، **وهُو أنْ يُقَالَ** : قَوْلُهُ : (وَمَا) تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ العَاقِلِ ؛ كما معروفٌ في العربيةِ ؛ فخرجَ هؤلاء المَذْكُورُونَ من الوعيدِ . **ووجهٌ ثانٍ** : أنَّ تمامَ الآياتِ يُخْرِجُ هؤلاء أيضًا ؛ فقَدْ قَالَ - تَعَالَى بَعْدَهَا - : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء : ١٠١] .

وإِلَى نَحْوِ هَذَا أَفَادَهُ العَلاَّمَةُ الشِّنْقِيْطِيُّ - رحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - ؛ فقالَ في " الأضواء " : " وَالْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ إِنَّمَا عَبَّرَ اللَّهُ فِيهَا بِلَفْظَةِ (مَا) الَّتِي هِيَ فِي الْمَوْضِعِ الْعَرَبِيِّ لِغَيْرِ الْعُقَلَاءِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ : (وَمَنْ تَعْبُدُونَ) ، وَذَلِكَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ : الْأَصْنَامُ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَنَاوَلُ عِيسَى ، وَلَا عُزَيْرًا ، وَلَا الْمَلَائِكَةَ ؛ كَمَا أَوْضَحَ - تَعَالَى - أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى - بَعْدَهُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الْآيَةَ " .

✧ **المِثَالُ الثَّالِثُ** : وقولُ اللهِ - تَعَالَى - : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ؛ فكيفَ والكفَّارُ يَسُومُونَنَا سُوءَ العَذَابِ ؛ فَهَلْ هَذَا منِ التنَاقُضِ في القُرآنِ ؟ **والجَوَابُ : كلاَّ** ؛ فلَيْسَ ثَمَّ شيءٌ منْ ذلكَ في كَلامِ ربِّ العَالَمِيْنَ ، وقدْ عُرِضَ هَذَا السُّؤالُ (منْ قبلُ) عَلَى أميرِ المُؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ كما في " تفسير " الطبريِّ ، و " تفسير " ابنِ أبي حاتمٍ بالإسنادِ الصَّحيحِ عَنْ يُسَيْعٍ الْحَضْرَمِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَنَا فَيَظْهَرُونَ وَيَقْتُلُونَ ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : ادْنُهْ . ثُمَّ قَالَ : ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

● **قَالَ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ** : " يَعْنِي : حُجَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَذَلِكَ وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْمُنَافِقِينَ مُدْخَلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ مُدْخَلَ الْمُنَافِقِينَ ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حُجَّةٌ ، بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ - إِنِ أُدْخِلُوا مُدْخَلَهُمْ - : هَا أَنْتُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَعْدَاءَنَا ، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ أَوْلِيَاءَنَا ، وَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ فِي النَّارِ فَيُجْمَعُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِنَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَنَا مِنْ أَجْلِهِ فِي الدُّنْيَا ؟ فَذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَجْعَلَهَا عَلَيْهِمْ لِلْكَافِرِينَ " .

● **وقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ** : " وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ؛ أَيْ : فِي الدُّنْيَا ، بِأَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِمُ اسْتِيلَاءَ اسْتِئْصَالٍ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ فِي بَعْضِ

الْأَحْيَانِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ " .

✧ **المِثَالُ الرَّابِعُ** : قَوْلُ اللهِ – تَعَالَى – فِي سُورَةِ النِّسَاءِ : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ ، ولكنَّه تَبَارَكَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ – أيضًا – قالَ : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ﴾ ؛ فَهَلْ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ ، وهَلْ يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ مَنْعُ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ؟ **والجَوَابُ : كلاَّ ، وإنَّمَا المُرَادُ كَمَا قالَ الإمامُ الزَّركشيُّ في "البرهَانِ" (٥٨/٢) :** " **فَالْأُولَى** : تُفْهِمُ إِمْكَانَ الْعَدْلِ ، **وَالثَّانِيَةُ** : تَنْفِيهِ ، **وَالْجَوَابُ** : أَنَّ الْمُرَادَ (بِالْعَدْلِ) فِي الْأُولَى : الْعَدْلُ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ فِي تَوْفِيَةِ حُقُوقِهِنَّ ، وَهَذَا مُمْكِنُ الْوُقُوعِ وَعَدَمِهِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي (الثَّانِيَةِ) : الْمَيْلُ الْقَلْبِيُّ ؛ فَالْإِنْسَانُ لَا يَمْلِكُ مَيْلَ قَلْبِهِ إِلَى بَعْضِ زَوْجَاتِهِ دُونَ بَعْضٍ " .

● **وقَالَ العَلاَّمةُ الشِّنْقِيْطِيُّ في "دفع الإيهام"** : " قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ الْآيَةَ . هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَدْلَ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ مُمْكِنٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ﴾ . الْآيَةَ ، **وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا** : أَنَّ (الْعَدْلَ) بَيْنَهُنَّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ مُمْكِنٌ هُوَ : الْعَدْلُ فِي تَوْفِيَةِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ . وَ (الْعَدْلَ) الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُمْكِنٍ هُوَ : الْمُسَاوَاةُ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْمَيْلِ الطَّبِيعِيِّ ؛ لِأَنَّ هَذَا انْفِعَالٌ لَا فِعْلٌ ؛ فَلَيْسَ تَحْتَ قُدْرَةِ الْبَشَرِ، **وَالْمَقْصُودُ** : أَنَّ مَنْ كَانَ أَمْيَلَ بِالطَّبْعِ إِلَى إِحْدَى الزَّوْجَاتِ ؛ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ

وَلْيَعْدِلْ فِي الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ الْآيَةَ " .

● **وقال في " الأَضْوَاءِ "** : " قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ ، هَذَا (الْعَدْلُ) الَّذِي ذَكَرَ تَعَالَى هُنَا أَنَّهُ لَا يُسْتَطَاعُ هُوَ : (الْعَدْلُ فِي الْمَحَبَّةِ ، وَالْمَيْلِ الطَّبِيعِيِّ) ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ تَحْتَ قُدْرَةِ الْبَشَرِ ، بِخِلَافِ : (الْعَدْلِ فِي الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ) ؛ فَإِنَّهُ مُسْتَطَاعٌ ، وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى إِلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ ؛ أَيْ : تَجُورُوا فِي الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ " .

ففَرَّقَا بين العَدْلِ فِي الآيَةِ الأُولَى ، والعَدْلِ فِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ ، وحِيْنَئِذٍ ؛ فتعدُّدُ الزَّوْجَاتِ مُبَاحٌ ومَشْروعٌ (مَعَ عَدَمِ اسْتِطَاعَةِ إقَامَةِ العَدْلِ فِي الْمَحَبَّةِ ، وَالْمَيْلِ الطَّبِيعِيِّ) ، ولذَا قَالَ بَعْدَهَا : (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) . وبمثلهما قَالَ الرَّاغبُ في " المفرداتِ " (ص : ٥٥٢) .

✧ **المِثَالُ الخَامِسُ** : وثَمَّ اسْتِشْكَالٌ ؛ بَلْ تَشْكِيْكُ مُلْحِدٍ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف : ٨٦] ؛ فَقَالَ المُلْحِدُ : كَيْفَ يَقُولُ : (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ) ، والشَّمْسُ بَعِيْدَةٌ عَنِ الأَرْضِ ؟

وَالجَوَابُ : هُوَ أَنَّ المَعْنَى : أَنَّ رُؤْيَةَ الشَّمْسِ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ؛ يَكُونُ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى (عَيْنِ النَّاظِرِ) .

وقولُهُ : (حَمِئَةٍ) ؛ أَيْ : كَثِيرَةِ الْحَمْأَةِ ، وَهِيَ الطِّينَةُ السَّوْدَاءُ ،

وقيْلَ : حَارَّةٍ . قال القرطبيُّ : " وَقَدْ يُجْمَعُ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ ؛ فَيُقَالُ : كَانَتْ حَارَّةً ، وَذَاتَ حَمْأَةٍ " . ثُمَّ قَالَ : " وَقَالَ الْقَفَّالُ : قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَيْسَ الْمُرَادُ أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل إلى جرمها ومسها، لأنها تدور مَعَ السَّمَاءِ حَوْلَ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَلْتَصِقَ بِالْأَرْضِ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِي عَيْنٍ مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، بَلْ هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ؛ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِمَارَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، فَوَجَدَهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ، كَمَا أَنَّا نُشَاهِدُهَا فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ كَأَنَّهَا تَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهَا تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ تُمَاسَّهُمْ وَتُلَاصِقَهُمْ ؛ بَلْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِمْ . وَقَالَ الْقُتَبِيُّ : وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْعَيْنُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ تَغِيبُ وَرَاءَهَا أَوْ مَعَهَا أَوْ عِنْدَهَا، فَيُقَامُ حَرْفُ الصِّفَةِ مَقَامَ صَاحِبِهِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ . (وَوَجَدَ عِنْدَها قَوْمًا) ؛ أَيْ : عِنْدَ الْعَيْنِ ، أَوْ عِنْدَ نِهَايَةِ الْعَيْنِ " .

● **وَقَالَ شيْخُ الإسْلامِ ؛ كَمَا فِي " المُسْتَدْرَكِ عَلَى الفَتَاوَى " (١/ ١٨٩) :**

" وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ العَيْنُ في الأَرْضِ ، وَمَعْنَى : (تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ) ؛ أي : في رَأْيِ النَّاظِرِ باتِّفَاقِ المُفَسِّرين ، وليْسَ المُرَادُ أَنَّهَا تَسْقُطُ من الفَلَك ؛ فتَغْرُبُ في تلك العَيْنِ ؛ فإنها لا تَنْزِل من السَّماءِ إلى الأرض ، ولا تفارِقُ فَلَكَهَا . والفَلَكُ فوقَ الأرض من جميع أقطارها ، لا يكون تحْتَ الأرض ؛

لكن إذا تخيَّل المُتَخَيِّل أنَّ الفلك محيط بالأرض تُوهِمُ أنَّ ما يلي رأسَهُ هو أعلاه ، وما يلي رجليْهِ هو أسفلُهُ ، وليس الأمْرُ كذلك ؛ بل جانب الفلك من هذا الجانِبِ كجانبِهِ من المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، والسَّمَاء فوق الأرضِ بالليلِ والنهارِ ، وإنَّمَا السُّفْلُ هو أضيقُ مكانٍ في الأرض ، وهو المركَزُ الذِي إلَيْهِ تنتهي الأثقالُ . وكلُّ ما تَحَرَّكَ من المرْكَزِ إلَى السَّماء من أيِّ جانبٍ كان ؛ فإنه يصْعَدُ من الأسفل إلى الأعلى ، والله أعلَمُ " .

● **وَقَالَ ابْنُ كثيرٍ** : " وقولُهُ : ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ؛ أي : رأَى الشمسَ في منظرِهِ تَغْرُبُ في البحرِ المحيطِ ، وهذا شأن كلِّ من انتهى إلى ساحلِهِ يراها كأنها تَغْرُبُ فيه ، وهي لا تفارق الفَلَكَ الرابع الذي هي مثبتةٌ فيه لا تفارقُهُ " .

● **وقَالَ السَّعْدِيُّ** : " رَأَىَ الشَّمْسَ في (مَرْأَى العَيْنِ) كَأَنَّها تغربُ في عينٍ حَمِئَةٍ ؛ أي : سَوْدَاءَ ، وهذا هو المُعْتَادُ لمن كان بينه وبين أُفُقِ الشمسِ الغربيِّ ماءٌ ، رآها تَغْرب في نفس الماءِ وإن كانت في غايةِ الارتفاعِ " .

لِذَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ؛ فكَلِمَةُ ﴿وَجَدَهَا﴾ بالنسبة إلى الناظرِ لا إلى حقيقةِ الشمسِ ؛ فالشَّمْسُ في السَّمَاءِ .

فهو الذي (وَجَدَ) . . فالشَّمْسُ تَظْهَرُ في المَاءِ . بِالنِّسْبَةِ للِنَّاظِرِ ؛ كأَنَّها تَغْرُبُ فِي عَيْنِ المَاءِ ؛ فَالمُلْحِدُ – هُنَا – لَمْ يَفْهَمِ الآية ، وَلَوْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ مَا كَانَ ثَمَّ اسْتِشْكَالٌ ، وَمَا كَانَ مِنَ المُلْحِدِيْنَ مِنْ إِنْكَارٍ

وَاسْتِكْبَارٍ .

● **وقَالَ البَغَويُّ فِي " مَعَالِمِ التَّنْزِيْلِ " :**

" قَالَ الْقُتَيْبِيُّ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ؛ أَيْ : عِنْدَهَا عَيْنٌ حَمِئَةٌ ، أَوْ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ " .

◆ **وَمِنْ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الخَسِيْسَةِ :**

مَا يُحَاوِلُ (البَعْضُ !) التَّشْكِيْكَ والطَّعْنَ في عِدَّةِ المرْأةِ ؛ الحَائِضِ ، أو الحَامِلِ ، أو المُتْوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا !! وَزَعَمَ هؤلاءِ أنَّ ثمَّ تناقضًا فِي هذهِ المَسْأَلَةِ !!!

● ولا شكَّ ولا رَيْبَ أَنَنَا مُصَدِّقُونَ بِمَا أَخْبَرَ القُرْآنُ بِهِ ، وأنَّ هُنَاكَ حِكَمًا قد نَعْلَمُهَا ، وقد لا نَعْلَمُهَا ، وإنِ (التَمَسْنَا) بَعْضًا مِنْهَا ؛ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ البَاحِثِيْنِ منْ جهةِ الأبحاثِ العلميَّةِ التي اجتهدُوا في إبرازِ (بعضِ) مَا وَصَلَ إليْهِ (اجْتِهَادُهُم) ؛ **فَمِنْ هَذِهِ الأَبْحَاثِ :**

✧ **بَحْثٌ بِعُنْوان : عِدَّة المَرْأَةِ (بَيُولُوجِيًّا)**[1] :

(١) راجع ("الهيئة العالمية للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة") ، وإليك الـرابـط عـلـى الانـتـرنـت : http ://www.eajaz.org/ index.php/component/content/article/٩٢- Number-xxix/٩٧٦-Several-women-%٢٨-biology- %٢٩

● **قُلْتُ (محمد بن العفيفي) :** ومصطلحُ (الإعجاز العلمي) مصطلحٌ حديثٌ ، فيهِ كثيرٌ من المبالغاتِ والمغالطاتِ ، ونحن نأخذُ ما لا يصطدمُ =

قَالَ فيْهِ صاحِبُ المقالِ : تَمَيَّزَتِ الشريعةُ الإسلاميةُ بتوجِيْهٍ بيولوجيٍّ دقيقٍ يخصُّ المجتمعَ والأسرةَ ، ويَحْمِي المرأةَ والجَنِيْنَ ، وهو فترةُ العدَّةِ للمَرْأة ، وكان التوجيهُ ملاحظًا فيه التباينُ والاختلافُ ؛ بِنَاءً على وضع المرأة البيولوجيِّ ، **وهي على أربع حالات** :

● عدة المرأة المطلقة ثلاثةُ قروءٍ ؛ كما قال - تَعَالَى - : ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

● وعدَّة المَرْأَةِ المُتَوَفَّى عنها زَوْجُهَا أربعَةَ أَشْهُرٍ وعشرًا ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

وعدَّة المرأة الحامل سواء المطلقة ، أو المتوفى عنها زوجها عدتها أن تضَعَ حَمْلَهَا ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٤] .

● وعدَّةُ المرأةِ الكبيرةِ (اليائسةِ من الحيضِ) ، أو الصغيرةِ (التي لا تَحِيْضُ) هي ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق : ٤] .

إنَّ عدَّة المرأةِ بهذا التباينِ والاختلافِ ؛ إنما بسبَبِ الناحيةِ

= مع النصوص الشرعية ، والقواعد المرعيَّةِ ، وأقوال أهل العلمِ من السلفِ الصالحِ . وما يُسمَّى بـ : "(الإعجاز العلمي) " قابلٌ للأخذِ والردِّ ، والمطلوبُ عدمُ التسرُّعِ في قبولهِ ، والله أعلم .

البيولوجيةِ للمِبْيَضِ والرَّحِمِ ، وكلاهما يعتمدُ اعتمادًا كليًّا على الوضعِ الفسيولوجيِّ والهرمونيِّ للمرأةِ .

وهناك تبادُلٌ للعلاقةِ بَيْنَ النواحي الفسيولوجيةِ والنفسيةِ عند المرأةِ ؛ لذلكَ ؛ فإنَّ اللهَ – سبحانه وتَعَالَى – وَجَّهَ المرأةَ صاحبةَ العدَّةِ أن تُحْصِيَ العدَّةَ وَفْقَ النظامِ الإلهيِّ ، دون أيِّ اعتبارٍ للتقاليدِ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الطلاق : ١] ؛ **فمن الناحيةِ البيولوجيةِ : عدَّةُ الحاملِ بمجرَّدِ وضعِ الحملِ** ؛ حتى ولو بعد طلاقِ المرأةِ ، أو وفاةِ زوجهَا بيومٍ واحدٍ ؛ فإن عدَّتَها تنتهي ، ولا يصبحُ عليها عدَّة ؛ لأنَّ رَحِمَهَا قد استَبْرَأَ ، ومِبْيَضَهَا لا يمْكِنُ أن يُفْرِزَ بُوَيْضَاتٍ إلا بعد الولادةِ ؛ فليس هناك مجالٌ للإخصابِ والتلقيحِ إلا بعد وضع الحَمْلِ .

● **أَمَّا المُطَلَّقَةُ (غيرُ الحَامِلِ)** ؛ فقد ربط القرآنُ الكريمُ عدَّتَهَا بالنَّاحِيَةِ البيولوجيةِ الصِّرْفَةِ ، وهو الحيضُ أو الطُّهْرُ (القُرُوء) ، ولم يربطها بالأشْهُرِ ؛ **لسَبَبَيْنِ : أَوَّلُهُمَا** : لكي لا تطولَ فَتْرَةُ العِدَّةِ عَلَى المَرْأَةِ ؛ فبالتالي إمكانيةُ أن تَتَزَوَّجَ ؛ لأنَّهُ يمكن أن تحدُثَ ثلاث حيضات كحدٍّ أدنى خلالَ شهرينِ أو شهرٍ ونصفٍ ، **أما السَّبَبُ الثَّانِي** ؛ **فهو** : لإلغاءِ فكرةِ الإجهاضِ المَخْفِيِّ ، أو التأكدِ من إظهارِ علاماتِ الحَمْلِ ، أو استحالةِ الإخصابِ والتلقيحِ .

● أَمَّا المَرْأَةُ الكبيرةُ اليائِسَةُ ، أو الصغيرةُ التي تَحِيْضُ ؛ فقد ربطَ القرآنُ الكريمُ عدَّتَهُما بمُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ (ثلاثة شهور) ؛ ليتأكدَ للكبيرةِ غيرِ مستقرَّة الدَّوْرَةِ الرحِمِيَّةِ (الشهريَّةِ) بيولوجيًّا عدمُ نزولِ بويضاتٍ يمكنُ أن تُخَصَّبَ ، ولِتَنْبِيْهِ الصغيرةِ التي يحتملُ أن تبدأ

عندها الدَّوْرَةُ الرَّحِمِيَّةُ ، وبالتالي يبدأ عندها نزولُ بويضةٍ يمكن أن تُخَصَّبَ .

● أما المُتَوفَّى عنها زَوْجُهَا (غيرُ الحَامِلِ) ؛ فعدتُهَا أربعةَ أشهرٍ وعشرًا ؛ فكانتْ بالأشْهُرِ والأيامِ ؛ تَحَسُّبًا لحالتها النفسيَّةِ التي تعيشُهُا ، وتأثيرها على النواحِي الفسيولوجيةِ والهرمونيةِ ؛ مما قد ينتجُ عنه تأخُّرٌ للحيضِ عندها ، أو وقوعها في (لخْبَطةٍ) في دورتِهَا الرَّحِمِيَّةِ ، وتتداخلُ عليها أيام الحَيْضِ أو تكرارُهُ ؛ كما أنَّ الهدفَ الآخَرَ هو التأكيد ١٠٠ % على عدم وجود حملٍ من الزوجِ المُتَوَفَّى ، أو حدوثِ إجهاضِ الجنينِ ، يظنه البعضُ دمَ حيضٍ ! وهو دمٌ فاسدٌ ، أو دم نَزَف الزوائد المَرَضِيَّة في عنق الرحمِ الخارجيِّ ، أو نتيجة لإصابتهِ بِكَدْمَةٍ ، أو جُرْحٍ ، وكذا الدماءُ التي تنزل على المصاباتِ بالحمل الكاذبِ ، أو بمتلازمةِ التوأمِ المتلاشي ؛ حيث يحدث نزيفٌ للمرأة ؛ نتيجة هلاكِ أحَدِ التوأمَيْنِ ، وقد يستَمِرُّ هذا النزيفُ فتْرَةً تظن بهِ المرأةُ أنه حيضٌ على حملِهَا المُتَنَامِي للجنين الآخر ، وبالتالي يكونُ هناك جنينٌ (طفلٌ) من والِدٍ قد تُوفِّي إلى - رحمة الله - ؛ فهذه الدماء لا يمكن أن تكون دمَ حيضٍ ، وبالتالي ؛ فإن عِدَّةَ المرأة تحتاجُ إلى فترةٍ زمنيةٍ أكبَر ، وليست بحاجةٍ إلى عدَّةٍ بعَدَدِ الحيْضَاتِ أو الطُّهْرِ .

● أمَّا المَرْأَةُ التي يعقد عليها الرجل ، ثم لا يدخُلُ بها أو يمَسَّهَا ؛ فإن توجيه القرآن الكريم أنه ليس عليها عدَّة ؛ كما قال - تعَالَى - : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب : ٤٩] ، هذا هو

حكْمُ الله ﷻ وتوجيْهُهُ في العدَّة ، حاولْتُ أن أظهر شيئًا من الحِكَمِ البيولوجية ؛ **لكِنَّ هناك – بلا شك – حِكَمًا نفسيةً واجتماعية ممَّا لا نعلَمُهُ ؛ ففَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيْمٍ .. واللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ "** . انتهى .

● **وَكَتَبَ مَوْقِعٌ آخَرُ حَوْلَ هذهِ القضيةِ ما يَلِي(١) : " الإِعْجَازُ العِلْمِيُّ في عدَّةِ المُطَلَّقةِ والمُتَوَفَّى عنها زوجها " وفيهِ قَالَ صاحبُ المقالِ :**

" **مُقَدِّمَةٌ** : مِنَ الشُّبُهَاتِ المُثَارَةِ حَوْلَ التشريع الإسلامي ؛ أنه لا يصلُحُ في العصر الحديث !! عَلَى سَبِيْلِ المِثَالِ ؛ قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؛ فإذا كان الهَدَفُ مِنْ قَضَاءِ المرأة للعِدَّةِ قبل الزواج من شخصٍ آخر هو اسْتِبْرَاءَ الرَّحِمِ مِنَ الحَمْلِ ؛ فهذا أَصْبَحَ أَسْهَلَ ما يكُونُ ؛ إِذْ بالعِلْمِ الحَدِيْثِ يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ : هل المَرْأَةُ حَامِلٌ أم لا ؟ – من خِلالِ التحاليلِ الطبيةِ – .

● **وقد تَمَّ الرَّدُّ على هذه الشبهة ؛ فقد أثبتت الدراساتُ الحديثةُ** : أنَّ (مَاءَ الرَّجُلِ) يحتوي على ٦٢ نوعًا من البُروتِيْنِ ، وأنَّ هذا الماءَ يختلف من رجلٍ إلى آخر ؛ فلكلِّ رجلٍ بصمةٌ في رحم زوجته . وإذا تزوجت من رجلٍ آخَرَ بعد الطلاق مباشرةً ، قد تُصاب المرأة بمرض (سرطان الرحم) ؛ لدخول أكثر من بصمة مختلفةٍ في الرحم ، **وقد أثبتَتِ الأبحاثُ العلميةُ** : أنَّ أولَ حيضٍ بعد طلاقِ المرأةِ يزيل من ٣٢ % الى ٣٥ % ، وتزيل الحيضة الثانية من ٦٧% الى ٧٢% منها ؛ بينما تزيلُ الحيضة الثالثة ٩٩,٩% من بصمة

---

(١) منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان . والرابط : http :// . pag-sample /org . iijazforum . www

الرجل ، وهنا يكون الرحم قد تَمَّ تطهيرُهُ من البَصْمَةِ السابقَةِ ، وصار مستعدًّا لاستقبالِ بصْمَةٍ أخرى .

● أمَّا عَنْ عِدَّةِ المُتَوَفَّي عنها زوجُها في قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤] ؛ فقد أثبتت الأبحاث أن المرأة المتوفى عنها زوجها بحزنها عليه وبالكآبة التي تقع عليها ، هذا يزيد من تثبيت البصمة لديها ، وقالوا : إنها تحتاج لدورة رابعة ؛ كي تزيل البصمة نهائيًّا ، وبالمقدار الذي قال عنه الله ﷻ تقريبًا أربعة أشهر وعشرًا .

✧ **تَعْرِيْفُ العِدَّةِ :**

العِدَّة – في اللغة – من العدِّ ، وهو الحساب أو الإحصاء . والعِدَّة تعني : العَدد ؛ قال - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة : ٣٦] ، وقال - تَعَالَى - : ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف : ٢٢] .

والعِدَّة – هنا في الاصطلاح – : مدةٌ محددةٌ ، لا يجوز فيها للمرأة المطلقة ، أو المُتَوَفَّى عنها زوجُهَا أن تَتَزَوَّجَ فيها من زوجٍ آخرَ .

● وذكر القرآنُ الكريمُ أربَعَ عِدَدٍ للمرأة :

- عِدَّة وضْعِ الحَمْلِ .
- عِدَّة ٣ أقراءٍ .
- عِدَّة ٣ أشهرٍ .
- عِدَّة ٤ أشهرٍ و ١٠ ليالٍ .

- عِدَّة المطلقة الحامل .

نصَّ القرآن الكريم على عِدَّة المطلقة الحامل ؛ قال - تَعَالَى - : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٤] ؛ أي : المطلقات الحوامل عِدَّتهن إلى وضع الحمل .

مِنْ أين عرفنا أن هذه الآية في المطلَّقَات ؟ السورَةُ اسمُهَا (الطلاقُ) ، وأول آية منها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ ، ونحن في الآية الرابعة من السورة ؛ فالآية وردت - إذَنْ - في المطلَّقَةِ الحاملِ ، والحامِلُ إذا طُلِّقَت ؛ فقد تضع حمْلَهَا بعد دقائقَ ، أو بعد أشهرٍ.

✧ **عِدَّةُ المتوَفَّى عنها زوجُها :**

كما نصَّ القرآنُ على عِدَّة المُتَوفَّى عنها زوجُهَا ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤] ؛ أي : على هؤلاء الأزواجِ (الزَّوْجَاتِ) أن يَحْبِسْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَنِ الزواج وأمورٍ أُخْرَى مدَّةَ العِدَّة : أربعة أشهُرٍ وعشرًا ؛ أي : وعشْرَ ليالٍ .

● **لماذا ٤ أشهرٍ وعشرًا ؟**

● **يقُولُ بَعْضُ العلماءِ (ابْنُ عاشورٍ في " التفسير " ، و " الموسوعة الفقهية ")** : (الحملُ يكون نطفة ٤٠ يومًا ، ثم علقة ٤٠ يومًا ، ثم مضغة ٤٠ يومًا، ثم تنفخ فيه الروح ؛ فيكون المجموع ٤ أشهر ، وال ١٠ ليال للاحتياط) ؛ لكن هذا القول ، لا أعتقد أنه صحيح ؛ لأنه يفترض أن هذه المدة (٤ أشهر وعشر) كلها ؛ لاستبراء الرحم

(من أجل حفظ الأنساب أو تمييزها) ، والصحيح : أن ٣ أشهر ؛ لاستبراءِ الرَّحِمِ (كما في عدَّةِ المطلَّقةِ غيرِ الحاملِ : سورة البقرة : ٢٢٩، والطلاق : ٤) ، والباقي للإحداد . وهذا - أيضًا - بافتراض أن هذه المدة (٣ أشهر ، أو قروء) ؛ للاستبراء فقط ؛ أي : لا يدخل فيها مدة خاصة بالرجعة في الطلاق الرجعي . وهذا الافتراض الأخير قد يكون صحيحًا ؛ لأن مدَّةَ الاستبراء قد تكون أصلية ، ومدة الرجعة تابعة لها . ومما يرجِّح هذا المعنى : أن مدة الـ ٣ أشهر لم تفرِّق بين طلاق رجعي وطلاقٍ غيرِ رجعي . ولو طلق رجل زوجته وكانت حاملًا ، فوضعت حملها بعد لحظة لم تزد عِدّتُهَا على هذه اللحظة ؛ أي : لا يكون هناك مجالٌ لرجعةِ الزوجِ .

✧ **عِدَّةُ الحاملِ المُتَوَفَّى عنها زوجُها :**

المُهِمُّ - هُنَا - أنَّ القرآن نصَّ على عِدَّة المطلقة الحامل ، ونصَّ على عِدَّةِ المُتَوَفَّى عنها زوجُها ، ولم ينصَّ على التي جمعت بين الأمرين ؛ أي : على (الحامل) (المُتَوَفَّى عنها زوجُها) ، هل عِدَّتُها كعدَّة المطلقة الحامل : وضع الحمل ؟ أم عِدَّتُهَا كعدَّةِ المُتَوفى عنها زوجُها : ٤ أشهرٍ وعَشْرٍ ؟ أم عِدَّتُها أبعد الأجلين ؟ أم أقرب الأجلين ؟ أم هناك رأيٌ آخر ؟

● **إذا قُلْنَا :** عِدَّتُها : وَضْعُ الحَمْلِ ، وهو قَوْلُ جَمْهُورِ الفُقَهَاءِ ؛ فقد تَضَعُ حَمْلَهَا بعد ساعة ! أين هذا من ٤ أشهرٍ وعَشْرٍ ؟ والحكمة من هذه المدةِ : استبراءُ الرَّحِمِ ، والإحدادُ على الزوجِ المُتَوَفَّى ؛ فوَضْعُ الحَمْلِ تَحَقَّق فيه الاستبراءُ ، ولم يتحقق فيه الإحداد ، ولا أرى صحة ما استدلَّ بِهِ جمهورُ الفقهاء بأن الحكمَةَ مِنَ العدَّةِ براءةُ

الرحمِ فقط ؛ لا سيَّمَا وأن عِدَّةَ المتوَفَّى عنها زوجها قد زادت على غيرها بـ ٤٠ يومًا ، وهو الفرق بين ٤ أشهر و ١٠ ليال وبين ٣ أشهر .

✧ **الإِحْدَادُ** : مأخوذٌ من الحدِّ ، وهو : الحاجِزُ بَيْنَ شيئين ، أو المنع ؛ أي : على الزوجة أن تمتنع عن جميعِ مظاهرِ الزينةِ والإِغْرَاءِ ، وألا تخرج من بيت زوجها إلا لحاجةٍ ، وأن تُظهر حُزْنَهَا على زوجها ، وكانت المرأة في الجاهلية تُحِدُّ على زوجها حولًا كاملًا ؛ قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : " لا يَحِلُّ لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تُحِدَّ على مَيِّتٍ فوقَ ثلاثٍ ؛ إلاَّ على زوجٍ أربعةَ أَشْهُرٍ وعَشْرًا " – متفقٌ عليه – ؛ فيَجُوزُ (يُبَاحُ) للمرأة الإحدادُ على الأب والابن والأخ والأقارب ما لا يزيد على ٣ أيام ؛ إلاَّ الزَّوْجَ ؛ فيجبُ فيه الإحدادُ أربعةَ أشهرٍ وعشرًا . يصحُّ فِي اللغة أن يُقَالَ : حدَّتْ على زوجها ، وأحدَّتْ (أي : الفعل ثلاثي أو رباعي) .

● **وَإِذَا قُلْنَا** : عِدَّتُهَا ٤ أشهر وعشر ؛ فقد تمرُّ هذه المدة ، ولا تضع حملها ! فمُرُورُ المدة تَحَقَّق فيه الإحداد ، ولم يتحقق فيه الاستبراء بوضع الحمل .

● **وَإِذَا قُلْنَا** : عِدَّتُهَا أقربُ الأجلين ؛ فقد يكون وضعُ الحَمْلِ أقربَ بكثيرٍ ؛ كأن تضع حملها بعد ساعة ! ففي هذا الرأي لم يتحقق الإحداد .

● **وَإِذَا قُلْنَا** : أَبْعَدَ الأجلين ؛ فإذا وضعت الحمل قبل مرور ٤ أشهر وعشر عليها أن تنتظر حتى ٤ أشهر وعشر . وإذا مرَّت ٤ أشهر وعشر ، ولم تضع حملها عليها أن تنتظر وضع الحمل ؛ فوضع الحمل هو البراءة الفعلية للرحم ، وهذا يعني : أنَّ براءةَ الرَّحِمِ فيها

معنيان : الأول : حفظ الأنسابِ ، والثاني : خروج الولد (الولادة) .

والقول بأبعد الأجلين هو الأفضل من بين الأقوال المأثورة ، وسائر الأقوال غير صحيحة ، واللهُ أعْلَمُ .

✧ **ولكِنْ هُنَاكَ رأيٌ آخَرُ سأطرحُهُ للنِّقَاشِ :**

● خلاصة هذا القول (المذهب) هو : وضع الحمل ؛ شريطَةَ ألا يكون قبل ٤ أشهر وعشر ؛ فإذا وقع الحمل قبل ذلك لم نأخذ به ؛ بل نأخذ بأربعة أشهر وعشر ، وإذا زادت مدة الحمل على ٤ أشهر وعشر أخذنا بها ، وتركنا الـ ٤ أشهر وعشرًا ؛ بل الأخذ بالحمل في هذه الحالة يتضمن الأخذ بـ ٤ أشهر وعشر ؛ هذا هو معنى أبعد الأجلين ، وهو المعنى الذي يتحقق فيه الأمران معًا .

✧ **قولان للعلماء في عِدّة الحامل المتوفى عنها زوجُها :**

● **القولُ الأولُ** : قولُ جمهورِ الفقهاء بأن عِدَّةَ الحامل المتوفى عنها زوجُها تنقضي بوضع الحمل ، حتى لو وضعت بعد ساعة !

حُجَّتُهُم الأُولَى ؛ قولُهُ – تَعَالَى – : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٤] ، أقول : وردت هذه الآية [آية الطلاق : ٤] في المطلقة ، ولم ترد في المتوفى عنها زوجُها التي وردت فيها [آية البقرة : ٢٣٤] ، ولا يُقبل القول بأن إحدى الآيتين تخصص الأخرى .

● **وحجَّتُهُم الثانيةُ** : أنَّ المقصود من العِدَّة براءةُ الرحم ؛ أقول : هذا غير مسلَّم ؛ ففي المتوفى عنها زوجُها مقصدٌ آخر ، وهو : الإحداد ؛ بدلالة زيادة مدة العِدَّة بمقدار ٤٠ يومًا .

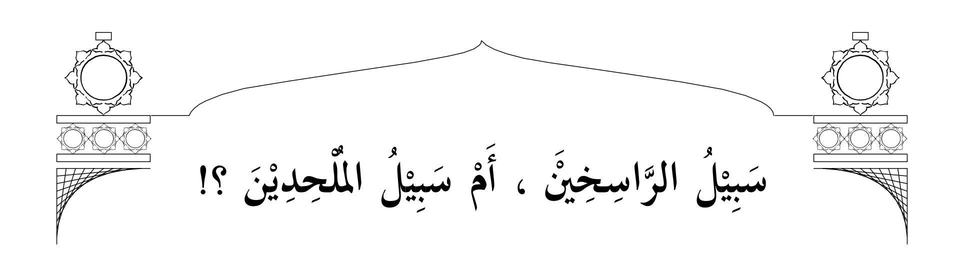
● **القولُ الثاني : أنها تعتدُّ بأبعَدِ الأجلين.**

❍ **أقولُ** : هذا القول أَفْضَلُ من سابقِهِ ، وأقربُ إلى الصواب " . انتهى المراد .

● ولا أريدُ أنْ أسْتَعْرِضَ جَمِيْعَ مَا أورَدَهُ أهْلُ العِلْمِ ؛ فالأمثلةُ كثيرةٌ وفيرةٌ ، والأجوبةُ باهرةٌ عامرةٌ .. لَكِنْ ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ .

ولَوْ أنَّ هؤلاءِ الأدْعِيَاءَ تكَلَّفُوا وَلَوْ وقتًا قَلِيْلًا لِقَرَاءةِ مَا قَالَهُ المُفَسِّرونَ فِي " تَفَاسِيْرِهِمْ " تِجَاهَ هذهِ النُّصُوصِ القُرْآنِيَّةِ ؛ لَزَالَتِ الإشْكَالاتُ التِي فِي أَذْهَانِهِمْ ، والوَسَاوِسُ التِي فِي رُؤوسِهِمْ ، ولآمَنُوا بِاللهِ ، وعَلِمُوا صِدْقَ كِتَابِهِ ، ولكَفُّوا عَنْ تكْذِيْبِهِ وَالتَّشْكِيْكِ في آيَاتِهِ . ولكِنْ ؛ كَمَا قَالَ ربُّ العَالَمِيْنَ وَهُو أَصْدَقُ القَائِلِيْنَ : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ .

● **فحَقًّا** .. كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .



سَبِيْلُ الرَّاسِخِيْنَ ، أَمْ سَبِيْلُ الْمُلْحِدِيْنَ ؟!

❍ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٧] .

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران : ٧] .

✧ **قَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ في " الجوابِ الصحيحِ " : " وَفِيهَا قَوْلَانِ وَقِرَاءَتَانِ :**

● مِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، وَيَقُولُ : الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ .

● وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَقِفُ ؛ بَلْ يَصِلُ بِذَلِكَ قَوْلَهُ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ ، وَيَقُولُ : الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ .

وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مَأْثُورٌ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ : قَدْ يَكُونُ الْحَالُ مِنَ الْمَعْطُوفِ دُونَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر : ١٠] ؛ أَيْ : قَائِلِينَ ، وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ حَقٌّ بِاعْتِبَارٍ ؛ فَإِنَّ لَفْظَ التَّأْوِيلِ يُرَادُ بِهِ : التَّفْسِيرُ ، وَمَعْرِفَةُ مَعَانِيهِ . وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ آيَةً

إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ فِي مَاذَا نَزَلَتْ ، وَمَاذَا عَنَى بِهَا .

وَقَدْ يُعْنَى بِالتَّأْوِيلِ : مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ مِنْ كَيْفِيَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخَرِ ، وَوَقْتِ السَّاعَةِ ، وَنُزُولِ عِيسَى ، وَنَحْوَ ذَلِكَ ؛ فَهَذَا التَّأْوِيلُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ .

وَأَمَّا لَفْظُ (التَّأْوِيلِ) إِذَا أُرِيدَ بِهِ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِهِ ؛ فَلَمْ يَكُنِ السَّلَفُ يُرِيدُونَ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ هَذَا ، وَلَا هُوَ مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ ، وَلَكِنَّ طَائِفَةً (مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ) خَصُّوا لَفْظَ التَّأْوِيلِ بِهَذَا ؛ بَلْ لَفْظُ (التَّأْوِيلِ) فِي كِتَابِ اللَّهِ يُرَادُ بِهِ : مَا يَئُولُ إِلَيْهِ الْكَلَامُ ، وَإِنْ وَافَقَ ظَاهِرَهُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ ، وَمِنْهُ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا ؛ كَقَوْلِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ : ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ ، وَكَقَوْلِهِ : ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ ، وَقَوْلِهِ : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ " . انْتَهَى .

✧ **وقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ** : " وَقَوْلُهُ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي الْوَقْفِ هَاهُنَا ؛ فَقِيلَ : عَلَى الْجَلَالَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ ، وَتَبِعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ الْأُصُولِ ، وَقَالُوا : الْخِطَابُ بِمَا لَا يُفْهَمُ بَعِيدٌ .

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ فَصَّلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ ؛ فَقَالَ : التَّأْوِيلُ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ مَعْنَيَانِ ؛ أَحَدُهُمَا : التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ ، وما يؤول أَمْرُهُ إِلَيْهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ﴾ ، وَقَوْلُهُ : ﴿هَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ ؛ أَيْ : حَقِيقَةُ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنَ أَمْرِ الْمَعَادِ ؛ فإن أريد بِالتَّأْوِيلِ هَذَا ؛ فَالْوَقْفُ عَلَى الْجَلاَلَةِ ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَكُنْهَهَا لَا يَعْلَمُهُ عَلَى الْجَلِيَّةِ إِلَّا اللَّهُ ﷻ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ مُبْتَدَأً ، وَ ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خَبَرَهُ . وَأَمَّا إِنْ أُرِيدَ بِالتَّأْوِيلِ الْمَعْنَى الْآخَرُ ، وَهُوَ : التَّفْسِيرُ وَالتَّعْبِيرُ وَالْبَيَانُ عَنِ الشَّيْءِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ ؛ أَيْ : بِتَفْسِيرِهِ ؛ فَإِنَّ أُرِيدَ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى ؛ فَالْوَقْفُ عَلَى : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَيَفْهَمُونَ مَا خُوطِبُوا بِهِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَإِنْ لَمْ يُحِيطُوا عِلْمًا بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى كُنْهِ مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حَالًا مِنْهُمْ ، وَسَاغَ هَذَا ، وَهُوَ : أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَعْطُوفِ دُونَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الْآيَةَ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ ؛ أَيْ : وَجَاءَتِ الْمَلاَئِكَةُ صُفُوفًا صُفُوفًا " . انتهى .

● وَقَوْلُهُ فِي مَطْلَعِ الآيَةِ : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ ، يَقُولُ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ :

" وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ ، وَمَا الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ ؟ وَمَا الْمُتَشَابِهُ مِنْهُ ؟

● فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ : الْمَعْمُولُ بِهِنَّ ، وَهُنَّ النَّاسِخَاتُ ، أَوْ الْمُثْبِتَاتُ الْأَحْكَامِ . وَالْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيِهِ :

الْمَتْرُوكُ الْعَمَلِ بِهِنَّ ، الْمَنْسُوخَاتُ .

● وَقَالَ آخَرُونَ : الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ : مَا لَمْ يَحْتَمِلْ مِنَ التَّأْوِيلِ غَيْرَ وَجْهٍ وَاحِدٍ . وَالْمُتَشَابِهُ مِنْهُ : مَا احْتَمَلَ مِنَ التَّأْوِيلِ أَوْجُهًا .

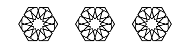
● وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى الْمُحْكَمِ : مَا أَحْكَمَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ وَقَصَصِ الْأُمَمِ وَرُسُلِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَفَصَّلَهُ بُبَيَانِ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ . وَالْمُتَشَابِهِ هُوَ مَا اشْتَبَهَتِ الْأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قَصَصِهِمْ عِنْدَ التَّكْرِيرِ فِي السُّوَرِ فَقِصَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِلَافِ الْمَعَانِي ، وَقِصَّةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي.

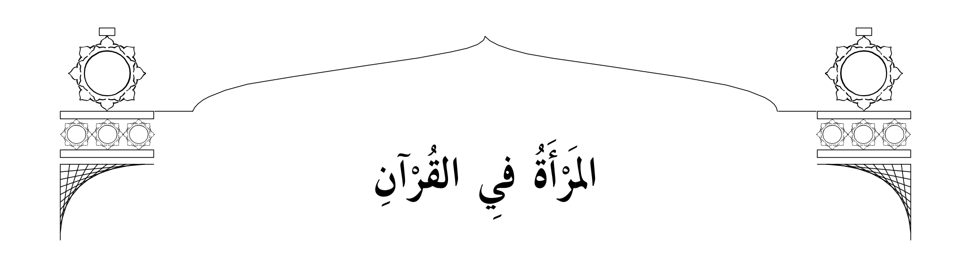
● وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ : مَا عَرَفَ الْعُلَمَاءُ تَأْوِيلَهُ ، وَفَهِمُوا مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرَهُ . وَالْمُتَشَابِهُ : مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ نَحْوُ الْخبَرِ عَنْ وَقْتِ مَخْرَجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَوَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَقِيَامِ السَّاعَةِ ، وَفَنَاءِ الدُّنْيَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا سَمَّى اللَّهُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ الْمُتَشَابِهِ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ الَّتِي فِي أَوَائِلِ بَعْضِ سُوَرِ الْقِرَانِ مِنْ نَحْوِ : " الم ، وَالمص، وَالمر، وَالر " ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُنَّ مُتَشَابِهَاتٌ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَمُوَافِقَاتٌ حُرُوفَ حِسَابِ الْجُمَّلِ " .

● **فالمُلْحِدُون !!** (يَدَعُونَ النُّصُوصَ الْمُحْكَمَةَ الصَّرِيحَةَ الْبَيِّنَةَ الْوَاضِحَةَ الَّتِي لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدًا ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِالْمُتَشَابِهِ الْمُحْتَمَلِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِمْ) .- كما قال

شيخُ الإسلامِ في أشباهِهِمْ - .

● **والمَقْصُودُ** : أنَّ سبيلَ المُلْحدينَ الجاهِلِيْنَ بمَنْأًى ومَعْزِلٍ - تمامًا - عن سبيلِ المُؤْمِنِيْنَ العالِمِيْن ، ولأجلِ ذلك ؛ قال - تَعَالَى - : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . وحذَّرَ النَّبيُّ ﷺ من هؤلاء الزَّائغين ؛ كَمَا فِي " الصَّحِيْحَيْنِ " عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران : ٧] قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ** " .





المَرْأَةُ فِي القُرْآنِ

المَرْأَةُ فِي القُرْآنِ مُكَرَّمةٌ بخلافِ ما يدَّعِيْهِ المُجْرِمُونَ ، والأدلَّةُ متضافِرَةٌ في تأكيْدِ ذلِكَ ، وقَدْ أعطاها الشَّرعُ ما يَتَنَاسَبُ مَعَ فطرتِها وأنوثَتِهَا .

● فَلَمْ يَأْمُرْهَا بالحِجَابِ إلاَّ لأنَّها دُرَّةٌ مصونةٌ ، ولؤلؤةٌ مكنونةٌ .

● وَلَمْ ينْهَهَا عَنِ التَّبَرُّجِ إلا حفاظًا على عرضِهَا وشرَفِهَا .

● وَلَمْ يَأْمُرْهَا بالقَرَارِ فِي البَيْتِ إلا لجَمَالِهَا ، وعظيمِ الوَاجِبِ عليها فِي رِعَايَةِ زَوْجِهَا وأولادِهَا .

● وَلَمْ يَظْلِمِ الإسْلامُ المَرْأةَ فِي حقِّها مِنَ المِيْرَاثِ ؛ بلْ لَهَا فِي بَعْضِ الأحيانِ أكْثَرُ مِنَ الرَّجُلِ ، فابْنَةُ المُتَوَفَّى تَرِثُ النِّصْفَ ؛ أي : أكْثَرَ مِنْ أَبِيْهِ وَأُمِّهِ وأخِيْهِ ؛ كَمَا فِي قَوْلِ اللهِ – تَعَالَى – : ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ﴾ [النساء : ١١] ، وتَتَسَاوَى مع الرَّجُلِ أحيانًا أخرى ؛ في مسألةِ الكلالةِ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِۚ﴾ [النساء : ١٢] ، والأبوان إن ورثا من ولدِهِمَا – إن كان له ولدٌ – ؛ كما في قولِهِ : ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ

مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ﴾ [النساء : ١١] .

● **والحالات التي ترثُ فيها المرأةُ نِصْفَ الرَّجُلِ قليلةٌ لا تتجاوَزُ ثلاثَ حالاتٍ :**

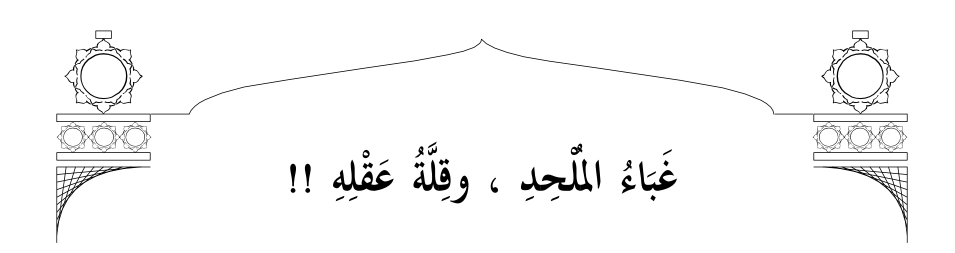
١- قَالَ - تَعَالَى - : ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ [النساء : ١١] . وهؤلاءِ هم أولادُ المتوفَّى ؛ ذكورًا وإناثًا .

٢- وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾ [النساء : ١٢] . وهذا حقُّ الزوجِ في زوجتِهِ - عند الوفاةِ - ، والعَكْسُ .

٣- وَقَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ [النساء : ١١] . فتأخُذُ الأمُّ الثُّلُثَ ، والثُّلُثَانِ الْآخَرَانِ للأَبِ ، إذا لم يكُنْ لولدِهِمَا وَارِثٌ .

فهذهِ القِسْمَةُ قِمَّةُ العَدْلِ ، مع مراعاةِ الأَعْبَاءِ والمَسْئُولِيَّاتِ المَالِيَّةِ التِي يَخْتَصُّ بها الذُّكُورُ دون الإناثِ ؛ مِنَ السَّكنِ والكِسَاءِ والعذاءِ ؛ فهي أكثر بلا شكٍّ من الأعباءِ التي تتحمَّلُهَا المرأةُ ؛ فاعلم حكمةَ الباري ؛ لِذَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ [النساء : ٣٤] .

❁ ❁ ❁



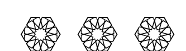
غَبَاءُ المُلْحِدِ ، وقِلَّةُ عَقْلِهِ !!

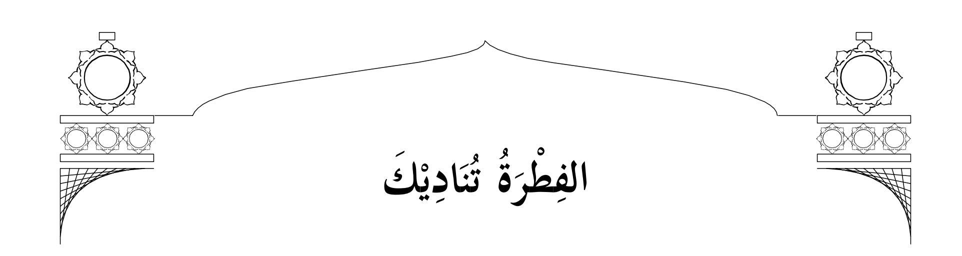
إنَّ أولئك المُلْحِدِيْنَ لَهُمْ أشَدُّ كفرًا ، وأعظَمُ جُرْمًا ، وأكبَرُ خُبْثًا وضَلالًا ، وأكثَرُ حُمْقًا وغباءً من مشركي العربِ عبدةِ الأصنامِ والأوثانِ !! فقد كان المشركون الأوائلُ يُقِرُّونَ بتوحيدِ الربوبيةِ ، وهو إفرادُ اللهِ - تَعَالَى - بالخلقِ والأمرِ والتدبيرِ والرزقِ ؛ كَمَا بَيَّنَ اللهُ - تَعَالَى - هذه الحقيقةَ في قرآنهِ المباركِ في عدة آياتٍ بيناتٍ واضحاتٍ ؛ فقال - تَعَالَى - : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت : ٦١] . وقال - تَعَالَى - : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٣] . وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف : ٩] . وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف : ٤٣] .

ولَكِنْ لِحُمْقِ المُشْرِكِيْنَ وَغَبَائِهِمْ ، وقلَّةِ عقولِهم ، وانْعِدَامِ بَصَائِرِهِمْ ، وانْتِكَاسِ فِطَرِهِمْ ، اتَّخَذُوا وسَائِطَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى ؛ فعبدُوهم مع الله ؛ فكانوا - مِنْ ثَمَّ - مشركينَ ضالِّين ؛ كَمَا قَالَ رَبُّ العَالَمِيْنَ : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي

مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر : ٣ و ٤] .

ولكن مع هذا الغباءِ من المشركين الأُوَلِ ؛ فَإِنَّ هؤلاء المُلْحِدِيْنَ المُنْكِرِيْنَ للإلهِ الحَقِّ ؛ خالقِ السَّمواتِ والأرضِ ، لَهُمْ أعظمُ جُرمًا ، وَأَكْبَرُ فِسْقًا ، وأشدُّ وِزْرًا ، وأفظعُ كفرًا ، وأعظمُ جهلًا ، وأكْثَرُ حُمْقًا ، وَأَخْبَثُ نُفُوسًا، وأَحْقَرُ أفئدةً وعقولًا !!! إِذْ إِنَّهُم لَمْ يَجْعَلُوا لَهُمْ رَبًّا يَهْدِيْهِم ويُرشِدُهُم ويُوَجِّهُهُم ؛ فأيُّ عقولٍ هذهِ التي وصلتْ إلى هذا الحدِّ من الضَّلالِ والسَّفَهِ والظُّلمِ والعِنَادِ والاستكبارِ ؟!! (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) ، (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) ، (إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) .





الفِطْرَةُ تُنادِيْكَ

إنَّ الإِنْسَانَ مَفْطُورٌ مُنْذُ البِدَايَةِ عَلَى الإقرارِ بالخَالقِ - تَبَارَكَ وتَعَالَى - ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] ، وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعرافُ : ١٧٢] .

ولَكِنَّ الإنْسَانَ المَغْرُورَ ! يكتمُ هذه الحقيقةَ ، ويجحَدُهَا ؛ كبرًا ، وعنادًا ، وظلمًا ، وعلوًّا ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - في عَلْيَائِهِ : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمْلُ : ١٤] ، وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العادياتُ : ٦][1] .

---

(١) يَقُولُ وِلسُونْ : " السَّاعَةُ الثَّانيةُ فجْرًا أَنْهَيْتُ مقالًا أنْكَرْتُ فِيْهِ وُجُودَ اللهِ ، وحِيْنَ ذَهَبْتُ لأَنَامَ لَمْ أَسْتَطِعْ إِطْفَاءَ النُّورِ ؛ خَوْفًا مما سيَفْعَلُهُ اللهُ بي " !! .

● **قُلْتُ** : ولقَدَ تَوَصَّل عددٌ مِنَ الباحثِيْنَ في العَصْرِ الحَدِيْثِ عَبْرَ دِرَاسَةٍ عِلْميَّةٍ إِلَى أنَّ الملْحِدَ يَقُوْلُ عكسَ مَا في قَلْبِهِ ، وقَدْ أَسْفَرَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى أنَّ مَوَاقِفَ المَلْحِدِيْن تِجَاهَ (اللهِ) متناقِضَةٌ ؛ فَهُمْ يَعِيْشُون في صِراعٍ بيْنَ مَا يعتَقِدُون بِهِ وبيْنَ مَا في دَاخِلِهِم . . وفي هذه الدِّرَاسَةِ وَجَدَ البَاحثونَ أنَّ كلمةَ (اللهِ) لها تأثيرٌ مخيفٌ أو مُرعبٌ عَلَى الملْحِدِ ، وأثبتَتْ كذلكَ أنَّ ذكرَ اللهِ - تَعَالَى - أَمَامَ المَلْحِدِ يثيرُ الخوْفَ والاشْمِئْزَازَ في داخلهِ ، =

. . . .

= ولو أخْفَى ذَلَك وصَرَّحَ بأَنَّهُ لا يتأَثَّرُ ولا يعْتَرِفُ بالخالقِ - تَعَالَى - ؛ كَمَا أَكَّدَتْ هذهِ الدِّراسَةِ أنَّ الإلحَادَ يُوَلِّدُ الاضطرابَ ! وهَذا مَا أَكَّدَهُ القرآنُ الكريمُ . . فإنَّ الآياتِ القرآنيةَ تؤكِّدُ أنَّ المُلْحِدَ يُعَانِي مِنْ اضطراباتٍ نفسِيَّةٍ عميقةٍ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق : ٥] . . وتؤكِّدُ أَنَّ الملْحِدَ يجْحَدُ وُجُودَ الخَالقِ ، ولَكِنَّهُ (في الوقتِ نفسِهِ) مُوقِنٌ بوجُودِ اللهِ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النَّمْلُ : ١٤] . . وأنَّ الملْحِدَ يَشْمَئِزُّ وَيَضْطَّرِبُ أكثَرَ كَلَّمَا ذُكِرَ اسْمُ (اللهِ) أمَامَهُ ، ولِذَلِكَ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزُّمر : ٤٥] . . والسُّؤالُ : أَلَيْسَ هَذَا مَا أَثْبَتَهُ العُلُمَاءُ مِنْ خِلالِ دِرَاستِهِمْ الأَخِيْرَةِ ؟

إذنْ ؛ القُرْآنُ أخْبَرَ عَنْ حقيقةِ الحَالةِ النَّفْسِيَّةِ التي يعيشُهَا الملْحِدَ من اضطراباتٍ وصراعٍ نفسيٍّ . . . وذلِكَ قَبْلَ أنْ يَكْتَشِفَهَا العلمَاءُ بِقُرونٍ طَوِيْلَةٍ . . . فسبْحَانَ اللهِ !

المراجع : (Emotional Reactions of Atheists May Reveal Echoes of Belief، ٢٠١٣، International Journal for the Psychology of Religion، http ://www.psmag.com/blogs/blog-news/emotional-reactions-of-atheists-reveal-echoes-of-belief-٥٦٣٩٥/

http ://en.wikipedia.org/wiki/Religion_in_Finland

http ://www.tandfonline.com/doi/abs/١٠,١٠٨٠/١٠٥٠٨٦١٩,٢٠١٣,٧٧١٩٩١#.UqBnVvsWrHt ، موقع الكحيل للاعجاز العلمي ، حقائق جديدة في إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرةأسفل النموذج ، مقالٌ بعنوان : (مفاجأة : الملحد يخاف الله!!) . بقلم عبد الدائم الكحيل .

لكنَّه - هو نَفْسُهُ - حينَ تَشْتَدُّ بِهِ الأَزَمَاتُ ، وتُحِيطُ بِهِ الأهوالُ والمُدْلَهِمَّاتُ ، لا يسمعُ إلا نداءَ الفطرةِ ، وصَوْتَ الحَقِّ ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - عَنْهُمْ - : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت : ٦٥ و ٦٦] .

● وقال : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان : ٣٢] .

● وقال : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس : ٢٢ و ٢٣] .

● وَقَالَ : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء : ٦٧] .

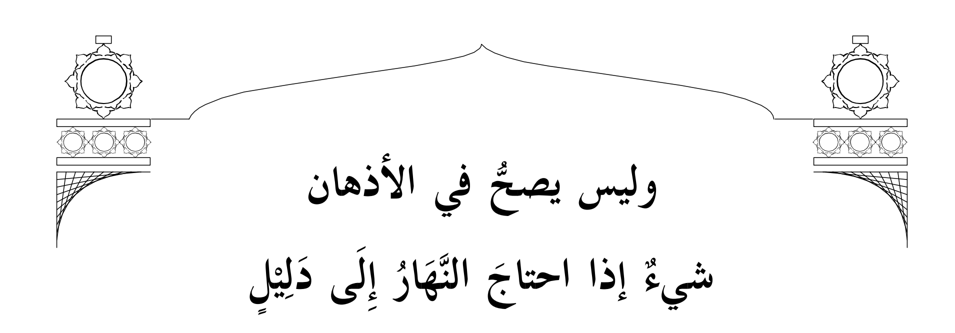
● **وَقَالَ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ فِي " التَّفْسِيرِ " :**

" الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام : ٤١] يَقُولُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - مُكَذِّبًا لِهَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِهِ الْأَوْثَانَ : مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ

بِمُسْتَجِيرِينَ بِشَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ فِي حَالِ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِكُمْ مِنْ آلِهَةٍ وَوَثَنٍ وَصَنَمٍ ؛ بَلْ تَدْعُونَ هُنَاكَ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَبِهِ تَسْتَغِيثُونَ وَإِلَيْهِ تَفْزَعُونَ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام : ٤١] يَقُولُ : فَيُفَرِّجُ عَنْكُمْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ ، وَتَضَرُّعِكُمْ إِلَيْهِ عَظِيمَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ بِكُمْ إِنْ شَاءَ أَنْ يُفَرِّجَ ذَلِكَ عَنْكُمْ ؛ لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ مَا تَدْعُونَهُ إِلَهًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٤١] يَقُولُ : وَتَنْسَوْنَ حِينَ يَأْتِيكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا مَا تُشْرِكُونَهُ مَعَ اللَّهِ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ فَتَجْعَلُونَهُ لَهُ نِدًّا مِنْ وَثَنٍ وَصَنَمٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ وَتَدْعُونَهُ إِلَهًا !! " .

○ **وَمِنَ اللَّطَائِفِ (البَدِيْعَةِ)** : أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَالَ لِبَعْضِ الأَئِمَّةِ : أَثْبِتْ لِي وُجُودَ اللهِ تَعَالَى ؛ فقال له : هل ركِبْتَ البَحْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فهلْ عَصَفَتِ الرِّيْحُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فهلْ أَشْرَفَتْ بِكَ السَّفِيْنَةُ عَلَى الغَرَقِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ يَئِسْتَ مِنْ نَفْعِ مَنْ فِي السَّفينةِ ونحْوِهِمْ مِنَ المخْلُوقينَ لكَ وإنجائِهِم ممَّا أنتَ فيه إيَّاك ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فهل بقي قلبُك متعلقًا بشيءٍ غيرِ أولئكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ذلك هو اللهُ ﷻ ؛ فاستحْسَنَ ذلك . (" روح المعاني " للألوسيِّ) .

❁ ❁ ❁



وليس يصحُّ في الأذهان
شيءٌ إذا احتاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيْلٍ

فالأدلة ظاهرةٌ وشاهدةٌ على وجود إلهٍ حقٍّ ، خالقٍ للوجُودِ ؛ كما أنَّ الشَّمسَ لا يستطيعُ عاقلٌ إنكارَها عنْدَ سُطُوعِهَا وبُروزِهَا .

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ هَذَا الذِي نَرَاهُ (كلَّه) من آياتٍ باهراتٍ ، وَحُجَجٍ ساطعاتٍ ، في السَّمَاءِ والأَرْضِ ، وفي الإنسانِ والحَيَوانِ ، وفي النَّبَات والجَمَادِ ، وُجِدَ من غيرِ صانعٍ ، ومِنْ غيرِ خالقٍ ؟!!

هَلْ يَسْتَسِيْغُ العقلُ السَّليمُ أنْ يعتقدَ أنَّ هناكَ صَنْعةً بغيرِ صَانعٍ ؟ أو : فِعْلًا من غيرِ فاعلٍ ؟!!

هَلْ يَسُوغُ للعقلِ السويِّ أنْ يعتقدَ أنَّ الحياةَ وَجَدتْ نفْسَها بنَفْسِهَا ؟! أو : وُجِدتْ صُدْفةً ؟!! كَيْفَ ذلكَ ؟! ومتى ذلك ؟!!

أَهَذِهِ المَخْلُوقَاتُ العَجِيْبَةُ ، والآيات الباهرةُ العظِيمةُ هي التي أوجدتْ نفسها ؟!!

أَهَذَا الإِنْسَانُ بهذا القوامِ العجيبِ هو الذي أوجدَ نَفْسَهُ ؟!

أَهَذِهِ اللآلىءُ والجواهرُ والدُّررُ وُجِدَتْ صُدْفةً بدونِ مُوجِدٍ لها ؟!!

كيفَ تُمْلِي الفطرُ السَّليمةُ ذَلِكَ عَلَى أصحابها ؟!! وكيفَ يقتنعُ

العقلُ السويُّ بمثلِ هذه السَّفاهاتِ والحَمَاقَاتِ ؟!!

هل تَتَّفِقُ مَعِي (أَيُّهَا العَاقِلُ) أنَّ أصحابَ هذه الآراءِ والأفكارِ قد انْتَكَسَتْ فِطَرُهم ، وارتكَسَتْ قُلُوبُهم ، وضَلَّت عُقُولُهُم ؟

إنَّ أصحابَ الفطرِ المستقيمةِ لترفضُ كلَّ هذه الأسقامِ والأمراضِ بقوةٍ وحَزْمٍ ، ولا تقبلُ مثلَ هذهِ التُّرهاتِ والشُّكوكِ لحظَةً واحدةً .

● **يَقُولُ العَلاَّمَةُ ابْنُ القيمِ في " المَدَارِجِ "** : " وَتَأَمَّلْ حَالَ الْعَالَمِ كُلِّهِ ، عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ ، بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ : تَجِدُهُ شَاهِدًا بِإِثْبَاتِ صَانِعِهِ وَفَاطِرِهِ وَمَلِيكِهِ ؛ فَإِنْكَارُ صَانِعِهِ وَجَحْدُهُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ بِمَنْزِلَةِ إِنْكَارِ الْعِلْمِ وَجَحْدِهِ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ؛ بَلْ دِلَالَةُ الْخَالِقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ ، وَالْفَعَّالِ عَلَى الْفِعْلِ ، وَالصَّانِعِ عَلَى أَحْوَالِ الْمَصْنُوعِ عِنْدَ الْعُقُولِ الزَّكِيَّةِ الْمُشْرِقَةِ الْعُلْوِيَّةِ ، وَالْفِطَرِ الصَّحِيحَةِ أَظْهَرُ مِنَ الْعَكْسِ .

فَالْعَارِفُونَ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ يَسْتَدِلُّونَ بِاللَّهِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَصُنْعِهِ ، إِذَا اسْتَدَلَّ النَّاسُ بِصُنْعِهِ وَأَفْعَالِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمَا طَرِيقَانِ صَحِيحَانِ ، كُلٌّ مِنْهُمَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِمَا.

فَأَمَّا الِاسْتِدْلَالُ بِالصَّنْعَةِ ؛ فَكَثِيرٌ ، وَأَمَّا الِاسْتِدْلَالُ بِالصَّانِعِ ؛ فَلَهُ شَأْنٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ بِقَوْلِهِمْ لِأُمَمِهِمْ : ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم : ١٠] ؛ أَيْ : أَيُشَكُّ فِي اللَّهِ حَتَّى يُطْلَبَ إِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى وُجُودِهِ ؟ وَأَيُّ دَلِيلٍ أَصَحُّ وَأَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْمَدْلُولِ ؟ فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَظْهَرِ بِالْأَخْفَى ؟ ثُمَّ نَبَّهُوا عَلَى الدَّلِيلِ بِقَوْلِهِمْ : ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ : كَيْفَ يُطْلَبُ الدَّلِيلُ عَلَى مَنْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ[١] ؟ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ تَعَالَى أَظْهَرُ لِلْعُقُولِ وَالْفِطَرِ مِنْ وُجُودِ النَّهَارِ ، وَمَنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ فَلْيَتَّهِمْهُمَا.

وَإِذَا بَطَلَ قَوْلُ هَؤُلَاءِ بَطَلَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ ، الْقَائِلِينَ بِ : (وَحْدَةِ الْوُجُودِ ، وَأَنَّهُ مَا ثَمَّ وُجُودٌ قَدِيمٌ خَالِقٌ وَوُجُودٌ حَادِثٌ مَخْلُوقٌ ؛ بَلْ وُجُودُ هَذَا الْعَالَمِ هُوَ عَيْنُ وُجُودِ اللَّهِ ، وَهُوَ حَقِيقَةُ وُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ !!) ؛ فَلَيْسَ عِنْدَ الْقَوْمِ رَبٌّ وَعَبْدٌ ، وَلَا مَالِكٌ وَمَمْلُوكٌ ، وَلَا رَاحِمٌ وَمَرْحُومٌ ، وَلَا عَابِدٌ وَمَعْبُودٌ ، وَلَا مُسْتَعِينٌ وَمُسْتَعَانٌ بِهِ ، وَلَا هَادٍ وَلَا مَهْدِيٌّ ، وَلَا مُنْعِمٌ وَلَا مُنْعَمٌ عَلَيْهِ ، وَلَا غَضْبَانُ وَمَغْضُوبٌ عَلَيْهِ ؛ بَلِ الرَّبُّ هُوَ نَفْسُ الْعَبْدِ وَحَقِيقَتُهُ ، وَالْمَالِكُ هُوَ عَيْنُ الْمَمْلُوكِ ، وَالرَّاحِمُ هُوَ عَيْنُ الْمَرْحُومِ ، وَالْعَابِدُ هُوَ نَفْسُ الْمَعْبُودِ ، وَإِنَّمَا التَّغَايُرُ أَمْرٌ اعْتِبَارِيٌّ بِحَسَبِ مَظَاهِرِ الذَّاتِ وَتَجَلِّيَّاتِهَا ، فَتَظْهَرُ تَارَةً فِي صُورَةِ مَعْبُودٍ ، كَمَا ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ فِرْعَوْنَ ، وَفِي صُورَةِ عَبْدٍ ، كَمَا ظَهَرَتْ فِي صُورَةِ الْعَبِيدِ ، وَفِي صُورَةِ هَادٍ ، كَمَا فِي صُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَالْكُلُّ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ ؛ بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ ، فَحَقِيقَةُ الْعَابِدِ وَوُجُودُهُ أَوْ

---

(١) كَلِمَاتٌ قَوِيَّةٌ مِنْ هَذَا البَحْرِ الحَبْرِ ، حَقًّا ، كَيْفَ تَبْحَثُ عَنْ دَلِيلٍ عَلَى مَنْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى كلِّ شيءٍ ؟!!

أَنِّيَّتُهُ : هِيَ حَقِيقَةُ الْمَعْبُودِ وَوُجُودُهُ وأَنِّيَّتُه .

وَالْفَاتِحَةُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخرِهَا تُبَيِّنُ بُطْلَانَ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةِ وَضَلَالَهُمْ " . انتهى .

● **ويَقُولُ فِي " مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ "** :

" وَلِهَذَا خَاطَبَ الرُّسُلُ أُمَّتَهُمْ مُخَاطَبَةَ مَنْ لَا شَكَّ عِنْدَهُ فِي اللهِ ، وَإِنَّمَا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا إِلَى الإِقْرَارِ بِهِ ؛ فَقَالَتْ لَهُم : ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١٠] ؛ فَوُجُودُهُ سُبْحَانَهُ ورُبُوبِيَّتُهُ وَقُدْرَتُهُ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى الإِطْلَاقِ ؛ فَهُوَ أَظْهَرُ للبَصَائِرِ مِنْ الشَّمْسِ للأَبْصَارِ ، وأَبْيَنُ للعُقُولِ مِنْ كُلِّ مَا تَعْقِلُهُ ، وتُقِرُّ بوجُودِهِ ؛ فَمَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ وفِطْرَتِهِ ، وَكُلُّهَا تُكَذِّبُهُ " .

● **وعَلَيْهِ** : " فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ (السُّفْلِيَّةِ وَالْعُلْوِيَّةِ) ، وَاخْتِلَاف أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطِبَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا ، وَوَضْعِهَا فِي مَوَاضِعِ النَّفْعِ بِهَا مُحْكَمَةً ، عَلِمَ قُدْرَةَ خَالِقِهَا وَحِكْمَتَهُ وَعِلْمَهُ وَإِتْقَانَهُ وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ الأَعْرَابِ ، وَقَدْ سُئِلَ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْبَعْرَةَ لَتَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ ، وَإِنَّ أَثَرَ الأَقْدَامِ لَتَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ ؛ فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ ؟ أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى وُجُودِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ؟

● **وَحَكَى فَخْرُ الدِّينِ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ** : أَنَّ الرَّشِيدَ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَاسْتَدَلَّ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالأَصْوَاتِ وَالنَّغَمَاتِ .

● **وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ** : أَنَّ بَعْضَ الزَّنَادِقَةِ سَأَلُوهُ عَنْ وُجُودِ الْبَارِي تَعَالَى ؛ فَقَالَ لَهُمْ : دَعُونِي ؛ فَإِنِّي مُفَكِّرٌ فِي أَمْرٍ ! قَدْ أُخْبِرْتُ عَنْهُ ذَكَرُوا لِي أَنَّ سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ مُوقَرَةٌ ، فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْمَتَاجِرِ ، وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ يَحْرُسُهَا وَلَا يَسُوقُهَا ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ ، وَتَسِيرُ بِنَفْسِهَا ، وَتَخْتَرِقُ الْأَمْوَاجَ الْعِظَامَ ؛ حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنْهَا ، وَتَسِيرَ حَيْثُ شَاءَتْ بِنَفْسِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسُوقَهَا أَحَدٌ !! فَقَالُوا : هَذَا شَيْءٌ لَا يَقُولُهُ (عَاقِلٌ) ؛ فَقَالَ : وَيْحَكُمْ !! هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَالَمِ (الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ) ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُحْكَمَةِ ، لَيْسَ لَهَا صَانِعٌ ؟!! فَبُهِتَ الْقَوْمُ ، وَرَجَعُوا إِلَى الْحَقِّ ، وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدَيْهِ .

● **وَعَنِ الشَّافِعِيِّ** : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ وُجُودِ الصَّانِعِ[1] ؛ فَقَالَ : هَذَا وَرَقُ التُّوتِ ، طَعْمُهُ وَاحِدٌ ، تَأْكُلُهُ الدُّودُ ؛ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْإِبْرَيْسَمُ[2] ، وَتَأْكُلُهُ النَّحْلُ ؛ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْعَسَلُ ، وَتَأْكُلُهُ الشَّاةُ وَالْبَعِيرُ وَالْأَنْعَامُ ؛ فَتُلْقِيهِ بَعْرًا وَرَوْثًا[3] ، وَتَأْكُلُهُ الظِّبَاءُ ؛ فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْمِسْكُ ، وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ .

● **وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ** : هَاهُنَا حِصْنٌ حَصِينٌ أَمْلَسُ ، لَيْسَ له بابٌ وَلَا مَنْفَذٌ، ظَاهِرُهُ كَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ ،

---

(١) تقدَّم التنبيهُ على أنَّ اسم الصانع ليس من أسماء اللهِ ، وإنما هو من باب الإخبارِ .

(٢) أي : الحرير .

(٣) أي : العذرة أو الرَّجيع .

وَبَاطِنُهُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ[١] ؛ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذِ انْصَدَعَ جِدَارُهُ ؛ فَخَرَجَ مِنْهُ حَيَوَانٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، ذُو شَكْلٍ حَسَنٍ وَصَوْتٍ مَلِيحٍ . - يَعْنِي بِذَلِكَ : الْبَيْضَةَ ، إِذَا خَرَجَ مِنْهَا الدَّجَاجَةُ - .

● وَسُئِلَ أَبُو نُوَاسٍ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَأَنْشَدَ :

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ[٢] شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ[٣] هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ[٤] شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

● وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

● وَقَالَ آخَرُونَ : مَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ الْمُنِيرَةِ مِنَ السَّيَّارَةِ وَمِنَ الثَّوَابِتِ ، وَشَاهَدَهَا كَيْفَ تَدُورُ مَعَ الْفَلَكِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دُوَيْرَةٌ ، وَلَهَا فِي أَنْفُسِهَا سَيْرٌ يَخُصُّهَا ، وَنَظَرَ إِلَى الْبِحَارِ الْمُلْتَفَّةِ لِلْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَالْجِبَالِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْأَرْضِ؛ لِتَقَرَّ ، وَيَسْكُنَ سَاكِنُوهَا ، مَعَ اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا ؛

---

(١) أي : خالص الذهب .

(٢) أي : فضة .

(٣) جمع : حَدَقَةٍ ، وهي السَّواد المستدير وسط العين .

(٤) حجرٌ كريمٌ يشبه الزُّمُرُّد ، تَشِعُّ منه ألوانٌ كثِيْرَةٌ ، الأخضر ، والأصفر .

كَمَا قَالَ : ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر : ٢٧ و ٢٨] ، وَكَذَلِك هَذِهِ الْأَنْهَارُ السَّارِحَةُ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، وما ذرأ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَالنَّبَاتِ الْمُخْتَلِفِ الطُّعُوم ، وَالْأَرَايِيحِ ، وَالْأَشْكَالِ ، وَالْأَلْوَانِ ، مَعَ اتِّحَادِ طَبِيعَةِ التُّرْبَةِ وَالْمَاءِ ، عَلِمَ وُجُودَ الصَّانِعِ ، وَقُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ وَحِكْمَتَهُ ، وَرَحْمَتَهُ بِخَلْقِهِ ، وَلُطْفَهُ بِهِمْ ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، وَبِرَّهُ بِهِمْ ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ، وَالْآيَاتُ فِي الْقُرْآنِ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ كَثِيرَةٌ جِدًّا . (" تفسيرُ الحافظِ ابنِ كثيرٍ ") .

● قَالَ – تَعَالَى – : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ[1] يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّعْدُ : ٢- ٤] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ

(١) جَمْعُ صِنْوٍ ، وَهِيَ النَّخْلَتانِ أَوِ النَّخَلاتُ يشْتَرِكْنَ أَو يَجْمَعُهُنَّ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَغَيْرُ صِنْوَانٍ : النَّخِيْلُ الْمُتَفَرِّقُ ؛ فَكُلُّ نَخْلَةٍ تَقُومُ وَحْدَهَا .

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل : ٥٩ – ٦٤] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص : ٧١– ٧٣] .

● ويقولُ – تَعالَى – : ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ

﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم : ١٧ – ٢٧] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس : ٣٣- ٤٠] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصِّلَت : ٣٩] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورى : ٢٨- ٣٣] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية : ٣- ٥] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات : ٢٠ – ٢٣] .

● ويَقُولُ : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [النجم : ٤٢ – ٥٥] .

● ويَقُولُ – تَعَالَى – : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النبأ : ٦- ١٧] .

● ويَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية : ١٧- ٢٦] .

✧ **أَيُّـهَا النَّاسُ ؛ اجْتَمِعُوا وَاسْتَمِعُوا ، وَاحْفَظُوا وَعُوا** ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، بِحَارٌ تَزْخَرُ ، وَنُجُومٌ تُزْهِرُ ، وَمَطَرٌ وَنَبَاتٌ ، وَآبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ ، وَذَاهِبٌ وَآتٍ، وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ ، وَبِرٌّ وَآثَامٌ ، لِبَاسٌ وَمَرْكَبٌ ، وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبَرًا، مِهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، وَنُجُومٌ تَمُورُ ، وَبِحَارٌ لَا تَغُورُ ، وَجِبَالٌ مُرْسَاةٌ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ . أَرَى النَّاسَ يَمُرُّونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرَضُوا بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا ؟

فِي الـذَّاهِـبِـينَ الْأَوَّلِـيـ ... ـنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْـتُ مَـوَارِدًا ... لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْـتُ قَـوْمِـيَ نَـحْـوَهَـا ... تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرْ
لَا يَـرْجِـعُ الْمَاضِـي إِلَـيَّ ... وَلَا مِـنَ الْـبَـاقِـينَ غَـابِـرْ
أَيْقَـنْـتُ أَنِّـي لَا مَـحَـالَـةَ ... حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ
أَيْقَـنْـتُ أَنِّـي لَا مَـحَـالَـةَ ... حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ[1]

---

(١) هذه خطبةٌ معروفةٌ مشهورةٌ لقسِّ بنِ ساعدةَ الإيادي - وكان على دينٍ =

ولله دَرُّ القَائِلِ :

بك أستجيرُ فمن يجيرُ سِوَاكا ... فأجِرْ ضعيفًا يَحْتَمِي بِحَمَاكا
إِنِّي ضعيفٌ أستعينُ على قِوى ... ذَنْبي ومَعْصِيتي بفيضِ قِوَاكا
أذنبتُ يا ربي وآذتْني ذنوبٌ ... مَا لَها من غافرٍ إلَّا كَا
دنْيَايَ غَرَّتني وعفوُك غَرَّني ... واحَيْرَتي في هذه أو ذاكَا
يا مدرِكَ الأبصارِ والأبصارُ لا ... تَدْري له ولكُنهِهِ إدرَاكا
إن لم تكنْ عَيْنِي تَرَاك فإنني ... في كلِّ شيءٍ أستبينُ عُلاكا
يا منبتَ الأزهارِ عاطرةَ الشَّذَا ... هذا الشَّذَا الفوَّاحُ نفحُ شَذَاكا
ربَّاهُ ها أنا ذا خَلُصْتُ من الهَوى ... واستقبلَ القلبُ الخليُّ هَوَاكا
وتركْتُ أُنْسِي بالحياةِ ولهوِها ... ولقيتُ كلَّ الأنسِ في نَجْواكا

= إبراهيم ﷺ قبل البعثةِ - ، ولهذه الخطبةِ طرقٌ كثيرةٌ غيرُ قائمةٍ ، لا تَخْلُو مِنْ ضَعْفٍ وَوَهَاءٍ ، مما حَدَا بِعَدَدٍ مِنَ المحدِّثينَ أنْ يضَعِّفُوهَا ؛ كابنِ الجَوْزِيِّ ، وابنِ حَجَرٍ ، ولكنْ ذهبَ آخرون إلى تقويتِهَا ، واعتبارِ أنَّ للقصَّةِ أصلًا بهذه الطرقِ ؛ **فقد قال البيهقيُّ في " الدلائلِ "** : " وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرٍ ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، مُنْقَطِعًا ، وَرُوِيَ مُخْتَصَرًا مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَإِذَا رُوِيَ حَدِيثٌ مِنْ أَوْجُهٍ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا ضَعِيفًا ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْحَدِيثِ أَصْلًا ، واللهُ أَعْلَمُ " .

وقالَ ابنُ كثيرٍ في " البدايةِ " : " وَأَصْلُهُ مَشْهُورٌ، وَهَذِهِ الطُّرُقُ عَلَى ضَعْفِهَا كَالْمُتَعَاضِدَةِ عَلَى إِثْبَاتِ أَصْلِ الْقِصَّةِ " .

● **قُلْتُ** : وَالمَتْنُ حَسَنٌ رَائِقٌ ، لا بَأْسَ بِذِكْرِهِ وحِكَايَتِهِ ، وإنْ كانتِ الأسانيدُ كَمَا وصَفْتُ .

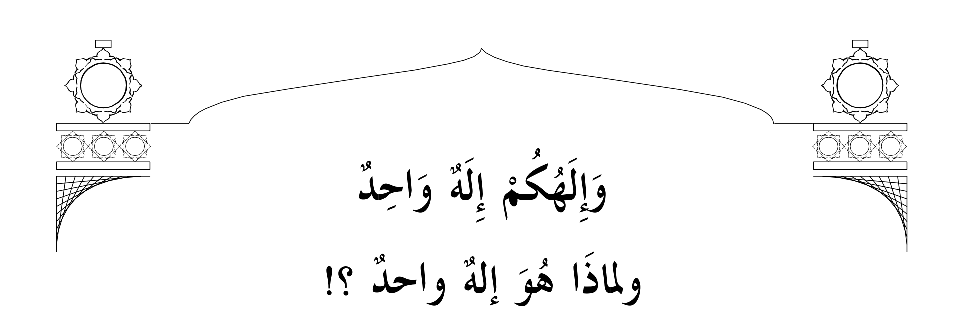
ونسيتُ حُبِّي واعتزلتُ أحِبَّتي ... ونسيتُ نَفْسي خوفَ أن أنسَاكا
أنا كنتُ يا ربي أسيرَ غِشاوةٍ ... رانَتْ على قَلْبِي فَضَلَّ سَنَاكا
واليومَ يا ربِّي مَسَحْتُ غِشَاوتي ... وبدأتُ بالقَلْبِ البَصِيْرِ أَرَاكَا
يا غَافِرَ الذنبِ العظيمِ وقابلًا ... للتَّوبِ قَلْبٌ تَائِبٌ نَاجَاكَا
يا ربِّ جئتُك ثاويًا أبْكِي على ... ما قَدَّمَتْه يَدَايَ لا أَتَباكَى
أخشَى من العَرْضِ الرهيبِ عليك يا ... ربي وأخْشَى منك إذ ألقَاكا
يا ربِّ عدتُ إلى رِحَابِك تائبًا ... مُسْتَسْلمًا مسْتَمْسِكًا بعُراكا
ما لي وما للأغنياءِ وأنت يا ... رَبِّي الغنيُّ ولا يُحَدُّ غِنَاكا
ما لي وما للأقوياءِ وأنت يا ... ربي عظيمُ الشَّأنِ ما أقْوَاكا
إني أويْتُ لكل مأوًى في الحياةِ ... فما رأيتُ أعزَّ مِنْ مَاواكا
وتلمسَتْ نفسي السبيلَ إلى النَّجَاةِ ... فلم تجدْ منجًى سِوَ ى مَنْجَاكا
وبحثتُ عن سِرِّ السعادةِ جاهدًا ... فوجدتُ هذا السرَّ في تَقْوَاكا
فليرضَ عنِّي الناسُ أو فليسْخَطوا ... أنا لم أعُدْ أسْعَى لغيرِ رِضَاكا
أدعوك يا ربي لتغْفِرَ حَوْبَتي ... وتُعَينَني وتمدَّني بهُدَاكا
فاقْبَلْ دعائي واسْتَجِبْ لرجَاوَتي ... ما خابَ يومًا من دَعَا ورجَاكا
يا ربّ هذا العصرُ ألحدَ عندما ... سخَّرتَ يا ربِّي له دُنياكا
ما كاد يُطْلِقُ للعُلا صاروخَه ... حتى أشاحَ بوجِهه وقَلَاكا
أَوَ مَا دَرَى الإنسانُ أن جميعَ ما ... وصَلَتْ إليه يَدَاه من نُعْمَاكا
يا أيُّها الإنسانُ مهلًا واتَّئدْ ... واشكُر لربِّك فضلَ ما أوْلَاكا
أفإنْ هَدَاك بعِلْمِه لعَجِيبةٍ ... تَزْوَرُّ عنه ويَنْثَنِي عِطْفَاكا
قلْ للطبيبِ تخطَّفَتْه يدُ الرَّدَى ... يا شَافِي الأمْراضِ من أردَاكا؟

قلْ للمريضِ نَجَا وعُوفِي بعدَما عَجَزَتْ فنونُ الطِبِّ، من عَافَاكا؟
قل للصحيحِ يموتُ لا من علةٍ من بالمنايا يا صحيحُ دَهَاكا؟
قلْ للجنينِ يعيشُ معزولًا بلا راعٍ ومرعًى ما الذي يَرْعَاكا؟
قل للوليدِ بكَى وأجهَشَ بالبُكَا عند الولادةِ ما الذي أبكَاكا؟
وإذا تَرَى الثُّعبانَ ينفُثُ سُمَّهُ فاسألْه مَن ذا بالسُّمومِ حَشَاكا؟
واسألْه كيف تعيشُ يا ثعبانُ أو تَحْيَا وهذا السُّمُّ يملأُ فَاكا؟
واسأل بطونَ النحلِ كيفَ تَقَاطَرَتْ شَهْدًا وقل للشَّهْدِ من حَلَّاكا؟
بل سَائِلْ اللبنَ المصَفَّى كان بيـ ـن دمٍ وفَرْثٍ ما الذي صَفَّاكا؟
وإذا رأيتَ الحيَّ يخرجُ مِن ثَنَايا مَيِّتٍ فاسْأَلْه من أحْيَاكا؟
قلْ للهَوَاءِ تحسُّه الأيدي ويخـ ـفى عن عيونِ الناسِ من أخْفَاكا؟
وإذا رأيتَ البدَر يَسْري ناشرًا أنوارَه فاسأَلْه من أسْرَاكا؟
وإذا رأيتَ النخْلَ مشقوقَ النَّوَى فَاسْأَله مَن يا نخلُ شقَّ نَوَاكا؟
وإذا رأيتَ النارَ شبَّ لهيبُها فَاسْأَل لهيبَ النارِ من أورَاكا؟
وإذا ترى الجبلَ الأشَمَّ مناطِحًا قِمَمَ السَّحَاب فَسَلْه من أرسَاكا؟
وإذا تَرى صَخْرًا تفجَّر بالمياهِ فَسَلْه مِن بالماءِ شَقَّ صَفَاكا؟
وإذا رأيتَ النهرَ بالعذبِ الزُّلالِ جَرَى فسَلْه مَن الذي أجْرَاكا؟
وإذا رأيتَ البحرَ بالملحِ الأُجَاجِ طَغَى فسَلْه من الذي أطْغَاكا؟
وإذا رأيتَ الليلَ يغْشَى داجِيًا فاسْأَلْه مَن يا ليلُ حَاكَ دُجَاكا؟
وإذا رأيت الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا فاسأله مَن يا صبحُ صاغَ ضُحَاكا؟
هذي العجائِبُ طالما أَخَذَتْ بها عيناكَ وانفَتَحَتْ بها أُذنَاكا
واللهُ في كلِّ العَجَائِبِ مبدعٌ إن لم تكُنْ لِتراهُ فهو يَرَاكا

يا أيُّها الإنسانُ مهلًا مالذي	باللهِ جَلّ جَلَالُه أغْرَاكا
فاسجُدْ لمَوْلاك القديرِ فإنَّما	لا بدَّ يومًا تَنْتَهي دنياكا
وتكونُ في يومِ القيامةِ ماثلًا	تُجْزَى بما قَدْ قدَّمَتْه يَدَاكا[١]

❁ ❁ ❁

(١) هذه الأبياتُ – البَدِيْعَةُ – للشَّاعِرِ السُّودَانِيِّ إبْرَاهِيْم بدِيْوِي .
انْظُرْ : (" تَعْظِيْمَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ تأمُّلاتٌ وقَصَائِدُ ") (ص : ٢٤٤) .



وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ
ولماذَا هُوَ إلهٌ واحدٌ ؟!

وَالجَوَابُ – مُبَاشَرَةً – فِي قَوْلِ اللهِ – تَعَالَى – : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ : ٩١] . وهَذَا يُسَمِّيْهِ العُلَمَاءُ بِدَلِيْلِ التَّمَانُعِ ؛ أي : امْتِنَاعُ أَنْ يَكُونَ مَعَ اللهِ إلهٌ آخرُ ، وامْتِنَاعُ صُدورِ العَالَمِ وحُدُوثِهِ عَنِ اثْنَيْنِ [١] .

---

(١) " وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ صَانِعَانِ فَصَاعِدًا ؛ فَأَرَادَ وَاحِدٌ تَحْرِيكَ جِسْمٍ ، وَأَرَادَ الْآخَرُ سُكُونَهُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ مُرَادُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَانَا عَاجِزَيْنِ ، وَالْوَاجِبُ : لَا يَكُونُ عَاجِزًا ، وَيَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُ مُرَادَيْهِمَا : لِلتَّضَادِّ . وَمَا جَاءَ هَذَا الْمُحَالُ إِلَّا مِنْ فَرْضِ التَّعَدُّدِ ، فَيَكُونُ مُحَالًا ؛ فَأَمَّا إِنْ حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ ، كَانَ الْغَالِبُ هُوَ الْوَاجِبُ ، وَالْآخَرُ الْمَغْلُوبُ مُمْكِنًا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِصِفَةِ الْوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ مَقْهُورًا " . قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ – وهُوَ يحْكِي مَعْنى ذَلِكَ عِنْدَ المتكَلِّمِيْنَ – . " تفسير ابن كثير " (٥ / ٤٩١) .

● **قَالَ العَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ في "تَفْسِيْرِهِ"** : " فَدَلَّ ذَلِكَ ، عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ وَاحِدٌ ، وَرَبَّهُ وَاحِدٌ ، وإلهَهُ وَاحِدٌ ؛ فَلَوْ كَانَ لَهُ مُدَبِّرَانِ وربَّان أو أكثرُ من ذلك ؛ لاختلَّ نظامُهُ ، وتقوَّضَتْ أركانُهُ ؛ فإنَّهما يتمانَعَانِ ويتعارضَانِ ، وإذا أراد أحدُهما تدبيرَ شيءٍ ، وأراد الآخَرُ عدمَهُ ؛ فإنه مُحَالٌ وجودُ مرادِهِمَا معًا ، ووجودُ مُرَادِ أحدِهِمَا دُونَ الآخَرِ ، يدلُّ على عجْزِ الآخَرِ ، وعدمِ =

" فَتَأَمَّلْ هَذَا الْبُرْهَانَ الْبَاهِرَ ، بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ الظَّاهِرِ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا ، يُوصِلُ إِلَى عَابِدِهِ النَّفْعَ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضُّرَّ ؛ فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ ؛ لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ ؛ بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمَمَالِكِهِ ، إِذَا لَمْ يَقْدِرُ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ ؛ **فَلا بُدَّ مِنْ أَحَدِ ثَلاثَةِ أُمُورٍ** :

إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ.

وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ ؛ بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ ، وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامِ أَمْرِهِ ، مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ ، وَلَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ ؛ كَمَا قَدْ دَلَّ دَلِيلُ التَّمَانُعِ عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ

= اقتدارِهِ ، واتِّفَاقُهُمَا عَلَى مُرَادٍ واحِدٍ في جميعِ الأمورِ : غَيْرُ مُمْكِنٍ ؛ فإذًا يتعيَّن أنَّ القاهِرَ الذي يوجدُ مُرادَهُ وحدَهُ ، من غيرِ ممانعٍ ولا مُدَافعٍ ، هو الله الواحد القهار ، ولهذا ذَكَر اللهُ دليلَ التَّمانعِ في قولِهِ : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون : ٩١] " .

وَاحِدٌ ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ ، فَذَاكَ تَمَانُعٌ فِي الْفِعْلِ وَالْإِيجَادِ ، وَهَذَا تَمَانُعٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِلَهِيَّةِ ؛ فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ ، كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ.

فَالْعِلْمُ بِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ صَانِعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ ، مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطَرِ مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ بُطْلَانُهُ ؛ فَكَذَا تَبْطُلُ إِلَهِيَّةُ اثْنَيْنِ ؛ فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُوَافِقَةٌ لِمَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْفِطَرِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، دَالَّةٌ مُثْبِتَةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَقَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢] . وَقَدْ ظَنَّ طَوَائِفُ أَنَّ هَذَا دَلِيلُ التَّمَانُعِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ . . الْخَ ، وَغَفَلُوا عَنْ مَضْمُونِ الْآيَةِ ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُهُ ، وَلَمْ يَقُلْ : أَرْبَابٌ.

وَأَيْضًا ؛ فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ وُجُودِهِمَا ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ آلِهَةٌ سِوَاهُ لَفَسَدَتَا.

وَأَيْضًا ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : لَفَسَدَتَا ، وَهَذَا فَسَادٌ بَعْدَ الْوُجُودِ ، وَلَمْ يَقُلْ : لَمْ يُوجَدَا.

وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِمَا آلِهَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ ؛ بَلْ لَا يَكُونُ الْإِلَهُ إِلَّا الْوَاحِدَ ، وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنَّ فَسَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْآلِهَةِ فِيهِمَا مُتَعَدِّدَةً ، وَمِنْ كَوْنِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ غَيْرَ اللَّهِ وَأَنَّهُ

لَا صَلَاحَ لَهُمَا إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ فِيهِمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا غَيْرَهُ ؛ فَلَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ لَفَسَدَ نِظَامُهُ كُلُّهُ ؛ فَإِنَّ قِيَامَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَدْلِ، وَبِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ .

وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ : الشِّرْكُ ، وَأَعْدَلُ الْعَدْلِ : التَّوْحِيدُ "(١) .

● **وَيَقُولُ البَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الإِيْمَانِ " :**

" فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَهَلْ فِي الْعَقْلِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُحْدِثَهَا وَاحِدٌ ؟ قِيْلَ : نَعَمْ . . لأَنَّه لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ ؛ لَكَانَ لَا يَجْرِي تَدْبِيرُهُمَا عَلَى نَظْمٍ ، وَلَّا يَتَّسِقُ عَلَى أَحْكَامٍ ؛ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء : ٢٢](٢) ، وَلَكَانَ الْعَجْزُ يَلْحَقُهُمَا ، أَوْ أَحَدَهُمَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَ جِسْمٍ ، أَرَادَ الْآخَرُ إِمَاتَتَهُ ، كَانَ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَتِمَّ مُرَادُهُمَا ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ ، أَوْ لَا يَتِمُّ مُرَادُهُمَا ، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ صَاحِبِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَتِمَّ مُرَادُهُ كَانَ عَاجِزًا ، وَالْعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَهًا " .

---

(١) " شَرْحُ الطَّحَاوِيَّةِ " لابن أبي العزِّ الحنفيِّ (١ / ٣٩ وما بعدها) .

(٢) والاسْتِدْلَالُ بهَذِهِ الآيَةِ - عَلَى مَا يُسَمِّيهِ العُلَمَاءُ بِدَلِيْلِ التَّمَانُعِ - خَطَأٌ - كَمَا تَقَدَّم - ؛ فَهُوَ اسْتِدْلَالُ مَنْ لا يُفَرِّقُ بَيْنَ تَوْحِيْدِ الرُّبوبيةِ والألوهيَّةِ ، وهُمُ الأشاعرةُ !! فالآيَةُ هَذِهِ تُقَرِّرُ توحيْدَ الألوهيَّةِ ، لا توحيْدَ الرُّبوبيَّةِ ، وَتَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ (مُتَضَمِّنٌ) لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْعَكْسِ ، وتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ (مُسْتَلْزِمٌ) لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ ، وقَدْ بَيَّنَ ذلِكَ أيْضًا شيْخُ الإسْلامِ في " منهاجِ السُّنةِ " (٢ / ١٨١) و (٣ / ٣٠٤ وما بعدها) . وانْظُرْ : " موقف ابن تيمية من الأشاعرة " (١ / ٤١٥ و ٤١٦) و (٣ / ١٠٢١) .



ظُهُورُ أَثَرِ الذَّنْبِ عَلَى المَرْءِ دَلِيْلٌ عَلَى وَجُودِ اللهِ

مِنْ أجْمَلِ الدَّلائِلِ عَلَى وَجُودِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - والتِي قَدْ قَرَأْتُها ، وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا لأَئِمَّتِنَا وعُلَمِائِنَا ؛ مَا قَالهُ **الحَافِظُ ابنُ رجبٍ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – في " جَامِعِهِ " (٤١١/١)** : " قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ تَلْعَنَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، يَخْلُو بِمَعَاصِي اللَّهِ ؛ فَيُلْقِي اللَّهُ لَهُ الْبُغْضَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ ؛ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى إِخْوَانِهِ، فَيَرَوْنَ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهِ الْحَقِّ الْمُجَازِي بِذَرَّاتِ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَضِيعُ عِنْدَهُ عَمَلُ عَامِلٍ ، وَلَا يَنْفَعُ مِنْ قُدْرَتِهِ حِجَابٌ وَلَا اسْتِتَارٌ، فَالسَّعِيدُ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ ، وَمَنِ الْتَمَسَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِسُخْطِ اللَّهِ، عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا لَهُ . قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : إِنَّ الْخَاسِرَ مَنْ أَبْدَى لِلنَّاسِ صَالِحَ عَمَلِهِ ، وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " .



صَلاةُ الاسْتِسْقاءِ دَلِيْلٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ – تَعَالَى –

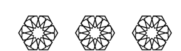
إنَّ المُؤْمِنَ باللهِ – تَعَالَى – لَيُوقِنُ بِوجُودِ الله ؛ لكِنَّهُ حيْنَ يَرَى استجابَةَ اللهِ لَهُ إذَا دَعَاهُ ، وقبولَ اللهِ لرَجَاهُ ؛ فَإِنَّه يَزْدَادُ بِذَلِك إِيْمَانًا وحُبًّا وامْتِثَالًا واسْتِسْلامًا لِقَيُّومِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ .

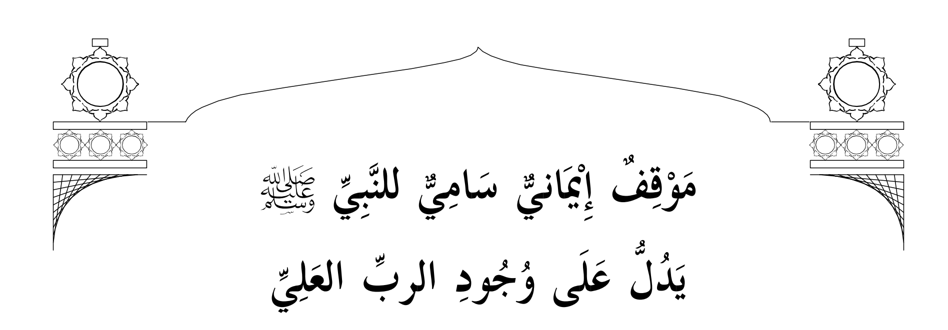
● وَمِنْ ذَلِك ؛ مَا نشَاهِدُهُ فِي صلاةِ الاسْتِسْقَاءِ التِي شُرِعَتْ للأمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ ؛ لا سِيَّما في بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ ، وعَلَى مرأَى ومَسْمَعٍ مِنَ البشَرِيَّةِ ؛ فإِنَّا نَرَى عنْدَ الدُّعاءِ أَوْ أَثْنَاءَ الصَّلاةِ أو بَعْدَهَا رَحَمَاتِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِيْنَ بعبَادِهِ ؛ فإِذَا المَطَرُ يَنْصَبُّ مِنَ السَّماءِ بقُدْرَةِ القَادِرِ سُبْحانَهُ القَائِلِ فِي كِتَابِهِ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّورُ : ٤٣] .

● وقَالَ – تَعالَى – : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لُقْمَان : ٣٤] .

● وقَدْ وقَعَ هَذَا في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ كَمَا فِي " الصَّحِيْحَيْنِ " مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ

النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ ؛ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلَكَ المَالُ وَجَاعَ العِيَالُ ؛ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا ؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الجِبَالِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ ؛ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَمِنَ الغَدِ وَبَعْدَ الغَدِ ، وَالَّذِي يَلِيهِ ، حَتَّى الجُمُعَةِ الأُخْرَى ، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ - أَوْ قَالَ : غَيْرُهُ - ؛ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ ؛ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا ؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ : " **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا** " ؛ فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ ، وَصَارَتِ المَدِينَةُ مِثْلَ الجَوْبَةِ ، وَسَالَ الوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا ، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ .





مَوْقِفٌ إِيْمَانِيٌّ سَامِيٌّ للنَّبِيِّ ﷺ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الربِّ العَلِيِّ

والمَوَاقِفُ النَّبَوِيَّةُ فِي ذَلِك كَثِيْرَةٌ ، وَمِنْهَا عَلَى سَبِيْلِ المِثَالِ ؛ مَا كَانَ مِنْ رَجُلٍ مُشْرِكٍ يُقَالُ لَهُ : " غَوْرَثُ بْنُ الحَارِثِ " ؛ فَقَدْ خَرَجَ هَذَا الرَّجُلُ ، وقَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ أَنْ يَقْتُلَ النَّبِيَّ ﷺ ؛ كَمَا في " الصَّحِيْحَيْنِ " عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ ؛ فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ ؛ فَاخْتَرَطَهُ ؛ فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : **" لاَ "** ، قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : **" اللَّهُ "** ؛ فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ ؛ فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا ، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعٌ ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ .

وَقَالَ مُسَدَّدٌ ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ : اسْمُ الرَّجُلِ : (غَوْرَثُ بْنُ الحَارِثِ) ، وَقَاتَلَ فِيهَا مُحَارِبَ خَصَفَةَ . وَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِنَخْلٍ ؛ فَصَلَّى الخَوْفَ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : " صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ صَلاَةَ الخَوْفِ " ، وَإِنَّمَا جَاءَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَيَّامَ خَيْبَرَ " .

وفي روايةٍ - عِنْدَهُمَا - عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ

رَسُولِ الله ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي وَادٍ كَثِير الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ : وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **" إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي ؛ فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ**[(١)] ؛ **فَقَالَ لِي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ : الله ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ : الله**[(٢)] ، **قَالَ : فَشَامَ السَّيْفَ**[(٣)] ، **فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ . ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ** " .

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي " صَحِيحِهِ " وَغَيْرِهِ[(٤)] : " فَإِذَا

---

(١) أَيْ : مُجَرَّدًا عَنْ غِمْدِهِ . " الفَتْح " (٧/ ٤٩٢) .

(٢) **قال الحافظ في " الفَتْح " (٧/ ٤٩٢)** : " وَيُؤْخَذُ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْأَعْرَابِيِّ لَهُ فِي الْكَلَامِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنَعَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْهُ وَإِلَّا فَمَا أَحْوَجَهُ إِلَى مُرَاجَعَتِهِ مَعَ احْتِيَاجِهِ إِلَى الْحَظْوَةِ عِنْدَ قَوْمِهِ بِقَتْلِهِ وَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَوَابِهِ اللَّهُ أَيْ يَمْنَعُنِي مِنْكَ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ وَلِذَلِكَ أَعَادَهَا الْأَعرَابِي فَلم يزده على ذَلِك الْجَوَابِ وَفِي ذَلِكَ غَايَةُ التَّهَكُّمِ بِهِ وَعَدَمُ الْمُبَالَاةِ بِهِ أَصْلًا " . اهـ.

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ : " فَشَامَهُ " ، وَالْمُرَادُ : أَغْمَدَهُ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْأَضْدَادِ ، يُقَالُ : شَامَهُ إِذَا اسْتَلَّهُ وَشَامَهُ إِذَا أَغْمَدَهُ ؛ قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ . " الفتح " (٧/ ٤٩٢).

(٤) أخرجه أبو بكر الإسماعيلي في " صحيحه " ؛ كما عزاه النوويُّ في كتابه " رياض الصالحين " (رقم : ٧٩) ، وعزاه الحافظ في " الفتح " (٧/ ٤٩٣) لإبراهيم الحربيِّ في " غريب الحديثِ " بسندٍ منقطعٍ ؛ فأبو بِشْرٍ الراوي عن سليمان بن قيس لم يسمع منه ؛ كما قال البخاريُّ في " تهذيبِ " =

عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " **إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ ؛ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا ؛ فَقَالَ لِي : تَخَافُنِي ؟ فَقَالَ لَهُ** : " **لَا** " ، **قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ** : " **الله** " ، **فَشَامَ السَّيْفَ ؛ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ** ، **فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ** ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ : " **مَنْ يَمْنَعُكَ أَنْتَ مِنِّي ؟** " ، قَالَ : كُنْ خَيرَ آخِذٍ ؛ فَقَالَ النبيُّ ﷺ : " **تَشْهَدُ أَلَّا إِلهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله** ﷺ ؟ " قَالَ : لاَ ، وَلَكنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقَاتِلَكَ ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ ؛ فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَجَاءَ أَصْحَابَهُ ؛ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ " .

قَالَ الحَافِظُ(١) : " فَمَنَّ عَلَيْهِ لِشِدَّةِ رَغْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي اسْتِئْلَافِ الكُفَّارِ لِيَدْخُلُوا الإِسْلَامَ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بِمَا صَنَعَ، بَلْ عَفَا عَنْهُ. وَقَدْ ذَكَر الوَاقِدِيُّ فِي نَحْوِ هَذِهِ القِصَّةِ أَنَّهُ أَسْلَمَ، وَأَنَّهُ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَاهْتَدَى بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْن إِسْحَاق : " ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ " ، وَفِي الحَدِيثِ : فَرْطُ شَجَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقُوَّةُ يَقِينِهِ وَصَبْرِهِ على الأَذَى ، وَحِلْمِهِ عَنِ الجُهَّالِ " . انْتَهَى.

وفي روايةٍ لأَحْمَدَ في " مسندهِ "(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ ؛ فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالَ لَهُ : غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ ،

= المزيِّ (١٢/ ٥٥).

(١) " الفتح " (٧/ ٤٩٢، ٤٩٣).

(٢) وفي إسنادهِ انقطاعٌ ؛ لكن تقويهِ الشواهدُ الأخرى .

حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ ؛ فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : " **اللهُ** " ؛ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؛ فَقَالَ : " **مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟** " قَالَ : كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ ، قَالَ : " **أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟** " ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ ؛ فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، قَالَ : فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَالَ : قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الظُّهْرُ أَوِ الْعَصْرُ صَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْخَوْفِ ؛ فَكَانَ النَّاسُ طَائِفَتَيْنِ طَائِفَةً بِإِزَاءِ عَدُوِّهِمْ ، وَطَائِفَةً صَلَّوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ فَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ؛ فَكَانُوا مَكَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا بِإِزَاءِ عَدُوِّهِمْ ، وَجَاءَ أُولَئِكَ ، فَصَلَّى بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ ؛ فَكَانَ لِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ ، وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ .

● **قال القرطبيُّ** : " هذا يدلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷺ كان في هذا الوقت لا يحرسُهُ أحدٌ من الناس ؛ بخلاف ما كان عليه في أوَّلِ الأَمْرِ ؛ فإنَّهُ كَانَ يُحْرَسُ ؛ حَتَّى نَزَلَ قولُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة : ٦٧] " .

وعلَّق الحَافِظُ عَلَى الحديثِ بقَوْلِهِ(١) : " لكن قَدْ قِيْلَ : إنَّ هذه القِصَّةَ سَبَبُ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ ، وذلك فيما أخرجَهُ ابنُ أبي شَيْبَةَ(٢) من طريق : محمد بن عمرو عن أبي

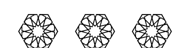
---

(١) " الفتح " (٦/ ١١٥) .

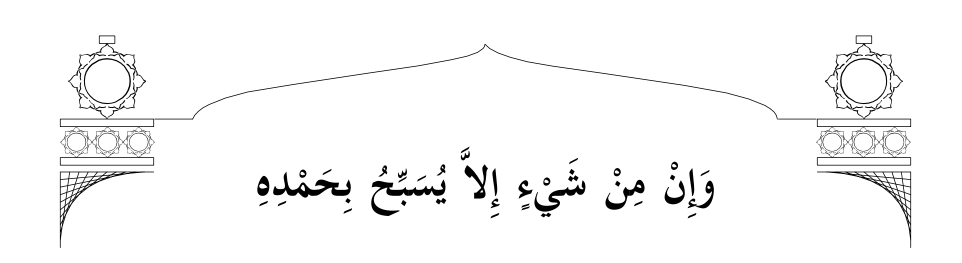
(٢) وهو عند ابْنِ حبَّان في " صَحِيْحِهِ " (١٧٣٩- موارد) ، وابنِ مَرْدَوَيْه في " تَفْسِيْرِهِ " ؛ كما في ابْنِ كَثِيْرٍ (" تفسير المائدة " : آية ٦٧) .

سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : " كنا إذا نزلنا طلَبْنا للنبيِّ ﷺ أعظمَ شجرةٍ وأظلها ؛ فننزلُ تحت شجرة ؛ فجاء رجلٌ فأخذ سيفَهُ ؛ فقال : يا محمَّدُ ! من يمنعُك مِنِّي ؟ قال : **" اللهُ "** ؛ فأنْزَلَ اللهُ : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ ، وهذا إسنادٌ حَسَنٌ ؛ فيحتمل إذا كان محفوظًا[1] أن يُقَالَ : كان مخيرًا في اتخاذِ الحَرَسِ ؛ فتركه مرةً لقوَّةِ يقينِهِ ؛ فلمَّا وقعت هذه القصَّةُ ونزلت الآية ؛ تَرَكَ ذَلِكَ " .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدةُ : ١١] .



(١) فقد رواه أبو سلمة عن جابر - عند الشَّيْخَيْنِ - ، وَهُنَا رَوَاهُ عن أبي هُرَيْرَةَ عَلَى الجادَّةِ ؛ لِذَا عَلَّقَ الحافِظُ التَّحْسِيْنَ ، وقد حَسَّنَهُ الألبانيُّ في " الصَّحِيْحَةِ " - تحت رقم (٢٤٨٩) - (٥/ ٦٤٥).



وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

فالكونُ كلُّهُ يقرُّ باللهِ ، ويشهَدُ بوحدانيَّتِهِ . . فالكُلُّ لهُ يُسَبِّحُ . . والكُلُّ لَهُ يَسْجُدُ . . والكُلُّ لَهُ يَحْمَدُ . . والكُلُّ لَهُ يَخْضَعُ ؛ من إنسٍ وجنٍّ ، وطيرٍ وجَمَادٍ . . طوعًا أو كَرْهًا .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج : ١٨] .

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء : ٤٤] .

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر : ٧] .

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد : ١٣] .

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن : ٦] .

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ [الرعد : ١٥] .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ

سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النَّحل : ٤٨ و ٤٩] .

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس : ٣٨] .

● رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ : " **أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟** " ، قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " **فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ ؛ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا ، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس : ٣٨] " . وفي روايةٍ لأَحْمَدَ : " **فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا** " .

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١] .

● **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ في " تفْسِيرِهِ "** : " أَيْ : فَإِنْ كَانَ الْجَبَلُ فِي غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ ، لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآنَ فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ ، لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ﷻ ؛ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ ؟ أَلَّا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَتَخْشَعَ ، وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَقَدْ فَهِمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَتَدَبَّرْتُمْ كِتَابَهُ ؟ " .

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم : ٨٨- ٩٥] .

والهُدْهُدُ يُقَرِّرُ التَّوحيْدَ ، ويُنْكِرُ أَمَامَ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمانَ عليه السلام عِبادَةَ أَقْوَامٍ للشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ جل جلاله ؛ فيقُولُ : ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل : ٢٣- ٢٦] .

● وقالَ صلى الله عليه وسلم : " **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ؛ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ : هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي ؛ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلَّا الْغَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ** " .

رواهُ البخاريُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .





هَذَا خَلْقُ اللَّهِ

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾

فَنِظَامُ الكَوْنِ بِدِيْعٌ دَقِيْقٌ مُبْهِرٌ ؛ فَهُوَ يَسِيْرُ بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ بِتَدْبِيْرِ الحَكِيْمِ العَلِيْمِ ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] ، ولَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة : ١١٧] ، ومن ثَمَّ تَحَدَّى ربُّنا هَؤلاءِ الجَاحِدِيْنَ الظَّالِمِيْنَ بِقَوْلِهِ : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمانُ : ١٠ و ١١] .

◆ **والسُّؤَالُ : هَلِ المُصَادَفَةُ والعَشْوائِيَّةُ – المَزْعُومَةُ – تُنْشِيءُ مِثْلَ هَذَا النِّظَامِ الدَّقِيْقِ البَدِيْعِ المُبْهِرِ الذي لَمْ يَخْتَلَّ لَحْظَةً مِنَ اللَّحَظَاتِ مُنْذُ مَلايينِ السِّنِيْنَ ؛ فَـ :** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [المُلْكُ : ١ - ٤] . وقَالَ : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٍ

بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق: ٦ و ٧] .

◆ **كَانَ هَذَا هُوَ الإجْمَالَ ، وإلَيْكَ التَّفْصِيْلَ والبَيَانَ :**

(قَالَ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٨ –٤٠] .

إنَّ اللهَ أَحْسَنَ خَلْقَ الشَّمْسِ ، وَذَلِكَ لتؤدِّي وظيفَتَهَا في إمدادِ الحياةِ بالطاقةِ الضوئيةِ والحراريةِ ، ولكنَّهُ خلقَها بحيثُ تَجْرِي إلى غايَتِهَا في مدارٍ محدودٍ ، لا تَصْطَدِمُ بكوكبٍ آخَرَ ، ولا تَقْتَرِبُ مِنَ الأرضِ قُرْبًا يُحْرِقُ أحيَاءَهَا ، ولا تَبْعُدُ عنها بُعْدًا يَحْرِمُهَا الحرارَةَ اللازمةَ للحياةِ فيها .

دَعَا اللهُ النَّاسَ إلى إطالةِ النَّظَرِ في جميعِ مَا في الكَوْنِ مِنْ مَخْلُوقاتٍ ظاهرةٍ وخَفِيَّةٍ ، والتفكيرُ في حَقَائِقِهَا وغاياتِهَا ، والتَّأَمُّلُ في النِّظَامِ الدَّقِيْقِ الذي وُضِعَ من أجلها ؛ فكلُّ ذَلك مِمَّا يدلُّ دلالةً قاطعةً على وجودِ خالقٍ عظيمٍ لها ، اتَّصَفَ بالقدرةِ الكاملةِ عَلَى الخلقِ والإبداعِ ؛ فلم يشكَّ في هَذَا عاقلٌ .

ذَلِك ؛ أَنَّ نظرةً فاحِصَةً في هذهِ الأشْجَارِ والزُّرُوعِ وَدِقَّةَ مواعِيْدِ زَرْعِهَا وحَصَادِهَا ، وتَسَاقُطِ وَرَقِهَا وعَوْدَتِهَا في الوَقْتِ المُقَرَّر تَدُلُّ دَلالةً قَاطِعَةً عَلَى أنَّ الخالقَ الأعظمَ لَهَا إنَّمَا يَعْمَلُ ذَلِك بحكمةٍ ، ونظامٍ عجيبٍ ، ولغايةٍ ساميةٍ .

فَإِذَا نظَرْنَا في بناءِ هَذَا الكونِ العجيبِ ؛ رَأَيْنَا في تناسُقِ أجزائِهِ

بَعْضِهَا مع بعضٍ ، وتطابقِ ذَرَّاتِهِ الدقيقةِ ، ومجموعِ وظائفِهِ وغاياتِهِ التي تؤدِّي إلى تحقيقِ غايةٍ ساميةٍ ؛ دليلًا على الخَالِقِ المُبْدِعِ ؛ فالأَرْضُ وَوَزْنُهَا الذِي يَمُدُّهَا بجاذبيَّةٍ مقدرةٍ ومعينةٍ تُمَكِّن الإنْسَانَ مِنَ العيشِ عليها بشكلٍ مُنْتَظِمٍ ، والسَّمَاءُ وَمَا فيها من شُمُوسٍ وكواكبَ ، والنَّفْسُ البشريةُ والجِسْمُ الإنْسَانِيُّ ومَرَاحِلُ خَلْقِهِ وتركيبِهِ ؛ تُثْبِتُ - بجلاءٍ - إبداعَ اللهِ في خَلْقِ هذا الكونِ وتنظيمِهِ وما فيه من سماءٍ وأرضٍ وإنسانٍ وحيوانٍ وماءٍ . . قَالَ - تَعَالَى - : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر : ٤٩] ، وَقَالَ : ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان : ١١] .

إنَّ معرفةَ اللهِ معرفةً حقيقيَّةً هي أَسَاسُ الإيْمَانِ ، ويَتَوَقَّفُ عليها معرفةُ حقيقةِ أَنْفُسِنَا ، باعتبارِهِ الخَالِقَ لَنَا ، ومَصْدَرَ جَمِيْعِ القُوَى المَوْجُودَةِ فِيْنَا ؛ لِنُدْرِكَ مَبْلَغَ صِلَتِنَا بِهِ ، ونأخُذَ عنه ما يُصلح أحوالَنَا ، ويُحَقِّقُ لَنَا أمانِيْنَا ، وهَذَا هُوَ أَهَمُّ ما يَعْنِيْنَا ؛ إِذْ هُوَ الحَجَرُ الأساسُ الذي يقومُ عليه بحثُنَا ، والمَادَّةُ الفعَّالَةُ لِمَا نَصِفُهُ من علاجٍ لِدَائِنَا ، والسبِيْلُ الوحيْدُ لِسَعادتِنَا وبلوغِ آمالِنَا .

إِذَنْ ؛ فَلْنَنْظُرْ إلى هَذَا الكَوْنِ ؛ لِنَرَى أَنَّ كُلَّ ما فيه يَسِيْرُ وَفْقَ نظامٍ مُحْكَمٍ ، وبحَسْبِ قَوَانِيْنَ دَقِيْقَةٍ ، ونِسَبٍ مَحْدُودَةٍ ، كلُّها تَسْعَى لتحقيقِ هدفٍ واحِدٍ سامٍ ، ألا وهو : استقرارُ الكونِ ، واستمرارُ الحياةِ فيه ، والعَقْلُ يَنْفِي مطلقًا أن يكُونَ ذَلِكَ قد حصَلَ بطريقِ المُصَادَفَةِ .

● قَالَ اللهُ - تَعَالَى - : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد : ٢] ، وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس : ١٠١] .

فكلُّ إنسانٍ في أيِّ عصْرٍ يستطيع بتأمُّلِهِ وإدراكِهِ الفِطْرِيِّ أن يَشْهَدَ - على قَدْرِ حالِهِ - أنَّ كلَّ شيءً في الكون قد خُلِقَ بحِسَابٍ ومِقْدَارٍ ، وجاء العِلْمُ الحَدِيْثُ بكشُوفِهِ ووسائِلِهِ ؛ فأمَاطَ اللِّثام عن الحكمةِ البالغة[1] ، والأسرارِ العجيبةِ وَرَاءَ مَا بَيْنَ المَخْلُوقات من مقادير وحدود وضوابط وموازنات.

✧ **النِّظَامُ الكَوْنِيُّ :**

إنَّ فِي الفَضَاءِ الفَسِيْحِ الذي لا نعرف له حدودًا ملايين الملايين من النجوم السابحة في أجوائِهِ ، وبعض هذه النجوم أكبر منَ الشَّمْسِ بآلافِ المَرَّاتِ وملايِيْنِهَا ؛ كالشِّعْرَى التي هي أثقلُ من الشمس بعشرين مرَّةٍ ، ونُورُهَا ضِعْفُ نُورِ الشَّمْسِ بخمسين مرة ، وسهيل أقوى من الشمس بألفين وخمسمائةِ مَرَّةٍ .

● **ويَقُولُ الفَلَكِيُّونَ** : إنَّ من هذه النجوم والكواكب - التي تزيد على عدَّة بلايين - نجمًا لا يمكن رؤيتُهُ بالعَينِ المجرَّدة ، ولا يُرى إلا بالمجاهر والأجهزة ، ولا يُمْكِن أن تحسَّ به الأجهزة دون أن تراه ، هذه كلها تُسَبِّحُ في الفلكِ الغامِضِ ، ولا يوجد أيُّ احتمال أن يقترب مجال مغناطيسيٍّ لنجمٍ آخَرَ ، ويصطدم بكوكبٍ آخَرَ.

---

(١) وهي بعضُ الحِكَمِ التي وَصَل إلَيْهَا فِيْهَا اجْتِهَادُهُم . (المؤلف) .

ومع هذا التباعدِ بين كلِّ نجمٍ وآخر ؛ فقد وُضع كلُّ نَجْمٍ في مكانه ؛ بحيث يتَّسق في آثاره وتأثيراته مع سائر النجوم والكواكب ، وتؤدِّي جميعها مهمَّتها المنوطةَ بها في بناءِ الكونِ وَسَيْرِ حركتِهِ .

ولْنَأْخُذِ الشَّمْسَ والقَمَر والأَرْضَ وما بينها من علاقات مَثَلًا لِهَذَا التقديرِ المُحْكَمِ الدَّقِيْقِ ، الذِي كان من آثارِهِ ظهورُ الحياةِ الإنسانيَّةِ عَلَى الأرضِ واستمرارِهَا إلى اليَوْمِ .

✧ ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ﴾ . . . :

إنَّ هذه الشمسَ هي الوحيدةُ بين آلاف النجوم التي تَصْلُحُ لجعل الحياة على الأرض ممكنةً ، وإنَّ حَجْمَهَا وكثافَتَهَا ، ودرجة حرارتها ، وطبيعة أشعتها ، ودرجة بُعْدها عنا ؛ كلُّ ذلك لازمٌ لقيام حياتنا على كوكبنا الذي هو الأرضُ .

● **يقول (أ. ك موربون)** : تَدُورُ الكُرَةُ الأرضيةُ[(١)] حَوْلَ مِحْوَرِهَا

---

(١) في هذا نظرٌ ، والصَّوَابُ : أَنَّ الأرضَ ثابتةٌ ؛ **قال العَلَّامةُ ابْنُ بَازٍ في " التَّعْلِيْقَاتِ البَازِيَّةِ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيْدِ " (ص: ٦٢)** : " الصَّوَابُ : أنَّ الأرضَ ثابتةٌ ، والقولُ بحركَتها وسيلة إلى القول بثبوت الشمسِ ، ومن قال بثُبوتِ الشَّمْسِ ؛ كَفَرَ ؛ حيث أخبَرَ اللهُ ﷻ أنها جاريةٌ ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس : ٣٨] .

قال البَغْدَادِيُّ في " الفَرْقِ بَيْنَ الفِرَقِ " : " أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ على أَنَّ الأرضَ ساكنةٌ ، والشمْسَ جاريةٌ " .

وقال القُرْطُبِيُّ في " التَّفْسِيْرِ " : " الذي عليه المسْلِمُون وأَهْلُ الكِتَابِ أنَّ الأرض ثابتة " .

وقال ؛ كَمَا فِي " دُرُوسِ ابْنِ بَازٍ " (١٨/٢) : " الأدلة التي لَنَا هِيَ رَدٌّ على مَنْ =

مَرَّةً في كلِّ (٢٤) ساعة ، أو بمعدَّل نحو ألف ميل في الساعة ، والآن افرض أنها تدور بمعدل مائة ميل فقط في الساعة ، ولِمَ لا ؟

= قَالَ بدَوَرَانِ الأرض وحركاتها ، ورسُوخِ الشَّمسِ وثُبُوتها ، هذا كَتَبْنَا فيه ردودًا وجُمِعَتْ ، وطُبِعَتْ ، وتُوَزَّع ، وعنوانها : " الأدلة النقلية والحسية على سكون الأرض ، وعلى جريان الشَّمْسِ ، وعلى إمْكَانِ الصُّعودِ إلى الكواكبِ " ، هذا الذي نقلناه من كلام أهلِ العلمِ ، أن الأرضَ ثابتةٌ وساكنَةٌ ، وأنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ دائِرَان وسائِرَان .

وأمَّا عَدَمُ إِنَارَةِ القَمَرِ ؛ فهذا لا أصل له ؛ فَالقَمَر له نُورٌ ، والشَّمْسُ لها نورٌ وضِيَاءٌ ، هذا بنَصِّ القرآن وبالمشاهَدة ، ومَنْ نَقَل عني أني أقول بِعَدَمِ إِنَارَةِ القَمَرِ ، وما قُلْتُ هذا ، القَمَرُ جَعَلَهُ اللهُ نورًا بِنَصِّ القُرْآنِ ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ؛ فهذا قولٌ فاسِدٌ لَا أَصْلَ له ، ولا أَقُولُ بِهِ ، وكتابي موجودٌ يُوَزَّعُ من المكتبة ومن المسْتَوْدَعِ ، ومن أراده وجده ، والأدلة التي ذكرناها عن أهل العلم واضحةٌ في أنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِرَانِ ؛ كَمَا نَصَّ الرَّبُّ عَلَى ذَلِك ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد : ٢] .

وأما الأرْضُ ؛ فهي ساكنَةٌ ، وقد نقل القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في " تَفْسِيْرِهِ " إجْمَاعَ العلماءِ ، قال : وأهل الكتابِ - أيضًا - على أنَّ الأَرْضَ سَاكنَةٌ وثَابِتَةٌ .

وقال عَبْدُ القَاهِرِ البَغْدَاديُّ في كتابِهِ " الفَرْق بَيْنَ الفِرَق " قَالَ : " أَجْمَعَ أهلُ السُّنَّةِ على أنها ساكِنَةٌ وثَابِتَةٌ ، هذا هو الذِي عَلَيْهِ أهل السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ " .

أمَّا مَا يقوله الناس اليوم ويَنْسِبُونَهُ إِلَى الرِّيَاضِيِّيْنَ ، أو الفَلَكِيِّيْنَ من دَوَرَانِ الأَرض ؛ فهذا قولٌ لا أصل له ، ولا دليل عليه ، وَإنما هِي خُرَافةٌ وظُنُونٌ ليس لها دليلٌ من الوَاقِعِ ، ولا من الحسِّ ، ولا دليلٌ من نقلٍ ، وإن زعموا وجُودَ ذلك ؛ فالأرضُ ثابتةٌ ومستقرَّةٌ في الهواء بإذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ ، والشمْسُ والقَمَرُ والكواكِبُ دائِرَاتٌ من حولها في جَوِّهَا ، وفي فَلَكِهَا " .

عندئذ يكون نهارنُا وليلُنا أطول مما هو الآن عشر مرات ؛ ففي هذه الحالة قد تُحْرِقُ شمسُ الصيف الحارة نباتَاتِنَا في كلِّ نهار ، وفي الليل قد يتجمَّد كل نبتٍ في الأرض.

إنَّ الشمس - التي هي مصْدَرُ كلِّ حياةٍ - تبلغ درجة حرارة سطحها (١٢٠٠٠) درجة فارنهايت ، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها إلى الحدِّ الذي يكفي أن تمدَّنا هذه النارُ الهائلةُ بالدفء الكافي ، لا بأكثر منه ، وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب ، وكان تغيرها خلال ملايين السنين من القلَّة بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها.

ولو أنَّ درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد زادت بمعدَّل خمسين درجة في سنة واحدة ؛ فإنَّ كل نبتٍ يموتُ ويموتُ معه الإنسان حرقًا أو تجمُّدًا.

والكرةُ الأرضيةُ تَدُورُ حول الشمسِ بمُعَدَّل (١٨) ميلًا في الثانية ، ولو أن معدل دورانها كان (٦) أميال أو (٤٠) ميلًا في الثانية ؛ فإنَّ بُعْدَنا عَنِ الشَّمْسِ ، أو قُرْبَنَا منها يكونُ بِحَيْثُ يَمْتَنِعُ مَعَهُ نوعُ حَيَاتِنَا .

والنُّجُومُ كَمَا نَعْلَمُ تَخْتَلِفُ في الحَجْمِ ، واحدها يَبْلُغُ مِنَ الضَّخَامَةِ حَدًّا لو كَانَ شَمْسَنَا ؛ لكان مِحْوَرُ الكُرَةِ الأرضيةِ داخلًا في سطحِهِ لِمَسَافِةِ ملايين الأميال.

والنُّجُومُ - كَذَلِكَ - تختلف في طِرَازِ إشعاعها ، وكثيرٌ من أشعتها يُمِيْتُ كلَّ نوعٍ معروف من أنواع الحياة ، وتتراوح كثافَةُ هذا الإشعاعِ وحجمُهُ بَيْنَ ما هو أقل من إشعاعِ شَمْسِنَا وما هو أكثر منه

عشرة آلاف مرَّة .

ولو أنَّ شَمْسَنَا أعطت نصف إشعاعها الحالي - فقط - لكنَّا تجمَّدنا ، ولو أنَّها زادتُهُ بمقدار النصف لأصبحنا رمادًا من زمنٍ بعيدٍ .

وَمِنْ ذَلك نَجِدُ أنَّ شَمْسَنَا هي الصالحة لحياتنا من بين ملايين الشموس غير الصالحة لهذه الحياة.

● **مَنَازِلُ القَمَرِ :**

ويبعدُ القَمَرُ عَنَّا مسافة (٢٤٠٠٠٠) ميل ، ويذكِّر المدُّ الذي يحدث مرتين تذكيرًا لطيفًا بوجود القمر ، والمدُّ الذي يحدث بالمحيط قد يرتفع إلى ستين قدمًا في بعض الأماكن ؛ بل إنَّ قِشْرَةَ الأرض تنحني مرتين نحو الخارج مسافة عدَّة بوصات بسبب جاذبية القمر ، ويبدو لنا كلُّ شيءٍ منتظمًا ، لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التي ترفع مساحة المحيط كلها عدَّة أقدامٍ ، وتَنْحَني قشرة الأرض التي تبدو لنا صلبة للغاية.

والمَرِّيْخُ لَهُ قمَرٌ ، قَمَرٌ صغيرٌ لا يبعد عنه سوى ستة آلاف من الأميالِ ، ولو كان قمَرُنَا يَبْعُدُ عنا (٥٠٠٠٠) ميل مثلًا بدلًا من المسافة الشاسعة التي يبعد بها عنها فعلًا ؛ فإن المدَّ كان يبلغ من القوة بحيث أنَّ جميع الأراضي التي تحت منسوبِ الماءِ كانت تُغْمَرُ مرتين في اليوم بماءٍ متدفقٍ ، يُزِيْحُ بِقُوَّتِهِ الجِبَالَ نَفْسَهَا ، وفي هذه الحالة ربما كانت لا توجد الآن قارة قد ارتفعت من الأعماق بالسرعة اللازمة ، وكانت الكرة الأرضية تتحطم من هذا الاضطراب ، وكان المدُّ الذي في الهواء يُحدِثُ أَعَاصِيْرَ كُلَّ يَوْمٍ .

● **قَالَ سِبِنْسَر – سائلًا نَفْسَهُ –** : ما هي القُوَّةُ التي يَتَحَتَّم بَقَاؤُهَا ؟ أهي القُوَّةُ التي تؤثِّرُ في عضلاتِنَا ، والتي تَشْعُرُ بِهَا حواسُّنَا ؟ كلاَّ ! بل هي تِلْكَ القُوَّةُ المُطْلَقَةُ المَجْهُولَةُ المُسْتَقِرَّةُ وَرَاءَ الصُّوَرِ والمُشَاهدات ، ونحن مع عَدَمِ إِمْكَانِنَا أن ندركها ؛ فإننا نَتَأَكَّدُ من أنها أبديةٌ ، لم تَتَغَيَّرْ وَلَنْ تَتَغَيَّرَ ، وكلُّ شيءٍ زائلٌ ، أما هي ؛ فَبَاقِيَةٌ أَبَدَ الآبِدِيْنَ ، وهي عِلَّةُ العِلَلِ[1] .

قال الله – تَعَالَى – : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية : ١٢- ١٣] ، وقال – تَعَالَى – : ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات : ٢٠- ٢١] .

● **الغُلافُ الغَازِي ... وَأَثَرُهُ عَلَى الأَرْضِ :**

ولو تركنا الكواكب والنجوم وعلاقتها بالأرض لوجدنا العلم يقول : إنَّ الهَوَاءَ المُكَوَّن من الأوكسجين والنتروجين على الأخص لا يزيد على جُزْءٍ من مليون من كتلة الكرة الأرضية . وكان يمكن

---

(١) هَذِهِ تَعْبِيْرَاتُ هَذَا العَالِم ! أَمَّا تَعْبِيْرَاتُ الشَّرْعِ المُطَهَّر في الكِتَابِ والسُّنَّةِ ؛ فهي بخلافِ ذلك ؛ **قَالَ العلامةُ الجاميُّ في " شرحِ الرسالةِ التدمريةِ "** : " كذلك تَسْمِيَةُ الفلاسفَةِ اللهَ ربَّ العالمين بأنَّهُ العَقْلُ الفَعَّالُ ، أو بأنَّهُ العِلَّةُ ، أو علَّةُ العِلَلِ ؛ هذه كلُّها إلحَادٌ ، تركُوا أسماءَ اللهِ الواردةَ في الكتابِ والسنةِ ، وسَمُّوا رَبَّ العالمين بأسْمَاء من عند أنفسهم ، أو وصف الله – تَعَالَى – بما لا يليقُ بِهِ " . (المؤلف) .

أن تَمْتَصَّه الأرض في فترة تكوينها ، وفق النظرية السائدة الآن ، وكان يمكن أن يكون بنسبةٍ أكبر بكثير مما هو عليه . وفي كلتا الحالتين لم يكن وجود الإنسان على ظهر الأرض ممكنًا .

إنَّ سُمْكَ الهواء ، أو كثافتَهُ أَمْرٌ مَقْصُودٌ ومقدَّرٌ - أيضًا - ؛ فلو كان أرقَّ وأرفع كثيرًا مما هو عليه الآن ؛ لكانت بعض الشهب - التي تحترق الآن يوميًّا بالملايين في الهواء الخارجي - تضرب في جميع أجزاء الكرةِ الأرضية ، وكان في إمكانها أن تشعل كل شيء قابلٍ للاحتراق ، أما الإنسانُ ؛ فإن اصطدامَهُ بشهابٍ ضئيلٍ - يَسِيْرُ بسرعةٍ تفوق سرعةَ الرصاصة تسعين مرة - كان سيمزِّقه إربًا إربًا من مجرد حرارَة مرورِهِ .

إنَّ الهواءَ سَمِيْكٌ بالقدر اللازم بالضبط لمرور الأشِعَّةِ ذات التأثيرِ الكيماويِّ التي يحتاج إليها الزرع ، والتي تقتل الجراثيم ، وتنتج الفيتامينات ، دون أن تَضُرَّ بالإنسان ، إلا إذا عرَّض نفسه لها مدة أطول من اللازم .

وإذا نظرنا إلى الغازات التي نَتَنَسَّمُهَا ؛ فَسَنَجِدُ الأوكسجين هو نَسَمَةُ الحياة لكل الكائنات الحيوانية فوق الأرض ، ومنها الإنسان ، ولا يستطاع الحصول على هذا الغاز إلا من الهواء ، وتُحدَّد نسبة الأوكسجين في الهواء عادة بـ(٢١) بالمائة ، ولو زادت هذه النسبة إلى (٥٠) بالمائة مثلًا ، أو أكثر ؛ فماذا كان يحدث ؟ يَقُولُ العلم : إنَّ جميعَ الموادِ القابلةِ للاحترَاقِ في العالَمِ تُصْبحُ عُرْضَةً للاشتعالِ ، لِدَرَجةِ أَنَّ أول شرارةٍ من البرقِ تُصِيْبُ شَجْرَةً لا بُدَّ أن تَلْهَبَ الغابَةُ كُلُّهَا ، حتى لتكَادُ تَنْفَجِرُ . ومن المعلوم أنَّ كل

الكائنات الحيوانية تمتَصُّ الأوكسجين ، وتطلق ثاني أوكسيد الكربون ، أما النباتات ؛ فهي على العكس، تستعمل ثاني أوكسيد الكربون وتلفظ الأوكسجين نهارًا ، وفي الليلِ عكس ذلك ؛ فهناك تبادُلٌ مشتركٌ بين الإنسان والحيوان من جانبٍ ، وبين جميع النباتاتِ والغاباتِ من جانبٍ آخر ؛ فما نطردُهُ نحن تنتفع به هي ، وما تطلقُهُ هي ما نَتَنَسَّمُهُ نحن ، وبدونِهِ تنتهي حياتُنا بعد خمسِ دقائقَ ؛ فلو لم تكن هذه المقايضة قائمةً لمَا استمرتِ الحياة إلى اليوم ، لو كانت الحياة كلها حيوانيةً ؛ لكانت الآن قد استنفدت كلَّ الأوكسجين ، ولو كانت نباتِيَّةً ؛ لكانت نهاية الحياة ؛ فإنه متى انقلب التوازن تمامًا ذوى النبات أو مات الإنسان ؛ فيلحقُ بِهِ الآخَرُ وشيكًا.

● **مظاهِرُ التوازنِ والتقديرِ :**

فإذا تركنا عالم الغازات ، ونزلنا إلى عالم النباتِ والحشراتِ ، رأينا مظاهِرَ شَتَّى لهذا التَّوَازُنِ والتَّقْدِيْرِ ، وكذلك إذا تركْنَا عالَمَ النباتاتِ والحيواناتِ ، وذهبنا إلى الجِسْمِ الإنسانيِّ نَتَأَمَّل في أعضائِهِ وأجهزتِهِ وخلاياه ، وما بينها من تضامنٍ وتعاونٍ ، ومن تناسقٍ وتوازنٍ لأدركنا من دقَّة التقديرِ ، وإحكامِ التدبيْرِ ما لا يَنْقَضِي منه العَجَبُ ، وَحَسْبُنَا أن نعْرِفَ من هذه الأجهزة جهازَ الغُدَدِ الصمَّاءِ التي عاش الإنسان آلافَ السنين قبل أن يعرِفَ وظائفها ؛ فقد بيَّن العلم أنها معامل كيماوية صغيرة في الجسم ، تَمُدُّه بالتركيبات الكيماوية الضرورية له ضرورةً مطلقةً ، وتؤثِّرُ في وجوهِ نشاطهِ ، والتي يبلغ من قوتها أن جزءًا من بليون منها تُحدث آثارًا بعيدة المدى في جسم الإنسان ، كما بيَّن العلم أنها مرتبة ، ينظِّم كل منها

غيرها ويضبطه ويوازنه ، وإنَّ إفرَازَ كُلِّ غُدَّة يكمل إفراز الأخرى .

وهذا ما أكَّده (أ. ك. موروبن) ؛ حين قال : ومن المتفق عليه أنه إذا اختلَّ توازن الإفرازات المعقَّدة تعقيدًا مدهشًا ؛ فإنها تُحدث اختلالًا ذهنيًّا وجسمانيًّا بالغ الخطر ، لو عمَّت هذه الكارثة لاندثرت المدينة ، وانحطَّت البشرية إلى حالة الحيوانات ، هذا إذا بقيت على قيد الحياة.

تُرى كيف تحقق كل هذا التقدير ؟ وكيف تمَّ كل هذا التدبير إذا لم يكن هناك خالقٌ أعلى يقدِّر ؛ فيُحْسِن التقدير ، ويدبِّرُ ؛ فيحكم التدبير ؟!

إنَّ كُلَّ ما في العالم من مخلوقات قد أُتقن صنعه إتقانًا بديعًا ، وهو يَسِيْرُ وَفْقَ قواعدَ عامةٍ ثابتةٍ لا يمكن خرْقُها ، ونظامٌ عجيبٌ لا سبيل إلى تغييره أو تبديله ، بما في ذلك هذا الكوكب الأرضي الذي نعيش عليه ، وما يحيط به من الكواكب السيَّارة والنجوم المضيئة في ملكوت الرحمن ، جلَّت قُدْرَةُ الخَالِقِ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقانُ : ٦١ و ٦٢])(١) .

● **يَقُولُ عَالِمُ الطَّبِيْعَةِ إِسْحَاقُ نِيُوتِنْ :** " لا تَشُكُّوا فِي (الخَالِقِ) ؛ فَإِنَّه مِمَّا لا يُعْقَلُ أنْ تكُونَ المُصَادَفَاتُ وَحْدَهَا ! هِي قَاعِدَةَ هَذَا الوُجُودِ " .

---

(١) بحثٌ بِعُنْوَان : " الأَجْرَامُ السَّمَاويَّةُ وإِبْدَاعُ الخَالِقِ " .- (" مَجَلَّةُ البَيَانِ ") (٢٧ / ٢١٨) - .

نعَمْ .. لا يُعْقَلُ أَنْ تَرَى بَيْتًا نَظِيْفًا مُرَتَّبًا مُعَدًّا مُهَيَّأً بلا قائمٍ علَيْهِ ، ولا يُعْقَلُ أنْ تَرَى قَصْرًا مَشِيْدًا بلا مُهَنْدِسٍ أشْرَفَ عليْهِ ، ولا يُعْقَلُ أنْ تَرَى سَفِيْنَةً عِمْلاقَةً تَخْتَرِقُ الأَمْوَاجَ ، وتَسِيْرُ بلا قَائِدٍ يَقُودُهَا ، أو حَارِسٍ يَحْرُسُهَا !

فَكَذَلِكَ لا يُعْقَلُ أنْ يَكُونَ هَذَا الكَوْنُ كُلُّهُ بِهَذَا الإِبْدَاعِ العَظِيْمِ بِلا مُبْدِعٍ أَوْ خَالِقٍ !! ويمتَنِعُ أنْ تَفْعَلَ المصَادَفَاتُ هَذَا الوجُودَ وهَذَا الكَوْنَ الفَسِيْحَ بهذا النِّظَامِ الدَّقِيْقِ ، والإِتْقَانِ البَدِيْعِ !!

● **قَالَ البَيْهَقِيُّ فِي " الاعْتِقَادِ "** :

" إِذَا تَأَمَّلْتَ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ بِبَصَرِكَ ، وَاعْتَبَرْتَهَا بِفِكْرِكَ ، وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ الْمَبْنِيِّ الْمُعَدِّ فِيهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَاكِنُهُ مِنْ آلَةٍ وَعَتَادٍ ، فَالسَّمَاءُ مَرْفُوعةٌ كَالسَّقْفِ ، وَالْأَرْضُ مَبْسُوطَةٌ كَالْبِسَاطِ ، وَالنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ ، وَالْجَوَاهِرُ مَخْزُونَةٌ كَالذَّخَائِرِ ، وَضُرُوبُ النَّبَاتِ مُهَيَّأَةٌ لِلمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَآرِبِ ، وَصُنُوفُ الْحَيَوَانِ مُسَخَّرَةٌ لِلمَرَاكِبِ مُسْتَعْمَلةٌ فِي الْمَرَافِقِ ، وَالْإِنْسَانُ كَالْمُمَلَّكِ لِلْبَيْتِ الْمُخَوَّلِ مَا فِيهِ ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ مَخْلُوقٌ بِتَدْبِيرٍ وَتَقْدِيرٍ وَنِظَامٍ ، وَأَنَّ لَهُ صَانِعًا حَكِيمًا تَامَّ الْقُدْرَةِ بَالِغَ الْحِكْمَةِ ، وَهَذَا فِيمَا قَرَأْتُهُ مِنْ كِتَابِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - حَضَّهُمْ عَلَى النَّظَرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ خَلْقِهِ فِي آيَةٍ أُخْرَى ؛ فَقَالَ : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف : ١٨٥] يَعْنِي : بِالْمَلَكُوتِ

الْآيَاتِ ، يَقُولُ : أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِيهَا نَظَرَ تَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ ؟ حَتَّى يَسْتَدِلُّوا بِكَونِهَا مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ وَالتَّغَيُّرَاتِ عَلَى أَنَّهَا مُحْدَثَاتٌ، وَأَنَّ الْمُحْدَثَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ صَانِعٍ يَصْنَعُهُ عَلَى هَيْئَةٍ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمُحْدَثَاتِ ، كَمَا اسْتَدَلَّ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام بِمِثْلِ ذَلِك ؛ فَانْقَطَعَ عَنْهَا كُلِّهَا إِلَى رَبٍّ هُوَ خَالِقُهَا وَمُنْشِئُهَا ؛ فَقَالَ : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام : ٧٩] " .

لا تمترُوا في ذاتِهِ	فالكَونُ من آياتِه
إن ضجَّ في حَركاتِهِ	أو نامَ في سكَناتِه
والصُّبحُ في إشراقِهِ	واللَّيلُ في ظُلُماتِه
والشَّمسُ في كبِدِ السَّما	والنَّجمُ في رَعَشَاتِه
والجوُّ في إعصارِهِ	إن هَبَّ أو نَسَماتِه
والرَّعدُ دَوَّى قاصِفًا	والبرقُ في ومَضَاتِه
واللَّيثُ في فَلَواتِهِ	يختَالُ في خُطُواتِه
والطَّيرُ حلَّقَ في الفضَا	أو نامَ في وَكَناتِه
والوردُ والعِطرُ الشَّذِيُّ	يفُوحُ من روضَاتِه
دَانت لهُ الأزهارُ والـ	أشوَاكُ بعضُ حُماتِه
لا تَمتَروا في ذاتِهِ	أو تهزَءُوا بدُعاتِه
سُبحانهُ قد حقَّقَ الـ	إعجَازَ في كَلِماتِه
لا تمترُوا في ذَاتِهِ	فالرِّزقُ من آياتِه
سُبحانهُ من خالقٍ	برٍّ بمخلُوقَاتِه

غَمَرَ الوجُودَ بفضلِهِ وأفاضَ من خَيْراتِه
من نَبعِهِ الثَّرِّ الغَزيرِ يجُودُ من بَركاتِه
ناءَت بهِ السُّحُبُ الثِّقا لُ فسَالَ في رَبواتِه
والحقْلُ حانَ حصادُهُ نَقْتَاتُ من غلَّاتِه
والنَّهرُ في السَّهل الفَسِيـ ـحِ يَرِقُّ عذبُ فُراتِه
والغَابُ ظلٌّ وارفٌ والرَّوضُ في ثَمَراتِه
والماءُ صافٍ في الغَديـ ـرِ يشِفُّ في مِرَأَيتِه
لا تقنطُوا من رحمَةِ الـ ـرَّحمنِ أو مَرضاتِه
فالحِلمُ والغُفرانُ والـ ـرضوانُ بعضُ صِفاتِه
لا تمترُوا في ذاتِهِ فالرُّوحُ من آياتِه
والصَّدرُ في أنفاسِهِ والقلبُ في خَفَقاتِه
والثُّغرُ في تسبيحِهِ والثَّغرُ في بسَماتِه
والصَّومُ في رمَضَانِهِ والحجُّ في ميقَاتِه
والمُؤمنُ البَرُّ الكَريـ ـمُ مُصدِّقًا بزَكاتِه
والصَّالحُ العَفُّ التَّقيُّ يهيمُ في صَلواتِه
يرجُو الرِّضى من ربِّهِ ليُقيمَ في جَنَّاتِه
والفاجِرُ الغِرُّ الجهُو لُ يَتِيهُ في نزَوَاتِه
لا يَسْتَقِيمُ ولا يسيـ ـرُ على طَريقِ هُداتِه
والمرءُ في أفراحِهِ والمرءُ في مأسَاتِه
يمضِي علَى دَرْبِ الحيَا ةِ وينتَهي بمَمَاتِه
لا تَمتَروا في ذَاتِهِ فالموتُ بعضُ عظَاتِه

لا تَمْـتَـروا في ذاتِـهِ فـالـوَحْـيُ مـن آيـاتِـه
والحقُّ مـن إلـهَـامِـهِ والـنُّـورُ مـن مِـشْـكـاتِـه
والـعَـقْـلُ في إبـداعِـهِ والـفِـكْـرُ في سَـبَـحـاتِـه
والعلمُ في العَصرِ الحديـ ـثِ يـضِـجُّ في آلاتِـه
يـرتَـادُ آفـاقَ الـفـضَـا ءِ ويمـتـطِـي طـيَّـاتِـه
والـبَـحْـرُ يـهـدِرُ صاخـبًـا والـفُـلْـكُ في جـنَـبَـاتِـه
والـذَّرَّةُ الـصُّـغْـرى مَـصِـيـ ـرُ الـكـونِ في ذرَّاتِـه
فـخـرَابُـهُ ودَمَـارُهُ إن سـادَ حِـقْـدُ طُـغـاتِـه
وعَـمَـارُهُ وَصَـلَاحُـهُ إن سـادَ عـقْـلُ تُـقـاتِـه
كم مِجْهَرٍ قَرُبت لنا ال أبـعـادُ في عَـدَسـاتِـه
أو هـاتِـفٍ حَـمَـل الحديـ ـثَ مُـردِّدًا هَـمَـسَـاتِـهِ
لا تَمْـتَـروا فِي ذَاتِـهِ فَـالـكُـلُّ مِـنْ آيَـاتِـهِ[1] .

وللهُ دَرُّ الآخَرِ ؛ إذْ يَقُولُ :

إلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ كُلِّ شَيءٍ ظَهَرْ عَرَفْتُكَ مِمَا اَختَفَى وَاسْتَتَرْ
عَرَفْتُكَ مِنَ حَاضِرَاتِ الوُجُودِ وَمِمَا مَضَى فِي زَمَانٍ غَبَرْ
عَرَفْتُكَ مِنَ لَفَحَاتِ الرّيَاحْ وَمِنْ نَفَحَاتِ نَسِيمِ السَّحَرْ
عَرَفْتُكَ مِنَ وَطْأَةِ الحَادِثَاتِ وَمِنَ رِقَةٍ مِثْلِ خَمْلِ الزَّهَرْ
عَرَفْتُكَ مِنَ حِكَمٍ غُلِّفَتْ بِمَظْهَرِ خَيْرٍ وَمَظْهَرِ شَرْ

(١) (" تَعْظِيْمُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ " - تَأَمُّلاتٌ وقَصَائِدُ -) ، ط مَدَار الوَطَنِ .

عَرَفْتُكَ مِنَ كُلِّ عُمْقٍ لَدَيّ   عَرَفْتُكَ مِنَ مَسْمَعِي وَالبَصَرْ
عَرَفْتُكَ مِمَا وَرَاءَ الشُّعُورِ   عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ شَعَرْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

إِلَهِي

فَطَرتَ حَيَاتي عَلَى الفَقرِ لكْ   وَفِكرِي وَقَلبِي علَى العِلمِ بِكْ
وَنَفسِي عَلَى حُبِّ مَا قَدْ وَهَبَتْ   ورُوحِي عَلَى الأُنْسِ في حَضرَتِكْ
لِذَلِكَ يَا رَبِّ آمَنتُ بِكْ   خُضُوعًا وَحُبًّا وأسلَمْتُ لَكْ
عَلَى رُغمِ أنفِ الجَحُودِ الكَنُود   آمنتُ بِكْ ثُمَّ آمَنتُ بِكْ
رَضَيتُكَ رَبًّا فأَذلَلتُ قَلبًا   وَرُوحًا ولُبًّا إلى عِزَّتِكْ
وَأَخضَعتُ نَفسِي وَفِكرِي وَحِسِّي   وَوَجهي وَرَأسِي إلى قُدرَتِكْ
وسَلَّمْتُ أمرِي بِجَهرِي وسرِّي   وَخَيرِي وَشَرِّي إلى حِكْمَتِكْ
صَلَاتي ونُسكِي خُشُوعِي وَحُبِّي   خُضُوعي وَقُربِي إلى حَضرَتِكْ
ومَحيايَ رَبِّي وغُفرَانُ ذَنبِي   ومَوتِي وبَعثِي إلى رَحمَتِكْ
إِلَهِي إِلَهِي تَبَارَكتَ فِي   عُلَاكَ فَإِنِّي آمنتُ بكْ
إِلَهِي إِلَهِي تَعَالَيتَ فِي   سَنَاكَ فإِنِّي أسلَمتُ لَكْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ لَامِعَاتِ الأُفُقْ   عَرَفْتُكَ مِنَ مُوحِشَاتِ الغَسَقْ
عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَحَاتِ الفَلَقْ   عَرَفْتُكَ مِنَ خَلقِكَ المُتَّسِقْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ بَهْجَةٍ فِي القَمَرْ   عَرَفُتْكَ مِنَ نَسْمَةٍ فِي السَّحَرْ
عَرَفُتُكَ مِنَ بَسْمَةٍ فِي الزَّهَرْ   عَرَفْتُكَ مِنَ نَامِياتِ الشَّجَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مَا لَاحَ نُورٌ وَنَارْ وَمَهْمَا يَدُرْ كَوكَبٌ فِي مَدَارْ

عَرَفْتُكَ مَهْمَا الزَّمَانُ اسْتَدَارْ وَمَهْمَا أَتَى اللَّيْلُ بَعْدَ النَّهَارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

عَرَفْتُكَ بِالسُّحُبِ الهَاطِلَاتْ لِتُحِيِيَ كُلَّ بِلادٍ مَوَاتْ

بِكُلِّ نَبَاتٍ عَجِيبِ النَّبَاتْ بِمُخْتَلِفَاتٍ وَمُشْتَبِهَاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَلَكْتُ القِفَارْ وَسَارَ بِنَا فِي السُّهُولِ القِطَارْ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ البِحَارْ وَحِينَ جَرَتْ بِي جَوارٍ كِبَارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الهَوَاءْ وَطَوَّفْتُ فِي جَنَبَاتِ الفَضَاءْ

وَحِينَ تَامّلْتُ هَذِي السَماءْ وَكُلَّ عَظِيمٍ بِهَا ذِي بَهَاءْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ ذِي جَنَاحٍ يَطِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي قَوَامٍ يَسِيرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ سَابِحٍ فِي الغَدِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الهَجِيرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ لَمَّا نَظَرْتُ الجِبَالْ عَرَفْتُكَ مِنْ رَائِعَاتِ الجَمَالْ

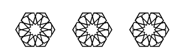
عَرَفْتُكَ حِينَ شَرِبْتُ الزُّلَالْ عَرَفْتُكَ إِذْ ظَلَّلَتْنِي الظِلَالْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

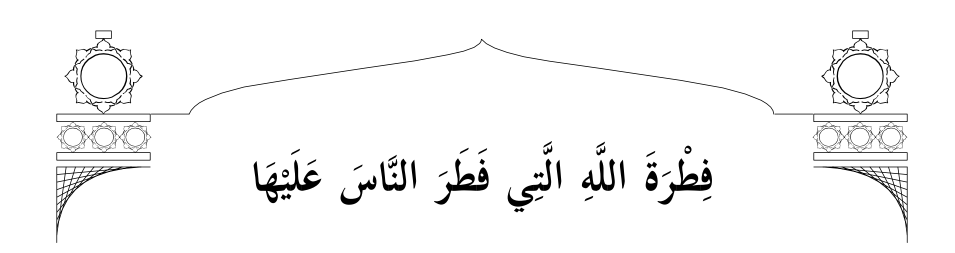
عَرَفْتُكَ مِنْ لَمسِ لِينِ الحَرِيرْ وَمِنْ لمَسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصّخُورْ
عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَثَاتِ السَّعِيرْ وَمِنَ بَارِدٍ قَاتِلٍ زَمْهَرِيرْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ نَبَضَاتِ الجَنَانْ وَمِنْ مَنْطِقٍ عَجَبٍ فِي اللّسَانْ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ البَنَانْ وَأَرْشَدَنِي لِعُلَاكَ اليَدَانْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
عَرَفْتُكَ مِنَ أَكْبُدٍ ظَامِئَاتْ عَرَفْتُكَ مِنْ مِعَدٍ جَائِعَاتْ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الحَيَاةْ عَرَفْتُكَ مِنْ سَكَنَاتِ المَمَاتْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
عَرَفْتُكَ مِنْ مُعجِزَاتِ السّوَرْ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيلِ العِبَرْ
وَعَرَّفَنِي بِكَ النَّبِيُّ الأغَرْ رَسُولُكَ أحْمَدُ خَيْرُ البَشَرْ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظْيمُ الصَّمَدْ[1] .



(١) " ديوان : آمَنْتُ بِاللهِ " (ص : ٩- ١٢) . - نقلًا عَنِ المصْدَرِ السَّابقِ - .



فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

مَا أَعْظَمَ الفِطْرَةَ السَّوِيَّةَ ؟ تَأَمَّلْ هَذَا التَّصَدِّي لِمُلْحِدٍ رَآهُ النَّاسُ يَمْشِي فِي طريقٍ مِنْ طُرقَاتِ المُسْلِمِيْنَ ؟

والنَّاسُ بِفِطْرَتِهِم السَّوِيَّةِ تَرْفُضُ هَذِهِ الظَّاهرةَ الإجراميَّة - وَبِقُوَّةٍ - ، ومِمَّا يدلُّ علَى ذلِكَ : اعترافُ بَعْضِ المُلْحِديْنَ عَلَى برنامجٍ مِنَ البَرَامِجِ التِّلفزْيُونيَّةِ فِي مِصْرَ - رَعَاهَا الله - ، وهو موجُودٌ عَلَى الشَّبَكَةِ العنكَبُوتِيَّةِ بِعُنْوَان : (مِصْرُ الجديدةِ - أحْمَد (!) حرَقَان " مُلْحِدٌ " : أنَا أعْتَنِقُ فِكْرِ الإلْحَادِ ؛ لِعَدَمِ وجُودِ إِلَهٍ لهَذَا الكَوْنِ !!) ؛ **حَيْثُ يقولُ مُعَبِّرًا عَنْ نظْرَةِ المُجْتَمَعِ ، ورَفْضِهِ لهَذَا البَاطِلِ والمُجَاهَرةِ بِهِ :**

" أنَا تعرَّضتُ كثيرًا جدًّا للضَّرْبِ والإيذاء ، وزوْجَتِي أُجْهِضَتْ بسَبَبِ الاعتِدَاءِ مِنَ النَّاسِ ؛ حِيْنَ عرفُونِي ، فتَجَمْهَرُوا حوْلِي ؛ كَي يقتُلُوني ؛ فذَهَبْنَا إلى نُقْطَةِ الشُّرطة القَرِيْبَةِ ؛ لأَحْتَمِي بِهَا ؛ فَ : (كَمَّلتِ الشُّرْطَةُ) عَلَيَّ - أَيْضًا - أَنَا وزَوْجَتِي ؛ فأخبَرْتُهُم أنَّ زَوْجَتِي حَامِلٌ ؛ لكِنْ مَبْدَأُ العاطِفَةِ الدِّيْنِيَّةِ أَنْسَتْهُمُ الرَّحْمَةَ ، وأنْ يرْحَمُوا امْرَأَةً " .

● **وأنَا أقولُ** : وهَلْ مِنَ الرَّحْمةِ التي يترَحَّمُ عليْها ذاكَ المُلْحِدُ ! أنْ يَجْهَرَ بهَذَا الإلِحَادِ ويُعْلِنَهُ بِكُلِّ صَفَاقَةٍ وحَمَاقَةٍ ؟

أليْسَ هَذَا الكُفْرُ والزَّندَقَةُ (اعْتِدَاءً) صَارِخًا مُرِيْعًا ! عَلَى فِطَرِ النَّاسِ ومشاعرهِم ومقدَّساتِهِمْ ؟

أنَّى لَهُ بالرَّحْمةِ وهُوَ يُحَارِبُ الرَّحْمَةَ مِنْ قلُوبِ النَّاسِ ؛ فيريدُ أنْ يُغْوَيَهُمْ وَأَنْ يُضِلَّهُم ضلالًا بعيْدًا ، وأنْ يسْلُكَ بهِم مسالكَ مُرْدِيَةً ، وطَرَائِقَ مظلِمةً مُحْرِقَةً ؟

أتريْدُ أيُّها (المُلْحِدُ – هَدَاكَ اللهُ –) أَنْ تَقْذِفَ بالنَّاسِ في الجحيمِ ، وأَنْ تَحْرِقَهُمْ فِي النَّار ، ثمَّ تُطَالِبَ بالرَّحْمَةِ ؟!

● أيُّ رحْمَةٍ هذهِ التي تُرِيْدُ وتَزعَمُ ؟ إنَّ الرَّحْمَةَ (بِحَقٍّ) فِي إقْصَائِكَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاظرينِ ؟ والأَخْذِ عَلَى يَدَيْكَ ؟ حتَّى تَرْجِعَ إِلَى صَوَابِكَ ، أو يُحْكَمَ فِيْكَ بِحُكْمِ أَحْكَمِ الحَاكِمِيْنَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – القَائِلِ : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور : ٢] ؛ لأنَّكَ بذلِكَ تَمْنَعُ الرَّحْمَةَ عَنِ النَّاسِ ؛ فَكَيْفَ تُنَادِي بِهَا ، وَأَنْتَ تُحَارِبُهَا وتَسْعَى فِي صَرْفِ النَّاسِ عنْها ، وَحِرْمَانِ الخَلِيْقَةِ مِنْهَا ؟ أليْسَتْ هَذِهِ غِلْظَةً وَقَسْوَةً مِنْكَ لَهُمْ ؟!!

وأنَا أحْمَدُ – واللهِ – صَنِيْعَ شُرْطَتِنَا (المِصْرِيَّةِ) ؛ إذْ حَمَلَتْهُم الغَيْرَةُ الدِّيْنِيَّةُ عَلَى صَدِّ هَذَا العُدْوَانِ المُدَمِّرِ المُخَرِّبْ ، وَأَوَدُّ المَزِيْدَ مِنْ حُكُومَتِنَا – أَصْلَحَ اللهُ القَائِمِيْنَ عَلَيْهَا – مِنِ استِئْصَالِ واجْتِثَاثِ هَذَا الدَّاءِ بالاستعانةِ باللهِ – أَوَّلًا – ، ثُمَّ بِأَهْلِ العِلْمِ – ثَانِيًا – . (وإنَّ اللهَ لَيَزَعُ بالسُّلْطانِ ما لا يَزَعُ بالقُرْآنِ)[1] .

---

(١) رَوَاهُ ابنُ شَبَّةَ في " تاريخِ المدينةِ " (٣/٩٨٨) من طريقِ : يَحْيَى بْنِ =

● وأَنَا إِذْ أُبيِّنُ فِطَرَ النَّاس السَّويَّة ، وكيف تعامَلُوا مَعَ هَذَا المُلْحِدِ ؛ إلا أَنَّنِي في الوَقْتِ نفْسِهِ ؛ أؤكِّدُ أَنَّ التعامل مع أمثَالِ هؤلاءِ المُلحِدِيْنَ يكُونُ مِنْ قِبَل وَلِيِّ الأَمْرِ المُسْلِمِ أَوْ مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ ، أَمَّا التَّصَرُّفَاتُ العشوَائيَّةُ ؛ فَقَدْ تُحْدِثُ عَوَاقِبَ وخِيْمِةً لا تُحْمدُ عُقبَاهَا ؛ فيُوكَلُ الأَمْرُ إلى الجِهَاتِ المُختصَّةِ ، وقد قَامَ وكيلُ الأزهرِ بإبلاغِ النائبِ العامِ عنْ هذه الحالة للقيامِ بالإجراءاتِ اللازمةِ تجاهَهُ ؛ فَلَوْ أنَّ الناسَ اجتمعُوا للقيامِ بذلك ؛ فقامُوا بالإبلاغِ عن هؤلاءِ المُلْحِدينَ ؛ لِلحَدِّ مِنهُم ، وصدِّهم عَنْ عُدوانِهِم ؛ لكانَ أحسَنَ شَرْعًا وعَقْلًا ، كَمَا قَامَتِ الدَّولةُ بإيقافِ المُسَمَّى بـ : (إسلام بحيري) ؛ بل بحَبْسِهِ ؛ لظُلْمِهِ وافتَرَائِهِ عَلَى الشَّرعِ والدِّينْ ، وعَلَى عُلَمَائهِ والمُسْلِمِيْنَ ، ونحْنُ نرجُو المَزيْدَ ، وفَّقَنَا اللهُ وحكُومَتَنَا المُسْلِمَة للقيامِ بِهَذَا الوَاجِبِ ، اللهُمَّ آمِيْنَ .

كَمَا نَدْعُو لِوُلاةِ أمورِ المُسْلِمِيْنَ فِي مِصْرَ وغيْرِهَا - من بلاد الإسلام - أن يُطَبِّقُوا (حَدَّ الردَّةِ) على المرتَدِّ ؛ فالكلُّ راعٍ ، والكلُّ مسئولٌ عن رعيَّتِهِ .

= سَعِيدٍ : أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولفْظُهُ : " لَمَا يَزَعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدُّ مِمَّا يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ " . ورواهُ الخطيبُ في " تاريخِهِ " (١٧٢/٥) من طريقِ : ابْنِ عُمَرَ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب ، يَقُولُ : " لمَا يَزَعُ اللَّه بالسُّلْطَانِ أَعْظَمُ مِمَّا يَزَعُ بالقُرْآنِ " .

قُلْتُ : والأثرُ عنْهُمَا لا يَصِحُّ ؛ ففي الأولِ : انقطاعٌ ، وفي الثَّاني : متروكٌ .

● **قَالَ السَّمْعَانيُّ في "تَفْسِيرِهِ" (٨٤/٤)** : " وَمَعْنَاهُ : مَا يمْتَنعُ النَّاسُ مِنْهُ خوفًا مِنَ السُّلْطَانِ أَكثرُ مِمَّا يمْتَنعُ النَّاسُ مِنْهُ خوفًا مِنَ الْقُرْآن " .

● **وقَتْلُ المُرْتَدِّ في شريعةِ الإسلامِ ؛ فيه فوائِدُ للفردِ والمجتمعِ في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك** : الحفاظ على عقائد الناس من الانحرافِ ، وصيانةً للدين من العَبَثِ ؛ حتى لا يكون ألعوبةً ؛ فيدخل فيه من شاءَ ، ويخرج من شاء ؛ فالدين الحقُّ هو الإسلام ، والله - تَعَالَى - رحيمٌ بعباده ، يريد الخير لهم ؛ فهو القَائِلُ : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران : ٨٥] .

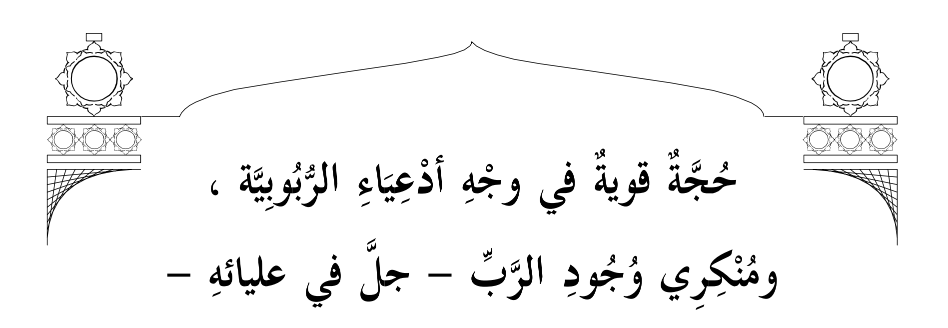
وهذا من رحمتِهِ - تَعَالَى - بهم ؛ فلا يريد لهم الخسارةَ والهلاكَ .

والوالِدُ إذا رأى (وَلَدَهُ) سوفَ يُقْدِمُ عَلَى أمرٍ ، فيه حتفُهُ وهلاكُهُ ؛ فإنه قد يُعَاقِبُهُ ؛ حَتَّى يَتَّقِيَهُ ، ويبتَعِدَ عنه .

والدُّوَلُ تُعَاقِبُ مَنْ ينتهك قوانينها ، ويُفْشِي أسرارَهَا ، تحت ما يُسَمَّى بالخيانة العُظْمَى ؛ حفاظًا على كيانِهَا وهَيْبَتِهَا ، وأمْنِهَا واستِقْرَارِهَا .

ودين الله أحقُّ أن يُهابَ ، وتُحفظَ له هيبتُهُ ومكانَتُهُ ؛ فالقاتل يُقْتَلُ ، واللصُّ تُقْطَع يَدُهُ ، والزَّانِي يقامُ الحدُّ عليهِ ؛ سواء كان محصنًا ، أو غير مُحْصَنٍ ؛ ليكونَ ذلك عبرةً للآخرين ، والله - تَعَالَى - يَقُولُ : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٢] .

❁ ❁ ❁



حُجَّةٌ قويةٌ في وجْهِ أدْعِيَاءِ الرُّبُوبِيَّة ، ومُنْكِرِي وُجُودِ الرَّبِّ – جلَّ في عليائهِ –

فَفِي سُورَةِ البَقَرَةِ : يُبَيِّنُ اللهُ – تَعَالَى – قُوَّةَ حُجَّةِ الخَلِيْلِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ في دَحْضِ الشركِ ، ومحقِ الكفرِ، وإزهاقِ الباطلِ ، وإعلاءِ الحقِّ ، ورفْعِ رايتهِ ؛ فَقَالَ – تَعَالَى – : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

● **قَالَ العَلامةُ ابْنُ القيم ؛ كَمَا فِي " مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ المُرْسَلَةِ عَلَى الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ "** : " لَمَّا أَجَابَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ الْمُحَاجَّ لَهُ فِي اللَّهِ بِأَنَّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ هُوَ اللَّهُ ، أَخَذَ عَدُوُّ اللَّهِ ! فِي الْمُغَالَطَةِ وَالْمُعَارَضَةِ بِأَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، بِأَنَّهُ يَقْتُلُ مَنْ يُرِيدُ ، وَيَسْتَبْقِي مَنْ يُرِيدُ ؛ فَقَدْ أَحْيَا هَذَا ، وَأَمَاتَ هَذَا !! فَأَلْزَمَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَى طَرْدِ هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي حَرَكَةِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي يَأْتِي اللَّهُ مِنْهَا بِزَعْمِهِ ؛ فَإِذَا ادَّعَى أَنَّهُ يُسَاوِي اللَّهَ فِي الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ؛ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا ؛ فَلْيَتَصَرَّفْ فِي الشَّمْسِ تَصَرُّفًا تَصِحُّ بِهِ دَعْوَاهُ ، وَلَيْسَ هَذَا انْتِقَالًا مِنْ حُجَّةٍ إِلَى حُجَّةٍ أَوْضَحَ مِنْهَا ؛ كَمَا زَعَمَ بَعْضُ النُّظَّارِ ،

وَإِنَّمَا هُوَ إِلْزَامٌ لِلْمُدَّعِي فِي طَرْدِ حُجَّتِهِ إِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً " .

● **وَقَالَ - أَيْضًا - فِي " مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ "** : " وَقَدْ ظَنَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وأرْبَابِ الجَدَلِ أَنَّ إِبْرَاهِيم أَنْتَقِلُ مَعَ الْمُشْرَكِ مِنْ حُجَّة إِلَى حُجَّة وَلم يُجِبْهُ عَنْ قَوْلِهِ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيْتُ ، قَالُوا : وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُتِمَّ مَعَه الْحجَّة الأولى بِأَن يَقُولَ : مُرَادِي بِالأَحْيَاء : إحْيَاءُ الْمَيِّتِ ، وإيجادُ الْحَيَاة فِيهِ لَا استبقَاؤُهُ عَلَى حَيَاتِهِ ، وَكَانَ يُمْكِنُهُ تَتْمِيْمُهَا بمعَارَضَتِهِ فِي نَفْسِهَا بِأَن يَقُولَ : فأُحْيِي من أَمَتَّ ، وَقَتَلْتَ ؛ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ، وَلَكِن انْتَقَلَ إِلَى حُجَّة أوضَح من الأُولى ؛ فَقَالَ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ ؛ فَانْقَطع الْمُشْرِك الْمُعَطل ، وَلَيْسَ الْأَمر كَمَا ذَكرُوهُ ، وَلَا هَذَا انْتِقَال ؛ بَلْ هَذَا مُطَالبَة لَهُ بِمُوجِبِ دَعْوَاهُ الإلهية ، وَالدَّلِيلُ : الَّذِي اسْتدلَّ بِهِ إِبْرَاهِيم قَدْ تَمَّ وَثَبَتَ مُوجِبُهُ ؛ فَلَمَّا ادَّعى الْكَافِر أَنه يفعل كَمَا يَفْعُلُ اللهُ ؛ فَيكُونُ إِلَهًا مَعَ الله طَالبه إِبْرَاهِيم بِمُوجِبِ دَعْوَاهُ مُطَالبَة تَتَضَمَّن بُطْلَانهَا ؛ فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ أَنْتَ رَبًّا كَمَا تزْعُمُ فَتُحْيِي وتُمِيْتُ ؛ كَمَا يُحْيِي رَبِّي وَيُمِيتُ ؛ فَإِن الله يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ؛ فتَنْصَاعَ لِقُدْرَتِهِ وتَسْخِيْرِهِ ومشِيْئَتِهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ أَنْت رَبًّا فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ . وَتَأَمَّلْ قَوْلَ الْكَافِر : أَنَا أُحْيِي وأُمِيْتُ ، وَلَمْ يَقُلْ : أَنَا الَّذِي أُحْيِي وأُمِيْتُ . يَعْنِي : أَنَا أَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ الله ؛ فَأَكُون رَبًّا مِثْلَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيم : فَإِن كُنْتَ صَادِقًا ؛ فافْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ فِي طُلُوع الشَّمْس ؛ فَإِذا أطلعها من جِهَة فأطلعها أَنْتَ من جِهَة أخرى . ثمَّ تَأَمَّلْ مَا فِي ضِمْنِ هَذِه المُنَاظَرَةِ مِنْ حُسْنِ الِاسْتِدْلَال بأفعال الربِّ المَشْهُودَة المَحْسُوسَةِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ وُجُودَه وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ

ومشيئتِهِ وَعِلْمِهِ ووحدانيتِهِ مِنَ الْإِحْيَاء والإماتة المَشْهُودَيْنِ الَّذَيْنِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمَا إِلَّا الله وَحده ، وإتيانه تَعَالَى بالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ سِوَاهُ عَلَى ذَلِكَ . وَهَذَا برهَانٌ لَا يقبل الْمُعَارضَة بِوَجْهٍ ، وَإِنَّمَا لَبَّسَ عَدُوُّ اللهِ وأَوْهَمَ الْحَاضِرين أنه قَادرٌ من الْإِحْيَاء والإماتة عَلَى مَا هُوَ مماثلٌ لمَقْدُور الرَّبِّ - تَعَالَى - ؛ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيم : فَإِنْ كَانَ الْأَمر كَمَا زَعَمْتَ ؛ فَأَرِنِي قُدْرَتَك عَلَى الْإِتْيَان بالشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ ؛ لِتَكُونَ مُمَاثِلَةً لقُدْرَةِ اللهِ عَلَى الْإِتْيَان بهَا مِنَ الْمشرق ؛ فَأَيْنَ الِانْتِقَالُ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَال والمُنَاظِرَةِ ؛ بَلْ هَذَا من أَحْسَنِ مَا يَكُون من المُنَاظَرَةِ ، وَالدَّلِيل الثَّانِي مُكَمِّلٌ لِمَعْنى الدَّلِيل الأَوَّلِ ، ومُبَيِّنٌ لَهُ ومُقَرِّرٌ لِتَضَمُّنِ الدَّلِيلَيْنِ أَفْعَالَ الرَّبِّ الدَّالَّة عَلَيْهِ وعَلَى وحْدَانِيَّتِهِ وانْفِرَادِهِ بالرُّبُوبِيَّةِ والإلَهِيَّةِ ؛ كَمَا لَا تَقْدِرُ أَنْتَ وَلَا غَيْرُ اللهِ عَلَى مِثْلِهَا ، وَلَمَّا عَلِمَ عَدُوُّ اللهِ صِحَّةَ ذَلِك ، وأَنَّ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قديرٌ ، لَا يُعْجِزُه شَيْءٌ ، وَلَا يَسْتَصْعِبُ عَلَيْهِ مُرَادٌ ؛ خَافَ أَنْ يَقُولَ لِإبْرَاهِيم : فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا من مغْرِبهَا ؛ فيفعل ذَلِك ؛ فَيَظْهَر لأَتْبَاعِهِ بُطْلَانُ دَعْوَاهُ وَكذبُهُ ، وأنه لَا يَصْلُحُ للرُّبُوبِيَّةِ ؛ فبُهِتَ وَأَمْسَكَ " .

● **وَيَقُولُ - أَيْضًا - فِي " الجَوَابِ الكَافِي "** : " وَمِنْ هَذَا شِّرْكُ - الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البَقَرَة : ٢٥٨] ؛ فَهَذَا جَعَلَ نَفْسَهُ نِدًّا لِلَّهِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ بِزَعْمِهِ ، كَمَا يُحْيِي اللَّهُ وَيُمِيتُ ، فَأَلْزَمَهُ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ طَرْدَ قَوْلِكَ أَنْ تَقْدِرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَلَيْسَ هَذَا انْتِقَالًا ؛ كَمَا زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَدَلِ ؛ بَلْ إِلْزَامًا عَلَى طَرْدِ الدَّلِيلِ إِنْ

كَانَ حَقًّا " .

● **ويَقُولُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في " تَفْسِيْرِهِ "** : " وَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ؛ أَيْ : بِقَلْبِك يَا مُحَمَّدُ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ ؛ أي : وُجُودِ رَبِّهِ ، وَذَلِك أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ إِلَهٌ غَيْرُهُ ؛ كَمَا قَالَ بَعْدَهُ فِرْعَوْنُ لِمَلَئِهِ ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص : ٣٨] . وَمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ الْغَلِيظِ وَالْمُعَانَدَةِ الشَّدِيدَةِ ، إِلَّا تَجَبُّرُهُ ، وَطُولُ مُدَّتِهِ فِي الْمُلْكِ ، وَذَلِك أَنَّهُ يُقَالُ : إِنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ فِي مُلْكِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ ، وكان طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الذي يدعو إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ؛ أي : إِنَّمَا الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ ، حُدُوثُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا، وَعَدَمُهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ ضَرُورَةً ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا ؛ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا ، وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ ؛ فَعِنْدَ ذَلِك قَالَ المُحَاجُّ – وَهُوَ النُّمْرُودُ – أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ . قَالَ قَتَادَةُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَالسُّدِّيُّ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ : وَذَلِك أَنِّي أُوتَى بِالرَّجُلَيْنِ قَدِ اسْتَحَقَّا الْقَتْلَ ؛ فَآمُرُ بِقَتْلِ أَحَدِهِمَا فَيُقْتَلُ ، وَبِالْعَفْوِ عَنِ الْآخَرِ فَلَا يُقْتَلُ ؛ فَذَلِك مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ !!

وَالظَّاهِرُ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – : أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ ، وَلَا فِي مَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لِوُجُودِ الصَّانِعِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ يَدَّعِيَ لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ ؛ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِك ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحَيِّي وَيُمِيتُ ؛ كَمَا اقْتَدَى بِهِ فِرْعَوْنُ فِي

قَوْلِهِ : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ، لَمَّا ادَّعَى هَذِهِ الْمُكَابَرَةَ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ ؛ أَيْ : إِذَا كُنْتَ كَمَا تَدَّعِي مِنْ أَنَّكَ تُحْيِي وَتُمِيتُ، فَالَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي الْوُجُودِ فِي خَلْقِ ذَوَاتِهِ وَتَسْخِيرِ كَوَاكِبِهِ وَحَرَكَاتِهِ ؛ فَهَذِهِ الشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ إِلَهًا كَمَا ادَّعَيْتَ تُحْيِي وَتُمِيتُ ، فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ؟ فَلَمَّا عَلِمَ عَجْزَهُ وَانْقِطَاعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُكَابَرَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، بُهِتَ ؛ أَيْ : أُخْرِسَ ، فَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

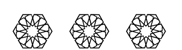
● قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ؛ أَيْ : لَا يُلْهِمُهُمْ حُجَّةً وَلَا بُرْهَانًا ؛ بَلْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَهَذَا التَّنْزِيلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ مِمَّا ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَنْطِقِيِّينَ ، أَنَّ عُدُولَ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ إِلَى الْمَقَامِ الثَّانِي انْتِقَالٌ مِنْ دَلِيلٍ إِلَى أَوْضَحَ مِنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ يُطْلِقُ عِبَارَةً رَدِيَّةً تُرْدِيْهِ ! وَلَيْسَ كَمَا قَالُوهُ ؛ بَلِ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ يَكُونُ كَالْمُقَدَّمَةِ لِلثَّانِي ، ويُبَيِّنُ بُطْلَانَ مَا ادَّعَاهُ نُمْرُوذُ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ والمِنَّةُ " .

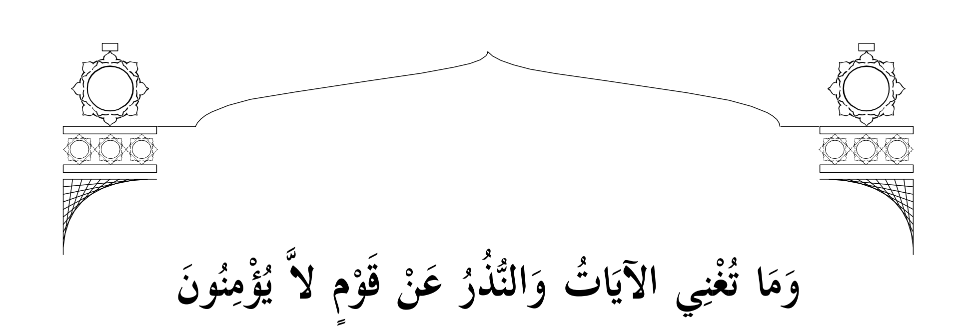
وأَكْثَرُ المُفَسِّرِيْنَ ؛ كَمَا قَالَ البَغَوِيُّ فِي " مَعَالِمِ التَّنْزِيْلِ " : " قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ : دَعَا نُمْرُودُ بِرَجُلَيْنِ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَاسْتَحْيَا الْآخَرَ ؛ فَجَعَلَ تَرْكَ الْقَتْلِ إِحْيَاءً لَهُ !! فَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى حُجَّةٍ أُخْرَى ، لَا عَجْزًا ؛ فَإِنَّ حُجَّتَهُ كَانَتْ لَازِمَةً ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْإِحْيَاءِ إِحْيَاءَ الْمَيِّتِ ؛ فَكَانَ لَهُ أَنْ يَقُولَ : فَأَحْيِ مَنْ أَمَتَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ؛ فَانْتَقَلَ إِلَى حُجَّةٍ

أُخْرَى أَوْضَحَ مِنَ الْأُولَى . ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ؛ أَيْ : تَحَيَّرَ وَدَهِشَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ ؛ فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ بُهِتَ وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُعَارِضَ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَيَقُولُ لَهُ : سَلْ أَنْتَ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ . قِيلَ : إِنَّمَا لَمْ يَقُلْهُ ؛ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ لَوْ سَأَلَ ذَلِكَ دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ ؛ فَكَانَ زِيَادَةً فِي فَضِيحَتِهِ وَانْقِطَاعِهِ ، وَالصَّحِيحُ : أَنَّ اللَّهَ صَرَفَهُ عَنْ تِلْكَ الْمُعَارَضَةِ ؛ إِظْهَارًا لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، أَوْ مُعْجِزَةً لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام . ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ " . انتهى .

فالحَقُّ أَبْلَجُ ، وَالبَاطِلُ لَجْلَجٌ .. والحَقُّ غَالِبٌ مَنْصُورٌ ، والبَاطِلُ مَهْزُومٌ مَدْحُورٌ .. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء : ١٨] .

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١] .





وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ

● يَقُولُ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يوسف : ١٠١] .

فلا يَنْتَفِعُ بالآيَاتِ إلاَّ مَنْ وفَّقَهُ اللهُ – تَعَالَى – ، ورزَقَهُ الهدَايَةَ والتَّوفِيْقَ والسَّدَادَ والرَّشَادَ ؛ فهَذَا الصِّنْفُ الطَّاهِرُ هُوَ ؛ كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر : ٢٢] .

وهؤلاء هُمُ المُوقِنُونَ ؛ فَفِي أَمْثَالِهِمْ يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران : ١٩٠- ١٩١] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ۝٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ

بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١- ٢٤] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤﴾ [الرعد: ٤] .

● وقَالَ : ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠] .

أمَّا الضَّالُّون المكَذِّبُونَ ؛ فـ : كَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١] .

فلا تَوْفِيْقَ لَهُمْ ولا هِدَايَةَ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى – أَيْضًا – : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤] . بمَعْنَى : لَا يُوَفِّقُهُم ؛ بَلْ يَصْرِفُهُم عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ .

لأَنَّهُمْ مُعْرِضُون دَائِمًا عَنْ آيَاتِ اللهِ البَاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ .. ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦ و١٤٧] .

و" الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ " ؛ كَمَا قالَ ﷺ .



نِهَايَةُ كُلِّ مُلْحِدٍ

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾

إيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ (أَيُّهَا المُلْحِدُ الظَّلُومُ الجَهُولُ) أَنَّك بِمَأْمَنٍ مِنْ عَذَابِ اللهِ وبَطْشِهِ ، ولا يَغُرَّنَّكَ حِلْمُ اللهِ وإمْهَالُهُ ؛ فاللهُ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ – أَيُّهَا المَلاحِدَةُ – ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحْلُ : ٥٥] ، وكَمَا قَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٞ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعرافُ : ١٨٠– ١٨٣] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝١٨٣﴾ [القلَمُ : ٤٤ و ٤٥] .

وهُنَاكَ وَقَائِعُ كَثِيْرَةٌ تُؤَكِّدُ لَكَ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ القُرْآنُ ؛ فَأَيْنَ فِرْعَوْنُ – الطَّاغِيَةُ – الذِي قَالَ : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازِعَاتُ : ٢٤] ؟ قَالَ – تعَالَى – : ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأٓخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةٗ لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النَّازِعَاتُ : ٢٥ و ٢٦] .

● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلْأٓخِرِينَ﴾ [الزُّخْرُفُ : ٥٥ – ٥٦] .

أَيْنَ عادٌ وثَمُودُ ؟! .. أَيْنَ قَوْمُ تُبَّعٍ وأَصْحابُ الأيْكَةِ وقَوْمُ لوطٍ ؟! .. أيْنَ هَامَانُ وَقَارُونُ ؟! .. أَيْنَ الجَبابِرَةُ وَالظَّالِمُونَ ؟!!

أَيْنَ المُلوكُ التِي حُفَّتْ مَدَائِنُهَا دُونَ المَنَايَا بِحُجَّابٍ وحُرَّاسِ

فالوَعِيْدُ آتٍ لا مَحالَةَ .. قَالَ تَعالَى - مُتوَعِّدًا - : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعامُ : ١٣٤] .

● وقَالَ : ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحلُ : ٤٥- ٤٧] .

● وقَالَ : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوتُ : ٢٢] .

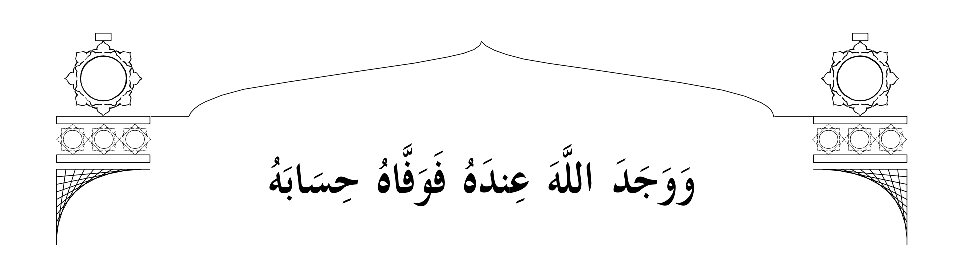
● وقَالَ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان : ٣٣] .

وَلَكِنْ ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرَّعْدُ : ٨] .. و ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرَّعْدُ : ٣٨] .

● وقَالَ - تَعالَى - : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

فإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ ؛ فَلا سَبِيْلَ للفِرَارِ وَالهَرَبِ .. بَلِ العُقُوبَةُ الشَّدِيْدَةُ ، والعَذَابُ الأَلِيْمُ - ولابُدَّ - .. ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص : ٣] .. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر : ٧٨][(١)] .

(١) انْظُرْ - عَلَى اليوتيوب - مقطعًا لبيانِ ذلك بعنوان : " نهايةُ مُلْحِدين تحدَّوُا اللهَ ، وشتَمُوه ؛ فأهلَكَهُم بذُنُوبِهم / شاهد للعبرة " . =



وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ

لقَدْ نَأَى المُلْحِدُونَ مَنْأًى بَعِيْدًا ، وارْتَقَى هَؤُلاءِ اللَّادِنيُّوْنَ مُرْتَقًى صَعْبًا عَصِيْبًا شَدِيْدًا ، وذَلِكَ حِيْنَ أَبَوْا أَنْ يَذِلُّوا ويَنْقَادُوا ويَتواضَعُوا للحَقِّ ﷻ ؛ فَيَعْتَرِفُوا لَهُ بِالفَضْلِ ؛ فَالفَضْلُ ابْتِدَاءً وانْتِهَاءً مِنْهُ .

● قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّساءُ : ١١٣] ، وقَالَ : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقرةُ : ٣١] ، وقَالَ : ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العَلَقُ : ٥] .

ولكِنَّ الكِبْرَ والغُرُورَ مَلأَ قُلُوبَ هَؤُلاءِ الجُهَّالِ الطِّغَام ؛ فَتَوَهَّمُوا خِلافَ الحَقِيْقَةِ ؛ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ هُمُ الذِّيْنَ صَنَعُوا وفَعَلُوا وغَيَّرُوا ؛ كَمَا قَالَ قَارُونَ - مِنْ قَبْلُ - : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القَصَصُ : ٧٨] ، واللهُ يَقُولُ : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإِسْرَاءُ : ٨٥] .

ولكنَّهُمْ نَسُوُا اللهَ الأَجَلَّ الأَعْظَمَ ، وأَعْرَضُوا عَنْهُ ، رُكُونًا إِلَى

= والرابط هو :

(https ://www.youtube.com/watch?v=٤OmgRwqtCTw) .

ومقطعًا بعنوان : " نهاية كل ملحد " .

والرابط هو :

(https ://www.youtube.com/watch?v=c١OmUsSCFBl) .

شَهَواتِهِمْ وَنَزَوَاتِهِمْ ، وَحِرْصًا عَلَى أَهْدَافِهِمْ ، بِالرَّغْمِ أَنَّ الآيَاتِ أَمَامَهُم كَانَتْ وَاضِحَةً جليَّةً ، وَلَكِنَّهُ الإعْرَاضُ والكِبْرُ عَلَى اللهِ وَآيَاتِهِ العَلِيَّةِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأنْعَامُ : ٤] ؛ فَبِئْسًا لَهُمْ وَسُحْقًا ، وَلِذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ سَيُفَاجَأُونَ بِاللهِ أَمَامَهُمْ يَوْمَ الخِزْيِّ والنَّدَامَةِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النُّورُ : ٣٩] .

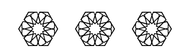
● **يَقُولُ الطَّبَرِيُّ فِي " تَفْسِيْرِهِ "** : " فَكَذَلِكَ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي غُرُورٍ ، يَحْسِبُونَ أَنَّهَا مُنْجِيَتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَذَابِهِ ؛ كَمَا حَسِبَ الظَّمْآنُ الَّذِي رَأَى السَّرَابَ ، فَظَنَّهُ مَاءً يَرْوِيهِ مِنْ ظَمَئِهِ ؛ حَتَّى إِذَا هَلَكَ وَصَارَ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَرَى أَنَّهُ نَافِعُهُ عِنْدَ اللَّهِ ، لَمْ يَجِدْهُ يَنْفَعُهُ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَمَلُهُ عَلَى كُفْرٍ بِاللَّهِ ، وَوَجَدَ اللَّهَ هَذَا الْكَافِرُ عِنْدَ هَلَاكِهِ بِالْمِرْصَادِ ؛ فَوَفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَ أَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الدُّنْيَا ، وَجَازَاهُ بِهَا جَزَاءَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ مِنْهُ " .

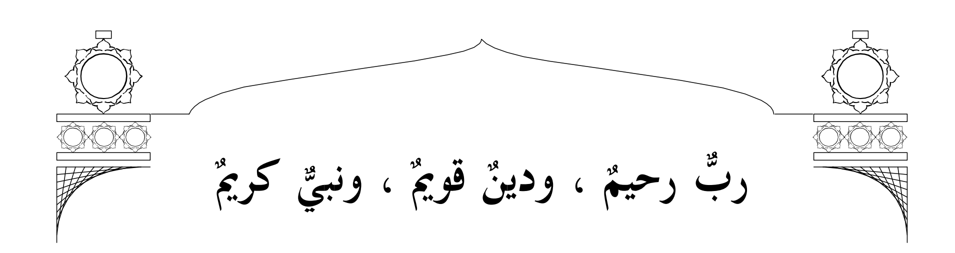
● **وَيَقُولُ البَغَوِيُّ فِي " تَفْسِيْرِهِ "** :

" ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ " السَّرَابُ " الشُّعَاعُ الَّذِي يُرَى نِصْفَ النَّهَارِ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي الْبَرَارِيِّ ، يُشْبِهُ الْمَاءَ الْجَارِيَ عَلَى الْأَرْضِ يَظُنُّهُ مَنْ رَآهُ مَاءً ؛ فَإِذَا قَرُبَ مِنْهُ انْفَشَّ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا . . وَ"الْقِيعَةُ " : جَمْعُ الْقَاعِ ، وَهُوَ الْمُنْبَسِطُ الْوَاسِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَفِيهِ يَكُونُ السَّرَابُ ، ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ ؛ أَيْ : يَتَوَهَّمُهُ

الْعَطْشَانُ ، ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ ؛ أَيْ : جَاءَ مَا قَدْ رَأَى أَنَّهُ مَاءٌ . وَقِيلَ : جَاءَ مَوْضِعَ السَّرَابِ ، ﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـًٔا﴾ عَلَى مَا قَدَّرَهُ وَحَسِبَهُ ؛ كَذَلِكَ الْكَافِرُ يَحْسَبُ أَنَّ عَمَلَهُ نَافِعُهُ ؛ فَإِذَا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَاحْتَاجَ إِلَى عَمَلِهِ لَمْ يَجِدْ عَمَلَهُ أَغْنَى مِنْهُ شَيْئًا وَلَا نَفَعَهُ . ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ ؛ أَيْ : عِنْدَ عَمَلِهِ ؛ أَيْ : وَجَدَ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ . وَقِيلَ : قَدِمَ عَلَى اللَّهِ . ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ ؛ أَيْ : جَزَاءَ عَمَلِهِ . ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ " . انتهى .

فَهلاَّ ارْعَوَى هَؤُلاءِ ؛ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ ذَلِكَ حَتْمًا ! وَسَيَقِفُ الجَمِيْعُ أَمَامَ مَلِكِ المُلُوكِ جَلَّ جَلَالُهُ للحِسَابِ والسُّؤالِ ؛ فَلْيُعِدَّ كُلٌّ جَوَابًا فِي هَذَا المَوْقِفِ المَهِيْبِ العَصِيْبِ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء : ٤٧] .





ربٌّ رحيمٌ ، ودينٌ قويمٌ ، ونبيٌّ كريمٌ

لَنْ تَجِدَ رَبًّا كَرَبِّكَ ، وَلَنْ تَجِدَ دِيْنًا كَدِيْنِكَ ، وَلَنْ تَجِدَ نبيًّا كَنَبِيِّك .

فـ : ربُّكَ : هو : الحليمُ ، الكريمُ ، الرحيمُ ، الودودُ ، اللطيفُ .

له الأسماء الحسنى ، والصفاتُ العلا .

له صفاتُ الكمال ، والجلال ، والجمال .

ذو العزةِ والجبروت ، والعظمةِ والملكوت .

يفرحُ بك إنْ رجعتَ إليه .

يتوبُ عليك إنْ تبتَ إليه .

يُقْبِلُ عليك إنْ أقبلتَ عليه .

يعفُو عنك .. ويخففُ .. يتجاوزُ عنك .. ويلطفُ .

يُمْهِلُ كثيرًا .. ويَصْبِرُ كثيرًا .. يُعْطي كثيرًا .. ويُكْرِمُ كثيرًا .

﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ .

﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ .

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ .

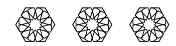
﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ .

و : **نبيُّكَ : هو** : نبيُّ الرحمةِ ، والملحمةِ ، والتوبةِ ، (لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ) . وهو : الرحمةُ المهداةُ ، والنعمةُ المُسْداةُ . ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ . وفي الخبرِ عنهُ ﷺ : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ** "[١] . وله شاهدٌ في الخبرِ الآخرِ عنهُ – أيضًا – ﷺ : " **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** " . رواه مسلمٌ عن أبي هريرةَ .

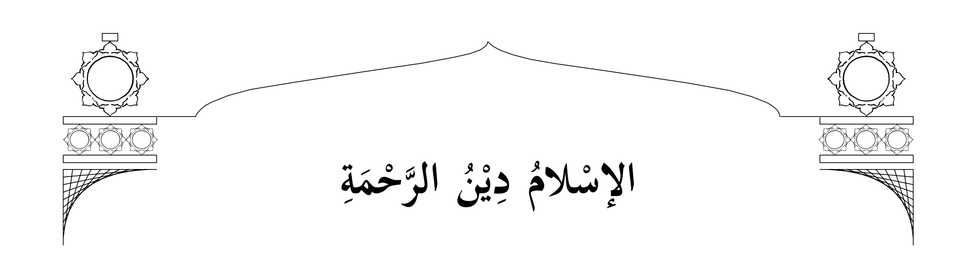
و : **دينُكَ** : **هوَ** : دينُ الحقِّ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ ، وهو الدينُ القيمُ ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ﴾ . ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ . وهو : دينُ الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُۗ﴾ . وهو الذي ارتضاه الله – تَعَالَى – للأمة المحمدية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًاۚ﴾ .

فَقُلْ – ولا تَتَرَدَّدْ – : (رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا) .

فَحَقًّا .. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ .



(١) **صحيحٌ لغيرهِ** ؛ فقد رواه ابن أبي شيبةَ مرسلًا ، ووصله الحاكم في " مستدركهِ " ، ويشهَدُ لَهُ مَا بَعْدَهُ في " صحيح " مُسْلِمٍ .



الإسْلامُ دِيْنُ الرَّحْمَةِ

كُنْ عَلَى يقينٍ أنَّ الإسلامَ هو دينُ الرَّحْمَةِ والعَدْلِ ، والرِّفْقِ واللِّيْنِ ، والعَفْوِ والإحْسَانِ :

● يَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياءُ : ١٠٧] .

● ويَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمرانَ : ١٥٩] .

● ويَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحلُ : ٩٠] .

● ويَقُولُ - تعالَى - : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [النَّحلُ : ٤٦] .

● ويَقُولُ - تعالَى - : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ٤٤﴾ [النَّازعاتُ : ٤٣ و ٤٤].

وكَمَا أَنَّ الإسْلامَ العَظِيْمَ هُوَ دِيْنُ الرَّحْمَةِ ، وأنَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا هُوَ نَبِيُّ المَرْحَمَةِ ؛ فهُوَ كذلكَ نبيُّ المَلْحَمَةِ ﷺ بُعِثَ بِالسَّيْفِ والذَّبْحِ

(يعني : القتل[١]) ، أُمِرَ بقتالِ المشركينَ كافةً ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة : ٣٦] ، وقَالَ : ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة : ١٩١] ، وقَالَ : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة : ١٩٣] ، وقَالَ : ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ٩١] . . وآياتُ السَّيْفِ في هذا كثيرةٌ ، وهي مُحْكَمَةٌ ، وليست منسوخةً عَلَى الرَّاجحِ منْ أقوالِ المُفَسِّرِيْنَ .

وتأمَّلْ (كذلك) هذهِ الآيةَ المُحْكَمَةَ الكَرِيْمَةَ ؛ إِذْ يَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّوبةُ : ٢٩] .

ولعلَّ المُسْتَبْصِرَ المُسْتَرْشِدَ يَسْتَبِيْنُ لهُ فِقْهُ القتالِ المأمورِ بهِ في قرآنِ ربِّنَا (تَبَارَكَ وتَعَالَى) المُنَزَّلِ على قلْبِ المَعْصُومِ ﷺ .

---

(١) فَمَا جَاءَ في بعض الأحاديثِ التي تفيدُ ذلك ؛ فليس معناه ؛ كما ذهبَ إليه الدَّواعشُ (الدَّمويُّون !! التَّكفيريون !! الخوارجُ) ؛ بل مرادُهُ عليه السلام في هذه النُّصوصِ = القَتْلُ ، والتَّعْبِيْرُ بهذا هُوَ طريقةٌ معروفة عند العربِ ، يعَبِّرُونَ بالذَّبح عَنِ القَتْلِ ، وبالكلام الجارح - كذلك - يقال : ذبحتُهُ بكلامِي ، ثُمَّ إنَّ الذِي فَعَلَهُ النبيُّ ﷺ مَعَ المشركين طُوَالَ حُروبهِ مَعَهُمْ ، إنَّمَا هو القَتْلُ ، ولَيْسَ الذَّبْحَ حَقِيْقَةً ؛ فلابُدَّ من معرفةِ أنواع الخطابِ وضروبهِ ، وهذا ما لا يُحْسِنُهُ هَؤلاء المَأْجُورُونَ الجاهِلُونَ !!!

● وهُوَ مَا يُوَضِّحُهُ بجلاءٍ هذا الحديثُ النبويُّ الصحيحُ الثابتُ ، الذي رواه الإمَامُ مُسْلِمٌ في " صحيحهِ " مِنْ حديثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ : " **اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا** " .

◆ **فاسْتَفَدْنَا (مِمَّا سَبَقَ ؛ مِنْ أَدِلَّةٍ قَوِيَّةٍ أَلْمَعِيَّةٍ) عِدَّةَ أُمُورٍ :**

١ - **أَنَّ دِينَنَا لا يُكْرِهُ أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِيْهِ** ؛ كَمَا قالَ - تَعَالَى - :

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، ويقولُ – تَعالَى – لنبيِّهِ ﷺ : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس : ٩٩] .

٢– **أنَّ مَنْ يُقَاتِلُنَا نُقَاتِلُهُ ونُحارِبُهُ** .. ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ . ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة : ١٩٠] .

٣– **دعوةُ الجَمِيْعِ إلَى الإسْلامِ** . ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل : ١٢٥] .

٤– **فإنْ أبَوْا ؛ فتفرضُ علَيْهِمُ الجِزْيةُ** ، وذلكَ كلَّ عامٍ ، ويُقَدِّرهَا إمامُ المُسْلِمِيْنَ ؛ لتكونَ الغلبَةُ والقوَّةُ للحقِّ ولمنهَجِ اللهِ في الأَرْضِ – دونَ أنْ يُمَسَّ أَحَدٌ منْهُمْ بِظُلْمٍ – .

٥– **فإنْ أبَوْا دفْعَ الجِزيةِ ؛ فالقِتَالُ** ؛ لأنَّهُمْ حينَ يرفضونَ الجزيةَ ؛ فإذنْ هذَا إيذانٌ منهم بالغطْرَسةِ وعدمِ الأمانِ ؛ لِذَا قَالَ – تعَالَى – : ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ . وقَالَ : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ . فالقِتَالُ لا يُبْدأُ بهِ أولًا ؛ بل يكونُ بعدَ الدَّعوةِ ، وفرضِ الجزيةِ ؛ فإنْ أَبَوْا الدُّخُولَ فِي الإسْلامِ ؛ فلا يكرهونَ عَلَى ذلك ، لكنْ شريطةَ أنْ يدفَعُوا الجِزْيَةَ ، وإلاَّ ؛ فالقِتَالُ .

٦– **مَعَ مراعاةِ عَدَمِ قتالِ مَنْ لَمْ يقاتلْ ولَمْ يباشرِ القتالَ** ؛ كالصَّبِيِّ ، والمَرْأَةِ ، والشَّيْخِ الكبيرِ ، وعدمِ التمثيلِ بجثثِ القَتْلَى ؛

لقَوْلِهِ ﷺ : " **وَلَا تَمْثُلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا** " . وَقَالَ ﷺ لمَّا رَأَى امرأة مقتولةً في السَّبْيِ : " **مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ** " .

٧- **وَكُلُّ هذا الذي تَقَرَّرَ ؛ إنَّمَا هُوَ فِي الحقيقةِ ؛ رحْمَةً بالنَّاسِ** ؛ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء : ٢٦ و ٢٧] .

● وفي " صحيح " البخاريِّ منْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : " **عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ** " . وبوَّبَ الإمامُ البُخَارِيُّ عليه بقولِهِ : (بَابُ الأُسَارَى فِي السَّلاَسِلِ) .

أي : يؤخَذُون في الأسْرِ ؛ فيُسْلمُوا ، ويَحْسُنُ إسلامُهُم .

وهذه فضيلةٌ ومنقبةٌ للأمةِ المحمَّديةِ ؛ كمَا في " صحيح " البخاريِّ منْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ : " خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ " .

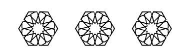
فيكُونُ الأسرُ لهُمْ (سببًا) لنَجَاتِهِمْ من النَّارِ ، ولسَعَادَتِهِم فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

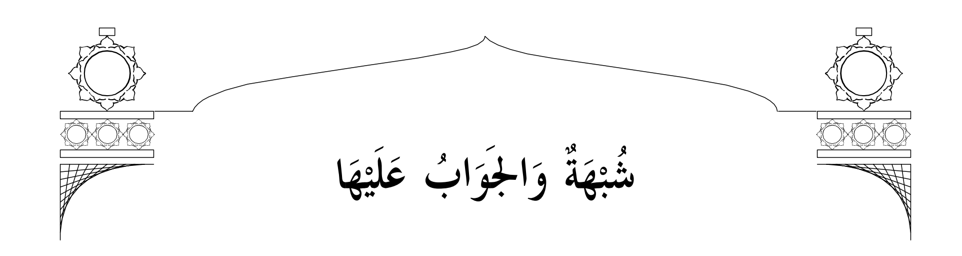
فالقِتَالُ لَيْسَ الهَدَفُ مِنْهُ التَّشفِّي ، وإراقةَ الدماءِ ، وتخريبَ المنازلِ والمساكنِ والبيوتِ ؛ إنمَّا هُوَ لتَمْكِيْنِ المُسْلِمِيْنَ ؛ لأجلِ دَعْوَةِ الناسِ إلَى الدِّيْنِ الحقِّ .. والدِّفاعِ عنْهُ .. والعملِ علَى نَشْرِهِ .. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة : ٣٣] . وقالَ ﷺ : " **مَنْ**

قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا ؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ " .

فالمُعْتَرِضُ (لهَذَا الحقِّ وأهْلِهِ المُبَلِّغِين لَهُ) يُقَاتَلُ ويقاوَمُ بحَزْمٍ وقُوَّةٍ ، والمُسْتَسْلِمُ (الذي لا يُرِيْدُ الإسْلامَ ، والذِي لَمْ يُكْرَهْ عَلَيْهِ ، بَعْدَ دَعْوَتهِ إلَيْهِ) يَدْخُلُ في ذمَّةِ المُسْلِمِيْنَ ؛ حِفْظًا لَه ورعَايةً ؛ شريطةَ أنْ تُدْفَعَ الجِزْيَةُ لأَهْلِ الإسلام مُقَابِلَ هذه الرِّعَايةِ والحمايةِ ؛ فَهَلْ فِي ذِلِك مِنْ حَرَجٍ أيُّهَا المُنْصِفُون ؟!!

أمَّا الذين لا يُرِيْدُونَ أَنْ تَكُونَ للإسْلامِ كَلِمَةٌ ؛ فاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيْطٌ .





شُبْهَةٌ وَالجَوَابُ عَلَيْهَا

يُورِدُ بَعْضُ مَرْضَى القُلُوبِ شبهةً في هذا البابِ ؛ ألا وهي : كيفَ يَقُولُ النبيُّ ﷺ : " أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ " .

✧ **والجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ :**

١ – الوَجْهُ الأَوَّلُ :

أَنَّ المُرَادَ بِالنَّاسِ (هُنَا) مُشْرِكُو العَرَبِ (المُحَارِبُونَ) ، ولَيْسَ كُلُّ النَّاسِ ؛ **قال الإمامُ ابنُ تَيْمِيَّةَ فِي " الفتاوى " (٨/ ١٠٠) :** " وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ لَا يُقِرُّونَ بِالْجِزْيَةِ وَإِنْ أَقَرَّتْ الْمَجُوسُ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْبَلْ الْجِزْيَةَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ؛ بَلْ قَالَ : **" أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ "** .

فكَلِمَةُ النَّاسِ تَأْتِي فِي نُصُوصٍ ، ويُرَادُ بِهَا أُنَاسٌ مَخْصُوصُونَ ؛ كَمَا فِي قولِهِ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

" **وَالْمُرَادُ** : وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنْ كَانَ مَخْرَجُ الْكَلَامِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ " ؛ كما قال الإمامُ الطبريُّ . وقالَ : " وَالنَّاسُ الْأَوَّلُ هُمْ قَوْمٌ – فِيمَا ذُكِرَ لَنَا –، كَانَ أَبُو سُفْيَانَ سَأَلَهُمْ أَنْ يُثَبِّطُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِهِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ عَنْ أُحُدٍ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ . وَالنَّاسُ الثَّانِي : هُمْ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ بِأُحُدٍ، يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران : ١٧٣] قَدْ جَمَعُوا الرِّجَالَ لِلِقَائِكُمْ ، وَالْكَرَّةِ إِلَيْكُمْ لِحَرْبِكُمْ ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران : ١٧٣] " .

٢- **والوَجْهُ الثَّانِي :**

لَوْ قِيْلَ : المُرَادُ بالنَّاسِ جَمِيْعَ النَّاسِ ؛ فإنَّ ذلك منوطٌ بدفعِ الجزيةِ ؛ **قال الإمامُ ابن تيْمِيَّة فِي " مِنْهَاجِ السُّنَّةِ " (٥١٤/٨ وما بعدها) :**

" وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ ، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَخْذِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ .

وَتَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي سَائِرِ الْكُفَّارِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ :

فَقِيْلَ : جَمِيعُهُمْ يُقَاتَلُونَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ إِذَا لَمْ يُسْلِمُوا ، وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ .

وَقِيلَ : يُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ .

وَقِيلَ : ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ ، وَمَنْ لَهُ شُبْهَةُ كِتَابٍ ،

وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ .

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مُتَّفِقَانِ فِي الْمَعْنَى ؛ فَإِنَّ آيَةَ الْجِزْيَةِ لَمْ تَنْزِلْ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قِتَالِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّ آخِرَ غَزَوَاتِهِ لِلْعَرَبِ كَانَتْ غَزْوَةَ الطَّائِفِ ، وَكَانَتْ بَعْدَ حُنَيْنٍ ، وَحُنَيْنٌ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ ، وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ غَزَا النَّصَارَى عَامَ تَبُوكَ ، وَفِيهَا نَزَلَتْ سُورَةُ " بَرَاءَةَ " ، وَفِيهَا أُمِرَ بِالْقِتَالِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ .

" وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " ، وَصَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ نَصَارَى نَجْرَانَ عَلَى الْجِزْيَةِ ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَدَّى الْجِزْيَةَ ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ(١) .

وَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ تِسْعٍ نَفَى الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْحَرَمِ ، وَنَبَذَ الْعُهُودَ

(١) **وقَالَ في "فَتَاوَاهُ" (٧/٦٠٦) :** " وَصَدْرُ آلَ عِمْرَانَ وَمَا فِيهَا مِنْ مُخَاطَبَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ نَزَلَ لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدُ نَجْرَانَ النَّصَارَى وَنَاظَرُوهُ فِي أَمْرِ الْمَسِيحِ ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَدَّى الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ إِنْزَالِ سُورَةِ بَرَاءَةٌ الَّتِي شَرَعَ فِيهَا الْجِزْيَةَ ، وَأَمَرَ فِيهَا بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وَغَزَا النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ الَّتِي غَزَا فِيهَا النَّصَارَى لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة : ٢٩] " .

إِلَيْهِمْ ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ، وَأَسْلَمَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْعَرَبِ كُلُّهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ مُعَاهِدٌ لَا بِجِزْيَةٍ وَلَا بِغَيْرِهَا وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ يُعَاهِدُهُمْ بِلَا جِزْيَةٍ، فَعَدَمُ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ : هَلْ كَانَ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ مَنْ يُقَاتِلُ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ؛ بَلْ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ لِمَا رَأَوْا مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ وَظُهُورِهِ ، وَقُبْحِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنَفَتِهِمْ مِنْ أَنْ يُؤْتُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ؟ .

أَوْ : لِأَنَّ الْجِزْيَةَ لَا يَجُوزُ أَخْذُهَا مِنْهُمْ ؛ بَلْ يَجِبُ قِتَالُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ تُؤْخَذُ مِنْ سَائِرِ الْكُفَّارِ ؛ كَمَا قَالَهُ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَمَّا أُمِرَ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ وَنُهِيَ عَنْ مُعَاهَدَتِهِمْ بِلَا جِزْيَةٍ ؛ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ أَوَّلًا ، وَكَانَ هَذَا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْلَى أَنْ لَا يُهَادَنَ بِغَيْرِ جِزْيَةٍ ؛ بَلْ يُقَاتَلُ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجُوسِ : " سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ " ، وَصَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ عَلَى الْجِزْيَةِ ، وَفِيهِمْ مَجُوسٌ ، وَاتَّفَقَ عَلَى ذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ وَسَائِرُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ وَيُهَادِنُهُمْ ، بِلَا جِزْيَةٍ ؛ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ قَبْلَ نُزُولِ بَرَاءَةَ ؛ فَلَمَّا نَزَلَتْ " بَرَاءَةُ " أَمَرَهُ فِيهَا بِنَبْذِ هَذِهِ الْعُهُودِ الْمُطْلَقَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ أَهْلَ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ[1] ؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى أَنْ يُقَاتَلُوا وَلَا يُعَاهَدُوا.

(١) **وَقَالَ فِي " الصَّارِمِ المَسْلُولِ " (ص : ٢٢٠)** : " فَلَمَّا أَتَى اللهُ بأمرِهِ الذِي =

وَقَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ، وَقَالَ : ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ [التَّوْبَة : ٥] ، وَلَمْ يَقُلْ : قَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَتُوبُوا .

وَقَوْلُهُ : **" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " حَقٌّ** ؛ فَإِنَّ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يُقَاتَلْ بِحَالٍ ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْهَا ؛ قُوتِلَ حَتَّى يُعْطِي الْجِزْيَةَ ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَنْصُوصُ صَرِيحًا عَنْ أَحْمَدَ ، وَالْقَوْلُ الْآخَرُ الَّذِي قَالَهُ الشَّافِعِيُّ ؛ ذَكَرَهُ الْخِرَقِيُّ فِي " مُخْتَصَرِهِ " ، وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ آيَةَ بَرَاءَةَ لَفْظُهَا يَخُصُّ النَّصَارَى ، وَقَدِ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ حُكْمَهَا يَتَنَاوَلُ الْيَهُودَ وَالْمَجُوسَ .

● **وَالْمَقْصُودُ** : أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ مُنْحَصِرًا بَيْنَ أَنْ يُقَاتِلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَبَيْنَ إِسْلَامِهِمْ إِذَا كَانَ هُنَا قِسْمٌ ثَالِثٌ ، وَهُوَ مُعَاهَدَتُهُمْ ؛ فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْجِزْيَةِ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْقِتَالِ أَوِ الْإِسْلَامِ ، وَالْقِتَالُ إِذَا لَمْ يُسْلِمُوا حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ؛ فَصَارَ هَؤُلَاءِ ؛ إِمَّا مُقَاتِلِينَ ، وَإِمَّا مُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَقُلْ : تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجَبَ قِتَالُهُمْ إِلَى أَنْ يُسْلِمُوا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ بَلْ إِذَا أَدَّوُا الْجِزْيَةَ لَمْ يُقَاتَلُوا ، وَلَكِنَّهُمْ مُقَاتَلِينَ أَوْ مُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤَدُّونَ الْجِزْيَةَ بِغَيْرِ الْقِتَالِ ؛ لِأَنَّهُمْ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَلَا يَجُوزُ

= وعَدَهُ مِنْ ظهورِ الدِّينِ ، وعِزِّ المؤمنيْنَ أَمَرَ رَسُولَهُ بالبَرَاءَةِ إِلَى المُعَاهَدِيْنِ ، وبِقِتَالِ المشْرِكِيْنَ كافةً ، وَبِقِتَالِ أهْلِ الكتابِ ، حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يدٍ وهُمْ صَاغِرُونَ" .

مُهَادَنَتُهُمْ بِغَيْرِ جِزْيَةٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ؛ بَلْ وَعُثْمَانَ فِي خِلَافَتِهِمْ ، قُوتِلَ هَؤُلَاءِ ، وَضُرِبَتِ الْجِزْيَةُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ ؛ فَأَعْظَمُ قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَأَشَدُّهُ كَانَ فِي خِلَافَةِ هَؤُلَاءِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُقَاتِلْهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَفِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ اسْتَظْهَرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَقُتِلَ زَيْدٌ ، وَجَعْفَرٌ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَأَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدٌ وَغَايَتُهُمْ أَنْ نَجَوْا.

وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّنَا نُقَاتِلُهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ؛ فَهَذِهِ صِفَةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الثَّلَاثَةِ ؛ فَيَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةَ مُخْتَصَّةً بِغَزْوَةِ مُؤْتَةَ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا قِتَالُ الْمُسْلِمِينَ فِي فُتُوحِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَخُرَاسَانَ ، وَهِيَ الْغَزَوَاتُ الَّتِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهَا الْإِسْلَامَ ، وَظَهَرَ الْهُدَى وَدِينُ الْحَقِّ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ".

● **وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي " فَتَاوَاهُ " – وهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الجِزْيَةِ – (١٩ / ١٩ وما بعدها) :**

" وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُفَرَّقُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ . ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يُجَوِّزُ أَخْذَهَا مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْخُذُهَا إلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْخُذْ الْجِزْيَةَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَأَخَذَهَا مِنْ الْمَجُوسِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ .

فَمَنْ قَالَ : تُؤْخَذُ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ. قَالَ : إنَّ آيَةَ الْجِزْيَةِ لَمَّا نَزَلَتْ أَسْلَمَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ عَامَ تَبُوكَ وَلَمْ يَبْقَ عَرَبِيٌّ مُشْرِكٌ مُحَارِبًا ، وَلَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ لِيَغْزُوَ النَّصَارَى عَامَ تَبُوكَ بِجَمِيعِ

الْمُسْلِمِينَ – إلَّا مَنْ عَذَرَ اللَّهُ – وَيَدَعُ الْحِجَازَ وَفِيهِ مَنْ يُحَارِبُهُ وَيَبْعَثُ أَبَا بَكْرٍ عَامَ تِسْعٍ فَنَادَى فِي الْمَوْسِمِ أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عريان وَنَبَذَ الْعُهُودَ الْمُطْلَقَةَ وَأَبْقَى الْمُؤَقَّتَةَ مَا دَامَ أَهْلُهَا مُوفِينَ بِالْعَهْدِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ التَّوْبَةِ وَأَنْظَرَ الَّذِينَ نَبَذَ إلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَمَرَ عِنْدَ انْسِلَاخِهَا بِغَزْوِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً قَالُوا : فَدَانَ الْمُشْرِكُونَ كُلُّهُمْ كَافَّةً بِالْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَرْضَ بَذْلَ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ الدِّينِ بَعْدَ ظُهُورِ دِينِ الْإِسْلَامِ مَا يَصْبِرُونَ لِأَجْلِهِ عَلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ؛ إذْ كَانَ عَامَّةُ الْعَرَبِ قَدْ أَسْلَمُوا فَلَمْ يَبْقَ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ عِزٌّ يَعْتَزُّونَ بِهِ ؛ فَدَانُوا بِالْإِسْلَامِ حَيْثُ أَظْهَرَهُ اللَّهُ فِي الْعَرَبِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ .

وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : " **أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ؛ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** " مُرَادُهُ قِتَالُ الْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ أَذِنَ اللَّهُ فِي قِتَالِهِمْ ، لَمْ يُرِدْ قِتَالَ الْمُعَاهَدِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِوَفَاءِ عَهْدِهِمْ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ نُزُولِ " بَرَاءَةٌ " يُعَاهِدُ مَنْ عَاهَدَهُ مِنْ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْطِيَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ؛ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَةٌ ، وَأَمَرَهُ بِنَبْذِ الْعُهُودِ الْمُطْلَقَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُعَاهِدَهُمْ كَمَا كَانَ يُعَاهِدُهُمْ ؛ بَلْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْجَمِيعَ ؛ كَمَا قَالَ : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ٥] .

وكان دِينُ أَهْلِ الْكِتَابِ خَيْرًا مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ ، وَمَعَ هَذَا ؛ فَأُمِرُوا بِقِتَالِهِمْ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ؛ فَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا تَجُوزُ مُعَاهَدَتُهُمْ ؛ كَمَا كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ بَرَاءَةٌ ؛ فَالْمُشْرِكُونَ أَوْلَى بِذَلِكَ أَنْ لَا تَجُوزَ مُعَاهَدَتُهُمْ بِدُونِ ذَلِكَ .

قَالُوا : فَكَانَ فِي تَخْصِيصِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالذِّكْرِ ؛ تَنْبِيهًا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى عَلَى تَرْكِ مُعَاهَدَةِ الْمُشْرِكِينَ بِدُونِ الصَّغَارِ وَالْجِزْيَةِ ؛ كَمَا كَانَ يُعَاهِدُهُمْ فِي مِثْلِ هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْمُعَاهَدَاتِ .

قَالُوا : وَقَدْ ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحِ " مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : **أُغْزُوَا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ أُغْزُوا وَلَا تَغُلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيت عَدُوَّك مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ اُدْعُهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ اُدْعُهُمْ إلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمْ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ عَلَيْهِمْ وَقَاتِلْهُمْ ..**" .

قَالُوا : فَفِي الْحَدِيثِ أَمْرُهُ لِمَنْ أَرْسَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ الْكُفَّارَ إلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ إلَى الْهِجْرَةِ إلَى الْأَمْصَارِ ، وَإِلَّا فَإِلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ ،

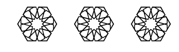
وَإِنْ لَمْ يُهَاجِرُوا كَانُوا كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَعْرَابُ عَامَّتُهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ دَعَا إِلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ مَنْ حَاصَرَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ .

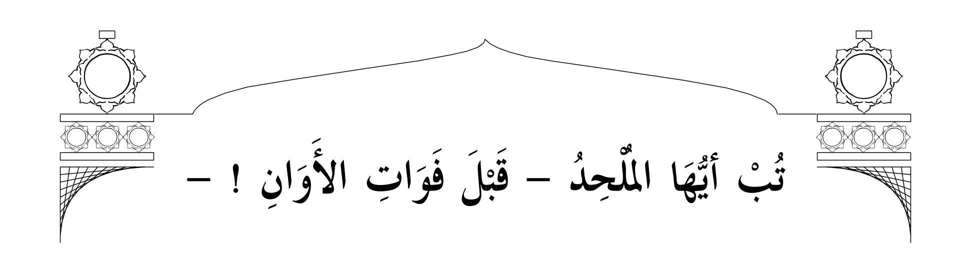
وَالْحُصُونُ كَانَتْ بِالْيَمَنِ كَثِيرَةٌ بَعْدَ نُزُولِ آيَةِ الْجِزْيَةِ وَأَهْلُ الْيَمَنِ كَانَ فِيهِمْ مُشْرِكُونَ وَأَهْلُ كِتَابٍ ، وَأَمَرَ مُعَاذًا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا أَوْ عَدَّ لَهُ معافريًّا ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الْعَرَبِ آمَنُوا كَمَا آمَنَ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَدَّى الْجِزْيَةَ. وَقَدْ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَكَانُوا مَجُوسًا ، وَأَسْلَمَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ طَوْعًا ، وَلَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ ضَرَبَ الْجِزْيَةَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ وَلَا بِخَيْبَر؛ بَلْ حَارَبَهُمْ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْجِزْيَةِ ، وَأَقَرَّ الْيَهُودَ بِخَيْبَرِ فَلَّاحِينَ بِلَا جِزْيَةٍ إِلَى أَنْ أَجْلَاهُمْ عُمَرُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُهَادِنِينَ لَهُ وَكَانُوا فَلَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ؛ فَأَقَرَّهُمْ لِحَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِجْلَائِهِمْ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ؛ فَقِيلَ : هَذَا الْحُكْمُ مَخْصُوصٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ . وَقِيلَ : بَلْ هُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إذَا اسْتَغْنَى الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ أَجْلَوْهُمْ مِنْ دِيَارِ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ .

وَمَنْ قَالَ : إنَّ الْجِزْيَةَ لَا تُؤْخَذُ مِنْ مُشْرِكٍ ؛ قَالَ : إنَّ آيَةَ الْجِزْيَةِ نَزَلَتْ وَالْمُشْرِكُونَ مَوْجُودُونَ ؛ فَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْهُمْ " .

● **وقَالَ النَّوَوِيُّ فِي " شَرْحِ مُسْلِم " (٣٩/١٢)** : " قَوْلُهُ ﷺ : **(فَإِنْ هُمْ أَبَوْا ؛ فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ)** : هَذَا

مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمُوَافِقُوهُمَا فِي جَوَازِ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ عَجَمِيًّا كِتَابِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا أَوْ غَيْرِهِمَا ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : تُؤْخَذُ الْجِزْيَةُ مِنْ جَمِيعِ الْكُفَّارِ إِلَّا مُشْرِكِي الْعَرَبِ ومجوسِهِمْ ، وقَالَ الشافعيُّ : لا يُقْبَلُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ عَرَبًا كَانُوا أَوْ عَجَمًا ، وَيَحْتَجُّ بِمَفْهُوم آيَةِ الْجِزْيَةِ ، وَبِحَدِيثِ : **" سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ "** ، وَيُتَأَوَّلُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَخْذِ الْجِزْيَةِ أَهْلُ الْكِتَابِ ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْمُشْرِكِ يُطْلَقُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ تَخْصِيصُهُمْ مَعْلُومًا عِنْدَ الصَّحَابَةِ " .





تُبْ أيُّهَا المُلْحِدُ – قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ ! –

" فَمَنْ تَابَ مِنْ هَذِه الاعتقاداتِ الْفَاسِدَةِ – وَهُوَ اسْتِحْلالُ شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ أَوِ التَّدَيُّنِ بِشَيْءٍ مِنْهَا – قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ "(١) .

فَلَوِ انْتَهَى المُلْحِدُ عَنِ إِلْحَادِهِ ، ونَزَعَ وَتَابَ ؛ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأَنْفَالُ : ٣٨] .

● **قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ** : " يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ ؛ أَيْ : عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُشَاقَّةِ وَالْعِنَادِ وَيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِنَابَةِ ، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ ؛ أَيْ : مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ " .

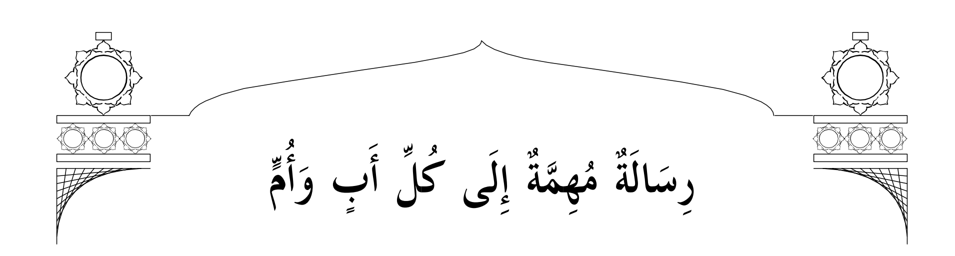
● وقَالَ – تَعَالَى – : ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدةُ : ٧٣ و ٧٤] .

● وفِي " صَحِيح " مُسْلم(٢) عن عمروِ بن العاصِ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ : **" أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ "** .

---

(١) " الاستقامة " – لِشَيْخِ الإِسْلامِ – (٢/ ١٩٤) .

(٢) (برقم : ١٢١) .



رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ إِلَى كُلِّ أَبٍ وَأُمٍّ

أَقُولُ للوَالِدَيْنِ : إنَّ المَسْئُولِيَّةَ كَبِيْرَةٌ ، وإنَّ الأمانةَ عَظِيْمَةٌ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

إنَّ الوَالِدَ والوَالِدَةَ (كِلَيْهِمَا) مَسْئُولانِ مَسْئُولِيَّةً كبيرةً تِجَاهَ الأَوْلَادِ ؛ كَمَا أَنَّ للجَمِيْعِ دَوْرًا ؛ عُلَمَاءَ ومُعَلِّمِيْنَ، وحُكَّامًا ومُسْئُولِيْنَ ؛ فَيَجِبُ عَلَى هَؤُلاءِ جَمِيْعًا أنْ يُعْذِرُوا إلى رَبِّهِمْ للبَرَاءَةِ مِنْ هَذَا البَلاءِ النَّاجِمِ ، وهذا الشرِّ الجاثمِ ! وإلا فسَيَحِلُّ الإثمُ بالجميعِ ، وستنزلُ عقوبةُ الله تَعَالَى على الجميعِ ، إنْ ظلُّوا مكتوفي الأيدي ، لا يحركهم هذا الوباءِ ، ولا يقلقُ مضاجعهم هذا البلاء !!

● يَقُولُ ﷺ : " **كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** " . رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن ابن عمرَ .

فامْتَثِلْ وَصَيَّةَ نَبِيِّك ؛ بل وأمرَ ربِّكَ (لك ولغيرك) بِقَوْلِهِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ .

● وعن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ ؛ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا . رواه ابنُ ماجه في " السُّنَنِ " ، في كتاب " الإيمان " - منه - . (والحَزْوَر ، والحَزوَّر : الغلامُ الذِي قَدْ شَبَّ وَقَوِيَ) .

● ويُطَبِّقُ النَّبِيُّ ﷺ ذلكَ تطبيقًا عمليًّا مَعَ غُلامٍ صَغِيْرٍ ؛ لِيَتَرَبَّى عَلَى معرفةِ الحقِّ منذُ نعومةِ أظفارهِ ، وبدايةِ مراحلِ حياتهِ ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **" يَا غُلامُ ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ "** . رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي " مُسْنَدِهِ " ، وَغَيْرِهِ ، وهوَ صَحِيْحٌ .

وهكذا كانت عِنَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الطِّفْلِ ، وَمَعَ الجَارِيَةِ ؛ فَلا يَخْفَى سؤالهُ لجاريةٍ سؤالًا عظيمًا في صميمِ العقيدةِ ؛ فَقَالَ لَهَا : **" أَيْنَ اللهُ ؟ "** ، قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : **" مَنْ أَنَا ؟ "** قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : **" أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ "** . رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي " الصَّحِيْحِ " .

فالجاريةُ عرفتْ ما لم يعرفْهُ أَسَاطينُ العلمِ الدنيويِّ في الوقتِ الحديثِ !! بل وعَرَفَتْ ما لم يعرِفْهُ كثيرٌ من أدعياءِ العلمِ مِنَ الكتَّابِ والمُرَبِّيْنَ والمُثَقَّفِيْنَ !!

فَهَلْ تَرَى أَنَّكَ لَنْ تُحَاسَبَ إنْ قصَّرتَ وفرطتَ في تعليمِ ولدِكَ أصولَ العقيدةِ ، وقضايا الإيمانِ ؟

هل ترى أنك ناجٍ إنْ فرَّطتَ في جَنْبِ اللهِ – تَعَالَى – : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر : ٥٦ – ٦١] .

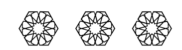
فَتَعَالَ (أَيُّهَا الإِنْسَانُ) إلى حظيرةِ الإيمانِ ، وإلى بَرِّ الأمانِ ؛ فَهَذَا هُوَ سُلَّمُ النَّجَاةِ ، وَطَوْقُ الأَمَانِ ؛ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَثَبَتَ عليهِ ؛ فالمُسْلِمُ لا يَكُفُّ عن دعَاءِ رَبِّهِ ؛ سائلًا إياه الثباتَ على الصراط ، ولزومَ طريقِ الحقِّ ؛ فيقولُ (دومًا) في صلاته بين يدي ربهِ وخالقهِ : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة : ٦ و ٧] .

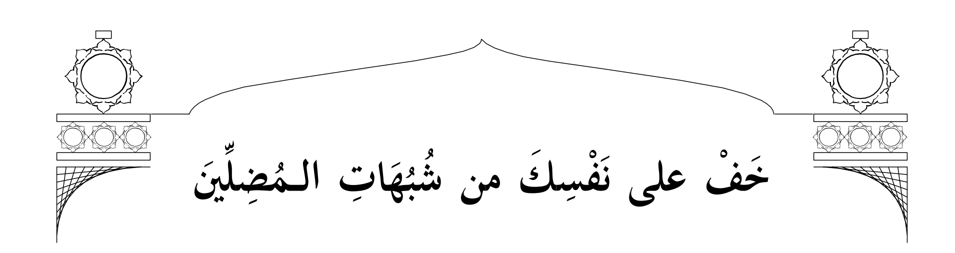
فالثباتُ على طريقِ الحقِّ منَّةٌ من اللهِ تَعَالَى ؛ فهو المُثَبِّتُ ، والمُوَفِّقُ ، والهَادِي ؛ فقد قال لسَيِّدِ الخَلْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء : ٧٤] .

● **فاحْذَرْ مِنَ الزَّيْغِ والضَّلالِ ، والكفرِ والانحلالِ** ، واجْتَنِبْ أَهْلَهُ المُرَوِّجِيْنَ لَهُ ، الدَّاعِيْنَ إِلَيْهِ ، المُزَخْرِفينَ لَهُ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِذَا

رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨] . وقال تَعالَى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠] .

● فاحْذَرْ أهْلَ الشُّبهاتِ ، والضَّلالاتِ ، والسَّخافاتِ ؛ فكما قال ﷺ : **" إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً "** . رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .





خَفْ على نَفْسِكَ من شُبُهَاتِ الـمُضِلِّينَ

اعْلَمْ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ والمُرْسَلِينَ - وَهُم أَفْضَلُ البَشَرِ صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم أجمعين - كَانُوا يَخَافُون عَلَى أنفُسِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ ؛ فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الحُنَفَاءِ خَلِيْلُ اللهِ إبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

● وقَالَ - تَعَالَى - : ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام : ٧٤ - ٨٣] .

● **قَالَ العَلامةُ ابْنُ القَيِّمِ ؛ كَمَا فِي " مُخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ المُرْسَلَةِ عَلَى الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ "** : " . . ثُمَّ رَجَعَ الْخَلِيلُ إِلَيْهِمْ مُقَرِّرًا لِلْحُجَّةِ ؛ فَقَالَ : ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام : ٨١] يَعْنِي فِي إِلَهِيَّتِهِ ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام : ٨١- ٨٢] يَقُولُ لِقَوْمِهِ : كَيْفَ يَسُوغُ فِي عَقْلٍ أَنْ أَخَافَ مَا جَعَلْتُمُوهُ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي الْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ لَيْسَتْ مَوْضِعَ نَفْعٍ وَلَا ضُرٍّ، وَأَنْتَمْ لَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ أَشْيَاءَ لَمْ يُنَزِّلْ بِهَا حُجَّةً عَلَيْكُمْ، وَالَّذِي أَشْرَكَ بِخَالِقِهِ وَفَاطِرِهِ، فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ آلِهَةً لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَلَا تَمْلِكُ لِأَنْفُسِهَا وَلَا لِعَابِدِيهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، وَجَعَلَهَا نِدًّا لَهُ وَمِثْلًا فِي الْإِلَهِيَّةِ، أَحَقُّ بِالْخَوْفِ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَحَّدَهُ وَأَفْرَدَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ وَالْحَبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ٨١] ؛ فَحَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا بِأَحْسَنِ حُكْمٍ خَضَعَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَأَقَرَّتْ بِهِ الْفِطَرُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] ؛ فَتَأَمَّلْ هَذَا الْكَلَامَ وَعَجِيبَ مَوْقِعِهِ فِي قَطْعِ الْخُصُومِ ، وَإِحَاطَتِهِ بِكُلِّ مَا وَجَبَ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَرُدَّ بِهِ مَا دَعَوْهُ إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لِطَاعِنٍ مَطْعَنٌ وَلَا سُؤَالٌ ، وَلَمَّا كَانَتْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ عَظَّمَهَا بِإِضَافَتِهَا إِلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام : ٨٣] ، وكَفَى بِحُجَّةٍ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْقِيهَا لِخَلِيلِهِ أَنْ تَكُونَ قَاطِعَةً لِمَوَارِدِ الْعِنَادِ ،

وَقَامِعَةً لِأَهْلِ الشَّكِّ وَالإِلْحَادِ " .

" **وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ** : أَنْ يُثَبِّتَ اللهُ الْعَبْدَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم : ٢٤ - ٢٧] .

وَالْكَلِمَةُ : أَصْلُ الْعَقِيدَةِ . فَإِنَّ الاِعْتِقَادَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْمَرْءُ ، وَأَطْيَبُ الْكَلامِ وَالْعَقَائِدِ : كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ ، وَاعْتِقَادُ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

وَأَخْبَثُ الْكَلَامِ وَالْعَقَائِدِ : كَلِمَةُ الشِّرْكِ ، وَهُوَ : اتِّخَاذُ إِلَهٍ مَعَ اللهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ، وَلِهَذَا كَانَ كُلَّمَا بَحَثَ الْبَاحِثُ وَعَمِلَ الْعَامِلُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَالْعَقَائِدِ الْخَبِيثَةِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا ضَلَالًا وَبُعْدًا عَنْ الْحَقِّ وَعِلْمًا بِبُطْلَانِهَا ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٣٩ و ٤٠] " .

(" المجموع " لشيخ الإسلام) .

● **فَإِيَّاكَ .. ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ بِـ** : " دِينٍ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى أَنَّ (رَبَّ

الْعَالَمِينَ) وُجُودٌ مُطْلَقٌ فِي الْأَذْهَانِ ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْأَعْيَانِ ، لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي الْعَالَمِ وَلَا خَارِجٍ عَنْهُ ، وَلَا مُتَّصِلٍ بِهِ وَلَا مُنْفَصِلٍ عَنْهُ، وَلَا مُحَايِثٍ وَلَا مُبَايِنٍ لَهُ ، لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يَرَى ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ، وَلَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، لَا حَيَاةَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ ، وَلَا إِرَادَةَ وَلَا اخْتِيَارَ ، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ؛ بَلْ لَمْ تَزَلِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مَعَهُ ، وُجُودُهَا مُقَارِنٌ لِوُجُودِهِ ، لَمْ يُحْدِثْهَا بَعْدَ عَدَمِهَا ، وَلَا لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى إِفْنَائِهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، مَا أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ كِتَابًا ، وَلَا أَرْسَلَ إِلَى النَّاسِ رَسُولًا ؛ فَلَا شَرْعَ يُتَّبَعُ ، وَلَا رَسُولَ يُطَاعُ ، وَلَا دَارَ بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ، وَلَا مَبْدَأَ لِلْعَالَمِ وَلَا مَعَادَ ، وَلَا بَعْثَ وَلَا نُشُورَ ، وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ ، إِنْ هِيَ إِلَّا تِسْعَةُ أَفْلَاكٍ وَعَشَرَةُ عُقُولٍ ، وَأَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ ، وَأَفْلَاكٌ تَدُورُ ، وَنُجُومٌ تَسِيرُ ، وَأَرْحَامٌ تَدْفَعُ ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ ، وَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ !! ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ[١] " .

✧ وقَدْ قَالَ – تَعَالَى – : ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات : ١٠ و ١١] .

□ لَقَدْ قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ في " التَّفْسِيرِ " :

" يُخْبِرُ – تَعَالَى – عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ : ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية : ٢٤] ؛ أَيْ : مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ

(١) (" هداية الحيارى " لابنِ القيِّم) . وَهَذَا مِمَّا يَتَفَوَّهُ بِهِ : الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ الْمُنْكِرُونَ لِلخَالِقِ ، ويَقُولُونَ ذَلِكَ تَخَرُّصًا بِغَيْرِ خَبَرٍ أَتَاهُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا بُرْهَانٍ عِنْدَهُمْ بِحَقِيقَتِهِ ، مَا هُمْ إِلَّا فِي ظَنٍّ مِنْ ذَلِكَ ، وَشَكٍّ ، وحَيْرَةٍ مِنَ اعْتِقَادِهِمْ !! (بتلخيصٍ من " تفسيري " الطبري ، وابن كثيرٍ) .

آخَرُونَ ، وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكِرُونَ لِلْمَعَادِ ، وَيَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الْإِلَهِيُّونَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ الْبُدَاءَةَ وَالرَّجْعَةَ ، وَيَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ : الْمُنْكِرُونَ لِلصَّانِعِ ، الْمُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ !! وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَتَنَاهَى ؛ فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ ، وَلِهَذَا قَالُوا : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] ؛ أَيْ : يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ " .

● **وَقَالَ فِي " البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ " :**

" وَقَوْلُهُ : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥ - ٣٨] ؛ أَيْ : يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَحْيَا آخَرُونَ . وَهَذَا هُوَ اعْتِقَادُ الدَّهْرِيَّةِ ، كَمَا يَقُولُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ مِنَ الزَّنَادِقَةِ : أَرْحَامٌ تَدْفَعُ ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ .

وَأَمَّا الدُّورِيَّةُ ؛ فَهُمُ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ بَعْدَ كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . وَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ ، وَكُفْرٌ وَجَهْلٌ وَضَلَالٌ ، وَأَقْوَالٌ بَاطِلَةٌ ، وَخَيَالٌ فَاسِدٌ بِلَا بُرْهَانٍ ، وَلَا دَلِيلٍ يَسْتَمِيلُ عَقْلَ الْفَجَرَةِ الْكَفَرَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣] " . انتهى .

○ **وعَلَيْهِ ؛ فالدَّهْرِيَّةُ أَصْنَافٌ :**

١- **صِنْفٌ** أَنْكَرُوا الْمَبْدَأَ وَالْمَعَادَ ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْأَكْوَانَ تَتَصَرَّفُ

بِطَبِيعَتِهَا ؛ فَتُوجَدُ وَتَعْدَمُ بِأَنْفُسِهَا ، لَيْسَ لَهَا رَبٌّ يَتَصَرَّفُ فِيهَا ، إِنَّمَا هِيَ أَرْحَامٌ تَدْفَعُ ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ !! وَهَؤُلَاءِ هُمْ جُمْهُورُ الْفَلَاسِفَةِ الدَّهْرِيَّةِ وَالْطَبَائِعِيَّةِ .

٢- **وَالصِّنْفُ الثَّانِي** مِنَ الدَّهْرِيَّةِ طَائِفَةٌ يُقَالُ لَهُمُ الدَّوْرِيَّةُ ، وَهُمْ مُنْكِرُونَ لِلْخَالِقِ أَيْضًا ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ! وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَتَنَاهَى ؛ فَكَابَرُوا فِي الْمَعْقُولِ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - ، وَهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ يَعُمُّهُمْ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الْجَاثِيَة : ٣٤] ، وَلِهَذَا عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِيهَا تَفْسِيرَانِ ؛ الْأَوَّلُ : مَعْنَى قَوْلِهِم : ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ ؛ أَيْ : يَمُوتُ الآبَاءُ ويحْيَا الْأَبْنَاءُ هَكَذَا أَبَدًا ، وَهُوَ قَوْلُ الطَّائِفَةِ الْأُولَى ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي : أَنَّهُمْ عَنَوْا كَوْنَهُمْ يَمُوتُونَ وَيُحْيَوْنَ هُمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَبَدًا وَلَا حِسَابَ وَلَا جَزَاءَ ؛ بَلْ ولا مُوجِدَ وَلَا مُعْدَمَ ، وَلَا مُحَاسِبَ وَلَا مُجَازِيَ ، وَهَذَا قَوْلُ الدَّوْرِيَّةِ .

٣- **الصِّنْفُ الثَّالِثُ** : الدَّهْرِيَّةُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ ، وَهُمْ مُقِرُّونَ بِالْبُدَاءَةِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُمْ وَخَالِقُهُمْ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخْرُفُ : ٨٧] ، وَمَعَ هَذَا قَالُوا : ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الدُّخَانُ : ٣٥] ؛ فَأَقَرُّوا بِالْبُدَاءَةِ وَالْمُبْدِئِ ، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَالْمَعَادَ " . " مَعَارِج القَبُول" للحَكَمِيِّ رحِمَهُ اللهُ .

أسألُ الله تَعَالَى الهِدايةَ والرَّشادَ لكلِّ مُريدٍ للحقِّ ، سَاعٍ إليهِ ، وأنْ يُلْهِمَنَا رُشْدَنَا ، وأنْ يختمَ بالصَّالحاتِ أعْمَالَنَا ؛ إنَّهُ وليُّ ذلكَ والقَادِرُ عليه .



سُؤَالُ مُلْحِدٍ ، وجَوَابُ مُوَحِّدٍ

هَذَا حِوَارٌ بَيْنَ مُوَحِّدٍ ومُلْحِدٍ ؛ أَخْرَجْتُهُ فِي هَذَا الثَّوْبِ ؛ سائلًا اللهَ أنْ يضعَ عليْهِ القَبُولَ ، وأنْ يَجْعَلَ فِيْهِ الهِدَايَةَ لَمَنْ ألْحَدَ وحَادَ عَنِ الطَّرِيْقِ المُسْتَقِيْمِ ، وأبتَدِأُ – وباللهِ تَعَالَى التَّوفِيقُ – :

● **المُوَحِّدُ** : مَنْ خَلَقَ هَذَا الكَوْنَ كُلَّهُ ؛ عُلْوِيَّهُ وسُفْلِيَّهُ ؛ مِنْ سَمَاءٍ وأَرْضٍ ، ونجومٍ وكواكِبَ ، ومن إنسانٍ ، وحيوانٍ ، ونباتٍ ، وجمادٍ ، وملائكةٍ ، وجنٍّ ، و ..؟

● **المُلْحِدُ** : لَيْسَ ثَمَّ إِلَهٌ ؛ بَلْ هَذَا الكَوْنُ ، إِنَّمَا وُجِدَ بِنَفْسِهِ صُدْفَةً وعَشْوَائِيَّةً ! – أو أوجَدَتْهُ الطَّبِيْعَةُ !! – .

● **المُوَحِّدُ** : وهلِ الصُّدفةُ والعشوائيةُ والطَّبيعةُ – وهي جمِيْعُهَا ؛ بلا عقلٍ ولا إحساسٍ ، ولا وعِلْمٍ ولا فَهْمٍ ، ولا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ – وبالرَّغْمِ منْ كلِّ هذا !! تكونُ هذهِ الأشياءُ (الغيْرُ عاقلَةٍ) هي التي أوْجَدَتِ العُقَلاءَ والأذْكِيَاءَ والنُّبَلاءَ ؛ أفلا يعقلُ هؤلاء المُلْحِدُونَ والنَّوْكَى[1] الأغبياءُ ؟!!! أنَّ هَذَا ازْدِرَاءٌ حقِيْقِيٌّ لِبَنِي الإنْسَانِ – الذِي كُرِّمَ وَشُرِّفَ بِعَقْلِهِ عَلَى جَمِيْعِ المخْلُوقاتِ – ؛ أفيَسْتَوِي الجَمَادُ مَعَ الإنْسَانِ ؟!! ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم : ٢٢] ؛ بَلِ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ

---

(١) جَمْعُ أَنْوَكٍ ، وَهُوَ : الأَحْمَقُ .

شَيۡءٖ﴾ [الرعد : ١٦] .

وأعجبتنِي هذِه الكلماتُ مِنْ أَحَدِ مَنْ تَصَدَّى للردِّ عَلَى هؤلاءِ المَلاحِدَةِ ؛ حَيْثُ قَالَ : " أوجِّهُ سؤالًا لكلِّ مَنْ يَقُولُ : (إنَّ الكونَ جَاءَ صُدْفَةً بِغَيْرِ خَالِقٍ) : افترض أنَّكَ رجَعْتَ إلَى بيتِكَ ؛ فوجَدْتَ آثارًا لأقدامِ رجلٍ أو أعقابِ سجائرٍ ؛ فسألتَ زوجتَكَ عَنْ تلك الآثارِ والأعقابِ ؛ فقالَتْ لكَ : (إنها موجودةٌ بالصُّدفةِ) ، هَلْ كُنْتَ تصدِّق ذلك ؟ أم أنَّك تثُور ثائرتُكَ وتقولُ لَهَا : مستحيلٌ أن توجَدَ هذِهِ الأشياءُ بالصُّدفةِ ؟ " .

وقَالَ :

" الردُّ على من ينكرون وجود الله جل وعلا، ويقولون : إنَّ هَذَا الكونَ الفَسِيْحَ وُجِدَ بِالصُّدْفَةِ ، وَهُوَ مِنْ صُنْعِ الطَّبِيْعَةِ ، ونَحْنُ لا نؤمن إلا بالمُشَاهَد المَحْسُوسِ ، ولو كان اللهُ موجودًا لأَرَانَا نَفْسَهُ كَيْ نُؤْمِنَ بِهِ !!

فَنَقُولُ – وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ – : إنَّ هَذَا السؤالَ لا يَصِحُّ من عاقلٍ ؛ فهل يوجَدُ أَيُّ شيءٍ في الكون بِدُون وَاجِدٍ ؟ وهَلِ المُصَادَفَةُ تَصْنَعُ قانونًا مُحْكَمًا ؟ وإذا كانت الطبيعةُ هي التي خَلَقت هذا الكَوْنَ ؛ فمن أيْنَ جَاءَتْ بِمُكَوِّنَاتِهِ ؟ قَالَ اللهُ – تَعَالَى – : ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور : ٣٥] ؛ فَهَلْ لَوْ حدَّثَكُمْ إِنْسَانٌ أنَّه رَأَى سفينةً محمَّلة بالبضائع تكونَتْ مُصَادَفَةً بغير صانعً ، وسارت في البحر بغير قائدٍ ، أكنتم تصدقونه ؟ هل لو طرحتم إناءً كبيرًا من الزجاجِ على الأرض فانكَسَر ، هل يُكوِّن أكوابًا صغيرةً ؟!! هل لو سَكَبْتُم عدة ألوان على ورقة ، أتكوِّن منظرًا بديعًا ؟ فما ظنكم بهذا الكون

المُحكَم البديع ، الذى يَسِيْرُ كُلُّ شيءٍ فيه بنظامٍ رائعٍ لو اختل لدُمِّرَت الحياة بأكملها ؟ إنَّ أحدَكُم لو سَافَر إلى الصحراء بمفردِهِ ، ونام بعض الوقت ليستريحَ ، ثُمَّ استيقظ وهو جائعٌ ؛ فوجد مائدةً عليها طعامٌ وشرابٌ ، هل سيَمُدُّ يدَهُ لِيَأْكُلَ قَبْلَ أن يَتَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ : من أحضرَ هذا الطعامَ ؟ فكيف بالكونِ كلِّهِ الذى أُعِدَّ لاستقبالنا قبل أن نولَد ؛ شمسهُ وقمرُهُ ونجومُهُ وأرضُهُ وسماؤُهُ إلخ ، وكلُّ شيءٍ فيه له نظامُه وقانونُه الذى لا يخرج عنه ، ألا يوجد لهذه الأشياءِ خالقٌ ؟!! وهل هذه القوانينُ المُحْكَمَةُ صنعتْهَا المصادفةُ ؟!

إننا نؤمنُ بوجود الكهرباء ، ولكن هل نراها ؟ نفترضُ أننا في مكانٍ ما ، والمصابيحُ مُضاءةً والمراوحُ تعملُ ، ثم سألَ سائلٌ : هل توجَدُ كهرباء ؟ ماذا سيكون جوابُ الحاضرين ؟ أمجنونٌ أنت ؟ ألا ترى الإضاءة والمراوح وكذا وكذا ؟ فقال : أين توجد هذه الكهرباءُ ؟ فقلنا له : إنها في هذه الأسلاك المُغطّاة ؛ فذهب ليعرى الأسلاك ، هل يرى شيئًا ؟ ولو وَضَع يدَهُ ليلْمِسَهَا ، ماذا يحدث له ؟ إننا نعلم ما أحدثه استخدام الالكترونيات من ثورة علمية هائلةٍ لم يَسْبِقْ لهَا مثيلٌ في عالَمِ الأقمار الصناعية والحاسبات الالكترونية والاتصالات الهاتفيةِ والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) إلخ ، فهل نرى الالكترونات ؟ هَلْ نَرَى الجاذبيةَ الأرضيَّة ؟ هل نرى المغناطيسيَّةَ ؟ هل نرى أشعة إكس أو الليزر أو المَوْجَات فوقَ الصَّوتيةِ ؟ أم أننا استدللنا على هذه الأشياء كلها بتأثيرها ؟

إنَّ حواسَّنَا التي خلقها الله لنا ليست مُعَدَّة لإدراك كلِّ المخلوقاتِ ؛ فكيف بإدراكِ مَنْ خَلَقَهَا – سُبْحَانَهُ – ؟ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ

ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

ثُمَّ إِنَّكُمْ تَطْلُبون رؤيةَ اللهِ ﷻ ؛ فلو رأَيْتُمُوهُ كَيْفَ يَكُونُ الاخْتِبَارُ - إِذَنْ - ؟ إنَّ الإيمانَ بالغيبِ مِنْ صُلْبِ عَقيدةِ المؤمنينَ ؛ فإذا كانَ كلُّ شيءٍ مُشَاهَدٌ ؛ فما فائدةُ الإيمانِ ؟ فهل يقول أحدٌ : أنا مؤمنٌ بوجودِ الشمسِ والقمرِ ، أو الليلِ والنهارِ ؟ إنَّ رؤية اللهِ ﷻ نعيمٌ عظيمٌ ؛ بل هي أعظمُ من نعيمِ الجنةِ ؛ فهل يَسْتَحِقُّهَا المُشْرِكُ والكَافِرُ والفَاسِقُ والفَاجِرُ ؟ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين : ١٥] ، إنها قاصرةٌ على أهل الجنة يتنعمون بها على قدر منازلهم ؛ فأعلاهم منزلة مَنْ يَرَى اللهَ سبحانَهُ وتَعَالَى بُكرَة وعَشيًّا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] " . انتهى .

❑ **قُلْتُ** : وهذِه كانت إجابةً إجماليَّةً جامعةً ؛ لكنْ نَسْتَرْسِلُ معَ أَسْئلَةِ المُلْحِدِ ؛ حتَّى لا يَبْقَى لَهُ عُذْرٌ .

● **المُلْحِدُ** : كم إلهًا يوجَدُ ؟

● **المُوَحِّدُ** : يوجَدُ إلهٌ واحِدٌ .

● **المُلْحِدُ** : ولماذا لا يكُونُ هناكَ أَكْثَرُ من إلهٍ ؟

● **المُوَحِّدُ** : إِذَنْ لَخرِبَتِ الدُّنْيَا ، ولفَسَدَتِ الأَرْضُ وانْهَارَتْ ! إنْ كانوا أَكْثَرَ مِنْ إِلَهٍ ؛ فَهَذَا يُرِيْدُ أَنْ يُمِيْتَ رجلًا ، والآخَرُ لا يُرِيْدُ أن يُمِيْتَ نَفْسَ الرَّجُلِ !! فَهَلْ يَسْتَقِيْمُ الأَمْرُ هَكَذَا ؟ هَذَا يُرِيْدُ أَنْ يُغْنِي هَذَا ، وهَذَا يُرِيْدُ أن يُفْقِرَهُ ! فَهَلْ يَسْتَقِيْمُ الأَمْرُ هَكَذَا ؟ كلاَّ ؛ فلابدَّ أن يكون أحدُهُمَا إلهًا خالقًا ، والآخَرُ مخلوقًا .

● **المُلْحِدُ** : كيفَ يكونُ الذي خَلَقَ الكونَ إلهًا واحدًا ؛ أليس هذَا صعبًا ؟

● **المُوَحِّدُ** : ليس هناكَ شيءٌ صَعْبٌ عَلَى اللهِ – تَعَالَى – ؛ لأنه موصوفٌ بالقوَّة والقدْرَةِ عَلَى كلِّ شيءٍ ، فلا يُعْجِزُه شَيءٌ ، ولا يُثْقِلُهُ شيءٌ في السَّمَواتِ والأَرْضِ ، وكلُّ شيءٍ سهلٌ وهيِّنٌ ويَسِيْرٌ عَلَى الله ﷻ .

● **المُلْحِدُ** : إذا كانَ هناك ربٌّ أو إلهٌ ؛ فأينَ هُوَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : فوق سمواتهِ ، عالٍ عَلَى خلقهِ ، مسْتوٍ على عرشهِ استواءً يليْقُ بذاتهِ ؛ فاللهُ لا يماثلهُ شيءٌ ، ولا يعادله شيءٌ ، ولا يساميهِ شيءٌ .

● **المُلْحِدُ** : ومَنْ أعلَمَك بهذا الأمر الغيبي ؟

● **المُوَحِّدُ** : الله هو الذي أخبرنا بهذا كلِّه .

● **المُلْحِدُ** : كيف أعْلَمَك بِذَلِك ، وهل رَأَيْتَهُ ؟ وهل سَمِعْتَهُ ؟ وهلْ شَعُرْتَ بِهِ ؟ وهَلْ أَحَسَسْتَهُ ؟

● **المُوَحِّدُ** : يُرَى بآثارهِ في كونهِ الفسِيْحِ ؛ لَكِنَّهُ لا يُرَى (بِذَاتهِ) في الدُّنْيَا . ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] ؛ لكنَّهُ سَيُرَى فِي الآخِرَةِ ، وهوَ فَوْقَ عَرْشِهِ ، ولَيْسَ شرْطًا أَنْ أَرَاهُ الآنَ ؛ فآثَارُهُ – تَعَالَى – فِي الكَوْنِ دَالَّةٌ عَلَيْهِ ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الرُّوم: ٥٠] ، وهُوَ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشُّورى : ١١] .

● **المُلْحِدُ** : فكَيْفَ عَلِمْتَ بأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ ؟

● **المُوَحِّدُ** : أَخْبَرَنَا بذَلِكَ عَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ وأنبيائِهِ ؛ بل حتَّى أعداءُ الرُّسلِ كانَ عندهم معرفةٌ بِذَلِكَ . ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر : ٣٦ و ٣٧] .

● **المُلْحِدُ** : وهَلْ رَأَيْتَ هؤلاءِ الرُّسُلَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : رآهُمُ المُؤْمِنُونَ قَبْلِي ، وَقَدْ جَاءُونَا بِالبَيِّنَاتِ والهُدَى والنُّورِ .

● **المُلْحِدُ** : لكنَّنِي لا أُصَدِّقُ أَنَّ هُنَاكَ رُسُلًا ؛ لأنني ما رَأَيْتُهُم ؛ فَكَيْفَ أُصَدِّقُكَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : هُنَاكَ حَقَائِقُ تَارِيْخِيَّةٌ لا يَسْتَطِيْعُ أحدٌ أن يُنْكِرَهَا ، وإن لَمْ يَرَهَا الإنْسَانُ بِعَيْنَيْهِ .

● **المُلْحِدُ** : مِثْلُ مَاذَا ؟

● **المُوَحِّدُ** : مِثْلُ كُلِّ هَذَا الذي تُنْكِرُهُ ؛ فَهُنَاكَ أَنْبَيَاءُ وَرُسُلٌ كِرَامٌ جَاءُوا إِلَى النَّاسِ ؛ لِإِخْرَاجِهِم مِنَ الظلمات إلى النورِ[١] .

---

(١) **وفي كتاب " التوابين " لابن قدامة (ص : ١٧٩)** :

" وحكي عن عبد الواحد بن زيد قال : كنت في مركبٍ ؛ فطرحتنا الريح إلى جزيرةٍ ، وإذا فيها رجلٌ يعبد صنمًا ؛ **فقلنا له** : يا رجل ! من تعبد ؟ فأومأ إلى الصنم . =

. . . .

= **فقلنا** : إن معنا في المركب من يسوي مثل هذا ، وليس هذا إلهٌ يعبدُ .
قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ **قلنا** : الله.
قال : وما الله ؟ **قلنا** : الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي الأحياء والأموات قضاؤه.
فقال : كيف علمتم له ؟ **قلنا** : وجه إلينا هذا الملك رسولًا كريمًا ؛ فأخبر بذلك.
قال : فما فعل الرسول ؟ **قلنا** : أدى الرسالة ثم قبضه الله.
قال : فما ترك عندكم علامة ؟ **قلنا** : بلى ترك عندنا كتاب الملك ؛ فقال : أروني كتاب الملك ؛ فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا .
فأتيناه بالمصحف ؛ **فقال** : ما أعرف هذا ! فقرأنا عليه سورة من القرآن ؛ فلم نزل نقرأ ، ويبكي حتى ختمنا السورة ؛ **فقال** : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعْصَى ، ثم أَسَلَمَ .
وحملناه معنا ، وعلمناه شرائع الإسلام وسورًا من القرآن ، وكنا حين جننا الليل ، وصلينا العشاء ، وأخذنا مضاجعنا ، **قال لنا** : يا قوم ! هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جنه الليل ينام ؟ **قلنا** : لا يا عبد الله ، هو عظيم قيومٌ لا ينام .
قال : بئس العبيد أنتم تنامون ، ومولاكم لا ينام ؟ فأعجبنا كلامُهُ .
فلما قدمنا عبادان ، **قلت لأصحابي** : هذا قريب عهد بالإسلام ؛ فجمعنا له دراهم وأعطيناه ؛ **فقال** : ما هذا ؟ **قلنا** : تنفقها ؛ **فقال** : لا إله إلا الله ! دللتموني على طريق سلكتموها ، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ، ولم يضيعني وأنا أعرفه !.
فلما كان بعد أيام ؛ **قيل لي** : إنه في الموت ؛ فأتيته ؛ **فقلت له** : هل من حاجة ؟
فقال : قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي.
قال عبد الواحد : فحملتني عيني ؛ فنمت عنده ؛ فرأيت مقابر عبادان روضة ، وفيها قبة ، وفي القبة سريرٌ عليه جارية لم ير أحسن منها ؛ **فقالت** : سألتك بالله =

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ أَئِمَّةً للكُفْرِ ؛ كفِرْعَوْنَ وهَامَانَ وقَارُونَ وأَبي جَهْلٍ وأَبِي لَهَبٍ ، وكَذَلِكَ دَارْوِين(١) واسْتَالِيْن ولِيْنِين ورِيْتشَارْد وغَيْرِهِم

= إلا ما عجلت به ؛ فقد اشتد شوقي إليه ؛ فانتبهت ، وإذا به قد فارق الدنيا . فقمتُ إليه ؛ فغسلتُهُ ، وكفنتُهُ ، وواريتُهُ.
فلمَّا جَنَّ الليلُ نِمْتُ ؛ فرأيتُهُ في القُبَّةِ مَعَ الجَارِيَةِ ، وهُوَ يَقْرَأُ : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : ٢٣- ٢٤] " .

(١) وقَدْ أَقَضَّ (بَعْضُ المنَاظِرِيْنَ المسْلِمِيْنَ) مَضْجَعَ مُلْحِدٍ مِنَ الملْحِدِيْنَ حَيْنَ أَنْكَرَ أَمَامَهُ نظَرِيَّةَ دارِوِيْن الإلحَادِيَّة ؛ فنافَحَ عَنْهَا الملْحِدُ مُنَافَحَةً شَدِيْدَةً ، وَرَدَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ هَذِهِ النَّظَرِيَّة بِدَعْوَى أَنَّ هَذَا يُنَافِي العِلْمَ ، وحَقَائِقَ العِلْمِ !! ونحْنُ لا نُنْكِرُ العِلْمَ الذي لا يَتَعَارَضُ مَعَ الدِّيْنِ ؛ لكنَّ هذهِ النَّظَرِيَّةَ - المسَمَّاة بِنَظَرِيَّةِ التَّطَوُّرِ - فَاسِدَةٌ دِيْنًا وعَقْلًا ؛ لَكِنْ سُؤَالِي : هَلْ هَذَا المُلْحِدُ رَأَى هَذَا المُسَمَّى بـ : (دَارِوِيْن) - مؤلِّف هذِه النَّظرِيَّةِ - ؛ كَيْ يُدافِعَ عَنْهُ ، ويتَعَصَّبَ لَهُ ؟! وهُمْ هُمُ الذيْنَ صَدَّعوا رُءوسَنَا بِعَدَمِ الإِيْمَانِ إلاَّ بِمَا تَرَاهُ أَعْيُنُهُمْ ! فَهَلْ هَؤُلاءِ لا يُؤمِنُونَ إلاَّ بِمَا تَرَاهُ أَعْيُنَهُمْ فِعْلًا ؟ أَمْ يَكِيْلُونَ بِمِائَةِ مِكْيَالٍ ؟!! ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] .
شَاهِدْ مَقْطَعًا بِعُنْوَان : (مَلَفُّ الإلحَادِ في مِصْرَ : الجُزْءُ الثَّانِي ١/ ٣) (مِنْ بَرْنَامَجْ / البَابِ المفْتُوحِ) . في حينِ اسْتَخَفَّ بهذِهِ النَّظرِيَّةِ علماءُ الغربِ أنفُسُهُم ؛ إذ هي أكبر خرافة مضحكة راجت في هذا العصر ؛ فهذا الملحدُ الفيلسوف مالكولم ماكريدج Malcolm Muggeridge الذي دافع عن نظرية داروين حوالي ٦٠ سنة قبل أنْ يعترفَ بسَخَافَتِهَا ؛ حيث يقول في كتابه The End of Christendom، Grand Rapids : Eerdmans، ١٩٨٠ صفحة (٥٩) ما نصُّهُ :
I myself am convinced that the theory of evolution، =

مِنْ أَئِمَّةِ الإِلْحَادِ .

فكما لا يستطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يُنْكِرَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ ؛ حَتَّى ممن لم يرها بعَيْنَيْهِ ؛ فَكَذَلِكَ لا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يُنْكِرَ مَجِيءَ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ(١) .

= especially the extent to which it's been applied، will be one of the great jokes in the history books in the future. Posterity will marvel that so very flimsily and dubious an hypothesis could be accepted with the incredible credulity that it has.

" أي : أنا - شخصيًّا - مقتنعٌ بأنَّ نظريةَ التَّطورِ (الدَّاروينية) وخاصَّةً الحجْم الذي طبقت عَلَيْهِ سَتَكُونُ وَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ الأُضْحُوكَاتِ في كُتُبِ التَّارِيْخِ في المسْتَقْبَلِ . إنَّ الأَجْيَالَ القَادِمَةَ سَتَتَعَجَّبُ كَيْفَ أَنَّ فرضيَّةً كهذِهِ جدُّ واهيةٍ ومُرِيْبَةٍ قُبلَتْ بِسَذَاجَةٍ لا مَثِيْلَ لها " .- نَقْلًا عَنْ صَفْحَةٍ عَلَى الفِيْس بِعُنْوانِ : " حَقِيْقَة المُلْحِدِيْنَ والعَلْمَانِيِّيْنَ العَرَب " - .

(١) بل هُنَاكَ مُلْحِدُونَ يُقِرُّون أنَّ هُنَاكَ شَخْصًا اسْمُهُ مُحَمَّدٌ (ﷺ) ؛ لكنَّهُ - عِنْدَهُمْ - عَبْقَرِيٌّ ومُصْلِحٌ وفَيْلَسُوفٌ وإِنْسَانٌ عَظِيْمٌ جِدًّا ، وَلَيْسَ بِرَسُولٍ يُوحَى إِلَيْهِ !!! أفَرَأَيْتَ إلحَادًا بهذَا التَّطَوُّرِ ؟!! إنَّ هَؤُلاءِ الملاحِدَةَ لمجَانيْنَ ومَرْضَى نَفْسِيِّيْنَ - حَقًّا - . شاهِدْ مَقْطَعًا عَلَى اليُوتيوب بِعُنْوَان : " شَاهِدْ كَارِثَةَ الملْحِدِيْنَ العَرَبِ شَيءٌ لا يُصَدِّقُهُ عَقْلٌ " .

والمُلْحِدُ نَفْسُهُ يُثْبِتُ الغَيْبِيَّاتِ ، وَلَكِنَّهُ يُكَابِرُ ؛ فَهُوَ يُثْبِتُ أَنَّ الكَوْنَ وُجِدَ عَنْ طرِيْقِ المادَّةِ ؛ فَهَلْ هُوَ رأَى تِلْكَ المادَّةَ بَعَيْنِهِ التِي نشأَ الكَوْنُ مِنْ خِلالِهَا ؟!! فَهُوَ مُتَنَاقِضٌ أَعْظَمَ التَّنَاقُضِ فِي مَا يَدَّعِيْهِ ويَزْعُمُهُ ، وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِمَا يَقُولُ ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الأدلَّةِ عَلَى بُطْلانِ مَذْهَبِهِ !

● **المُلْحِدُ** : ومَنْ قَالَ لَكَ : إِنَّنِي أُؤمِنُ بِفِرْعَونَ – مثلًا – ؟

● **المُوَحِّدُ** : ولِمَاذَا لا تُؤْمِنُ بِهِ ؟

● **المُلْحِدُ** : لأَنَّنِي لم أَرَهُ بَعَيْنَي رَأْسِي ؟

● **المُوَحِّدُ** : وبِمَاذَا تَقْتَنِعُ – إِذَنْ – ؟

● **المُلْحِدُ** : لا أَقْتَنِعُ إلاَّ بما أشاهِدُهُ وأرَاهُ وأَثْبَتَهُ لِيَ العِلْمُ الحديثُ ، والاكتشافاتُ الحديثةُ !!

● **المُوَحِّدُ** : هل تعلم أَنَّ جُثَّةَ فِرْعَونَ أَبْقَاهَا اللهُ إِلَى يَوْمِنَا ؛ لتكون للناسِ عبرةً ؛ وقد قصَّ ذلك القرآنُ الكريمُ الذي جاءنا به نبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ؟

● **المُلْحِدُ** : وماذا أستفيدُ أنا ببقاءِ شخصٍ أنا لا أؤمن بوجودهِ ؟

● **المُوَحِّدُ** : الذي سَتَسْتَفِيْدُه هُوَ أنَّه يَلْزَمُكَ الإيمان بوجود الله ؟

● **المُلْحِدُ** : كيف ذَلك ، وأنا لا أؤمنُ بِأَحَدٍ اسْمُهُ فِرْعَوْن أصلًا ؟

● **المُوَحِّدُ** : ولِمَاذَا ؟

● **المُلْحِدُ** : لأنَّ عَيْنَيَّ لم تَرَ هَذَا الإِنْسَانَ قَبْلَ ذَلِكَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : لكن القرآن الكريم الذي يؤمن به المؤمنون يخبرهم ويقصُّ عليهم من أكثر من ألف سنة أن فرعون مات بالغرق ؟

● **المُلْحِدُ** : لكنني لا أصدِّقُ بذلك ؛ لأنني لم أَرَ ذَلِكَ !

● **المُوَحِّدُ** : إن كنتَ لم تُبْصِرْ ذلك ؛ فقد أبصرهُ غيْرُك ، وأثبت ذلك غيركَ .

● **المُلْحِدُ** : من هذا الذي أثبت ذلك ؟

● **المُوَحِّدُ** : العلمُ الحديثُ ؟

● **المُلْحِدُ** : وكيف أثْبتَ ذلك ؟

● **المُوَحِّدُ** : لقد أقرَّ العِلْمُ الحديثُ بأنَّ هناك شخصًا اسمه فرْعَوْنُ كان حاكمًا على أهلِ مِصْرَ ، وقد مات فعلًا بالغرقِ .

● **المُلْحِدُ** : ومَنْ قَالَ لَكَ : إِنَّنِي أقبل كلَّ ما جاء بِهِ العلمُ الحديثُ ؟

● **المُوَحِّدُ** : وبماذا تُقَيِّمُ العِلْمَ الحَدِيْثَ - إِذَنْ - ؟!!

● **المُلْحِدُ** : أقيِّمُهُ بِعَقْلِي ؟

● **المُوَحِّدُ** : وهل تَرَى عَقْلَكَ ؟

● **المُلْحِدُ** : نعم أرى عَقْلِي ؟

● **المُوَحِّدُ** : وكيف تَرَى عَقْلَكَ ؟

● **المُلْحِدُ** : بالاكتشافاتِ الحديثةِ بالأشعَّةِ ونَحْوِهَا ؟

● **المُوَحِّدُ** : هل تعلم أنَّ الاكتشافاتِ الحديثةَ أَثْبَتَتْ أَنَّ العقلَ لا يُرَى ؟

فكيف تحتجُّ - إذن - بِالعِلْمِ الحديثِ على شيءٍ لا يوافِقُكَ عليه العِلْمُ الحَدِيْثُ نَفْسُهُ ؟

فماذا تَقُولُ - إِذَنْ - في العقلِ وَأَنْتَ لا تَرَاهُ - كَمَا أَثْبَتَتِ الدِّرَاسَاتُ العِلْمِيَّةُ ذَلِكَ - ؟ هل تؤمِنُ بالعَقْلِ أَمْ لاَ ؟

● **المُلْحِدُ** : نَعَمْ ! أؤْمِنُ بِهِ وبِوجُودِهِ[١] .

● **المُوَحِّدُ** : إذن ؛ فهناك أشياءُ لا تُرَى لا يستطيع أحدٌ أن ينكرَهَا .

المُلْحِدُ : لا أوافقك على هذا ؛ لأنني أستطيع أن أرى عقلي أو عَقْلَك ؟

● **المُوَحِّدُ** : إذا كنْتَ تُخَالِفُ العِلْمَ الحديثَ فِي ذَلِك ؛ فَأَنْتَ وشَأْنُك !! .

لكن أعطيكَ أَمْثِلَةً أُخْرَى : هل تؤمنُ بالهواءِ وأنت لا تَرَاهُ ؟ هل تؤمن بوجود كهرباء في أسلاك الكهرباءِ وأنت لا تراها ؛ وإن كنتَ تَرَى آثارَهَا من مَوْجَاتٍ ونحوِ ذلك ؛ لكنك لا ترى التيارَ الكهربائيَّ نَفْسَهُ .

وهل تعلم أنَّ الحُبَّ والكُرْهَ ، والأَلَمَ والوَجَعَ ، والشُّعورَ والإحْسَاسَ ؛ كلُّ هذا لا يُرى بالعينِ ؟

● **المُلْحِدُ** : صحيحٌ ؛ كلُّ هذا لا يُرى[٢] .

---

(١) هُنَاكَ مُلْحِدُون لا يَقْتَنِعُونَ بالعَقْلِ والمنْطِقِ ؛ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُم : (مَا زَالَ العَقْلُ والمنْطِق في حَيْرةٍ ؛ فأَنَا لا أَدْرِي ، ولَسْتُ أَدْرِي) ؛ فَمَاذا نَقُولُ في هَؤلاءِ المجَانِيْنِ ؟!!

(٢) ولَقَدْ وصَلَ الجَهْلُ العَمِيْقُ والإنكارُ السَّحيقُ مِنْ هؤلاء الملحدينَ أن أنكروا (الرُّوحَ !) ، ولا يزولُ عَجَبِي ! أيْنَ هؤلاءِ مِنْ اعترافاتِ أصحَابهم وكُبَرائِهم ؛ ففي مقابلةٍ مع مجلةِ (نيوزويك الأمريكية) تحدثَتْ (سفتلانا ستالين ، ابنة الدكتاتور الرُّوسِي جوزيف ستالين) عن لحظةِ موتِ أبيها ؛ =

● **المُوَحِّدُ** : فيلزمُكَ حِيْنَئِذٍ أن تؤمنِ باللهِ وإن كُنْتَ لا تَرَاهُ ؟

● **المُلْحِدُ** : لكنْ أخبرْنِي ؛ لماذا نَحْنُ لا نَرَى اللهَ إِنْ كَانَ مَوْجُودًا فعلًا ؟

● **المُوَحِّدُ** : لا حَرَجَ عليكَ فِي السؤالِ ، والجوابُ : أنَّ اللهَ لَهُ فِي خَلْقِهِ حِكَمٌ وسُنَنٌ كونيةٌ ، ومن ذلك : الابتلاءُ والاختبارُ ؛ فاللهُ يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ بِهَذَا ؛ لِيَرَى مَنِ المؤمِنُ بِهِ ومَنِ الكافِرُ ؟ فمن آمَنْ بِهِ ؛ أَكْرَمَهُ فِي الآخِرَةِ بِرُؤْيَاهُ ، وَيَالَهُ مِنْ نَعِيْمٍ كَبِيْرٍ ، وجعلُ للكَافِرِيْنَ عَذَابَ النَّارِ .

● **المُلْحِدُ** : ولماذا الابتلاءُ أصلًا ؟

● **المُوَحِّدُ** : ليكون الثَّوابُ والعِقَابُ ؟

● **المُلْحِدُ** : ولماذا هناك ثوابٌ وعقابٌ أصلًا ؟

● **المُوَحِّدُ** : حتى لا يَسْتَوِي الصَّالِحُ مَعَ الطَّالِحِ ، والمُحْسِنُ مَعَ المُفْسِدِ ، والظالمُ معَ المَظْلُومِ .

● **المُلْحِدُ** : ولماذا هناك صالحٌ وطالِحٌ ، ومحسنٌ ومفسدٌ ،

= فقالَتْ : " لقد كانت مِيْتَةُ أبي شَنِيعَةً ! ففي لحظةِ موتهِ فَتَحَ عينيهِ فجأةً ، وحَمْلَقَ في الموجودِيْنَ بنظرةٍ جُنُونِيَّةٍ وغاضبةٍ ، وأَوْمَأَ بيدهِ اليُسْرَى إلى شيءٍ مَا ، يَحُومُ فوقَنَا ، وكانَتْ إيماءةَ تهديدٍ ، ثم أسلمَ الرُّوحَ " .

قُلْتُ : إلى جهنَّمَ (بإذنِ اللهِ) ؛ جزاءَ افتراءاتِهِم وإفْكِهِمْ وبَغْيِهِم !! فانظر ! كيْفَ ينكرُ ملاحدةُ زمانِنَا حقيقةَ الرُّوحِ ؛ ليظلُّوا في سرابٍ دائمٍ ؛ حتَّى يدركهم الموتُ وهُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛ أعَاذَنِي اللهُ وإيَّاكُم مِنَ الخزي والضَّلالِ .

وثوابٌ وعقابٌ ، وجنةٌ ونارٌ ، وخيرٌ وشرٌّ ، ونعيمٌ وعذابٌ ؟

● **المُوَحِّدُ** : لإبْرَازِ وإِظْهَارِ آثَارِ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا .

● **المُلْحِدُ** : لَمْ أَفْهَم قَصْدَك ومُرَادَكَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : أنا أُفَهِّمُك - بِإِذْنِ اللهِ وَعَوْنِهِ - ؛ هُنَاكَ أَسْمَاءٌ وصِفَاتٌ للهِ - تَعَالَى - ؛ كاسْمِهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ الكريْمِ الوَدُودِ ، وكاسْمِهِ الجَبَّارِ القَهَّارِ القويِّ المتينِ ، وكصفةِ الرحْمَةِ والمَحْبَةِ والرِّضَا والكُرْهِ والغَضَبِ والسُّخْطِ ؛ فَمِنْ كَمَالِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى وصِفَاتِهِ العُلا ؛ أنه ﷻ يَخْلُقُ ويَرْزُقُ ، ويُحْيِي ويُمِيْتُ ، ويغني ويُفقر ، ويخفض ويرفع ، ويعِزُّ ويُذِلُّ ، بِيَدِهِ الأمرُ كُلُّهُ ، وإليه المُنْتَهَى في كلِّ شيءٍ .

فحِيْنَ يَخْلُقُ - مثلًا - يكون هذا دَلِيْلًا على قُدْرَتِهِ - تَعَالَى - وعلْمِهِ وقوتِهِ ومشيئتِهِ وإرادتِهِ التي لا يَقْدِرُ أَحَدٌ على رَدِّهَا ؛ فلا رَادَّ لحكْمِهِ ، ولا مُعَقِّبَ لِقَضَائهِ وَأَمْرِهِ . وحين يُدْخِلُ المُؤْمِنِيْنَ الجَنَّةَ تَبْرُزُ صِفَةُ الرَّحْمَةِ والكَرَمِ والرِّضَا والغِنَى والقُوَّةِ والعِلْمِ والمَشِيْئَةِ والإرادةِ . . ونحوِهَا .

وَحِيْنَ يُعَذِّبُ أَقْوَامًا خَالَفُوا أَمْرَهُ ؛ هُنَا تَبْرُزُ وتَظْهَرُ صفةُ العزَّةِ والكِبْرِيَاءِ والجَبَرُوتِ ، ونَحْوِهَا .

ثُمَّ ، كَمَا قَالَ القَائِلُ : وبضدِّها تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ ؛ فَلَوْلَا المَرَضُ مَا عَرَفْنَا الصِّحةَ ، ولولا الفقرُ مَا عَرَفْنَا الغِنَى ، ولولا القُبْحُ مَا عَرَفْنَا الجَمَالَ ، ولولا الشَّرُّ مَا عَرَفْنَا الخَيْرَ ، ولولا الحَرْبُ مَا عَرَفْنَا السِّلْمَ ، ولولا الشِّدةُ مَا عَرَفْنَا النَّعِيْمَ . . وهكذا.

ولـو أنَّـا إذا مِـتْنَا تـركْـنَـا | لكان الموتُ غايةَ كلِّ حيٍّ
ولـكـنَّـا إذا مِـتْنَا بُـعـثْـنَـا | ونُسْأَلُ بعدَهَا عن كلِّ شيءٍ

فكيف يُتْرَكُ الظَّالِمُ بلا حِسَابٍ ؟!!

وكيف يُتْرَكُ القَوِيُّ يأكلَ حَقَّ الضَّعِيْفِ ؟!!

قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

● **المُلْحِدُ** : ولماذا يأمُرُنَا بالعِبَادَةِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ النَّاسِ ، غَيْرِ مُحْتَاجٍ لَهُمْ ؟

● **المُوَحِّدُ** : لأنَّ هذا أداءٌ (لبعضِ) حقِّهِ - تَعَالَى - علينا ؛ لأَنَّهُ الذِي خَلَقَنَا وَرزَقَنَا وَأَعطَانَا وَأَغْدَقَ عَلَيْنَا مِنْ وَاسِعِ نِعَمِهِ وآلائِهِ . ثُمَّ هَذِهِ العِبَادَةُ سَعَادَةٌ لِقُلُوبِنَا ، وَرَاحَةٌ وسكينةٌ وطمأنينةٌ لِنُفُوسِنَا ، وَغِذَاءٌ لأَرْوَاحِنَا ، ثُمَّ هي امْتِحَانٌ مِنَ اللهِ لعبادِهِ ؛ فيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؛ عِلْمًا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الثوابُ والعقابُ .

● **المُلْحِدُ** : لكِنْ أَنَا غَيْرُ مُقْتَنِعٍ بأنَّ اللهَ هُوَ الذِي خَلَقَ هَذَا الكَوْنَ كُلَّهُ ؟

● **المُوَحِّدُ** : فَمَنْ أَوْجَدَهُ - إِذَنْ - ؟

● **المُلْحِدُ** : أوجدَتْهُ الصُّدْفَةُ !!!!

● **المُوَحِّدُ** : رجَعْنَا مِنْ حَيْثُ بَدَأْنَا ؛ لَكِنَّنِي سَأَصْبِرُ عليك ؛ احْتِسَابًا للأجْرِ ، وأَسْأَلُكَ : وَهَلِ الصُّدْفَةُ يُمْكِنُ أَنْ تُوجِدُ هَذِهِ

الأشياءَ والعوالِمَ بهذا النظامِ البديعِ الدَّقيقِ ؟ هل يُمْكِنُ أن تكونَ الصُّدْفَةُ هي التي أوجدتِ المحيطاتِ والبحارَ والأنهارَ والأمطارَ والرَّعْدَ والبَرْقَ والهَوَاءَ والكواكبَ والنجومَ والمَجَرَّاتِ ؟! هل جَرَيَانُ الشَّمْسِ والقَمَرِ بِهَذِهِ الدِّقَّةِ ، وهَلْ إِشْرَاقُ الشمسِ وغروبُها ، كلُّ هَذَا حَدَثَ صُدْفةً ؟!!

● **المُلْحِدُ** : ولماذا لا يكُونُ هَذَا ؟

● **المُوَحِّدُ** : لأنَّ العَقْلَ لا يَقْبَلُ مِثْلَ هَذَا مُطْلَقًا ، لأنَّ الصُّدْفَةَ تَحْدُثَ مرَّةً أو مَرَّتَيْنِ ، ونَحْوَ ذَلِكَ ؛ لَكِنْ أَنْ يَكُونَ النِّظَامُ الكَوْنيُّ بِهَذِهِ الدِّقَّةِ البَالِغَةِ مُنْذُ مَلايينِ السِّنينِ ، ويكونُ هذا من قبيلِ الصُّدفةِ ؛ فهذا مِنْ أبطلِ الباطلِ ، وأنت قدِ اعترفتَ لِي أَنَّكَ مِمَّنْ يَحْتَرِمُ العَقْلَ أَيَّمَا احترامٍ ؛ فلِمَاذَا لا تَحْتَرِمُ العَقْلَ في هَذِه المَرَّة ؟!

● **المُلْحِدُ** : وَلِمَاذا لا يَقْبَلُ العَقْلُ هَذَا ؟

● **المُوَحِّدُ** : قَدْ أَجَبْتُكَ ؛ لكنَّني أَزِيْدُكَ بيانًا وَتَوْضِيْحًا ؛ فَأَنْتَ – مثلًا – لو دخَلْتَ بَيْتًا مفروشًا ومُنَظَّمًا وَأَبْهَرَكَ شَكْلُهُ ، وَأَعْجَبَكَ مَنْظَرُهُ مِنَ الدَّاخلِ والخَارِجِ ، وَأَدْهَشَكَ نظامُهُ وَهَنْدَسَتُهُ ؛ قُلْتَ وتَسَاءَلْتَ : مَنِ الذِي رَتَّبَ هَذَا البَيْتَ ونَظَّمَهُ وَأَبْدَعَهُ ؟ كَذَلِكَ لَوْ رأيْتَ قَصْرًا مَشِيْدًا لَتَسَاءَلَتَ : مَنِ الذِي شَيَّدَهُ وبَنَاهُ بِهَذَا الإبداعِ والإتْقَانِ والجَمَالِ ؟ فَإِذَا قُلْتَ : لا أَحَدَ أَوْجَدَهُ ، إنَّما وُجِدَ صُدْفَةً ؛ أَفَيُصَدِّقُكَ في هَذَا إِنْسَانٌ عاقلٌ ؟!! كلاَّ ؛ بل سَتُتَّهَمُ في عقلِكَ بأنَّكَ مَجْنُونٌ فاقِدُ العَقْلِ !!

فإذا كانَ ذلكَ كذلِكَ ؛ أفيكونُ هذا الكَوْنُ كُلُّهُ (العُلْوِيُّ

والسُّفْلِيُّ) بِهَذَا النِّظَامِ المُبْهِرِ والإِبْدَاعِ المُزْهِرِ ، مُنْذُ مَلايِيْنِ السِّنِيْنِ قَدْ وُجِدَ بلا موجد ؟! وأُبْدِعَ بلا مُبْدِعٍ ؟!! إنَّ هذَا لا يَقْبَلُهُ عَقْلُ عاقِلٍ ؛ ف : ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] ، وهُوَ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى : ٢ و٣] ، وقَالَ لَنَا في كتابِهِ المُحْكَمِ : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر : ٤٩] .

والعَجِيْبُ – وهَذَا من غرائبِ عَقْلِ المُلْحِدِ – أنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الكُرَةَ – التِي يُلْعَبُ بِهَا – لهَا صَانِعٌ أوْجَدَهَا ؛ لكنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الكُرَةَ الأَرْضِيَّةَ وُجِدَتْ صُدْفَةً ، وَلَيْسَ لَهَا صَانِعٌ !

كَمَا يَعْتَقِدُ أَنَّ المَاكِيْنَةَ – مَثَلًا – لابُدَّ مِنْ صَانِعٍ صَنَعَهَا وَأَعَدَّهَا ؛ لَكِنَّهُ يَعْتَقِدُ أنَّ الإِنْسَانَ ومَا فِيْهِ مِنْ أَمْعَاءٍ وَمُعِدَّاتٍ وأجهزةٍ عجيبةٍ مذهلةٍ قَدْ خُلِقَ أَوْ وُجِدَ صُدْفةً وعشوائيةً بلا خالقٍ (أو صانعٍ) !! أفليْسَ كلُّ هَذَا تناقضٌ غريبٌ وشاذٌّ ؟!!

● **المُوَحِّدُ** : هَلْ رَأَيْتَ السَّمَاءَ بهذا الاتِّسَاعِ العَظِيْمِ ؛ فَلَوْ سأَلْتُكَ : مَنِ الذي رفع هذهِ السماءَ بِلا عَمَدٍ نَرَاهَا ؟

● **المُلْحِدُ** : النَّاسُ هُمُ الذِيْنَ أَوْجَدُوهَا ؟

● **المُوَحِّدُ** : وَهَلْ رَأَيْتَهُم ؟ وأنتَ الذي لا تؤمِنُ إلاَّ بِمَا تَرَاهُ عَيْنُك ؟

ثم كيْفَ بناهَا النَّاسُ ؟!! ثُمَّ مَنِ الذي خلَقَ هَؤُلاءِ النَّاسَ ؟

● **المُلْحِدُ** : الصُّدْفَةُ !

● **المُوَحِّدُ** : وهل تَسْتَطِيْعُ الصُّدْفَةُ أَنْ تَخْلُقَ إنْسَانًا بِهَذا القَوَامِ

والجَمَالِ ، وبِهَذَا العَقْلِ ، وبهَذِهِ الحِكْمَةِ ؟ فإذا تَنَزَّلْنَا ، وَقُلْنَا : إِنَّهَا خَلَقَتِ الإِنْسَانَ[١] ؛ أتسْتَطِيْعُ (هي) أَنْ تُوجِدَ هذهِ السَّماءَ الواسعةَ الكبيرةَ ؟!! ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [غافر : ٥٧] ، ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطُّور : ٣٦] ؛ فَيَسْتَحِيْلُ أنْ تكُونَ هَذِهِ المَخْلُوقَاتُ العَظِيْمَةُ وُجِدَتْ بلا خالقٍ .

● **المُوَحِّدُ** : أَعُودُ ؛ فَأَسَأَلُك : كَيْفَ جِئْتَ أَنْتَ إِلَى هَذِهِ الحَيَاةِ ؟

● **المُلْحِدُ** : وُجِدْتُ مِنْ أمٍّ وأبٍ ؟

● **المُوَحِّدُ** : وهل رأيتَ نَفْسَكَ حين الولادة ؟ أو : هل تستطيعُ أن تُثْبِتَ أَنَّكَ ابْنُ أُمِّك وأَبِيْك ؟! فلَرُبُّما شكَّكْتُ فِي نَسَبِكَ (الآنَ !!) ؛ أليس كذلكَ ؟! فكيف تستطيعُ أنْ تُثْبِتَ نَسَبَكَ ؟!!

● **المُلْحِدُ** : لا ؛ لَمْ أَرْ نفْسِي وَقْتَ وِلادَتِي ؛ لكِنِّي أستطيْعُ بالعلْمِ الحَدِيْثِ أَنْ أُثْبِتَ أَنَّنِي ابْنُ أمِّي وأَبِي ، وَذَلِك بالجِيْنَاتِ الوِرَاثِيَّةِ .

---

(١) **قَالَ العَلامةُ الشنقيطيُّ في " دَفْعِ إِيْهَامِ الاضْطَرابِ " (ص : ٤٣)** : " وَالْمُنَاظِرُ قَدْ يُسَلِّمُ الْمُقَدِّمَةَ الْبَاطِلَةَ تَسْلِيمًا جَدَلِيًّا لِيُفْحِمَ بِذَلِكَ خَصْمَهُ " . وذلك في سياق قصَّة إبراهيم عليه السلام مع قومه ؛ كما في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ الآيات . **قَالَ** رحمه الله : " فَلَوْ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ : الْكَوْكَبُ مَخْلُوقٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا، لَقَالُوا لَهُ، كَذَبْتَ، بَلِ الْكَوْكَبُ رَبٌّ وَمِمَّا يَدُلُّ لِكَوْنِهِ مُنَاظِرًا لا نَاظِرًا ؛ قَوْلُهُ – تَعَالَى – : ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ﴾ " . ثُمَّ قَالَ – رَحِمَهُ الله تعالى – : " الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ أَيْ : أَهَذَا رَبِّي ؟ " .

● **المُوَحِّدُ** : إِذَنْ أَنْتَ (الآن !!) أَذْعَنْتَ للعلمِ الحديثِ في أشياءَ دونَ أشياءَ أخرى ؛ عمومًا ! هَلْ تَسْتَطِيْعُ أَنْ تُثْبِتَ أنَّ أباكَ : ابنُ جدِّك ؟ وأنَّ أَمَّك ابنَةُ جَدِّكَ الآخَرِ ؟ وهَكَذا إِلَى آخرِ نَسَبِك ؟

● **المُوَحِّدُ** : إذا كنْتَ لا تَسْتَطِيْعُ بالاكْتِشَافَاتِ الحَدِيْثَةِ أنْ تُثْبِتَ كُلَّ شيءٍ ؛ فكيف تُثْبِتُ صِحَّةَ نَسَبِك - إِذَنْ - ؟! سيَكُونُ هَذَا بِالشُّهُودِ والحَقَائِقِ التَّارِيْخِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ جِيْلًا بَعْدَ جِيْلٍ .

● **المُوَحِّدُ** : ثم من خَلَقَ أمَّك وأبَاكَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : ومن خَلَقَ جَدَّكَ ، وَجَدَّ جَدِّك .. وَهَكَذَا ..

● **المُوَحِّدُ** : مَنِ ابْتَدأَ الخَلْقَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : هلِ الصُّدْفَةُ ؟!

● **المُوَحِّدُ** : ومَنْ أوْجَدَ الصُّدْفَةَ ؟

● **المُوَحِّدُ** : لابدَّ أنْ تُقِرَّ أنَّ : (كُلَّ مُحْدَثٍ لابُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ) ، و (كلَّ صنعةٍ لابدَّ لهَا مِنْ صانعٍ) ، وهَذِهَ نَظَرِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ وشَرْعِيَّةٌ ؟

● **المُوَحِّدُ** : فَخَالِقُ الكونِ هُوَ اللهُ .

● **المُوَحِّدُ** : وَأَرَاكَ سَتَسْأَلُ : إذا كان كلُّ مُحْدَثٍ لابُدَّ لَهُ من مُحْدِثٍ ؛ إِذَنْ : فَمَنْ خَلَقَ اللهَ وأَوْجَدَهُ ؟!!

● **المُوَحِّدُ** : وَأَنَا أَسْأَلُكَ : وهلِ اللهُ مَخْلُوقٌ أصْلًا حَتَّى يَصِحَّ لك أَنْ تَسْأَلَ هَذَا السؤالَ ؟ فالسُّؤالُ مِنْ أصْلِهِ خطأٌ محضٌ !! لأنَّ الخالِقَ لا يُشْبِهُ المخلُوقَ ؛ فهَلْ صانعُ البابِ يُشْبِهُ البابَ ؟ وهَلْ صانعُ

السَّيَّارةِ يُشْبِهُ السَّيَّارةَ ؟ وهَكَذَا ؛ فاللهُ .. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورى : ١١] .. ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ ؟ .

(واللهُ – تَعَالَى– لَهُ وجودٌ يخصُّه ؛ فَهُوَ – سُبْحَانَهُ – وَاجِبُ الوجودِ[١] ، لم يَسْبِقْ وَجُودَهُ عَدَم ، ولا يَلْحَقْهُ فَنَاءٌ ، ووجُودُهُ مِنْ ذَاتِهِ لَمْ يَكْسِبْهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ – تَعَالَى – الغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سَوَاهُ)[٢] .

● **المُوَحِّدُ** : ثمَّ إنك لَوْ قُلْتَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ ؛ فقد اعترفتَ اعترافًا ضِمْنِيًّا بأنَّ هناك ربًّا ، ولكنه مخلوقٌ عِنْدَكَ !! أليس كَذَلِكَ ؟! وهذه خطوةٌ على كرسيِّ الاعتراف .

وهُنَا لابُدَّ أنْ تَعْلَمَ أَنَّ : الخَالقَ لا يُمْكِنُ أنْ يكُونَ خَالِقًا ومخْلُوقًا في آنٍ واحدٍ . فَتَفَرَّدَ اللهُ بالخَلْقِ والأَمْرِ والمُلْك والتَّدْبِيْرِ .

أفَلا يَسْتَحِقُّ هذا الإلَهُ العَظِيْمُ – حَيْنَئِذٍ – أَنْ يُعْبَدَ وَيُحْمَدَ وَيُشْكَر ولا يُكْفَر ؟

---

(١) عبارةُ (واجبِ الوجودِ) تكلَّم بها أهل السُّنَّةِ ؛ لإلزام خصومهم ، ومجاراةً لمخالفيهم ، وإلا فهي لم ترد لا في الكتاب ولا في السُّنَّةِ . والمراد بها : أنَّ وجودَهُ – تَعَالَى – ذاتيٌّ ، ولابدَّ من وجُودهِ ضَرُورةً ، ولا يمكِنُ أنْ يكونَ له موجدٌ ثانٍ ؛ لأنَّه غير محتاج إلى غيره ؛ فوجوده ذاتيٌّ أزليٌّ لا أوَّل له ولا بداية ؛ حتَّى لا يؤدِّي ذلِكَ إلى التَّسلسلِ الممتنعِ ، والذِي لا نِهَايَةَ لَهُ ؛ فَإِنَّه مُحَالٌ ومَمْنُوعٌ عَقْلًا ؛ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ ؛ فَلابُدَّ – إِذَنْ – مِنْ وجودِ خالقٍ غيرِ مَسْبُوقٍ بوجودٍ آخَرَ ؛ منْعًا للتَّسَلْسُلِ .

(٢) " فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي – قسم العقيدة " (ص : ١٥٤) .

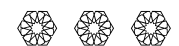
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص : ١- ٤] .

إنَّ الإِنْسَانَ لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُفَكِّرَ في ذَاتِ اللهِ ؛ لأنه لَنْ يَصِلَ ؛ فَكَمَا أنَّ العَيْنَ لا تُبْصِرُ كُلَّ شَيءٍ ؛ فكَذَلِكَ العَقْلُ لا يُبْصِرُ كُلَّ شَيءٍ ؛ فَقِفْ أيُّهَا العَقْلُ عِنْدَ مُنْتَهَاكَ ، وإلاَّ : ضلَّ وزاغ ، وأَلْحَدَ وتَزَنْدَقَ ، وَتَرَدَّى وَهَلَكَ ، وَسَيَنْدَمُ حِيْنَ لا يَنْفَعُ النَّدمُ .

إنَّ الإلْحَادَ فِي الحَقِيْقَةِ عِبَارةٌ عَنِ التَّوهُّمِ ، ويُعْتَبَرُ هُرُوبًا من مُوَاجَهَةِ الحَقِيْقَةِ المُتَمَثِّلَةِ فِي ملاقاةِ الإِنْسَانِ للربِّ ﷻ يومَ القيامةِ ؛ خوفًا من مُحَاسَبَتِهِ عَلَى مَا فَعَلَهُ فِي حَيَاتِهِ !!

ولذلِكَ ؛ فالمُلْحِدُونَ لا يريدونَ دِيْنًا ؛ كَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ : لا قيود دينيةَ ! ويقولُ آخَرُ : أَنَا حُرٌّ مَا لَمْ أَضُرَّ ! وَيَقُولُ آخَرُ : ليس هُنَاكَ حلالٌ وحرامٌ ! فهُمْ لادِيْنِيُّونَ باعترافِهِمْ أَنْفُسِهِمْ .

وبِكُلِّ أَسَفٍ يُقِرُّ كَثِيْرٌ مِنَ المُلْحِدِيْنَ أنَّ هذِهِ الثَّوْرَاتِ المَشْئُومَةِ !! كَانَتْ أَحَدَ أَهَمِّ الأَسْبَابِ التي أظْهَرَتْ الإِلْحَادَ وَحَرَّكَتْهُ في الوَطَنِ العَرَبِيِّ بِأَسْرِهِ !! فيَا لَيْتَ قَوْمِي يعْلَمُون[1] .



(١) استَمِعْ لِمَقْطَعٍ عَلَى (اليُوتْيُوبِ) فِي ذَلِكَ بِعُنْوَان : " المُلْحِدُونَ المَصْرِيُّون !! " .



ودونكُم اعْتِرَافَاتِ عَدَدٍ مِنَ المُلْحِدِيْنَ عِنْدَ المَوْتِ

١) **يَقُولُ تُومَاس سْكُوتْ – مُسْتَشَارٌ انْجِليْزِيٌّ ت : ١٥٩٤ م – :** " حَتَّى لحظاتٍ مضَتْ لَمْ أُؤمِنْ بِوجُودِ إِلَهٍ أو نَارٍ ، ولَكِنِ الآنَ أنَا أَؤْمِنْ بوجُودِهِمَا حقيقةً ، وأنا الآنَ عَلَى شفيْرِ العَذَابِ ، وهذه عدالَةُ القَضَاءِ الرَّبانيِّ " .

٢) **ويَقُولُ فرنْسِيْس نُوبَرْت – رئِيْسُ نَادِي المُلْحِديْنَ البريطَانِيِّيْنَ – لِمَنْ حَوْلَ سريرِهِ عنْدَ موتهِ :** " لا تقولوا لي لا يوجد إلهٌ ؛ فأنَا الآنَ ! في حَضْرَتِهِ[1] ، ولا تَقُولُوا لي لا يَوجَدُ جَهَنَّمُ ؛ فأنا الآنَ ! أُحِسُّ بأنِّي أَنْزَلِقُ فِيْهَا تَعِسًا ، وفِّروا كلامكم ؛ فأنا الآن ! أَضِيْعُ ، إنَّها النَّار لو عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ لَكَذَّبتُ بِهَا ، ولو مَضَتْ مَلايِيْنُ السِّنينَ لما تخلَّصْتُ مِنْ عذَابِهَا . . آهٍ آهٍ ، إنَّها النَّارُ " .

٣) **ويَقُولُ تُومَاسْ بِين – كَاتِبٌ مُلْحِدٌ ، عَاشَ فِي القَرْنِ الثَّامنِ عَشَرَ – عِنْدَ موتهِ :** " أرجوكم لا تتركُونِي وحيدًا ، يَا إلهي ! مَاذَا جَنَيْتُ لأَسْتَحِقَّ هَذَا ؟ لَوْ أَنَّ لي العَالَمَ كُلَّهُ ، ومثلَهُ معهُ ؛ لَدَفَعْتُ بِهِ هَذَا العَذَابَ ، لا تتركُوني وحيْدًا ، ولَوْ تَرَكْتُمْ مَعِي طِفْلًا ؛ فَإِنِّي عَلَى شَفِيْرِ جَهَنَّمَ ؛ إنِّي كُنْتُ عَمِيْلًا للشَّيطانِ " .

---

(١) أي : بَيْنَ يَدَيْهِ .

فباللهِ عَلَيْكُمْ (أَيُّهَا المَلاحِدَةُ) أَفِيقُوا وارْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيْهِ قَبْلَ أنْ تمُوتُوا ، وتَلْقَوْا ربَّكم (الذِي تُنْكِرُونَ وجودَهُ !!) ؛ فإنَّكُم واقِفُونَ جَمِيْعًا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَمَاذَا أَنْتُم قائِلُونَ ؟! ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة : ٢٨١] .

● **وأَقُولُ بَعْدَ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ مُوَجِّهًا سُؤَالاً فِي غَايَةِ الأَهَمِيَّةِ للمُلْحِدِيْنَ – قَاطِبَةً – :**

هَلْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ جَمِيْعًا عَلَى عَقِيْدَةِ الإلْحَادِ ؟ – مَعَ العِلْمِ أَنَّ النَّاسَ عَلَى اختِلافِ دِيَانَاتِهِمْ لا يَقْبَلُونَ الإلْحَادَ ؛ إلاَّ مَنْ شَذَّ[1] – .

فإنْ كانَ جوابُ المُلْحِدِ : نعَمْ . **فنَقُولُ لَهُ** : ولِمَ ؟

فَإِنْ قَالَ : لأنَّ هذَا هُوَ الأَصْلُ . **فنَقُولُ** : تَعْنِي أنَّ الطَّبِيْعَةَ أَوِ الصُّدْفَةَ أَوْجَدَتِ النَّاسَ بِهَذِهِ المَنْظُومَةِ الإلْحَادِيَّةِ مُنْذُ البِدَايَةِ ؟

فَإِنْ قَالَ : نَعَمْ . **قُلْنَا** : لَقَدْ أَبْطَلْتَ بِذَلِك مَذْهَبَ الإلْحَادِ مِنْ أَسَاسِهِ وَأَصْلِهِ وَرَأْسِهِ !!

فَإِنْ قَالَ : كَيْفَ ذلِك ؟ **قُلْنَا** : لأَنَّك بذَلِك قَدْ خَالَفْتَ الطَّبِيْعَةَ التي

---

(١) وهُمْ مَنْبُوذُونَ – كذلِك – حتَّى في دَسَاتِيْرِ دُوَلِ الغَرْبِ الكَافِرِ ، لا وضْعَ لَهُمْ ، ولا مَكَانَةَ ، ولا أهميَّةَ .

أَنْتَ تُؤْمِنُ بِهَا ، والتِي يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ الحَيَاةَ أَمْرًا مُسْتَسَاغًا (عِنْدَ الجَمِيْعِ) لا اعْتِرَاضَ فيْهِ .

فكَوْنُكَ أَنْتَ تُلْحِدُ ، وتُرِيْدُ أَنْ تُعَدِّلَ شَيْئًا فِي مَنْظُومَةِ هذهِ الحَيَاةِ التي جَاءَتْ صُدْفَةً ، وتَعْتَرِضَ عَلَى أَشْيَاءَ خَلَقَتْهَا الطَّبِيْعَةُ وَأَوْجَدَتْهَا ؛ فأَنْتَ (أَنْتَ) المُخْطِىءُ ؛ لأَنَّهُ مِنَ المفْتَرَضِ أنْ لا يوجَدَ إلْحَادٌ واعْتِرَاضٌ مِنَ الأَصْلِ بحُكْمِ الصُّدفَةِ ؛ فهَلْ تأَمَّلْتَ هَذَا ؟

❍ **والمَعْنَى بإيْضَاحٍ** : أنَّ الاعْتِرَاضَ النَّاشِيءَ (مِنْكَ) عَلَى بَعْضِ الأُمُورِ ، لَمِمَّا يَقْدَحُ أَصَالَةً فِي قَضِيَّةِ (الطَّبِيْعَةِ أو الصُّدْفَةِ) التِي اخْتَرَعْتَها أَنْتَ أَيُّها المُلْحِدُ !! لأَنَّهُ مِنَ المُفْتَرْضِ - (تنزُّلًا طَبْعًا) - أنْ لا يكونَ هُنَاكَ اعْتِرَاضٌ مِنْ أَحَدٍ عَلَى تِلْكَ الصُّدْفَةِ (المَزْعُومَةِ !!) ؛ لأنَّ الصُّدْفَةَ (العَمْيَاءَ) لا تُحَاسَبُ عَلَى خَطَأٍ أَوْ شَرٍّ أو بَاطِلٍ ؛ بلْ مَا كُنَّا نُدْرِكُ مِنَ الأساسِ شَيْئًا اسْمُهُ شرٌّ أو خَطَأٌ ؛ كَمَا هُوَ حَقِيْقَةُ مَذْهَبِ المُلْحِديْنَ في قَضِيَّةِ (العَالَمِ المَادِيِّ !) ؛ فإذَا اعْتَرَضْتَ فأَنْتَ مُعْتَرِضٌ عَلَى مَذْهَبِكَ (الإلْحَادِيِّ) نَفْسِهِ ؛ لأَنَّنَا فِي الأَصْلِ - عَلَى زَعْمِكَ - أَبْنَاءُ هَذَا (العَالَمِ المَادِيِّ) !! فيَكُونُ الأَصْلُ عَدَمَ وُجُودِ إِلْحَادٍ ، ولا اعْتِرَاضَ - مِنْ ثَمَّ - عَلَى أيِّ شيءٍ فِي الكَوْنِ التِي أَوْجَدتهُ تِيْكُمُ الصُّدْفَةُ ؛ فَلَوْ كَانَ الإِلْحَادُ صَحِيْحًا مَا أدْرَكْنا أَصْلًا أنَّ الإلْحَادَ مَوْجُودٌ ؛ ف : (وجودُ الإلحادِ هو (ذاتهُ) أَكْبَرُ دَلِيْلٍ عَلَى خَطَأِ الإلْحَادِ) ، وأنَّ المُفْتَرَضَ أَنْ لا يُوجَدَ إِلْحَادٌ ؛ فَبَطَلَ بِذَلِكَ هَذَا المَذْهَبُ الشَّاذُّ مِنْ أصْلِهِ ، وهُدِمَ مِنْ أساسِهِ !!

❍ **أُوَضِّحُ وأقُولُ** : إنَّ المُلْحِدَ يَعْتَمِدُ ويَسْتَنِدُ فِي إلْحَادِهِ - وهو أَسَاسُ إلْحَادِهِ - عَلَى : قَضِيَّةِ (الخَيْرِ والشَّرِّ) ؛ بمَعْنَى : لَمَاذَا

وكَيْفَ يُخْلَقُ الشَّرُّ ، ثُمَّ يُحَاسَبُ الخَلْقُ عَلَيْهِ ؟!! ومِنْ ثَمَّ لا ثَوَابَ ولا عِقَابَ ، ولا جَنَّةَ ولا نَارَ !!

فالمُلْحِدُ لا يَقْتَنِعُ بِمَا قدَّرهُ اللهُ وقَضَاهُ ؛ فَأَصْلُ مُشْكِلَةِ المُلْحِدِ هي هَذِهِ المَسْأَلَةُ ، وهُوَ نَفْسُهُ (أعْنِي : المُلْحِدَ) قَدْ وَقَعَ فِيْمَا اعَتَرَضَ بِهِ عَلَى خَالِقِهِ ﷻ الذي قدَّرَ الخَيْرَ والشَّرَّ ؛ لأنَّهُ فِي الحَقِيْقَةِ قَدِ اعَتَرَضَ عَلَى الصُّدْفَةِ (التِي يَعَتقِدُ أنَّها سَبَبُ الوجودِ كلِّهِ) ؛ بِنَاءً عَلَى اعتراضِهِ عَلَى مَا خَلقَتْهُ ! الصُّدْفَةُ (نَفْسُهَا) في العالمِ المادِّيِّ المَحْسُوسِ مِنْ خَطَأٍ وشَرٍّ ، وصِرَاعٍ وفَسَادٍ مُشَاهَدٍ هُنَا وهُنَاكَ ؛ فَلِمَاذَا (أيُّها المُلْحِدُ) تَعْتَرِضُ أنْتَ عَلَى إلهِكَ (الصُّدْفَةِ) ، بدليلِ أنَّك تُخَطِّيءُ غَيْرَكَ في قَضَايَا مُخْتَلِفَةٍ ، وتتَّهِمُ غَيْرَكَ بالشَّرِّ والفَسَادِ في أُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ ؛ ألا تُؤْمِنُ بإلهِكَ (الصُّدْفَةِ) التي خَلَقَتْ وأوجَدَتِ الجَمِيْعَ بِهَذَا الشَّكْلِ المَرْئِيِّ الذِي تُشَاهِدُهُ وتَرَاهُ ؛ فَاعْتِرَاضُكَ وانْتِقَادُكَ أَشْيَاءَ فِي الحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ ، وعَدَمُ قَنَاعَتِكَ بِهَا هُوَ في الحَقِيْقَةِ عدَمُ رِضىً (مِنْكَ) عَنْ إلَهِكَ (الصُّدْفَةِ) !! ؛ فأَنْتَ حِيْنَئِذٍ تُخَالِفُ الجِيْنَاتِ التِي أوجَدَتْكَ ! عَلَيْهَا الطَّبِيْعَةُ والصُّدْفَةُ ؛ فلَوْ كَانَ الإلْحَادُ صَحِيْحًا مَا وقَعَتْ مِنْكَ مُعَارَضَةٌ البَتَّةَ لِغَيْرِكَ ؛ بَلْ ولَمْ يقَعْ صِرَاعٌ (مِنَ الأسَاسِ) بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِّ ؛ بَلْ ولا يكونُ هُنَاكَ أَصْلًا مَفْهُومٌ للشَّرِّ والخَطَأِ ، والأَبْيَضِ والأَسْوَدِ ؛ لأَنَّهُ لا تُوجَدُ اعْتِرَاضَاتٌ ولا مُشَاكَسَاتٌ بَيْنَ الخَلْقِ ؛ بَلِ الكُلُّ مُتَعَايِشٌ ومُنْسَجِمٌ ، لا يُنْكِرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ؛ فَالكُلُّ يَتَّجِهُ نَحْوَ اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ ، وَعَقِيْدَةٍ وَاحِدَةٍ ! ومِنْ ثَمَّ لا يَجُوزُ أنْ يُوجَدَ إِلْحَادٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا نَرَاهُ مِنْ اعتِرَاضٍ وعَدَمِ مُوَافَقَةٍ لعَقَائِدِ الآخَرِيْنَ ؛ حتَّى لا نعْتَرِضَ عَلَى الصُّدْفَةِ – بِنَاءً عَلَى هَذَا التَّصَوُّرَاتِ الفَاسِدَةِ ، والنَّظَرِيَّاتِ الكَاسِدَةِ – ؛ فَهَلِ انتَبَهْتَ لبُطْلانِ

قَضِيَّةِ (الصُّدْفَةِ) الإلْحَادِيَّةِ نَفْسِهَا بنَفْسِهَا[١] ؟!!

○ **وعَلَيْهِ ، وَأَخِيْرًا ؛ إِذَا سَأَلَ المُلْحِدُ : مَا الدَّلِيْلُ عَلَى وجودِ اللهِ ؟**

● **والجَوَابُ** : أَنْتَ مَوجُودٌ ، والكَوْنُ مَوْجُودٌ ؛ إِذَنْ (اللهُ) موجُودٌ ؛ لأَنَّكَ لمْ تُوجِدْ نَفْسَكَ بنفسِكَ ، والكَوْنُ لَمْ يُوجِدْ نَفْسُهُ بنَفْسِهِ ؛ فَمَا مِنْ مَوْجُودٍ إلاَّ ولَهُ مُوجِدٌ ، ومَا مِنْ سَبَبٍ إلاَّ ولَهُ مُسَبِّبٌ ، ومَا مِنْ محْدَثٍ إلاَّ ولَهُ مُحْدِثٌ ، وفِي النِّهَايَةِ لابُدَّ أَنْ نَصِلَ لِحَقيقةٍ مَفَادُهَا : أَنَّ هُنَاكَ مُسَبِّبًا للأَسْبَابِ لَمْ يُسَبِّبُهُ أحَدٌ ، خَلَقَ ولَمْ يُخْلَقْ ، أَوْجَدَ وَلَمْ يُوجِدْهُ أَحَدٌ[٢] ، المَلاحِدَةُ يَقُولُونَ :

---

(١) راجع : " الإلحادُ يخالفُ قوانينَ العِلْمِ ، وبيانُ أدلةِ الإيمانِ " .
rMvb٩QZ٠٠٢z=watch?v/com.youtube.www//: https
الحلقة الثانية من دورة نقد الإلحاد بدولة السودان . عَلَى صفحةِ من صفحات الفيس بعنوان : حقيقة الملحدين والعلمانيين العرب .

(٢) فلَوْ كَانَ مُحْدَثًا ، لافْتَقَرَ إِلَى مُحْدِثٍ ومُوجِدٍ آخَرَ ، وذَلِكَ المُحْدِثُ إنْ كَانَ مُحْدَثًا ، افْتَقَرَ إِلَى مُحْدِثٍ وموجِدٍ آخَرَ ، ويُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى (التَّسَلْسُلِ ، وعَدَمِ التَّنَاهي) ، وذَلِكَ مُحَالٌ ؛ فَافْقَهْ ذَلِكَ جَيِّدًا ؛ فلَابُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ المخلوقات إِلَى أَوَّلٍ ؛ لِامْتِنَاعِ التَّسَلْسُلِ وقَطْعِهِ . فلكلِّ مخلوقٍ أَوَّلٌ ، والخَالِقُ – سُبْحَانَهُ – لا أَوَّلَ لَهُ ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الخَالِقُ ، وكُلُّ مَا سِوَاهُ مخلوقٌ كائنٌ بَعْدَ أنْ لم يَكُنْ . " المَدَارِج " (٣/ ٣٦٨) ، و " شفَاء العليل " (ص : ٤٠٥) ، و" الإشارة إلى مذهب أهل الحق " – لأبي إسحاق الشيرازي – (ص : ٣٧٥) .

● **فَائِدَةٌ : يَقُولُ العلامَّةُ ابْنُ القَيِّمِ فِي " شِفَاءِ العَلِيْلِ " (ص : ٥٣٣)** : " التَّسَلْسُلُ في (الآثار المستقبلةِ) ممكنٌ ؛ بل واجبٌ ، وفي (الآثار المَاضيَةِ) ؛ فيه =

الطَّبِيْعَةُ ، وَنَحْنُ نَقُولُ : الخَالِقُ العَظِيْمُ ، وهُوَ اللهُ ﷻ ، وهذِهِ نَظَرِيَّةٌ لا يُنْكِرُهَا أَيُّ عَاقِلٍ ، وقَدْ دلَّ عَلَيْهَا القرآنُ الكريْمُ ؛ فَقَدْ قَالَ - تَعَالَى - : ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور : ٣٥] . ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات : ٢١] ، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصّلت : ٥٣] ، و ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزُّمر : ٦٢] .

وإذا كَانَ اللهُ خَالِقَ كلِّ شيءٍ ؛ فَلَيْسَ هُوَ ﷻ - بالطَّبْعِ -

---

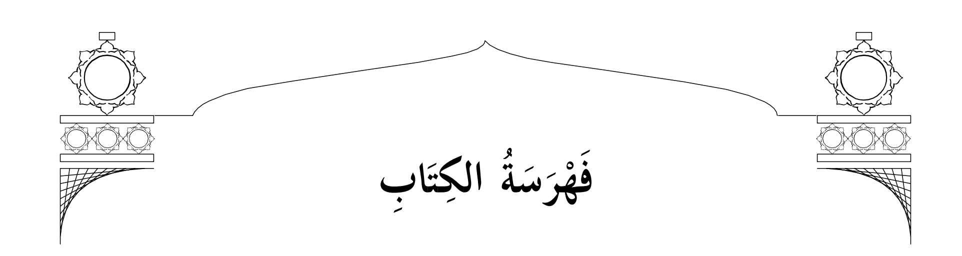
= قولان للنَّاسِ ، والتَّسَلْسُلُ في (العلل والفاعلين) مُحَالٌ ، باتفاقِ العُقَلاءِ ، بأن يكون لهذا الفاعل فاعلٌ قَبْلَهُ ، وكذلك ما قبْلَهُ إِلَى غيْرِ نِهَايَةٍ ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الفاعلُ الواحِدُ القديمُ الأبديُّ لم يزل يفْعَلُ ، ولا يَزَالُ ؛ فهذا غَيْرُ ممتنِعٍ " .

● **وَيَقُولُ في " الزَّادِ " (٢ / ٤٢٢) :**

" وَأَرْشَدَ (ﷺ) مَنْ بُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ وَسْوَسَةِ التَّسَلْسُلِ فِي الْفَاعِلِينَ ، إِذَا قِيلَ لَهُ : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ؛ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ أَنْ يَقْرَأَ : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الْحَدِيدِ : ٣] . . ؛ فَأَرْشَدَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى بُطْلَانِ التَّسَلْسُلِ الْبَاطِلِ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ ، وَأَنَّ سِلْسِلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي ابْتِدَائِهَا تَنْتَهِي إِلَى أَوَّلَ لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ ؛ كَمَا تَنْتَهِي فِي آخِرِهَا إِلَى آخِرٍ لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ ؛ كَمَا أَنَّ ظُهُورَهُ هُوَ الْعُلُوُّ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ ، وَبُطُونَهُ هُوَ الْإِحَاطَةُ الَّتِي لَا يَكُونُ دُونَهُ فِيهَا شَيْءٌ ، وَلَوْ كَانَ قَبْلَهُ شَيْءٌ يَكُونُ مُؤَثِّرًا فِيهِ ؛ لَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الرَّبَّ الْخَلَّاقَ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى خَالِقٍ غَيْرِ مَخْلُوقٍ ، وَغَنِيٍّ عَنْ غَيْرِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ . قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ ؛ فَوُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ بَاقٍ بِذَاتِهِ ، وَبَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ ؛ فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ ، الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ " .

مَخْلُوقًا ؛ فَتَفَرَّدَ سُبْحَانَهُ – إِذَنْ – بِالخَلْقِ . ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر : ٦٢- ٧٦] .

◆ **هَذَا** ، وأَسْأَلُ اللهَ العَلِيَّ القَدِيْرَ أَنْ يُبَارِكَ فِي هَذَا الكِتَابِ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ العِبَادَ في كلِّ مكانٍ ، وأن يَجْعَلَهُ ذُخْرًا لي يَوْمَ القِيَامَةِ ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُون إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ ، وأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ ، والحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِيْنَ .



فَهْرَسَةُ الكِتَابِ

الموضوع	الصفحة

تم الصف والإخراج بمكتب الفتح

أبو يحيى علي بن إسماعيل

ت/ ٠١٠٠٢٤٢١١٠٦ / ٠٠٢